المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب



فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري

« رحمه الله »

(دراسة دعوية للأحاديث : من غزوة خيبر في كتاب المغازي
إلى نهاية كتاب التفسير)

رسالة دكتوراه

إعداد

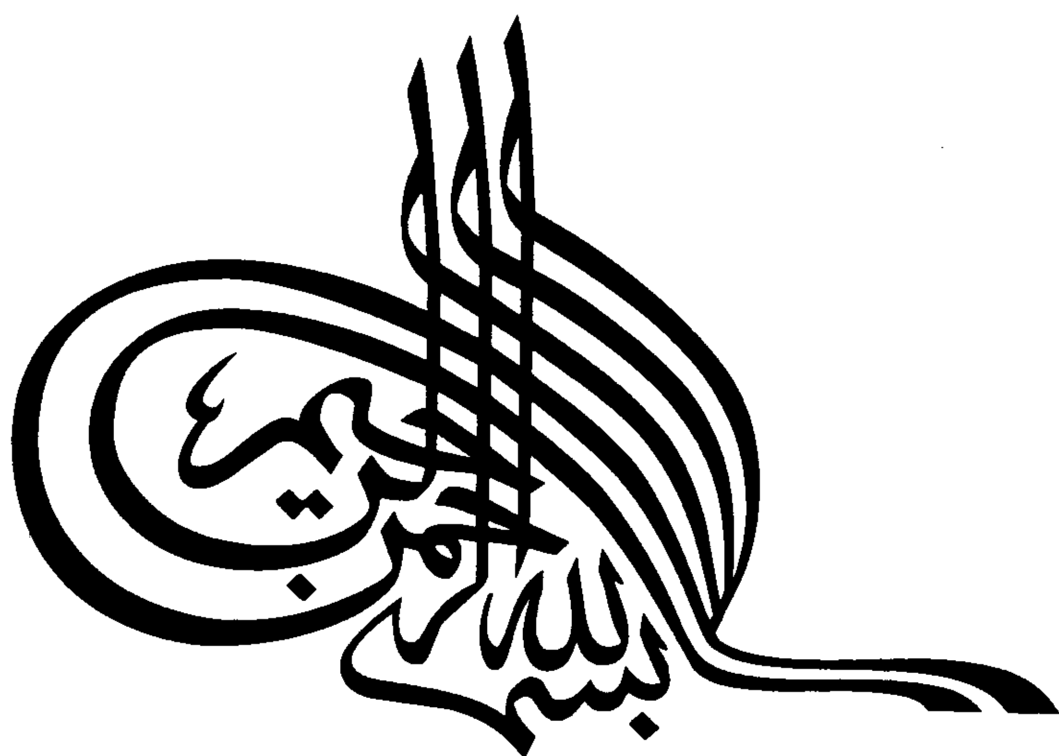
المحاضرة / بدرية بنت سعود بن محمد البشر

إشراف

فضيلة الدكتور / أحمد بن محمد أبا بطين

(الجزء الأول)

العام الجامعي : ١٤٢١ - ١٤٢٢ هـ



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا كتابه العزيز، وأرسل إلينا نبيه محمداً ﷺ ليبين لنا معانيه ويفسره تفسيراً ؛ ففتح به أعينا عميا ، وآذاناً صما وقلوباً غلفاً ، وطهر به النفوس تطهيراً. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه الكرام مؤيدي الدين ، ومظهري الإسلام ، وعلى التابعين بالخير والإحسان ، وعلى علماء الأمة في كل زمان وسلم تسليما.

أما بعد : فلاشك أن الله ﷻ قد خلق الخلق جنهم وإنسهم لغاية واحدة وهي عبادته وحده دون سواه ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .[1] ولما كانت هذه العبادة لا تعرف إلا عن علم ولا تقبل إلا على وجهها الصحيح كان إرسال الله تعالى الرسل عليهم السلام إلى خلقه ليبينوا لهم كيفيتها وتفصيلاتها. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ .[2]

وقد ختم الله ﷻ الرسل بنبينا محمد ﷺ الذي دعا أمته إلى السير على منهجه في البيان والتبليغ ، واتباع هديه في نشر الدين فقال ﷺ : ((بلغوا عني ولو آية))[3] . واستجابة لهذا الأمر الكريم ورغبة في خدمة السنة النبوية الشريفة فقد قام قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بطرح موسوعة لدراسة أحاديث رسول الله ﷺ وبيان ما فيها من دروس دعوية تعتمد على كتاب صحيح الإمام البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله . وهذه الموسوعة بعنوان: "فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - رحمه الله -" ، وقد نلت بفضل الله شرف المشاركة في هذه الموسوعة فكان نصيبي منها دراسة الأحاديث " من أول غزوة خيبر في كتاب المغازي إلى نهاية كتاب التفسير " سائلة المولى جل وعلا التوفيق والسداد .

وقبل الشروع في هذه الدراسة أذكر بعض التعريفات المتعلقة بها وأهمية

---

١) سورة الذاريات الآية رقم (٥٦).

٢) سورة إبراهيم جزء من الآية رقم (٤).

٣) صحيح الإمام البخاري :كتاب أحاديث الأنبياء /باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧٥/٤ رقم (٣٤٦١) ـ طبعة محققة على عدة نسخ وعن نسخة فتح الباري التي حقق أصولها وأجازها ـ إلى كتاب الحج فقط ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ ١٤١٤هـ/١٩٩٤ ـ دار الفكر .

موضوعها وتقسيماتها :-

التعريف بمفردات عنوان الدراسة:

أولاً – فقه الدعوة : جملة تتكون من جزئين الفقه، والدعوة :

أما تعريف الفقه فهو في اللغة : العلم بالشيء والفهم له ، واشتقاقه من الشقِّ والفتح ، قال الزمخشري : والفقيه العالم الذي يشق الأحكام ويفتش عن حقائقها، ويفتح ما استغلق منها [١] . وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم [٢]، يقال أُوتي فلان فقهاً في الدين أي فهماً فيه ، قال الله تعالى: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [٣] أي ليكونوا علماء به . وقال ﷻ: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [٤] وقال على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [٥] ، كل ذلك بمعنى يفهمون.[٦]

وفقِه فِقْهاً :بمعنى علم علماً.قال ابن سيده: وقد فَقُه فقَاهَةً وهو فَقيهٌ من قوم فُقهاء، والأنثى فَقيهة من نسوةٍ فقائه .[٧]

والفقه اصطلاحاً : ذكر الفقهاء تعريفات متقاربة للفقه ، منها :أن الفقه هو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية.[٨]

---

١) الفائق في غريب الحديث للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري ١٣٤/٣ مادة فقه ـ تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط٢ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٢) انظر:لسان العرب /ابن منظور ٥٢٢/١٣ مادة (فقه) ـ ط١ـ دار صادر ـ بيروت،ومختار الصحاح/أبو بكر الرازي ص٥٠٩ مادة (فقه) ـ طبعة حديثة ومنقحة ـ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ـ المكتبة الأموية ـ بيروت.

٣) سورة التوبة جزء من الآية رقم (١٢٢) .

٤) سورة النساء جزء من الآية رقم (٧٨).

٥) سورة طه الآيتان (٢٧،٢٨).

٦) انظر شرح مختصر الروضة /نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي١٣٠/١ ــ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ ط١ـ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٧) لسان العرب /ابن منظور ٥٢٢/١٣، مادة : فقه.

(٨) شرح البدخشي لمنهاج الوصول في علم الأصول (للقاضي البيضاوي) لمحمد بن الحسن البدخشي ١٩/١ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر ـ مصر .

وقيل هو: العلم بالأحكام الشرعية بطريق النظر والاستنباط [١] . وقيل غير ذلك . [٢]

الدعوة لغة : هي الطلب ، دعاه فلان أي طلبه . والدَّعوَة بالفتح ، في الطعام اسم من دعوت الناس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك . وادعيت الشيء:طلبته لنفسي . ودعا الرجل: ناداه وصاح به . ودعوة الحق ودعوة الإسلام هي شهادة أن لا إله إلا الله ، التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة. ودعاه إلى الأمر :ساقه إليه وحثه على قصده، ومنه في القرآن قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [٣]. والنبي ﷺ داعي الله، قال تعالى : ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [٤].[٥]

الدعوة في الاصطلاح : وردت عدة تعريفات للدعوة يكمل بعضها بعضا، منها:

١- (الدعوة إلى الله ﷻ هي :الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان: بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه).[٦]

---

١) الواضح في أصول الفقه/لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي ٧/١ - تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي - ط١- ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٢) للاطلاع على مزيد من تعريفات الفقه عند الفقهاء وشرحها انظر كتاب شرح مختصر الروضة /الطوفي الجزء الأول من ص ١٣٣إلى ص ١٧٥.

٣) سورة يوسف جزء من الآية (٣٣).

٤) سورة الأحقاف جزء من الآية (٣١).

٥) انظر: معجم مقاييس اللغة /لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٢٧٩/٢،٢٨٠ - تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت ،أساس البلاغة/الزمخشري ٢٧٢/١،٢٧٣ - ١٣٤١هـ/١٩٢٢م - دار الكتب المصرية - القاهرة،ومختار الصحاح/الرازي ص٢٠٥- ٢٠٦، ولسان العرب/ابن منظور / مادة (دعا) ٢٥٨/١٤، ٢٥٩، وتاج العروس من جواهر القاموس/للإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ٤٠٥/١٩-٤٠٨ - دراسة وتحقيق علي شيري - ١٤١٤هـ/١٩٩٤م - دار الفكر، وأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد/للعلامة سعيد الخوري الشرتوني ٣٣٧/١ ، والهادي إلى لغة العرب /حسن سعيد الكرمي ٣٩/٢،٤٠ - ط١ -١٤١٢هـ/١٩٩٢م - دار لبنان للطباعة والنشر - بيروت.

٦) الفتاوى/لشيخ الإسلام أحمد بن عبدا لحليم بن تيمية ١٥٧/١٥ - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد - مكتبة المعارف - الرباط .

٢- أن الدعوة إلى الله هي:(الدعوة إلى توحيد الله ، والإقرار بالشهادتين ، وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً ،كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ليكون الدين كله لله). [١]

٣-(تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام ، وهدايتهم إليه قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم).[٢]

وإذا أضيفت لفظة (الفقه) إلى لفظة (الدعوة) وأصبحت **فقه الدعوة** فهي تعني : استنباط و فهم الدعوة، وأسسها، وأركانها، وأهدافها، ونتائجها، استنباطاً وفهماً على ضوء الكتاب ، والسنة ، وفهم السلف الصالح يُمَكّن الدعاة إلى الله تعالى من عرضها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم، ومتباين ألسنتهم ولغاتهم ، ومتعدد أجناسهم[٣]، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٤] .

ثانياً – أما التعريف بالإمام البخاري -رحمه الله – وصحيحه فيأتي إن شاء الله في مدخل الدراسة .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في عدة أمور منها :

١- إن الدعوة القويمة لا تقوم إلا على فهم صحيح لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقد قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا

---

١) الدعوة إلى الله " الرسالة - الوسيلة - الهدف " /د. توفيق الواعي ص ١٩ - ط١ -١٤٠٦هـ/١٩٨٦م - مكتبة الفلاح - الكويت.

٢) خصائص الدعوة الإسلامية/ محمد أمين حسين ص١٧ - ط١- ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م - مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن .

٣) انظر فقه الدعوة إلى الله/د. علي عبد الحليم محمود ١٨/١ - ط٣ -١٤١٢هـ/١٩٩١م - دار الوفاء - المنصورة .

٤) سورة يوسف الآية رقم (١٠٨) .

إِلَيْهِمْ﴾ (١) فقدم ﷺ الفقه في الدين على الإنذار بياناً لأهمية الفهم لأمور الدين قبل الدعوة إليه .

٢- إن الكتاب والسنة هما مصدرا التشريع لأمة محمد ﷺ وأي عمل لا يقوم على أساس من الكتاب والسنة فلن يتحقق له نجاح لأن صاحبه ضال يتخبط ، ولهذا قال رسول الله ﷺ: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي))(٢) ؛ فحكم على من سار على غير هدى من كتاب الله و سنته ﷺ بالضلال.

٣- إن الاختلاف الملاحظ بين بعض الدعاة إلى الله تعالى في الأسلوب والمنهج سببه الرئيس قلة الفقه في الكتاب والسنة لهذا جاءت هذه الموسوعة لتستنبط أركان الدعوة من سنة رسول الله ﷺ وتربطها بكتاب الله وتوثقها بأقوال العلماء ليصبح لدى الداعية مرجعاً أساساً في الدعوة إلى الله .

٤-إن علم السنة النبوية الشريفة أعظم العلوم قدراً بعد كتاب الله العزيز وأجلها مكانة وأرقاها شرفا ؛ إذ عليه تنبني قواعد أحكام الشرع الكريم ، وبه تظهر تفاصيل مجملات آيات القرآن العظيم ، كيف لا وصاحبها النبي المصطفى ﷺ الذي ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٣)، فقد كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ، فهي وحي إلهي منزل ؛ ولهذا كان لعلم الحديث هذه المكانة العالية ولأهل الحديث ومن اعتنى به وصانه عن التحريف والتأويل المنزلة الرفيعة ، ويكفيهم شرفاً أنهم خلفاء رسول الله ﷺ في حمل السنة وتبليغها . وقد أثنى عليهم ودعا لهم فقال عليه الصلاة والسلام: ((نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه)).(٤)

---

١) سورة التوبة جزء من الآية رقم (١٢٢).

٢) المستدرك على الصحيحين /الحاكم :كتاب العلم ٩٣/١ ،وقال الذهبي (احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله وله أصل في الصحيح) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.وذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٦) ص ٢١ ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٣) سورة النجم الآيتان (٣،٤).

٤) سنن ابن ماجه : باب من بلغ علما ص ٣٥ رقم (٢٣٦) ـ طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف ـ إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ـ ط٢ ـ محرم١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ـ دار السلام ـ الرياض ،

٤- إن أصح الكتب بعد القرآن الكريم ، الصحيحان : صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم - رحمهما الله - [١]. ومن هذين الكتابين اخترت المشاركة في فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - رحمه الله ؛ وذلك لأن كتاب البخاري كما يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (أصحهما وأكثرهم فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرته من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث)[٢]. ويقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عن سبب ترجيح صحيح الإمام البخاري على صحيح الإمام مسلم - رحمهما الله -: (والبخاري أرجح - من صحيح مسلم - لأنه اشترط في إخراجه الحديث في كتابه هذا : أن يكون الراوي قد عاصر شيخه وثبت عنده سماعه منه، ولم يشترط مسلم الثاني، بل اكتفى بمجرد المعاصرة . ومن هاهنا ينفصل النزاع في ترجيح صحيح البخاري على مسلم كما هو قول الجمهور، خلافاً لأبي علي النيسابوري شيخ الحاكم، وطائفة من علماء المغرب).[٣]

ومن هنا أيضاً يكتسب هذا الموضوع أهمية أخرى، وهي ارتباطه بأصح كتاب في السنة، وأكثرها فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة .

ولهذه الأهمية فقد شرع قسم الدعوة والاحتساب في الكلية في إعداد

وسنن أبي داود/للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي:كتاب العلم/باب فضل نشر العلم ٣٢٢/٣ رقم (٣٦٦٠) - مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر - بيروت،و سنن الترمذي/لمحمد بن سورة الترمذي :كتاب العلم/ باب في الحث على تبليغ السماع ١٤١/٤ رقم (٢٧٩٤) واللفظ له ، ضبطه وراجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان - ط٢ -١٣٩٤هـ/١٩٧٤م - دار الفكر،وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٤٤/٢ رقم (١٩٣) - ط٢ - ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض.

١) انظر:علوم الحديث/لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهروزي (ابن الصلاح) ص١٤ - حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه نور الدين عتر - ط٢- ١٩٧٢م - المكتبة العلمية - المدينة المنورة، ومقدمة شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٠/١- تحقيق لجنة من العلماء - ط٣ - دار القلم - بيروت،واختصار علوم الحديث لابن كثير مع شرحه الباعث الحثيث لأحمد شاكر ص٢٦ - ط١ - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

٢) مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٠/١ .

٣) اختصار علوم الحديث، مع شرحه الباعث الحثيث/ لأحمد شاكر ص٢٦ .

موسوعة دعوية متكاملة تعتمد هذا الكتاب أساساً ومنطلقاً لها، وكان القسم المخصص لي من الصحيح ، من غزوة خيبر في كتاب المغازي إلى نهاية كتاب التفسير .

أهمية كتب الدراسة :

تبرز أهمية كتب دراستي في الأمور التالية:
أ -*كتاب المغازي*: ويتضمن الكثير من الأحكام الفقهية والدعوية التي لا غنى للمسلم عنها حيث كان الجهاد في عهد النبي ﷺ وسيلة مهمة للدعوة إلى الله تعالى،كما تضمن إيضاح مبادئ الإسلام في التعامل مع غير المسلمين ، وتعامل المسلمين بعضهم مع بعض، وبيان الكثير من الأحكام الفقهية مثل حكم الغلول وأحكام التبني وحكم الرقى وغير ذلك من الأحكام التي ترسم المنهج الإسلامي الصحيح لكل مسلم.
ب-*كتاب تفسير القرآن*[1]: وفي هذا الكتاب ارتباط بكتاب الله ﷻ الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [2] وهذا من أكبر نعم الله عليَّ أن حدد لي هذا الجزء من الصحيح حيث وردت أغلب أحاديثه مفسرة للآيات ورابطة بين قول الله تعالى وقول نبيه ﷺ، وفيه تفصيل وبيان لما ورد في القرآن الكريم من أحكام، ولا ريب أن في هذا الخير الكثير والعلم النافع لمن تعمق فيه ووعى أسراره وفهم معانيه.

أسباب اختيار الموضوع :

إن اختياري لهذا الموضوع نابع من عدة أسباب منها :
١- الرغبة في الاتصال بالسنة النبوية المشرفة، وخصوصاً منها كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري – رحمه الله– الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله . وذلك للاقتداء برسول الله ﷺ، وفي ذلك عبادة لله تعالى وهداية منه، وتنفيذ لأمره، يقول الله تعالى:﴿

١) نظراً لكون كتاب التفسير يحتوي على الكثير من الآيات داخل الأحاديث ، والمطلوب دراسة أحاديث الصحيح؛ فقد رأى القسم أن تقتصر الدراسة الدعوية على الآيات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالأحاديث بحيث لا تفهم إلا بها.
٢) سورة فصلت الآية رقم (٤٢).

وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.[١]

٢- كثرة الفوائد والمعارف في صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - كما ذكر ذلك العلماء .[٢]

٣- نيل شرف الإسهام في خدمة السنة النبوية الشريفة بتقديم دراسة دعوية وافية في الجزء المحدد من صحيح الإمام البخاري يخدم طلبة العلم والمهتمين بأمور الدعوة رجالاً ونساءً فينتفعون وينفعون بإذن الله تعالى.

٤- تقديم علاج لما قد يحدث من خلاف وتنازع في بعض قضايا الدعوة ومناهجها وذلك من خلال الردِّ إلى سنة رسول الله ﷺ التي أُمرنا عند الاختلاف والتنازع بالعودة والردِّ إليها وإلى كتاب الله ﷻ، وذلك على ضوء فهم السلف الصالح لهما. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (فمجموع أمته ـ أي محمد ﷺ ـ تقوم مقامه في الدعوة إلى الله ، ولهذا كان إجماعهم حجة قاطعة ، فأمته لا تجتمع على ضلالة ، وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله وإلى رسوله)[٣]. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٤]). وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذه الآية :(وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة ،كما قال تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[٥] فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال).[٦]

---

١) سورة النور جزء من الآية رقم (٥٤) .

٢) انظر : مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٠/١ .

٣) الفتاوى ١٦٥/١٥،١٦٦، وانظر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٢٦١/١ ـ حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار ــ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ ١٤٠٤هـ ـ الرياض.

٤) سورة النساء جزء من الآية رقم (٥٩).

٥) سورة الشورى جزء من الآية رقم (١٠).

٦) تفسير القرآن العظيم /للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٥١٨/١ ـ نسخة مقابلة ومصححة من قبل نخبة من العلماء ـ دار الفكر.

أهداف الدراسة :

١- تقديم دراسة تأصيلية في علم الدعوة أساسها ومادتها حديث رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى عنه : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) فأمره ونهيه ﷺ منهج للأمة وواجبها تنفيذه قولاً وعملاً ، ولهذا كانت هذه الدراسة معتمدة على أصح كتب السنة النبوية الشريفة لاستخلاص ذلك المنهج وتقديمه لطلبة العلم خاصة والمسلمين عامة واضح المعاني صريح المدلول.

٢- استنباط الفوائد وكشف المعارف والفقه الدعوي في الجزء المخصص لي من صحيح الإمام البخاري.

٣- تأصيل مبدأ الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة وفق فهم السلف الصالح في كل أمر يتعلق بحياة المسلم، وخاصة ما يتعلق بقضايا الدعوة التي تشعبت مذاهب الناس فيها.

٤- إيجاد مرجع في الدعوة للدعاة والمحتسبين للاعتماد عليه مستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ الذي أمرنا الله بالاقتداء به ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢) .

موضوع الدراسة :

بدأت الدعوة بمبعث نبينا محمد ﷺ، فدعا إلى هذا الدين بجميع قواعد الدعوة، وأصولها ، وضوابطها ،كما علمه ربه ﷻ. ولم يكن هناك حاجة لتدوين هذا العلم،كغيره لاعتماد الرعيل الأول على التلقي مباشرة والتطبيق. ومع البعد الزمني عن هذا العصر ـ عصر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ﷺ ـ وخشية فقدان شيء من هذه الأصول، واندثار ذلك العلم؛ احتاج المسلمون إلى الكتابة فيه، وتأصيله، وأعظم كتاب بعد كتاب الله للتأصيل والتوثيق ؛ هو صحيح الإمام البخاري – رحمه الله –

---

١) سورة الحشر الآية رقم (٧).

٢) سورة الأحزاب جزء من الآية رقم (٢١).

لمنزلته العظيمة بين العلماء، وهذا الكتاب ذكر فيه مؤلفه ما صح من سنة رسول الله ﷺ، وأدرج فيه شيئاً من فقهه من خلال عناوين كتبه وأبوابه.

فبدراسة أحاديث هذا الكتاب دراسة دعوية ، نخرج منها بالتأصيل والتوثيق واستنباط الفقه والأحكام والقواعد الدعوية، وعلاج الخلاف والنزاع الذي قد يحدث حول بعض قضايا الدعوة إلى الله تعالى، مما يساعد على نجاح الدعوة وتحقيق النتائج المرجوة منها .

تساؤلات الدراسة :

س١- ما الفقه الدعوي في جهود الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ؟

س٢- ما الفقه الدعوي في أحاديث موضوع الدراسة ؟

س٣- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بالداعية ؟

س٤- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بالمدعو ؟

س٥- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بموضوع الدعوة ؟

س٦- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بالوسائل والأساليب؟

منهج الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على المنهج الاستدلالي الاستنباطي الذي هو عملية عقلية منطقية تعتمد على استنتاج قضية مجهولة من قضية أو من عدة قضايا معلومة تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى تجربة، أو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم.[1]

هذا وإن المنهج الذي سلكته في دراستي يتلخص في الآتي :

١ - بدأت أولاً بذكر اسم الباب، وإن لم يكن له اسم فأكتفي برقمه .

١) انظر : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص١٤٩ الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، ط دار القلم دمشق . والبحث العلمي ومناهجه النظرية - رؤية إسلامية - د/سعد الدين السيد صالح، ص٢، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ط مكتبة الصحابة جدة .

٢ - اكتفيت بذكر اسم الباب فقط عند شرح أول حديث ؛إذا كان الباب تحته أكثر من حديث.

٣- وضعت ترقيماً لأحاديث الدراسة على يمين الرقم الأصلي للحديث في صحيح الإمام البخاري .

٤ - ذكرت تخريج أطراف الحديث من الصحيح في الهامش ،ثم ذكرت تخريجه من صحيح الإمام مسلم - رحمه الله - في حالة كون الحديث متفقاً عليه .أما أحاديث شرح الفوائد فقد حرصت على أن تكون من الصحيحين ، وما لم أجده فيهما أبحث عن صحيح في غيرهما ثم أذكر من صححه من العلماء .

٥ - ترجمت في هذه الدراسة فقط لراوي الحديث من الصحابة ﷺ، والأعلام الوارد ذكرهم في متن أحاديث الدراسة ، والأعلام الذين في سند الحديث ممن لهم صلة بفائدة من فوائد الحديث .

٦- ذكرت الفوائد المستنبطة من الحديث إجمالاً مرتبة حسب ورود شواهدها في الحديث ثم ذكرتها مفصلة.

٧- قمت بعزو الآيات إلى سورها وذكرت ذلك في الهامش مع ذكر رقم الآية .

٨- حرصت على نقل الآيات من المصحف بطريقة النسخ في الحاسب الآلي حماية لها من الخطأ والتحريف.

٩- قمت بترتيب المراجع في الهامش تبعاً لتاريخ الوفاة إلا إذا كان المنقول من مصدر معين فإني أبدأ به ، ثم أذكر بقية المراجع مرتبة على تاريخ الوفاة .

١٠- قمت بكتابة معلومات الغلاف للكتاب كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة.

١١- بينت في الحاشية معاني الكلمات التي ترد في الشرح وتحتاج إلى بيان.

١٢- جعلت الآيات القرآنية بين قوسين مميزين لها عن غيرها بهذا الشكل﴿ ﴾، وأحاديث الرسول ﷺ بين قوسين مزدوجين (( )) ، وأقوال الصحابة والسلف والعلماء بين قوسين منفردين بهذا الشكل ( ).

١٣- عملت فهارس تفصيلية للآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة

الواردة في المتن ، وفهرساً آخـر للأحـاديث الـواردة في الشـرح ، ثـم وضعـت فهرسـاً للآثار ، وآخر للأعلام المترجم لهم ، وفهرساً للكلمات المبين معناها في المتن و الحاشية، وفهرساً للمصادر والمراجع ، وأخيراً وضعت فهرساً للموضوعات.

ضوابط الدراسة:

هناك مجموعة من الضوابط التي سوف تلتزم الباحثة بـمراعاتها أثنـاء دراسـتها للجـزء المحدد لها من صحيح الإمام البخاري – رحمه الله – وهي على النحو الآتي :

١ – ذكر الحديث كاملاً بسنده، ثم يذكر من أطرافه ما فيه زيادة عـن الروايـة الأولى أو اختلاف في الصيغة أو السند يؤخذ منه فائدة دعوية .

٢– الاكتفاء بدراسة الآيات الواردة في الحديث إذا كان لها علاقة وثيقـة بـالحديث ولا يمكن فهمه إلا بها.

٣– الترجمة لـلرواة مـن الصحابـة ﷺ مـع الـتركيز على الجـانب الدعـوي في سـيرهم ويكون ذلك في الهامش .

٤– شـرح المفـردات الغريبـة في الحديـث وأطرافـه إن احتيـج إلى ذكرهـا ، وكذلـك المفردات الغريبة في شرح الحديث.

٥– دراسة نص الحديث دراسة دعوية وفق معنى (فقه الدعوة) المذكور في مقدمـة هذا البحث .

٦– الالـتزام بدراسـة جميـع أطـراف الأحـاديث الـواردة في صحيـح الإمـام البخـاري (رحمه الله) .

٧– ما يُتوصل إليه من دلالات دعوية ينبغي أن تكون موثقة ومبنية على شـروح أهـل العلم المعتبرين .

وأخـيراً: لا أزعـم الكمـال فيمـا كتبـت ،فالكمـال لله ومـا أحسـن مـا قالـه الأصفهاني ـ رحمه الله ـ: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غـده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ،

ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

وحسبي أني بذلت جهدي ، فما كان من صواب فهو من توفيق الله وما كان من زلل فمني والشيطان ، والله أسأل أن يغفر لي ما كان مني من خطأ، ويتجاوز عما فيه من تقصير، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع مجيب.

تقسيم الدراسة :

المقدمة : وتَتَضمن الآتي:

١- التعريفات اللغوية والاصطلاحية المتعلقة بالدراسة.

٢- مدخلاً للموضوع وأهميته .

٣- أسباب اختيار الموضوع .

٤- أهداف الدراسة .

٥- تحديد موضوع الدراسة وتساؤلاتها .

٦- المنهج المستخدم في الدراسة .

٧- ضوابط الدراسة .

- **مدخل للدراسة** :

- ترجمة موجزة للإمام البخاري - رحمه الله - .

- التعريف بصحيح الإمام البخاري - رحمه الله - .

- التعريف بكتب موضوع الدراسة في الصحيح، وأبوابها، وأحاديثها، وجهود الإمام البخاري - رحمه الله - فيها .

القسم الأول : الدراسة الدعوية للأحاديث الواردة في موضوع الدراسة :

الفصل الأول : كتاب المغازي [من غزوة خيبر إلى نهايته].

الفصل الثاني : كتاب تفسير القرآن.

القسم الثاني : **المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة :**

الفصل الأول : المنهج الدعوي المتعلق بالداعية .

الفصل الثاني : المنهج الدعوي المتعلق بالمدعو .

الفصل الثالث : المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة.

الفصل الرابع : المنهج الدعوي المتعلق بالوسائل والأساليب .

- الخاتمة.
- الفهارس .

شكر وعرفان

الحمد لله أولاً و آخراً على توفيقه ، وتيسيره، ومنّه، وكرمه، وجميل إحسانه، ثم الشكر لوالديّ الكريمين على ما بذلاه في سبيل إيصالي إلى هذه المرحلة العلمية فجزاهما الله عني خير ما يجزي والداً عن ولده، ووفقهما إلى نيل مرضاته، والفرح يوم الوقوف بين يديه، والفوز بجنته يوم لا ينفع مال ولا بنون، ثم الشكر لزوجي المهندس خالد الشدي الذي كان خير معين لي في مسيرتي، فأشكره على فضائله، وأدعو الله أن يضاعف له الأجر أضعافاً كثيرة، وأن يجعله في موازين حسناته، ثم الشكر موصول للمشرف على هذا البحث فضيلة الدكتور أحمد بن محمد أبابطين على حرصه وجهده وما منحنيه من وقته الثمين وأسداه لي من النصح والمشورة في كل حين، ومهما سطرت له من عبارات الثناء والشكر فلن أوفيه حقه، فأسأل الله العظيم أن يجزيه الجزاء الأوفى، وأن يثيبه على عطائه فقد أعطى فأوفى، ثم الشكر لهذه الجامعة العريقة التي لم يأل القائمون عليها جهداً في سبيل خدمة الإسلام و المسلمين، وتيسير السبل لأبناء المسلمين لطلب العلم ونشره،كما أشكر عميد كلية الدعوة والإعلام ووكيليه على ما قدموه لطلاب العلم فجزاهم الله عني خير الجزاء.كما أتقدم بالشكر والعرفان لكل من قدم لي خدمة أو وقف معي في هذا البحث من إخوة وزملاء في القسم وفي الموسوعة، ولن أذكر أسماء خشية إسقاط حق من له عليَّ حق، ولكني أسأل الله أن يجازي كل ذي إحسان على إحسانه، ويجعل بديل شكري لهم الفوز برضوانه، والنعيم في جنانه. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه الهادي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مدخل للدراسة

- ترجمة موجزة للإمام البخاري - رحمه الله -
- التعريف بصحيح الإمام البخاري - رحمه الله -
- التعريف بكتب موضوع الدراسة في الصحيح، وأبوابها، وأحاديثها، وجهود الإمام البخاري - رحمه الله - فيها.

مدخل للدراسة

الإمام البخاري :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَردِزبَه [١] الجعفي، كان مولده يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى وهي من أعظم مدن ما وراء النهر .[٢]

نشأته وطلبه للحديث ورحلته فيه: مات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمه فألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً [٣]، قال أبو جعفر محمد بن أبى حاتم وراق البخارى :قلت للبخارى:كيف بدء أمرك؟ قال ألهمت الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك: فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام ؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأصلح كتابه، وقال: صدقت. فقال بعض أصحاب البخاري: ابن كم كنت ؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء (يعني

---

١) بردزبه بفتح الموحدة وسكون الراء بعدها دال مهملة مكسورة فزاي ساكنة موحدة مفتوحة فهاء على المشهور وهو بالفارسية: الزراع.انظر :تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ٤٨٠/١- ط١ -١٤١٢هـ / ١٩٩١م - مؤسسة الرسالة - بيروت، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٣١ - ط٦ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢) البداية والنهاية /للإمام الحافظ اسماعيل ابن كثيرالدمشقي ٣٠/١١- حققه ودقق أصوله وحواشيه علي شيري - ط١ - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م - دار إحياء التراث العربي - بيروت، وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي /إعداد الحمصي ٤٨٠/١ ،وعون الباري لحل أدلة صحيح البخاري شرح التجريد الصريح/لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ١٢/١ - عني بطبعه ونشره عبدالله بن إبراهيم الأنصاري-١٤٠١هـ/١٩٨١م - مطابع قطر الوطنية - الدوحة ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣١/١.

٣) البداية والنهاية/ابن كثير ٣٠/١١ ،وإرشاد الساري/القسطلاني ٣١/١،٣٢.

أصحاب الرأي) ثم خرجت مع أخي أحمد و أمي إلى مكة، فلما حججت، رجع أخي إلى بخارى فمات بها (وكان أخوه أسن منه). وأقام هو بمكة لطلب الحديث. قال: فلما طعنت في ثماني عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم. قال: صنفت التاريخ في المدينة وكنت أكتبه في الليالي المقمرة. قال: وقلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب.[١]

وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريبا من عشرين مرة.[٢]

أما رحلته في طلب الحديث: فقد قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: أول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين، ولو رحل أول ما طلب لأدرك ما أدركه أقرانه من طبقة عالية ما أدركها، وإن كان أدرك ما قاربها كيزيد بن هارون وأبي داود الطيالسي، وقد أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل إليه وكان يمكنه ذلك فقيل له: إنه مات فتأخر عن التوجه إلى اليمن ثم تبين أن عبد الرزاق كان حيا فصار يروي عنه بواسطة ثم ارتحل بعد أن رجع من مكة إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها.[٣] وقد دخل بغداد ثمان مرات، وفي كل منها يجتمع بالإمام أحمد فيحثه أحمد على المقام ببغداد ويلومه على الإقامة بخراسان.[٤]

---

١) انظر : هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ابن حجر العسقلاني ص٤٧٨ ـ ط٢ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣١/١، ٣٢.

٢) البداية والنهاية/ابن كثير ٣١/١١.

٣) هدي الساري/ابن حجر ص٤٧٩، و انظر: البداية والنهاية/ابن كثير ٣٠/١١ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٢/١.

٤) البداية والنهاية/ابن كثير ٣١/١١.

شيوخه: سمع الإمام البخاري عن عدد كبير من أهل الحديث يتضح ذلك مما رواه عنه ورّاقه محمد بن أبي حاتم: أنه قال: كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث. وقال أيضا: لم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل.[١]

وقد حصرهم الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في خمس طبقات :-

الطبقة الأولى: من حدث عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد ومثل مكي بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد.

الطبقة الثانية : من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبي إياس وأبي مسهر ، وسعيد بن أبي مريم وأمثالهم.

الطبقة الثالثة: وهي الوسطى من مشايخه وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع كسليمان بن حرب ويحي بن معين وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه، وهذه الطبقة قد شاركه الإمام مسلم في الأخذ عنهم.

الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطلب ومن سمع قبله قليلا كمحمد بن يحي الذهلي وأبي حاتم الرازي وجماعة من نظرائهم وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه أو ما لم يجده عند غيرهم.

الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبدالله بن حماد الآملي، وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل في الرواية عنهم بماروى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. وعن البخاري أنه قال: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه.[٢]

---

١) انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي١/٤٨٠، وهدي الساري/ابن حجر ص٤٧٩، وإرشاد الساري/القسطلاني ١/٣٢.

٢) انظر:هدي الساري/ابن حجر ص٤٧٩، وعمدة القاري/العيني ١/٧، وإرشاد الساري/القسطلاني ١/٣٢-٣٣.

تلاميذه :

روى عن البخاري خلائق وأمم ، وممن روى عنه الترمذي والإمام مسلم في غير الصحيح، وكان الإمام مسلم يتلمذ له ويعظمه. قال الفربري: سمع الصحيح من البخاري معي نحو من سبعين ألفا لم يبق منهم أحد غيري[١]. وذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ أنهم أكثر من ذلك حيث رد على الفربري بقوله: أطلق ذلك بناءً على ما في علمه، وقد تأخر بعده بتسع سنين أبوطلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وهو آخر من حدث عن البخاري بصحيحه[٢]. وقال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ وغيره (أنه حدث بالحجاز والعراق وما وراء النهر وكتبوا عنه وما في وجهه شعرة). [٣]

تصانيفه:

قال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ : (وأما تآليفه فإنها سارت مسير الشمس ودارت في الدنيا فما جحد فضلها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس وأجلها وأعظمها الجامع الصحيح). ومنها الأدب المفرد، وبر الوالدين، والتاريخ الكبير ... وغيرها. [٤]

ذكاؤه وسعة حفظه :

اتصف الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بحدة الذكاء وقوة الحافظة وسيلان الذهن. فقيل إنه كان ينظر إلى الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة [٥]. ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق ، وخلطوا الرجال في الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرأوها على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده، وقوّم تلك

---

١) البداية النهاية /ابن كثير ٣١/١١.

٢) انظر: هدي الساري/ابن حجر ص٤٩٢، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٩/١.

٣) إرشاد الساري/القسطلاني ٣٣/١.

٤) المصدر السابق ٣٦/١.

٥) البداية والنهاية/ابن كثير ٣١/١١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٩/١.

الأحاديث والأسانيد كلها. [1]

وعن سليمان بن مجاهد قال: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث. قال: فخرجت في طلبه فلقيته فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال: نعم وأكثر، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . [2]

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل. [3]

وقال العلامة القسطلاني - رحمه الله -: (وأما ثناء الناس عليه بالحفظ والورع والزهد وغير ذلك فقد وصفه غير واحد بأنه كان أحفظ أهل زمانه وفارس ميدانه. كلمة شهد له بها الموافق والمخالف، وأقر بحقيقتها المعادي والمحالف). [4]

عبادته:

كان رحمه الله يختم في رمضان في كل يوم ختمة. ويقوم بعد صلاة التراويح كل ثلاث ليال بختمة. وقال ورّاقه: كان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة. وقال أيضا: دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما صلى بالقوم الظهر، قام يتطوع، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئا؟ فإذا زنبور قد أبَّرَه (أي لَسَعَهُ) في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا. وقد تورم من ذلك جسده فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما

---

١) البداية والنهاية/ابن كثير ٣١/١١، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٣٤/١.

٢) إرشاد الساري/القسطلاني ٣٤/١.

٣) البداية والنهاية/ابن كثير ٣٢/١١، وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ٤٨٠/١، وانظر: عون الباري/القنوجي ١٢/١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٧/١.

٤) إرشاد الساري ٣٦/١.

أبرك؟. قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها. [١]

وقد ورد أنه لما ألف الصحيح كان يصلي ركعتين عند كل ترجمة. قال الإمام البخاري - رحمه الله -: (صنفت كتابي الجامع في المسجد وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته). [٢]

قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله -: (وكان مستجاب الدعوة، مسدد الرمية، شريف النفس). [٣]

أخلاقه:

كان الإمام البخاري - رحمه الله - في غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء، والرغبة في الآخرة دار البقاء. [٤]

قال العلامة القسطلاني - رحمه الله -: (ولو فتحنا باب تعداد مناقبه الجميلة، ومآثره الحميدة لخرجنا عن غرض الاختصار). [٥]

ورعه: عاش البخاري - رحمه الله - في بيئة شديدة الورع فقد كان والده إسماعيل زاهداً ورعاً لا يأكل إلا حلالاً وقد قال: (لا أعلم من مالي درهماً من حرام، ولا درهماً من شبهة) [٦]. فاكتسب الإمام البخاري - رحمه الله - هذه الصفة من والده. قال عنه الحسين بن محمد السمرقندي: كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس، كل شغله كان في العلم. [٧] وقال عنه بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً. قال

---

١) انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ١٢/٤٤٢ - تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون - ط١ - ١٤٠١هـ/١٩٨١م - مؤسسة الرسالة - بيروت، وإرشاد الساري/القسطلاني ١/٣٧.

٢) انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي ١٢/٤٠٤، وهدي الساري/ابن حجر ص٤٩٠، وعون الباري/القنوجي ١/١٥.

٣) البداية والنهاية ١١/٣٢.

٤) البداية والنهاية ١١/٣٢، وإرشاد الساري/القسطلاني ١/٣٧.

٥) إرشاد الساري ١/٣٨.

٦) هدي الساري ص٤٨٠.

٧) سير أعلام النبلاء/الذهبي ١٢/٤٤٨.

الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ: (قلت صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يُضعِّفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث ،سكتوا عنه ، فيه نظر ، ونحو هذا . وقلَّ أن يقول : فلان كذاب، أو كان يضع الحديث . حتى إنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر ، فهو متهم واهٍ ،وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً ، وهذا هو والله غاية الورع). (١)

وذكر العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ محنة الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ ثم قال: (قال في المصابيح : ومن تمام رسوخ البخاري في الورع أنه كان يحلف بعد هذه المحنة أن الحامد عنده والذام من الناس سواء يريد أنه لا يكره ذامّه طبعاً). (٢)

كرمه: ورث الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ مالاً كثيراً ومع هذا كان قليل الأكل جداً، كثير الإحسان مفرطاً في الكرم (٣) . قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (وكانت له جِدَة ، ومال جيد ينفق منه سراً وجهراً ، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار...). (٤)

وقال ورّاقه محمد بن أبي حاتم: سمعته يقول : (كنت أستغل كل شهر خمسمائة درهم ، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم). (٥)

ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى عليه ـ رحمه الله ـ علماء زمانه وشيوخه وأقرانه :

فقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: لم يجيئنا من خراسان مثل محمد بن إسماعيل.(٦) وقال أبو عبد الله الحاكم: محمد بن إسماعيل البخاري إمام أهل الحديث.(٧) وقال محمود بن النظر بن سهل الشافعي: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت

---

١) سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٢، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٣٧/١.

٢) إرشاد الساري ٣٨/١.

٣) انظر:هدي الساري/ابن حجر ص٤٨٢، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٧/١.

٤) البداية والنهاية ٣٢/١١.

٥) سير أعلام النبلاء/الذهبي ٤٤٩/١٢.

٦) البداية والنهاية/ابن كثير ٣١/١١.

٧) سير أعلام النبلاء/الذهبي ٤٣١/١٢.

علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم .[١] وقال يحي بن جعفر: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم. [٢]

وقال عنه الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه.[٣]

ومنهم من فضله على الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في الفقه والحديث .[٤]

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في كتابه البداية والنهاية: (ولو استقصينا ثناء العلماء عليه في حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وعبادته لطال علينا، ونحن على عجل من أجل الحوادث والله سبحانه المستعان).[٥]

محنته ووفاته:

امتحن الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في آخر عمره حيث اتهم بالقول بخلق القرآن، فقد ذكر ابن عدي: أن الإمام البخاري لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول لفظي بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا فألح عليه فقال البخاري: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة . فشغب الرجل وقال: قد قال لفظي بالقرآن مخلوق).اهـ وقد صح أن البخاري تبرأ من هذا الإطلاق فقال: كل من نقل عني أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب عليَّ وإنما قلت أفعال العباد مخلوقة ...فانقطع الناس عن البخاري إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة. وبعث مسلم إلى الذهلي جميع ما كان كتب عنه على ظهر حمال.

---

١) البداية والنهاية/ابن كثير ٣١/١١.

٢) إرشاد الساري/القسطلاني ٣٧/١.

٣) البداية والنهاية/ابن كثير ٣٠/١١، وانظر: عون الباري/القنوجي ١٢/١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٦/١.

٤) إرشاد الساري/القسطلاني ٣٧/١.

٥) البداية والنهاية ٣٢/١١.

وقال الذهلي: لا يساكنني محمد بن إسماعيل في البلد فخشي البخاري على نفسه وسافر منها... ولما رجع إلى بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهلها حتى لم يبق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير وبقي مدة يحدثهم فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به في قصره فامتنع البخاري من ذلك وقال لرسوله: قل له أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضر إلى مسجدي أو داري فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم فحصلت بينهما وحشة فأمره الأمير بالخروج عن البلد ، فدعا عليه وكان مجاب الدعوة .فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادى على خالد في البلد فنودي على خالد على أتان وحبس إلى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده إلا ابتلي ببلاء شديد . ولما خرج البخاري من بخارا كتب إليه أهل سمرقند يخطبونه إلى بلدهم فسار إليهم فلما كان بخرتنك ـ بفتح الخاء المعجمة وإسكان الراء وفتح الفوقية وسكون النون بعدها كاف وهو على فرسخين من سمرقند ـ بلغه أنه قد وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وآخرون يكرهونه وكان له أقرباء بها فنزل عندهم حتى ينجلي الأمر فأقام أياما فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه إليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها قال أرسلوني فقد ضعفت فأرسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى فسال عرق كثير لا يوصف وما سكن منه العرق حتى أدرج أكفانه ... فمات في ذلك الشهر ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما وكان أوصى أن يكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ففعل به ذلك.[1]

---

١) انظر:البداية والنهاية/ابن كثير ٣٢/١١-٣٣، وسير أعلام النبلاء/الذهبي ٤٦٧/١٢، وهدي الساري/ابن حجر ص٤٩٤، وعون الباري/القنوجي ١٣/١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٨/١-٣٩.

صحيح البخاري:

لقد اشتهر صحيح الإمام البخاري – رحمه الله – قديماً وحديثاً، في أشهر كتب الفقه والتفسير. وأكثر شروح الحديث، وسائر كتب الفنون الأخرى، وعلى ألسنة معظم الناس وجمهرة العلماء باسم: (صحيح الإمام البخاري).

ولكن اسم الكتاب الذي وضعه له مؤلفه، هو: (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه).[١]

موضوع الكتاب: قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في هدي الساري، عن كتاب صحيح الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: (إنه التزم فيه الصحة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، ومما نقلنا عنه من رواية الأئمة عنه صريحا، ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية، والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة.[٢]

سبب تصنيف الكتاب: قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ: (إن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر أصحابه وكبار تابعيهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين، أحدهما: أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم، وثانيهما: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار... فقل إمام من الحفاظ إلا وصنف حديثه على المسانيد، كالإمام

---

١) هدي الساري/ابن حجر ص٦، وقال العيني في عمدة القاري: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) انظرعمدة القاري شرح صحيح الإمام البخاري /بدر الدين محمود العيني ١/٥ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٢) هدي الساري/ابن حجر ص٦، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ١/٢٣.

أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء، ومنهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معا،كأبي بكر بن أبي شيبة، فلما رأى البخاري - رضي الله عنه - هذه التصانيف ورواها وانتشق ريّاها، و استجلى محياها، وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين، والكثير منها يشمله التضعيف، فلا يقال لغثه سمين، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين)، وقوّى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه ابن راهويه: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ، فوقع ذلك في قلبه، فأخذ في جمع الجامع الصحيح .[1]

مكانة الصحيح: قال الإمام النووي - رحمه الله -: (اتفق العلماء - رحمهم الله تعالى - على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجمهور وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث)[2]. وقال العلامة القسطلاني - رحمه الله - : (وأما فضيلة الجامع الصحيح فهو كما سبق أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن و المتلقى بالقبول من العلماء في كل أوان. قد فاق أمثاله في جميع الفنون والأقسام، وخص بمزايا من بين دواوين الإسلام شهد له بالبراعة والتقدم الصناديد العظام، والأفاضل الكرام ففوائده أكثر من أن تحصى، وأعز من أن تستقصى). [3]

وقال: (لم أخرج في الكتاب إلا صحيحاً. قال: وما تركت من الصحيح أكثر). [4]

وقال ابن البجير :سمعته يقول: (صنفت في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً إلا بعد ما استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته). وذكر غيره أن تأليفه

١) هدي الساري ص٥٠٤.

٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٢٠.

٣) إرشاد الساري ١/٢٨.

٤) سير أعلام النبلاء/الذهبي ١٢/٤٧١.

كان ببخارى، وقيل بالبصرة، وقيل غير ذلك. قال العلامة العيني - رحمه الله -: (ويجمع بأنه كان يصنف فيه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى فإنه مكث فيه ست عشرة سنة).[١]

شرط البخاري في صحيحه: شرط البخاري في جامعه أن يكون الراوي قد عاصر شيخه، وثبت عنده سماعه منه. ولم يشترط مسلم الثاني بل اكتفى بالمعاصرة. وشرط البخاري أيضا: أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع.[٢]

عدد أحاديثه: ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله–في مقدمة فتح الباري: أن جملة ما في صحيح الإمام البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة (٧٢٧٥)، وبحذفها نحو أربعة آلاف حديثا(٤٠٠٠) رواه ابن حجر عن ابن الصلاح، وقال: هكذا أطلق ابن الصلاح وتبعه الشيخ محيي الدين النووي .[٣]

ولكن الذي ذكره الحافظ ابن حجر –رحمه الله– أن المتون الموصولة بلا تكرار ألفان وستمائة وحديثان (٢٦٠٢). ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يصلها في موضع آخر من الجامع المذكور: مائة وتسعة وخمسون حديثا فجميع ذلك: ألفان وسبعمائة وواحد وستون حديثا (٢٧٦١).[٤]

ثم ذكر –رحمه الله– أن جملة ما في الكتاب من التعاليق: ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون حديثا (١٣٤١) وأكثرها مكرر مخرج في الكتاب، أصول متونه، وليس فيه من المتون التي لم تخرج في الكتاب ولو من طريق أخرى إلا مائة وستون حديثا (١٦٠). إلى أن قال: وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات : ثلاثمائة وواحد

---

١) عمدة القاري ٥/١،وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٢١/١و٢٩.

٢) هدي الساري /ابن حجر ص٧.

٣) المصدر السابق ص٤٦٥،وانظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير /أحمد شاكر ص٢٦، و إرشاد الساري/القسطلاني ٢٨/١.

٤) هدي الساري ص ٤٧٨.

وأربعون حديثا (٣٤١).[1] وقال-رحمه الله- في موضع آخر: فجميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات، على ما حررته وأتقنته: سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثا (٧٣٩٧). فقد زاد على ما ذكروه مائة واثنين وعشرين حديثا (١٢٢).[2]
ثم قال -رحمه الله- : فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر ، تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا (٩٠٨٢). وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة ، والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم. وقد استوعبت وصل جميع ذلك في كتاب (تغليق التعليق).[3]
ثم ذكر -رحمه الله- سبب هذا التفاوت فيما حرره من عدد أحاديث الصحيح ، وما حرره غيره كابن الصلاح وغيره، فقال: (ما عرفت من أين أتى الوهم في ذلك -أي العدد- ثم تأولته على أنه يحتمل أن يكون العادّ الأول الذي قلدوه في ذلك كان إذا رأى الحديث مطوّلا في موضع ومختصرا في موضع آخر يظن أن المختصر غير المطول، إما لبعد العهد به أو لقلة المعرفة بالصناعة. ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير . وحينئذ يتبين السبب في تفاوت ما بين العددين).[4]

فوائد تقطيع البخاري للحديث واختصاره ، وإعادته في الأبواب:

أما تقطيعه للحديث واختصاره وإعادته له في الأبواب وتكراره فقال الحافظ أبو الفضل بن طاهر في جواب المتعنت: اعلم أن البخاري - رحمه الله تعالى - كان يذكر الحديث في مواضع ويستدل به في كل باب بإسناد آخر. ويستخرج منه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه. وقلما يورد حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد وإنما يورده من طريق أخرى لمعان يذكرها فمنها :
١- أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر والمقصود منه أن يخرج

١) هدي الساري ص ٤٧٠.
٢) المصدر السابق ص ٤٦٨.
٣) المصدر السابق ص٤٧٠، وانظر عون الباري/القنوجي ١/١٧-١٨ .
٤) المصدر السابق ص ٤٧٨ .

الحديث عن حد الغرابة. وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرا إلى مشايخه فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة .

٢- ومنها أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى.

٣- ومنها أحاديث يرويها بعض الرواة تامة وبعضهم مختصرة فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقليها .

٤- ومنها أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدّث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى وحدّث به آخر فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه ويفرد لكل لفظة بابا مفردا .

٥- ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال ورجح عنده الوصل فاعتمده وأورد الإرسال منبها على أنه لا تأثير له عنده في الوصل .

٦- ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك .

٧- ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الإسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين.

٨- ومنها أنه ربما أورد حديثا عنعنه راويه فيورده من طريق أخرى مصرحا فيها بالسماع على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء عن المعنعن .

وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره على بعضه أخرى فلأنه: إن كان المتن قصيرا أو مرتبطاً بعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية وهي إيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك فيستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث، وربما ضاق عليه مخرج الحديث حيث لا يكون له إلا طريق واحدة فيتصرف حينئذ فيه فيورده في موضع موصولا، وفي آخر معلقا. وتارة تاما وأخرى مقتصرا على

طرفه الذي يحتاج إليه في ذلك الباب، فإن كان المتن مشتملا على جمل متعددة لا تعلق لإحداها بالأخرى فإنه يخرّج كل جملة منها في باب مستقل فرارا من التطويل وربما نشط فساقه بتمامه فهذا كله في التقطيع وقد ذكر أنه وقع في بعض نسخ البخاري في أثناء الحج بعد باب قصر الخطبة بعرفة باب التعجيل إلى الموقف، قال أبو عبد الله: يزاد في هذا الباب حديث مالك عن ابن شهاب ولكني لا أريد أن أدخل فيه معاداً. وهذا يقتضي أنه لا يتعمد أن يخرّج في كتابه حديثا معادا بجميع إسناده ومتنه وإن كان قد وقع له من ذلك شيء فعن غير قصد وهو قليل جدا.(١)

التعريف بكتب موضوع الدراسة وعدد أحاديثها:

سأتناول -بمشيئة الله- في دراستي لصحيح الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- جزءا من كتاب المغازي ابتداء من غزوة خيبر إلى نهاية الكتاب، وكتاب تفسير القرآن وفق التقسيم الآتي:

رقم الكتاب	اسم الكتاب	مجموع الأحاديث	الأحاديث المكررة	الأحاديث غير المكررة (موضوع الدراسة)
٦٤	المغازي	٢٢٩	١٧٤	٥٦
٦٥	تفسير القرآن	٥٠٤	٣٩١	١١٤

هذا ومجموع أحاديث الدراسة (١٧٠) حديثا بغير المكرر، وأما عددها بجميع أطرافها داخل الصحيح فهو (٧٤٤).

١) هدي الساري/ابن حجر ص١٢، ١٣ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ١/٢٥.

نسخة الصحيح المعتمدة في الدراسة:

النسخة المعتمدة في هذه الدراسة هي التي تمت طباعتها في عام ١٤٠٤هـ بدار الفكر للطباعة والنشر ببيروت . والمكتوب على غلافها أنها محققة ومقابلة على عدة نسخ ومنها نسخة فتح الباري التي حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - .[١]

أما أرقام أحاديث موضوع الدراسة في هذه النسخة المعتمدة من صحيح الإمام البخاري -رحمه الله- فهي على النحو التالي:

اسم الكتاب	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر
٦٤-المغازي		
	١	٤٢٠٦
	٢	٤٢٠٨
	٣	٤٢١٦
	٤	٤٢١٩
	٥	٤٢٢١
	٦	٤٢٢٧
	٧	٤٢٣١
	٨	٤٢٣٢
	٩	٤٢٣٤
	١٠	٤٢٤٢
	١١	٤٢٤٣
	١٢	٤٢٦٠

١) الصحيح أن الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - لم يحققها كاملة بل التحقيق كان من أول كتاب الإيمان إلى نهاية كتاب الحج ثم اعتذر عن إكمالها وذكر ذلك في نهاية الجزء الثالث في آخر صفحة قبل الفهرس.

اسم الكتاب	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر
٦٤-المغازي	١٣	٤٢٦٢
	١٤	٤٢٦٥
	١٥	٤٢٦٧
	١٦	٤٢٦٩
	١٧	٤٢٧٠
	١٨	٤٢٨١
	١٩	٤٣٠٠
	٢٠	٤٣٠١
	٢١	٤٣٠٢
	٢٢	٤٣١٤
	٢٣	٤٣٢٤
	٢٤	٤٣٢٥
	٢٥	٤٣٢٦
	٢٦	٤٣٢٧
	٢٧	٤٣٣٠
	٢٨	٤٣٣٩
	٢٩	٤٣٤٠
	٣٠	٤٣٤٢
	٣١	٤٣٤٨
	٣٢	٤٣٤٩
	٣٣	٤٣٥٠
	٣٤	٤٣٥٣
	٣٥	٤٣٥٤
	٣٦	٤٣٥٩
	٣٧	٤٣٦٤

رقم الحديث غير المكرر	مسلسل عام	اسم الكتاب
٤٣٦٧	٣٨	
٤٣٧٦	٣٩	
٤٣٧٧	٤٠	
٤٣٩١	٤١	
٤٣٩٤	٤٢	
٤٣٩٦	٤٣	
٤٤٢٥	٤٤	
٤٤٢٨	٤٥	
٤٤٣٥	٤٦	
٤٤٣٩	٤٧	
٤٤٤٠	٤٨	
٤٤٤٧	٤٩	
٤٤٥٦	٥٠	
٤٤٥٨	٥١	
٤٤٦٢	٥٢	
٤٤٦٤	٥٣	
٤٤٧٠	٥٤	
٤٤٧٢	٥٥	
٤٤٧٣	٥٦	
٤٤٧٤	٥٧	٦٥-تفسير القرآن
٤٤٧٧	٥٨	
٤٤٧٨	٥٩	
٤٤٨١	٦٠	
٤٤٨٢	٦١	
٤٤٨٥	٦٢	

اسم الكتاب	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر
٦٥-تفسير القرآن	٦٣	٤٤٨٩
	٦٤	٤٤٩٨
	٦٥	٤٥٠٣
	٦٦	٤٥٠٥
	٦٧	٤٥٠٧
	٦٨	٤٥١٦
	٦٩	٤٥٢١
	٧٠	٤٥٢٢
	٧١	٤٥٢٤
	٧٢	٤٥٢٦
	٧٣	٤٥٢٨
	٧٤	٤٥٢٩
	٧٥	٤٥٣٠
	٧٦	٤٥٣١
	٧٧	٤٥٣٢
	٧٨	٤٥٣٨
	٧٩	٤٥٤٤
	٨٠	٤٥٤٥
	٨١	٤٥٤٧
	٨٢	٤٥٦٣
	٨٣	٤٥٦٧
	٨٤	٤٥٦٨
	٨٥	٤٥٧٩
	٨٦	٤٥٨٢
	٨٧	٤٥٨٤

اسم الكتاب	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر
٦٥-تفسير القرآن	٨٨	٤٥٩١
	٨٩	٤٥٩٦
	٩٠	٤٥٩٩
	٩١	٤٦٠٢
	٩٢	٤٦١٣
	٩٣	٤٦١٤
	٩٤	٤٦١٥
	٩٥	٤٦١٦
	٩٦	٤٦١٩
	٩٧	٤٦٢٢
	٩٨	٤٦٢٨
	٩٩	٤٦٣٤
	١٠٠	٤٦٤٢
	١٠١	٤٦٤٣
	١٠٢	٤٦٤٦
	١٠٣	٤٦٤٨
	١٠٤	٤٦٥٢
	١٠٥	٤٦٥٨
	١٠٦	٤٦٦٤
	١٠٧	٤٦٨١
	١٠٨	٤٦٨٤
	١٠٩	٤٦٨٦
	١١٠	٤٦٩٢
	١١١	٤٧٠١
	١١٢	٤٧٠٨

اسم الكتاب	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر
٦٥-تفسير القرآن	١١٣	٤٧١١
	١١٤	٤٧١٤
	١١٥	٤٧٢٢
	١١٦	٤٧٢٣
	١١٧	٤٧٢٨
	١١٨	٤٧٢٩
	١١٩	٤٧٣٠
	١٢٠	٤٧٤٢
	١٢١	٤٧٤٨
	١٢٢	٤٧٥٨
	١٢٣	٤٧٦٠
	١٢٤	٤٧٧٣
	١٢٥	٤٧٨٢
	١٢٦	٤٧٨٥
	١٢٧	٤٧٨٧
	١٢٨	٤٧٨٨
	١٢٩	٤٧٨٩
	١٣٠	٤٧٩١
	١٣١	٤٧٩٨
	١٣٢	٤٨١٠
	١٣٣	٤٨١١
	١٣٤	٤٨١٢
	١٣٥	٤٨١٤
	١٣٦	٤٨١٦
	١٣٧	٤٨٢٦

اسم الكتاب	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر
٦٥-تفسير القرآن	١٣٨	٤٨٢٧
	١٣٩	٤٨٢٨
	١٤٠	٤٨٣٠
	١٤١	٤٨٤١
	١٤٢	٤٨٤٢
	١٤٣	٤٨٤٨
	١٤٤	٤٨٤٩
	١٤٥	٤٨٥٢
	١٤٦	٤٨٥٩
	١٤٧	٤٨٦٠
	١٤٨	٤٨٧٦
	١٤٩	٤٨٧٨
	١٥٠	٤٨٨٦
	١٥١	٤٨٩٣
	١٥٢	٤٨٩٧
	١٥٣	٤٩٠٠
	١٥٤	٤٩٠٦
	١٥٥	٤٩٠٨
	١٥٦	٤٩٠٩
	١٥٧	٤٩١١
	١٥٨	٤٩١٢
	١٥٩	٤٩١٧
	١٦٠	٤٩١٨
	١٦١	٤٩٢٠
	١٦٢	٤٩٣٢

اسم الكتاب	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر
٦٥-تفسير القرآن	١٦٣	٤٩٣٦
	١٦٤	٤٩٣٧
	١٦٥	٤٩٣٨
	١٦٦	٤٩٤٠
	١٦٧	٤٩٥٨
	١٦٨	٤٩٦٥
	١٦٩	٤٩٦٦
	١٧٠	٤٩٧٦

جهود الإمام البخاري في ذكر مناسبة ترتيب كتب الدراسة وأبوابها

رتب الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ كتابه الجامع ترتيبا رائعاً، واعتنى به عناية فائقة أوجبت تقديمه على سائر التصانيف، ومن أسباب تفضيله على صحيح الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ أنه ضمّن أبوابه من التراجم ما أدهش العقول والأبصار، وحير القلوب والأفكار،وبعد فهمه على كثير من الناس حتى التبس عليهم، يقول القاضي ابن جماعة ـ رحمه الله ـ : (فإن الإمام أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري سبق بوضع كتابه "الجامع الصحيح " الذي أجمع على صحته الأئمة من أهل التعديل والتجريح، وضمن تراجم بعض الأبواب ما يبعد فهمه من حديث ذلك الباب، ووقع ذلك بعض التباس على كثير من الناس فبعضهم مصوب له ، ومتعجب من حسن فهمه [1]، وبعض نسبه إلى التقصير في فهمه وعلمه، وهؤلاء ما أنصفوه لأنهم لم يعرفوه)[2]. كما ظهر عظيم فقهه وسعة علمه فيما تضمنته تراجم أبواب الصحيح من فوائد فقهية حتى اضطربت فيها الأفهام ، قال العلامة ابن المنير ـ رحمه الله ـ: (لما أودع كتابه من الفقه الذي اشتملت عليه التراجم ما أودع ، ورصّع في عقود تلك الأبواب من جواهر المعاني ، وألحق اللباب ما رصّع ، ظهرت من تلك المقاصد فوائد ، وخفيت فوائد ، واضطربت الأفهام فيما خفي) [3] ، وقد اشتهر عن بعض العلماء القول بأن فقه البخاري في تراجمه[4].

---

١) ومن هؤلاء الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ حيث قال : ولو قلت إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت، ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس ، ونفدت الأنفاس ،فذاك بحر لاساحل له.هدي الساري ص٤٨٦.

٢) تراجم البخاري/للقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ص٩٥-٩٦ ـ دراسة وتحقيق علي بن عبد الله الزبن ـ ط١ ـ ١٤١٢هـ/١٩٩١م ـ هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ـ مصر .

٣) المتواري على تراجم أبواب البخاري /للعلامة ناصر الدين أحمد بن محمد المعروف ب (ابن المنير) الاسكندراني ص٣٦ ـ حققه وعلق عليه صلاح الدين مقبول أحمد ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ـ مكتبة المعلا ـ الكويت .

٤) انظر هدي الساري/ابن حجر ص١١.

وقد شملت هذه العناية من الإمام كـل الأبـواب مـن أول الصحيح إلى آخـره، ومنها كتب أحاديث الدراسة : المغازي ، والتفسير ، فقد جاء ترتيبها على النحو التالي:ساق المغازي على ترتيب ما صح عنده وبدأ بإسلام ابن سلام تفاؤلا بالسلامة في المغازي ، ثم بعد إيراد المغازي والسرايا ذكر الوفود ،ثم حجة الوداع ، ثم مرض النبيﷺ ووفاته ، وما قبض ﷺ إلا وشريعته كاملة ، بيضاء نقية ، وكتابه قد كمل نزوله. فأعقب ذلك بكتاب التفسير الذي أبدع في ترتيبه تبعا لترتيب المصحف الشريف ، وذكر الأحاديث المتعلقة بالآية ، ثم أعاد بعض الأحاديث في كتب أخرى من الصحيح ناسبت وجودها فيه مع الإضافة أو الاختصار تبعا لحاجة ذلك الباب .[١]

ومن خلال ما تقدم ذكره عن الصحيح يتضح لنا الجهد الذي بذله الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه : في فوائد تقطيع الحديث واختصاره ، وإعادته في الأبواب بفوائد جديدة ، وفي فوائد تراجم الأبواب في الصحيح ، وبديع تنسيقها، ومناسبة الكتب والأبواب ، وغير ذلك مما استحق به أن تكون له هذه المكانة العالية عند أهل العلم وحذاقه ، ويكون أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .

---

١) انظر هدي الساري/ابن حجر ص٤٧٣.

القسم الأول

الدراسة الدعوية للأحاديث الواردة
في موضوع الدراسة

الفصل الأول : كتاب المغازي (من غزوة خيبر إلى نهاية الكتاب)

الفصل الثاني : كتاب التفسير

الفصل الأول

كتاب المغازي

٦٤ ـ كتاب المغازي

٣٩ ـ باب غَزْوَةِ خَيْبَرَ

١ -(٤٢٠٦) . حدثنا الْمَكِّيُّ بْنُ إبْراهِيمَ حَدثَنا يَزِيدُ بْنُ أبي عُبَيْدٍ[١] قالَ: رَأَيْتُ أثَـرَ ضَرْبَةٍ في ساقِ سَلَمَةَ[٢] فَقُلْتُ: (يا أبا مُسْلِمٍ ما هذِهِ الضَّرْبَةُ ؟) قالَ: (هذِهِ ضَرْبَـةٌ أصابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقالَ النَّاسُ : أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ النَّبِـيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيـهِ ثَـلاثَ نَفَثاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُها حَتَّى السَّاعَةِ).[٣]

شرح غريب الحديث:

<< فَنَفَثَ >> : النفث أقل من التفل ، لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق ، وقـد يكـون بريق خفيف بخلاف النفخ .[٤]

---

١) هو يزيد بن أبي عبيد الحجازي أبو خالد الأسلمي ، من بقايا التابعين الثقات ، وثّقه أبوداود وابن معين وابن سعد والعجلي ، مات سنة ست وأربعين ومائة للهجرة. (انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/ هذبه أحمد فايز الحمصي ٢٢٧/١، والمغني في معرفة رجال الصحيحين إعداد صفوت عبد الفتاح محمود ص٢٧٥ ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ـ دار الجيل ـ بيروت، ودار عمّار ـ عمّان).

٢) هو سلمة بن الأكوع ؛واسم الأكوع سنان بن عبد الله ،أبو عامر وأبو مسلم ويقال أبو إياس الأسلمي الحجازي المدني .قيل شهد مؤتة وهو من أهل بيعة الرضوان. غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات ، وكان ممن بايع النبي ﷺ على الموت يوم الحديبية ، وكان بطلاً شجاعاً رامياً يسبق الفرس شداً وله سوابق ومشاهد محمودة . وكان ممن يفتون بالمدينة ويحدثون. قال عنه الحسن بن محمد بن الحنفية: إنه من صالحي أصحاب رسول الله ﷺ القُدم. توفي سنة أربع وتسعين للهجرة.
(انظر: الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٣٠٥/٤ـ ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ، والإصابة في تمييز الصحابة /ابن حجر ١١٨/٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ،وشذرات الذهب /ابن العماد ٨١/١ ـ ط٢ ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ـ دار المسيرة ـ بيروت).

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) لسان العرب /ابن منظور الأفريقي ١٩٥/٢ مادة نفث ،وفتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري/ابن حجر العسقلاني ٧/ ٣٦٤ ـ ط٢ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت، وإرشاد الساري/القسطلاني ٦/ ٣٦٥،وفتح المبدي شرح مختصر الزبيدي /عبد الله بن حجازي الشرقاوي ١٣٣/٣ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

<< **حتَّى السَّاعَةِ** >> : بتقدير زمان أي: فما اشتكيتها زماناً حتى الساعة: أي منذ نفث فيها حتى هذه الساعة.(١)

<< **خَيْبَرَ** >> : وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع .(٢) وهي بلاد بني عنزة في جهة الشمال على نحو مائتي كيلاً شمال المدينة المنورة . (٣)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول - من آداب المسلم : نداؤه أخاه بكنيته احتراماً له .

الثاني - من تاريخ الدعوة: فتح خيبر في عهد النبي ﷺ.

الثالث - من موضوعات الدعوة : بيان جواز العلاج بالرقى .

الرابع - اختيار أهل الدين والصلاح إذا أراد الرقى.

الخامس - من أساليب الدعوة : ذكر العدد .

السادس - خاصية البركة في ريق الرسول ﷺ.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من آداب المسلم: نداؤه أخاه بكنيته احتراماً له:-

إن من الآداب التي ربى عليها الإسلام أبناءه أن يدعو المسلم أخاه بكنيته احتراماً له وتوثيقاً لروابط الأخوة بينهما . وفي هذا الحديث نادى يزيد بن أبي عبيد سلمة بن الأكوع بكنيته فقال **(يا أبا مُسْلِمٍ)** وهي في عرف الناس غالباً أحب إلى المنادى من ندائه باسمه وفيها معنى الإعزاز والتكريم والتقدير للمنادى. قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : (إن مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه وأن توسع له في المجلس).(٤) قال **الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله -** : (إذا كانت أسماء المسؤول متعددة فليذكر منها أعلاها

---

١) انظر :عمدة القاري / العيني ٢٤٢/١٧ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ٣٦٥/٦، وفتح المبدي/الشرقاوي١٣٣/٣.

٢) فتح الباري /ابن حجر ٣٥٦/٧ ، وعمدة القاري/ العيني ٢٣٤/١٧ ، و إرشاد الساري / القسطلاني ٣٥٩/٦.

٣) انظر الهادي إلى لغة العرب/الكرمي ٥٧٤/١.

٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية / شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي٤٦٩/٣ - مؤسسة قرطبة - مصر.

وأحبها إلى الشخص).[1]

الثاني - من تاريخ الدعوة: فتح خيبر في عهد النبي ﷺ:-

فتح المسلمون خيبر في عهد النبي ﷺ كما أشار في هذا الحديث حيث ذكر سلمة ﷺ أنه أصيب بهذه الضربة في تلك الغزوة وأنه أتى النبي ﷺ فنفث فيه. وقد وقعت هذه الغزوة في السنة السابعة للهجرة حيث خرج إليهم رسول ا لله ﷺ واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، ولما قدم رسول ا لله ﷺ خيبر صلى بها الصبح ، وركب المسلمون ، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم، ولايشعرون، بل خرجوا لأرضهم، فلما رأوا الجيش، قالوا محمد وا لله، محمد والخميس، ثم رجعوا هاربين إلى حصونهم، فقال النبي ﷺ: ((الله أكبر خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)).[2] قال الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله - : (قال ابن اسحاق : خرج النبي ﷺ في بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها في صفر).[3]

الثالث - من موضوعات الدعوة: بيان جواز العلاج بالرقى:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث جواز العلاج بالرقى الشرعية، وطلب الشفاء من ا لله عن طريقها، وقد ثبت جوازها بفعل النبي ﷺ لها كما في هذا الحديث، وإقراره على فعل الصحابة ﷺ لها. يؤكد ذلك ما ورد عنه أنه قال لما سئل عن الرقية :- ((من استطاع

---

١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية /للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي ١٣٠/١ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٢) انظر:البداية والنهاية /ابن كثير ٢٠٦/٤، وزاد المعاد في هدي خير العباد / ابن قيم الجوزية ٣١٦/٣ - حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط - ط١٥ - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م - مؤسسة الرسالة — بيروت ومكتبة المنار الإسلامية - الكويت ، وفتح الباري /ابن حجر ٣٥٩/٧، وعمدة القاري/العيني٢٣٧/١٧. والمساحي :جمع مسحاة وهي آلة الحرث ،والمكاتل :جمع مكتل وهي القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره ، والخميس:أي الجيش سمي خميسا لأنه خمسة أقسام الميمنة والميسرة والقلب والمقدمة والساقة.انظر : عمدة القاري نفس الصفحة .

٣) فتح الباري ٣٥٦/٧.

منكم أن ينفع أخاه فليفعل)) (١). وقال ﷺ :- ((اعرضوا عليَّ رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)). (٢) فجميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب ا لله ﷻ وذكر ا لله ﷻ . (٣)

كما يجوز النفث في الرقية اقتداء بالنبي ﷺ ، فقد جاء في هذا الحديث (فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثَ نَفَثَاتٍ)، قال القاضي عياض -رحمه الله -: (قال بعض علمائنا: هذه سنة في نفث الراقي، وبالأخذ بهذا والاقتداء بالنبي ﷺ ... وفائدة ذلك - وا لله أعلم - التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء والنفس المباشر للرقية والذكر الحسن والدعاء والكلام الطيب، كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء الحسنى في النشر. وقد يكون على وجه التفاؤل بزوال ذلك الألم عن المريض وانفصاله عنه،كانفصال ذلك النفث عن فيّ الراقي). (٤)

الرابع - اختيار أهل الدين والصلاح إذا أراد الرقى:

الرقية دعاء وطلب الشفاء من ا لله للمريض وكلما كان الإنسان ديناً صالحاً مأكله حلال ومشربه حلال كان ذلك أدعى لقبول مسألته . وفي هذا الحديث لما أصيب سلمة ﷺ ذهب إلى النبيﷺ قال سلمة : (فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ) ولاشك أن رسول ا لله ﷺ هو خير الناس وأكملهم إيماناً وأحبهم إلى ا لله فهو أولى بالرقية من غيره . روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا هل معكم من دواء أو راق ؟ فقالوا : إنكم لم تقرونا ولانفعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا : لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك وقال: ((وما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم)). (٥)

وهذا ينبغي لمن احتاج إلى الرقى أن يبدأ بنفسه فيرقي نفسه ولا بأس أن يطلبها من أهل الخير

---

١) صحيح الإمام مسلم /للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري :كتاب السلام /باب استحباب الرقية من العين ص٩٧٥ رقم (٢١٩٩) — إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ط٢ -١٤٢١هـ/٢٠٠٠م طبعة خاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني - دار السلام - الرياض.

٢) صحيح الإمام مسلم :كتاب السلام /باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ص٩٧٥ رقم (٢٢٠٠).

٣) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى "إكمال المعلم بفوائد مسلم" /الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ٩٨/٧ - تحقيق الدكتور يحي إسماعيل — ط١ — ١٤١٩هـ/١٩٩٨م — دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع — المنصورة .

٤) المصدر السابق ١٠٠/٧-١٠١.

٥) صحيح الإمام البخاري:كتاب الطب /باب الرقى بفاتحة الكتاب ٢٩/٧ رقم (٥٧٣٦).

والصلاح ويتحرى في ذلك حتى لا يقع فريسة للمشعوذين ومدعي الدين والصلاح كما هو حاصل في هذا الوقت في معظم أحوال الناس .

الخامس ـ من أساليب الدعوة: ذكر العدد:

من أساليب الدعوة ذكر العدد لبيان قدر الشيء وما يتوصل به إلى المطلوب، ففي هذا الحديث ذكر سلمة ﷺ أن الرسول ﷺ نفث على ساقه (ثَلاثَ نَفَثَاتٍ) فكان فيها الشفاء بإذن ا لله تعالى، وتخصيص النفث بالثلاث لأنها أدنى الكمال ويحصل به المراد بإذن ا لله.

السادس ـ خاصية البركة في ريق الرسول ﷺ:

أكرم ا لله ﷻ رسله بالمعجزات ومن ذلك ما أكرم ا لله به رسوله محمد ﷺ من البركات فكان الصحابة ﷺ يتبركون بريق النبي ﷺ وبعرقه في حياته ويطلبون منه الدعاء والرقية حتى كانوا إذا توضأ النبي ﷺ يتسابقون إلى ما فضل من وضوئه ليتبركوا به ، وكذلك من عرقه وشعره.يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (ولم يزل ذلك دأب الصحابة والتابعين وأتباعهم ، والفضلاء في كل عصر.فكان أصحابه يتبركون بوضوئه ، وشرابه ، وبعرقه، ويستشفون بجبته ويتبركون بآثاره ، ومواطنه ، ويدعون ، ويصلون عندها . وهذ كله عمل بمقتضى الأمر بالتعزيز ، والتعظيم . ونتيجة الحب الصحيح . رزقنا ا لله الحظ الأكبر من تعظيمه، ومحبته ، وحشرنا في زمرته).[1]

وفي هذا الحديث دليل على هذه البركة حيث شفيت ساق سلمة ﷺ بنفث الرسول ﷺ فيها قال سلمة: (فَمَا اشْتَكَيْتُها حَتَّى السَّاعَةِ).

---

١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي٥/٢٧٦ ــ حققه وعلق عليه وقدم له محي الدين مستو ويوسف بديوي وأحمد السيد ومحمود بزال ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ـ دار ابن كثير للطباعة والنشر دمشق و بيروت ، ودار الكلم الطيب دمشق و بيروت، وانظر شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام أبي زكريا النووي/ شرحه وأملاه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ١/٢٠٨ ــ ٢٠٩ ــ حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه ووضع فهارسه الدكتور عبد الله بن محمد الطيار ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ـ دار الوطن ـ الرياض .

٢-(٤٢٠٨) . حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْخُزاعِيُّ حَدَّثَنا زِيادُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي عِمْرانَ قالَ : نَظَرَ أَنس[١] إلى النَّاسِ يَوْمَ الْجُمْعَةِ فَرَأَى طَيالِسَةً فَقالَ: (كَأَنَّهُمُ السَّاعَةَ يَهُودُ خَيْبَرَ).[٢]

شرح غريب الحديث :

<< **طَيالِسَة** >> : جمع طيلسان بفتح اللام والهاء في الجمع للعجمة لأنه فارسي معرب، وقال الجوهري: والعامة تقول بكسر اللام، وهي الأكسية الصفراء .[٣]

<< **كَأَنَّهُمُ السَّاعَةَ يَهُودُ خَيْبَرَ** >> : أي كأن هؤلاء الناس الذين رأى عليهم الطيالسة يهود خيبر.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من واجبات الداعية: الاختلاط بالناس والإنكار على المخالف منهم.

الثاني - من واجبات الداعية: التنبيه على ما اشتهر به غير المسلمين وكراهية التشبه بهم.

الثالث - من أساليب الدعوة : التشبيه لتقريب المعنى .

الرابع - من موضوعات الدعوة: التجمل بأحسن اللباس عند الذهاب لصلاة الجمعة.

---

١) هو أنس بن مالك بن النضربن ضمضم بن زيد بن النجار.خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك ، يجتمع نسبه مع أم عبد المطلب جدة النبي ﷺ واسمها سلمى بنت عمرو في عامر بن غنم.وكان يكنى بأبي حمزة كناه النبي ﷺ ببقلة كان يجتنيها ، وأمه أم سليم بنت ملحان ، خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه وكان عمره لما قدم النبي ﷺ مهاجراً عشر سنين. قال أبو هريرة ﷺ : ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم يعني أنساً.دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والعيال، يقول أنس ﷺ دعا لي رسول الله ﷺ فقال: ((اللهم أكثر ماله وولده،وبارك له فيما أعطيته)) (مسلم ٢٤٨٠) فالله أكثر مالي حتى إن كرماً لي لتحمل في السنة مرتين،وولد لصلبي مائة وستة ، توفي سنة (٩١) وقيل(٩٣) هـ .

(انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة/ابن الأثير١/١٢٧- دار إحياء التراث العربي - بيروت، والإصابة /ابن حجر ١/٧١،شذرات الذهب /ابن العماد١/١٠٠).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) فتح الباري/ابن حجر ٧/٣٦٤ ، وعمدة القاري/ العيني ١٧/٢٤٢ .

٤) عمدة القاري/العيني ١٧/٢٤٢ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من واجبات الداعية: الاختلاط بالناس والإنكار على المخالف منهم:

إن مما ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يختلط بالناس ويشاركهم في اجتماعاتهم لأنه بمخالطة الناس يعرف الإنسان أفراد المجتمع وحاجاتهم ومحاسنهم وجوانب النقص فيهم فإذا رأى محتاجاً أحسن إليه وواساه بالمال أو بالكلمة الطيبة وإذا رأى مخالفة عند بعضهم نبه عليها واحتسب على المخالف. قال رسول الله ﷺ: ((إن المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)) (١). يقول الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله -: (واعلم أن الأفضل المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، هذا أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.. وقال: فالأصل أن الاختلاط هو الخير، يختلط الإنسان مع الناس فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يدعو إلى حق، يبين السنة للناس، فهذا خير).(٢)

وفي هذا الحديث يظهر لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ وقد تمثل هذا الواجب فاختلط بالناس وأنكر على من تشبه باليهود في لباسهم .

الثاني - من واجبات الداعية: التنبيه على ما اشتهر به غير المسلمين وكراهية التشبه بهم:

إن من واجبات الداعية إلى الله تعالى أن ينبه المسلمين إلى ما يشتهر به الكفار من اللباس والزي حتى لا يقع المسلم في التشبه بهم جهلاً منه بذلك لأنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين فلا يجوز التشبه بالأعداء في لباسهم ولا في عاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم. وإن وقع منه التشبه عمداً مع العلم وجب أن ينكر عليه لأن التشبه بالكافر يقرب المسلم منه فيجب أن يكون هناك سمات ظاهرة يفترق بها المسلم عن غير المسلم . قال الشيخ المناوي - رحمه الله - : (بعث الله المصطفى ﷺ بالحكمة التي هي سنة وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له فكان مما شرعه له من الأقوال والأفعال مايباين سبيل المغضوب عليهم والضالين فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر في هذا

---

١) سنن الترمذي:أبواب صفة القيامة /باب ٢٠ ٧٣/٤ رقم الحديث (٢٦٢٥) . وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني — رحمه الله - انظر صحيح سنن الترمذي ٦٠٦/٢ حديث رقم (٢٥٠٧) - ط١ — ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م — مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

٢) شرح رياض الصالحين ١٩٨/٦ - ١٩٩.

الحديث وإن لم يظهر فيه مفسدة لأمور منها : أن المشاركة في الهدي في الظاهر تؤثر تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين تعود إلى موافقة مافي الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس ؛ فإن لابس ثياب العلماء مثلا يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، ولابس ثياب الجند المقاتلة مثلا يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم وتصير طبيعته منقادة لذلك إلا أن يمنعه مانع).[١] ولهذا أنكر أنس ﷺ هذا الزي الذي رآه لما فيه من المشابهة باليهود فقال : (كَأَنَّهُمُ السَّاعَةَ يَهُودُ خَيْبَرَ).

الثالث ـ من أساليب الدعوة : التشبيه لتقريب المعنى :

التشبيه لتقريب المعنى أسلوب دعوي له وقع كبير في النفس لأن الداعية بهذا الأسلوب يقرب المعنى إلى مفهوم المدعوين عن طريق مماثلته بنظيره من الواقع الملموس فيحصل به الاقتناع والعمل.وفي هذا الحديث شبه أنس ﷺ الذين رآهم يوم الجمعة بيهود خيبر في لباسهم (كَأَنَّهُمُ السَّاعَةَ يَهُودُ خَيْبَرَ). قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ: (فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع وأقرب إلى سرعة فهمه).[٢]

لذا ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يحرص على هذا الأسلوب في دعوته خاصة في الأمور التي يمكن فيها الالتباس ، وفي الأشياء التي يريد التنفير منها أو تحقيرها أو العكس من ذلك وتشبيهها بما يلمسه الناس ويشاهدونه ليكون أقرب للأذهان وأشد تأثيراً في النفوس.

الرابع ـ من موضوعات الدعوة:التجمل بأحسن اللباس عند الذهاب لصلاة الجمعة:

أمر الله ﷻ عباده بالتجمل وأخذ الزينة عند الذهاب لبيوت الله، قال تعالى: ﴿يَابَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.[٣] وقد أورد الإمام البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ بابا في كتاب الجمعة قال فيه (باب يلبس أحسن ما يجد).

وفي هذا الحديث نرى امتثال الصحابة ﷺ لأمر الله باتخاذ الزينة والتجمل بلبس أحسن الثياب لصلاة الجمعة ، وإنكار أنس ﷺ عليهم ليس للتزين وإنما للمبالغة في ذلك ولبس المنهي عنه مما فيه تشبه بالكفار كما أنكر رسول الله ﷺ على عمر بن الخطاب ﷺ التزين بالمحرم في

---

١) فيض القدير شرح الجامع الصغير /لمحمد عبد الرؤوف المناوي ١٠٤/٦ ـ نسخة مصححة ومقابلة على عدة نسخ ، علق عليها تعليقات قيمة نخبة من العلماء الأجلاء ـ دار المعرفة ـ بيروت، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٤١/١ ـ تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

٢) عمدة القاري ٢١٤/١٠.

٣) سورة الأعراف الآية جزء من رقم (٣١).

الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر ﷺما :- (أن عمر بن الخطاب رأى حُلةً سِيَراء [1] عند باب المسجد فقال : يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك . فقال رسول الله ﷺ : ((إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة)).) [2] قال العلامة العيني - رحمه الله - : (يدل على استحباب التجمل يوم الجمعة والتجمل يكون بأحسن الثياب وإنكاره على عمر لم يكن لأجل التجمل بأحسن الثياب وإنما كان لأجل تلك الحالة التي أشار إليها بشرائها من الحرير). [3]

١) سيراء : أي الحرير الصافي .عمدة القاري/ العيني ١٧٨/٦ ، إرشاد الساري/القسطلاني ١٦٣/٢ ، فتح المبدي/الشرقاوي ٢٨٨/١.

٢) صحيح الإمام البخاري :كتاب الجمعة /باب يلبس أحسن مايجد ٢٤٠/١ رقم (٨٨٦) .

٣) عمدة القاري ١٧٨/٦ .

٣-(٤٢١٦). حدثنا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ وَالْحَسَنِ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِما عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ[1] (أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهى عَنْ مُتْعَةِ النِّساءِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ أَكْلِ الْحُمُرِ الإنْسِيَّةِ).[2]

وفي رواية: (أَنَّ عَلِيًّا ﷺ قِيلَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ[3] لا يَرى بِمُتْعَةِ النِّساءِ بَأْساً فَقالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهى عَنْها يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الإنْسِيَّةِ. وَقالَ بَعْضُ النّاسِ: إِنِ احْتالَ حَتّى تَمَتَّعَ فَالنِّكاحُ فاسِدٌ وَقالَ بَعْضُهُمُ النِّكاحُ جائِزٌ

---

١) هو علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ؛ أبو الحسن، أول الصبيان إسلاماً في قول أكثر أهل العلم،ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح،وشهد المشاهد إلا غزوة تبوك حيث استخلفه النبي ﷺ على المدينة وقال له :- ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)) (مسلم ٢٤٠٤)، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، قال النبي ﷺ يوم خيبر ((لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله)) ثم دعا علي ﷺ (متفق عليه)، ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي، قال ﷺ له :- ((أنت مني وأنا منك)) وقال عمر ﷺ :- توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض) (البخاري٤/٢٤٦)، ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له: ((أنت أخي))، قتل في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة .

(انظر:طبقات ابن سعد٢/ ٣٣٧، والإصابة /ابن حجر٤/٢٦٩، وشذرات الذهب /ابن العماد١/٤٩).

٢) أطراف الحديث في صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخراً ١٥٧/٦ رقم (٥١١٥) .

وكتاب الذبائح: باب لحوم الخيل ٢٨٥/٦ رقم (٥٥٢٣).

وكتاب الحيل : باب الحيلة في النكاح ٧٨/٨ رقم (٦٩٦١).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب النكاح ، باب نكاح المتعة ص٥٩١ رقم الحديث (١٤٠٧) .

٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ،ابن عم الرسول ﷺ ،كني بابنه العباس، وهو ابن خالة خالد بن الوليد.كان يسمى البحر لسعة علمه ، ويسمى حبر الأمة ، بفضل الله ثم بدعوة رسول الله ﷺ له قال ابن عباس : ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: ((اللهم علمه الحكمة)) (البخاري ٣٧٥٦)، قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :كان ابن عباس ﷺما قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم،ونسب، ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا تفسير القرآن، ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أثقب رأي فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، ولا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلاً (قط) سأله إلا وجد عنده علماً، وقال ليث بن أبي سليم: قلت لطاووس: لزمت هذا الغلام - يعني ابن عباس ﷺما – وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ؟! قال: إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارأوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس ﷺما.

(انظر: أسد الغابة /ابن الأثير ٢٩١/٣-٢٩٢ ، وسير أعلام النبلاء/الذهبي ١٣٣/٣، الإصابة/ابن حجر ٩٠/٤).

وَالشَّرْطُ باطِلٌ) . [١]

٤ -(٤٢١٩) . حدثنا سُلَيْمانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَمْرو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما [٢] قالَ: (نَهى رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ورَخَّصَ فِي الْخَيْلِ) . [٣]

شرح غريب الحديثين :

<< مُتْعَةَ النِّساءِ >> : هو النكاح الذي بلفظ التمتع إلى وقت معين نحو أن يقول لامرأة أتمتع بك كذا مدة بكذا من المال .[٤]

<< الْحُمُر الإِنْسِيَّةِ >> : الإنسية :يعني التي تألف البيوت ، والمشهور فيها كسر الهمزة ، منسوبة إلى الإنس ، وهم بنو آدم ، الواحد إنسي . وقيل أن الهمزة مضمومة : أي التي تألف البيوت، والأُنس ضد الوحشة. [٥]

<< إنِ احْتالَ حتّى تَمَتَّعَ فَالنِّكاحُ فاسِدٌ >> : أي إن عقد عقد نكاح متعة والفساد لا يستلزم البطلان لإمكان إصلاحه بإلغاء الشرط فيتحيل في تصحيحه بذلك كما قال في ربا الفضل إن حذفت الزيادة صح البيع .[٦] وقال العيني: لا مناسبة لذكر هذا الحديث هنا ــ في باب الحيلة ــ لأن بطلان المتعة مجمع عليه وقوله إن احتال ليس له دخل في المتعة وإنما ذكره ليشنع به على

---

١) صحيح الإمام البخاري : كتاب الحيل / باب الحيلة في النكاح ٧٨/٨ رقم (٦٩٦١).

٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة.أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي.يكنى بأبي عبد الله وقيل أبا عبد الرحمن والأول أصح . شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي .شهد مع النبي ﷺ ثماني عشرة غزوة ، شهد صفين مع علي رضي الله عنه وعمي في آخر عمره ،وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة . وكان من المكثرين في الحديث الحافظين للسنن .من أهل السبق في الإسلام وكان كثير العلم ، وأبوه عبد الله له مناقب عديدة . توفي سنة أربع وسبعين وقيل سبع وسبعين للهجرة وكان عمره أربعاً وتسعين سنة.

(انظر:أُسد الغابة /ابن الأثير ٢٥٦/١، وسير أعلام النبلاء /الذهبي ١٨٩/٣، وشذرات الذهب/ابن العماد ٨٤/١).

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الذبائح /باب لحوم الخيل ١٨٩/٦ رقم (٥٥٢٠)، وباب لحوم الحمر الإنسية ٢٨٥/٦ رقم (٥٥٢٤).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح /باب في أكل لحم الخيل ص٨٦٨ رقم (١٩٤١).

٤) عمدة القاري/العيني ٢٤٦/١٧.

٥) لسان العرب/ابن منظور ١٣/٦ مادة أنس.

٦) فتح الباري / ابن حجر ٢٩٦/١٢ ، وإرشاد الساري /القسطلاني ١٠٧/١٠.

الحنفية من غير وجه.[١]

<< **وَقَالَ بَعْضُهُمُ** >> : قيل هو زفر [٢] ، قال العيني : ومذهبه أن يتزوج امرأة إلى مدة معلومة فالنكاح صحيح ويلزم واشتراط المدة باطل .[٣]

<< **رَخَّص** >> : رخص له في الأمر: أذن له فيه بعد النهي عنه، والرخصة: ترخيص ا لله للعبد في أشياء خففها عنه .[٤]

الدراسة الدعوية للحديثين:

من هذه الأحاديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأولاد العلم الشرعي.

الثاني - من تاريخ الدعوة: وقوع غزوة خيبرفي عهد النبي ﷺ.

الثالث - من خصائص الدين الإسلامي: رفع الحرج والمشقة .

الرابع - من موضوعات الدعوة: تحريم نكاح المتعة .

الخامس - حرص الصحابة ﭫ على تبليغ مانهى عنه النبي ﷺ .

السادس - إنكار الصحابة ﭫ بعضهم على بعض.

السابع - من صفات علي ﭬ : العلم والورع.

الثامن - من صفات الداعية: شفقته على المدعوين وحرصه عليهم .

التاسع - ارتكاب أخف الضررين في حال اجتماعهما .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) عمدة القاري ١١٣/٢٤.

٢) هو زُفر بن الهُذيل العنبري ، الفقيه المجتهد ، ولد سنة عشر ومئة للهجرة .من بحور الفقه، وأذكياء الوقت . تفقه بـأبي حنيفـة ، وهو أكبر تلامذته ، وكان ممن جمع بين العلم والعمل ، وكان يدري الحديث ويتقنه .مات سنة ثمان وخمسين ومئة للهجرة. (تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/الحمصي ٢٧٧/١).

٣) عمدة القاري ١١٣/٢٤.

٤) لسان العرب/ابن منظور ٤٠/٧ مادة رخص .

الأول ـ تعليم الأولاد العلم الشرعي:

وهذا من واجبات المربي وخاصة الأب أن يعلم أولاده ما يجب عليهم معرفته في دين الله ومن الواجبات على المسلم أن يتعلم العلم الذي يعرف به دينه وصلاته وصومه وحجه وتعامله وكان هذا منهج الصحابة ﭫ يتعلمون العلم ويدعون إليه. قال رسول الله ﷺ: ((إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته)).[1] وليس هناك خير من العلم الشرعي ولا أقرب للرجل من أبنائه وبناته . ولذلك نرى في هذا الحديث اهتمام علي ﭬ بتبليغ ما نهى الله عنه من متعة النساء وأكل لحوم الحمر الأهلية وتعليم ذلك لابنه الذي قام بدوره بتبليغه لأبنائه عبد الله [2] والحسن [3] ﭭ.

الثاني ـ من تاريخ الدعوة: وقوع غزوة خيبر في عهد النبي ﷺ :

إن من تاريخ الدعوة ما ورد في هذا الحديث من قول علي ﭬ :- (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهى عَنْ مُتْعَةِ النِّساءِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ أكْلِ الْحُمُرِ الإنْسِيَّةِ) حيث دل قوله على وقوع غزوة خيبر، و أنها كانت في عهد النبي ﷺ حيث كان فيها تحريم نكاح المتعة، وتحريم لحوم الحمر الإنسية. وكانت هذه الغزوة في السنة السابعة للهجرة .[4]

الثالث ـ من خصائص الدين الإسلامي : رفع الحرج والمشقة:

الإسلام دين اليسر والسماحة راعى الله فيه ما تقتضيه النفوس و ماتحتاجه الأبدان دون إفراط ولا تفريط. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[5].

---

١) صحيح الإمام مسلم :كتاب الإمارة والبيعة /باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ص٨١٧ رقم (١٨٢٢).

٢) هو عبد الله بن محمد بن الحنفية ،الإمام أبو هاشم الهاشمي العلوي المدني والحنفية هي والدته اسمها خولة بنت جعفر الحنفية.قال ابن سعد :كان ثقة ، قليل الحديث ، وكانت الشيعة تنتحله .ولما احتضر أوصى إلى محمد بن علي ، وقال :أنت صاحب هذا الأمر،وهو في ولدك ، مات في خلافة سليمان بن عبد الملك في سنة ثمان وتسعين للهجرة . (انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٣٥/١) .

٣) هو الحسن بن محمد بن الحنفية ،الإمام أبو محمد الهاشمي .كان أجل الأخوين وأفضلهما. حدَّث عن أبيه وابن عباس ، وجابر وسلمة بن الأكوع وأبي سعيد الخدري . وكان من علماء أهل البيت .مات سنة مئة للهجرة أو في التي قبلها. (انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٣٥/١) .

٤) انظر الفائدة (٢) من الحديث رقم (١) ص ٤٧.

٥) سورة النساء الآية رقم (٢٨).

وقد جعل الله لعباده الرخصة في بعض الأمور عند الاضطرار. وفي هذا الحديث وضحت هذه المراعاة من ترخيص الله ﷺ للناس في المتعة في ذلك تبعاً لحاجتهم إليها ثم تحرم بعدها. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (أن تحريمها وإباحتها وقعا مرتين فكانت مباحة قبل خيبر ثم حرمت فيها ثم أبيحت عام الفتح وهو عام أوطاس ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة).[١]

قال سهل بن سعد ﷺ : (إنما رخص النبي ﷺ في نكاح المتعة لعزبة كانت بالناس شديدة ثم نهى عنها فلما فتحت خيبر وسع عليهم من المال ومن السبي فناسب النهي عن المتعة لارتفاع سبب الإباحة وكان ذلك من تمام شكر نعمة الله على التوسعة بعد الضيق).[٢]

فمن واجب الداعية أن يبين للمدعوين سماحة الإسلام ومراعاته لمصالح المسلمين بوضع الرخصة لهم في أمور وفي بعض المحرمات عند الاضطرار إلى ذلك كأكل الميتة وأكل لحم الخنزير قدر ما يسد الرمق ويبقي الحياة، مع التنبيه على أن نكاح المتعة قد حرم تحريما مؤبداً ولا رخصة فيه .

الرابع ـ من موضوعات الدعوة: تحريم نكاح المتعة :

كان نكاح المتعة حلالاً في عهد النبي ﷺ ثم حرم ثم أبيح في وقت دعت الضرورة إليه ثم حرَّمه الرسول ﷺ تحريماً مؤبداً إلى قيام الساعة كما جاء في الأحاديث الصحيحة، ومنها هذا الحديث الذي ذكر فيه علي ﷺ **(أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهى عَنْ مُتْعَةِ النِّساءِ يَوْمَ خَيْبَرَ)**. عن سبرة الجهني ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال : ((**يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة**))[٣]. فنسخ الحكم بما ذكر من الأحاديث في هذا الكتاب وغيره، وتقرر الإجماع على منعه، ولم يخالف فيه إلا

---

١) فتح الباري / ابن حجر ١٤٧/٩ ، وعمدة القاري /العيني ٢٤٧/١٧ ، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/للإمام محمد الزرقاني ١٥٣/٣ ـ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ـ دار المعرفة ـ بيروت ، ومنار القاري في شرح مختصر صحيح البخاري / حمزة محمد قاسم ١٠٦/٥ ـ راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ـ مكتبة المؤيد .

٢) فتح الباري /ابن حجر ١٤٧/٩.

٣) صحيح الإمام مسلم:كتاب النكاح /باب نكاح المتعة ، وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ص٥٨٩ رقم (١٤٠٦).

طائفة من المبتدعة، وتعلقوا بالأحاديث الواردة في ذلك، وقد نسخت جميعها [1]. قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (وعلى الجملة: فالروايات كلها متفقة على وقوع إباحة المتعة، وأن ذلك لم يطل، وأنه نسخ، وحرم تحريما مؤبداً، وأجمع السلف والخلف على تحريمها، إلا ما روي عن ابن عباس، ورُوي عنه أنه رجع عنه، وإلا الرافضة، ولا يلتفت لخلافهم؛ إذ ليسوا على طريقة المسلمين).[2]

الخامس ـ حرص الصحابة ﷺ على تبليغ مانهى عنه النبي ﷺ :

الصحابة ﷺ هم الذين تلقوا التنزيل من الرسول ﷺ وبلغوه للناس داخل عاصمة الإسلام وخارجها. يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : (والصحابة ﷺ بلغوا جميع ما سمعوه منه ﷺ ما كتموا من سنته شيئاً، وبلغوا ما جاء به من الوحي، ولم يكتموا منه شيئاً، فجاءت الشريعة ولله الحمد كاملة من كل وجه، بلغها النبي ﷺ عن ربه ثم بلغها الصحابة ﷺ عنه، ثم التابعون عمن قبلهم وهكذا إلى يومنا هذا).[3]

وفي هذا الحديث دليل على هذا الحرص من صحابة رسول الله ﷺ على التبليغ حيث إن علي بن أبي طالب ﷺ لما بلغه أن ابن عباس ﷺ يحل المتعة أكد على تحريم النبي ﷺ ذلك فقال: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهى عَنْها يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ).

وقد جمع علي ﷺ بين النهي عن متعة النساء والنهي عن الحمر الإنسية لحكمة؛ وهي أن ابن عباس ﷺ كان يرخص في الأمرين معا، ولم يكتف بالرد على ما جاء في كلام المخبر عن ابن عباس ﷺ بأنه يحل المتعة فروى له علي تحريمهما عن النبي ﷺ رداً عليه [4]. وهذا من حرص علي ﷺ على تبليغ ما نهى عنه رسول الله ﷺ.

---

١) انظر إكمال المعلم /القاضي عياض ٥٣٣/٤.

٢) المفهم ٩٣/٤ ،وانظر الإفصاح عن معاني الصحاح /للوزير العالم ابن هبيرة ٢١٥/١،٢٤٧ـ تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ـ ط٢ ـ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ـ دار الوطن ـ الرياض ، وفتح الباري/ابن حجر ١٥٠/٩، ومنار القاري / حمزة قاسم ١٠٨/٥.

٣) شرح رياض الصالحين ٦٣٩/٤.

٤) انظر :زاد المعاد / ابن القيم ٣٤٤/٣ ، وفتح الباري /ابن حجر ١٤٧/٩ .

السادس ـ إنكار الصحابة ﷺ بعضهم على بعض:

كان الصحابةﷺ يتحرون الصحة والصواب في أقوالهم وأعمالهم وينكرون على المخالف منهم [١]كما جاء في هذا الحديث من إنكار علي ﷺ على ابن عباس ﷺ لما قيل له إنه لا يرى في متعة النساء شيئاً أعاد القول بنهي النبي ﷺ عن المتعة بصيغة التأكيد (إنَّ رَسُولَ اللهﷺ نَهى عَنْها يَوْمَ خَيْبَرَ) منكراً على ابن عباس ﷺ تحليله لما نهى عنه رسول الله ﷺ وقد كان ذلك من ابن عباس ﷺ لأنه لم يبلغه النسخ.[٢] لذا ينبغي على الدعاة إلى الله والمسلمين بصفة عامة أن يقتدوا بالصحابة ﷺ في إنكارهم للمنكر على الجميع دون النظر إلى من يكون فحكم الناس في مخالفة الله واحد ولو كان فيه استثناء لكان ابن عباس ﷺ أولى بذلك فهو حبر الأمة وابن عم رسول الله ﷺ. مع اعتبار نوعية الأسلوب، وإنزال الناس منازلهم.

السابع ـ من صفات علي ﷺ: العلم والورع :

دل هذا الحديث على شدة ورع علي ﷺ وعلمه حيث إنه لما اختلف الصحابة ﷺ في سبب نهي النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية، ولم يكن عنده علم عن سبب النهي توقف عن ذكر ذلك، واكتفى بالقول (أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهى عَنْ مُتْعَةِ النِّساءِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ أَكْلِ الْحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ). قال الإمام المنبجي ـ رحمه الله ـ: (فلما وقع الاختلاف في علة التحريم ولم يترجح البعض على البعض توقف الإمام ﷺ فلم يحكم فيه بطهارة ولا نجاسة. وهذا دليل على علمه وورعه).[٣]

الثامن ـ من صفات الداعية: شفقته على المدعوين وحرصه عليهم:

الشفقة على المدعوين والحرص عليهم من صفات الداعية الحق، وهي من الصفات المميزة للداعية الأول محمد ﷺ والتي تحدث عنها القرآن الكريم، ومن شفقته بأمته وحرصه على مصالحها نهيه لهم عن أكل لحوم الحمر الأهلية نهي تحريم لما فيها من الضرر عليهم. قال الإمام

---

١) ذكر الأستاذ الدكتور /فضل إلهي حفظه الله أمثلة كثيرة لإنكار الصحابة ﷺ بعضهم على بعض في كتابه (حكم الإنكار في مسائل الخلاف).

٢) انظر: شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٩/ ١٩٩.

٣) اللباب في الجمع بين السنة والكتاب/لأبي محمد علي بن زكريا المنبجي ٥٩/١ ـ تحقيق د.محمد فضل المراد ـ ط٢ ـ١٤١٤هـ/١٩٩٤ ـ دار القلم ـ دمشق.

ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (قال بعض العلماء: إن الحكمة في تحريم الحمر الأهلية هو أن الحمر ليس في الحيوانات أبلد منها فأكل لحمها يكسب منه ذلك فلإشفاقه عليه السلام على أمته منعهم من كل ما عليهم فيه ضرر في الدنيا والآخرة).(١)

التاسع ـ ارتكاب أخف الضررين في حال اجتماعهما :

الأمر إذا دار بين ضررين أحدهما أشد من الآخر فيتحمل الضرر الأخف ولا يرتكب الأشد وهي منبثقة من القاعدة الشرعية الفقهية [درء المفاسد مقدم على جلب المصالح] ومتفرعة من القاعدة الكلية لا ضرر ولا ضرار .(٢)

وفي حديث جابر ﷺ : (نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ وَرَخَّصَ فِي الْخَيْلِ) اجتمع ضرران وهما أكل لحوم الحمر وأكل لحوم الخيل ، وحيث كان لحم الخيل أقل ضرراً والناس في حاجة إلى الأكل نهى عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل .قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على أنه إذا اجتمع ضرران أخذ أقلهما يؤخذ ذلك من أنه لما كانت لحوم الحمر تكسب البلادة ولحوم الخيل تكسب القساوة كما ذكرنا في الحديث قبل (٣) رخص في لحم الخيل التي هي أقل ضررا).(٤)

---

١) بهجة النفوس / ابن أبي جمرة ١٠٢/٤ .

٢) القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع منها /للشيخ د. صالح بن غانم السدلان ص ٥٢٧ ـ ط١ -١٤١٧ هـ ـ دار بلنسية للنشر والتوزيع .

٣) يشير إلى حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ : (أصابتنا مجاعة ليالي خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها، فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله ﷺ : ((أكفئوا القدور فلا تطعموا من لحوم الحمر شيئا)). قال عبد الله : فقلنا إنما نهى النبي ﷺ لأنها لم تخمس. قال: وقال آخرون حرمها البتة. وسألت سعيد بن جبير فقال: حرمها البتة). انظر بهجة النفوس ١٦٩/٣، والحديث في صحيح الإمام البخاري :كتاب فرض الخمس /باب مايصيب من الطعام في أرض الحرب ٧٣/٤ رقم (٣١٥٥).

٤) بهجة النفوس ١٠٢/٤ وانظر ١٦٧/٣، والمفهم/القرطبي٢٢٩/٥.

٥-(٤٢٢١) . حدثنا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهالٍ حَدَّثَنا شُعْبَةُ أَخْبَرَنِي عَدِيُّ بْنُ ثابِتٍ عَنِ الْبَراءِ (١) وَعَبْدِا لله بْنِ أَبِي أَوْفى (٢) أَنَّهُمْ كانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَصابُوا حُمُراً فَطَبَخُوها فَنادَى مُنادِي النَّبِيِّ ﷺ: ((أَكْفِئُوا الْقُدُور)) . (٣)

وفي رواية: (أَمَرَنا النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ أَنْ نُلْقِيَ الْحُمُرَ الأَهْلِيَّةَ نِيِّئَةً وَنَضِيجَةً ، ثُمَّ لَمْ يَأْمُرْنا بِأَكْلِهِ بَعْدُ) . (٤)

شرح غريب الحديث :

<< أَكْفِئُوا الْقُدُورَ>>: من الإكفاء وهو القلب، أي أميلوها ليراق مافيها .(٥)

<< نِيِّئَةً وَنَضِيجَةً >> : بالتنوين فيهما ووقع في رواية ؛ ب هاء الضمير فيهما والنيء بكسر النون بعدها تحتانية ساكنة ثم همزة ضد النضيج.(٦)

والنضيج:المطبوخ على وزن فعيل بمعنى مفعول، يقال جاد نُضجُ هذا اللحم وقد أنضجه

---

١) هو البراء بن عازب بن الحارث الفقيه الكبير ، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني ، من أعيان الصحابة . روى أحاديثاً كثيرة،وشهد غزوات كثيرة مع النبي ﷺ ، واستصغر يوم بدر. أبوه من قدماء الأنصار .قال البراء: غزوت مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة توفي سنة اثنتين وسبعين للهجرة.

(انظر: الطبقات /ابن سعد ٣٦٤/٤، أسد الغابة /ابن الأثير ١٧١/١ ، شذرات الذهب /ابن العماد ٧٧/١).

٢) هو عبد الله بن علقمة بن خالد بن الحارث، الفقيه المعمر ، صاحب النبي ﷺ ، أبو معاوية وقيل أبو محمد وقيل أبو إبراهيم الأسلمي الكوفي .من أهل بيعة الرضوان،وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة، وكان أبوه صحابياً أيضاً ، نال دعوة مباركة من رسول الله لما جاء بصدقات قومه فقال له رسول الله ﷺ :((اللهم صل على آل أبي أوفى)) (متفق عليه). قال غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد. توفي ﷺ سنة ٨٦ وقيل ٨٨ هـ.

(انظر: أسد الغابة / ابن الأثير ١٨٢/٣ ، الإصابة / ابن حجر ٣٨/٤ ،شذرات الذهب /ابن العماد ٩٦/١).

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري : كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر ٩٣/٥ رقم (٤٢٢٣/٤٢٢٤) و(٤٢٢٥) و (٤٢٢٦).

وكتاب الذبائح /باب لحوم الحمر الإنسية ٢٨٦/٦ رقم (٥٥٢٥/٥٥٢٦).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب الصيد والذبائح /باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية ص ٨٦٧ رقم (١٩٣٨).

٤) الطرف رقم (٤٢٢٦).

٥) فتح الباري/ابن حجر ٣٧٠/٧ ، وعمدة القاري/العيني ٢٤٩/١٧، وانظر إكمال المعلم/القاضي عياض ٣٨٠/٦،والمفهم /القرطبي ٢٢٥/٥.

٦) فتح الباري/ ابن حجر ٣٧٠/٧.

الطاهي.[١]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من واجبات الداعية : تفقد أحوال المدعوين .

الثاني - من واجبات المحتسب : الإسراع في تغيير المنكر .

الثالث - من وسائل الدعوة : الاستعانة بالآخرين في الدعوة إلى الله.

الرابع - من تاريخ الدعوة : وقوع غزوة خيبر في عهد النبي ﷺ وتحريم لحوم الحمر الأهلية فيها.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من واجبات الداعية: تفقد أحوال المدعوين :

إن من واجبات الداعية إلى الله تعالى أن يتفقد أحوال المدعوين ، ويتعرف عليها عن قرب فيأمر بالمعروف المتروك وينهى عن المنكرات إن وجدت، تأسياً بالرسول ﷺ حيث ظهر لنا من هذا الحديث قيامه بهذا الأمر وإنكاره على الناس لما رآهم قد طبخوا لحوم الحمر الإنسية وأمره لهم بإراقتها ، فقد ذكر البراء وعبد الله رضي الله عنهما أنهم (**كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَصَابُوا حُمُراً فَطَبَخُوهَا فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ: ((أَكْفِئُوا الْقُدُورَ))**). قال الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (وفي هذا دليل على كثرة مشاهدته عليه السلام لشأن أصحابه وما يزيد عليهم وما ينقص والسؤال عن جميع أحوالهم. فعلى هذا يجب على كل من كان راعياً على أي شيء استرعى دوام النظر إليه والالتفات لما يزيد فيه وينقص حتى يعلم ما حكم الله تعالى فيما يظهر من الزيادة والنقص فينفذه).[٢]

الثاني - من واجبات المحتسب: الإسراع في تغيير المنكر :

الإسراع لتغيير المنكر من المبادرة إلى فعل الخيرات وقد كان النبي ﷺ حريصاً على تصحيح الأفعال وتصويب الأخطاء التي تقع من بعض أصحابه حرصاً على تعليمهم أحكام الدين

---

١) انظر :لسان العرب/ابن منظور ٣٧٨/٢ مادة نضج، و فتح الباري/ابن حجر ٣٧٠/٧.

٢) بهجة النفوس ١٦٧/٣، وانظر المفهم /القرطبي ٦١٥/٥.

لأنه صاحب الرسالة وما سكت عنه يعتبر إقراراً منه له ، ولهذا لما رأى الحمر الأهلية تطبخ بادر إلى نهي المسلمين عن ذلك فنادى مناديه في وقتها ((أَكْفِئُوا الْقُدُورَ)) فأكفئت كما جاء في الرواية الأخرى :- (فأكفئت القدور وإنها لتفور باللحم)[١] مما يؤكد على أنه أنكر عليهم في الحال.لذا ينبغي للمحتسب الإسراع في تغيير المنكر لأن الإسراع يزيل المنكر ويمنع الآخرين من فعله والتراخي في ذلك قد يجعل أحد الناس يشهد المنكر ولا يشهد المنع عنه فيفعله اعتقاداً منه بجوازه. قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه ا لله ـ : (فيه دليل على الإسراع لتغيير المنكر عند معاينته لأن النبي ﷺ لم يتركه حين رآه حتى غيَّره).[٢]

الثالث ـ من وسائل الدعوة : الاستعانة بالآخرين في الدعوة إلى الله:

من الوسائل الدعوية التي يستعين بها الداعية في دعوته طلب إعانة من يرى فيهم الأهلية للقيام بأمور الدعوة عند عدم قدرته على ذلك أو انشغاله بأمور دعوية أخرى وهذه الوسيلة تجعل الإنتاج أوفر نظراً لتضافر عدة جهود والتعاون بين المسلمين في أداء الواجب الشرعي.

وقد كان النبي ﷺ يستعين بأصحابه في تبليغ الدعوة كما في هذا الحديث حيث أمر أحد أصحابه أن ينادي في الناس بإكفاء القدور لتحريم ما طبخ فيها يقول الراوي : (فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ: ((أَكْفِئُوا الْقُدُورَ))). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (إنه ينبغي لأمير الجيش تفقد أحوال رعيته ومن رآه فعل ما لا يسوغ في الشرع أشاع منعه إما بنفسه كأن يخاطبهم وإما بغيره بأن يأمر منادياً فينادي لئلا يغتر به من رآه فيظنه جائزاً).[٣]

الرابع ـ من تاريخ الدعوة : وقوع غزوة خيبر في عهد النبي ﷺ وتحريم لحوم الحمر الأهلية فيها:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث وقوع غزوة خيبر في عهد النبي ﷺ ؛ وقد كان ذلك في السنة السابعة للهجرة [٤]. كما أنه في هذه الغزوة كان تحريم لحوم الحمر الأهلية فقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ فيما كان من الأحكام الفقهية في غزوة خيبر : (ومنها تحريم لحوم الحمر الإنسية ، صح عنه تحريمها يوم خيبر، وصح عنه التعليل بأنها رجس).[٥]

---

١) صحيح الإمام البخاري: كتاب المغازي /باب غزوة خيبر ٨٧/٥ جزء من الحديث رقم (٤١٩٩).

٢) بهجة النفوس ١٦٨/٣.

٣) فتح الباري ٥٦٦/٩.

٤) انظر الفائدة (٢) من الحديث (١) ص ٤٧.

٥) زاد المعاد ٣٤٢/٣.

٦-(٤٢٢٧) . حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ حَدَّثَنا عُمَرُبْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنا أَبِي عَنْ عاصِمٍ عَنْ عامِرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[١] قالَ : (لا أَدْرِي أَنَهى عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كانَ حَمُولَةَ النَّاسِ فَكَرِهَ أَنْ تَذْهَبَ حَمُولَتُهُمْ ، أَوْ حَرَّمَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ؛ لَحْمَ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ) . [٢]

شرح غريب الحديث :

<< أَنَهى عَنْهُ >> : أي عن لحم الحمر الأهلية والهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار.[٣]

<< حَمُولَة >> : بفتح الحاء وهي التي يحمل عليها الناس من الدواب سواء كانت عليها الأحمال أو لم تكن كالركوبة ، وقال الكرماني: الحمولة كل ما احتمل عليه الحي من حمار وغيره.[٤]

<< حَرَّمَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ >> : يعني تحريماً مطلقاً مؤبداً .[٥]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - أهمية قول الداعية "لا أدري " عند عدم العلم بالأمر.

الثاني - من آداب المدعو: الامتثال أولاً ثم السؤال والبحث .

الثالث - رفق النبي ﷺ بأمته وحرصه على مصالحهم .

الرابع - من تاريخ الدعوة: غزوة خيبر وتحريم لحوم الحمر الأهلية فيها .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص ٥٤.

٢) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب الصيد والذبائح /باب تحريم أكل لحوم الحمر الإنسية ص٨٦٧ رقم(١٩٣٩).

٣) عمدة القاري/العيني ٢٥٠/١٧ .

٤) لسان العرب /ابن منظور ١٧٩/١١ مادة حمل ، وعمدة القاري/العيني ٢٥٠/١٧ .

٥) عمدة القاري/العيني ٢٥٠/١٧ .

الأول ـ أهمية قول الداعية "لا أدري " عند عدم العلم بالأمر:

الداعية يجب أن يخشى الله ويتقه فلا يقول على الله بغير علم ولا يتحدث عن مسألة لا يعرف حكم الشرع فيها، قال تعالى موبخاً من يقول بغير علم : ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) ، وقال النبيﷺ محذراً من الكذب عليه لما يترتب عليه من إدخال ما ليس من الدين فيه: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)).(٢)

ولهذا كان من ورع الصحابة ﷺ وشدة احتياطهم في نقل السنة أنهم لا يقولون إلا ما يتيقنون ولا ينقلون عنه ﷺ إلا ما يعرفون ، و في هذا الحديث نرى ابن عباس ﷺما لم يجزم بالتحريم للاحتمال الذي فهمه فقال (لا أَدْرِي). وهذا من ابن عباس ﷺما الذي يسمى البحر لغزارة علمه، قال عنه طاوس بن كيسان: أدركت سبعين من أصحاب محمد ﷺ إذا تدارؤا في شيء انتهوا إلى قول ابن عباس.(٣)

فواجب الدعاة إلى الله أن لا يتحدثوا إلا بما يعرفون حتى لا يقعوا في المحذور فيضلون ويضلون في حين أن مهمتهم الأولى هي هداية الناس، ولهم في صحابة رسول الله ﷺ وسلفنا الصالح خير قدوة في خوفهم من الوقوع في الكذب على الله ورسوله. قال عقبة بن مسلم ـ رحمه الله ـ :صحبت ابن عمر ﷺما أربعة وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول: لا أدري ثم يلتفت إليّ فيقول : أتدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم.(٤)

الثاني ـ من آداب المدعو: الامتثال أولاً ثم السؤال والبحث:

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ حريصين كل الحرص على العلم وفهم المسائل الدينية فكانوا يتدارسونه ويبحثون فيه ولم يكن ذلك يتعارض مع امتثالهم لأمر النبي ﷺ فهم يلتزمون به مباشرة ، وبعد الالتزام يكون البحث والسؤال عن علة التحريم كما في هذا الحديث حيث إنهم

---

١) سورة الأعراف جزء من الآية رقم (٢٨).

٢) صحيح الإمام البخاري :كتاب الأنبياء /باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧٥/٤ رقم (٣٤٦١) ، وفي مقدمة صحيح الإمام مسلم ص٨ رقم (٣).

٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن قيم الجوزية ٢٧/١ ـ تحقيق وتعليق عصام الدين الصبابطي ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ـ دار الحديث ـ بيروت .

٤) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله للإمام العلامة يوسف بن عبد البر القرطبي ٦٨/٢ـ دار الفكر .

بعد أن أكفئوا القدور كما في الحديث: (فأكفئت القدور وإنها لتفور باللحم) (١) كان تساؤلهم عن علة التحريم واجتهادهم في معرفتها .قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ: (إن السؤال والبحث في الأمر لا يكون إلا بعد الامتثال لأن الصحابة ﷺ لما أن أمرهم النبي ﷺ بما أمر امتثلوا الأمر في الحين ولم يعترضوا ولم يبحثوا فلما أن كان بعد امتثالهم وحينئذ رجعوا إلى البحث في التحريم هل هو لعلة أو لغير علة وأعطى اجتهاد بعضهم أنه تعبد لغير علة وأعطى اجتهاد بعضهم أنه لعلة وذكرها).(٢)

الثالث. رفق النبي ﷺ بأمته وحرصه على مصالحهم:

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على أمته ساعياً إلى مصالحهم مبعداً لهم عما يضرهم حريصاً على ما يسعد الناس ويهديهم إلى الصراط المستقيم، وهذا من صميم رسالتهﷺ لأن الله أرسله رحمة للعالمين. وفي هذا الحديث قال ابن عباس ﷺ:- (لا أَدْرِي أَنَهى عَنْهُ رَسُولُ اللهﷺ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كانَ حَمُولَةَ النَّاسَ فَكَرِهَ أَنْ تَذْهَبَ حَمُولَتُهُمْ ، أَوْ حَرَّمَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ؛ لَحْمَ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ) فسواء كان تحريم الرسول ﷺ لذبح الحمر الأهلية لأن الناس كانوا يستخدمونها في الركوب وحمل المتاع أو كان التحريم لأجل الضرر الذي يحدث من أكلهم لها (٣) وفي كلا الأمرين راعى النبي ﷺ مصالح المسلمين سواء بتأمين الحمولة أو الحماية من الضرر. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (فيه بيان رفق النبي ﷺ بأمته وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم).(٤)

---

١) انظر الحديث رقم (٤١٩٩) من صحيح الإمام البخاري.

٢) بهجة النفوس ١٦٩/٣.

٣) قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: (وقد كشف هذا الإشكال الذي وقع لابن عباس قول النبي ﷺ إنها رجس) الكشف عن معاني الصحيحين ـ مخطوطة .انظر تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد: لكتاب الإفصاح عن معاني الصحاح ج٣ص٧٧. وانظر معالم السنن /الخطابي ١٦٢/٤ ـ إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ـ ط١ ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ـ دار الحديث ـ سورية.وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في رواية الإمام مسلم ((أهريقوها واكسروها)) (هذا يدل على نجاسة لحوم الحمر الأهلية وهو مذهبنا ومذهب الجمهور) ٤١٠/١٢.

٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٤٥/٨.

الرابع ـ من تاريخ الدعوة: غزوة خيبر وتحريم لحوم الحمر الأهلية فيها :

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث وقوع غزوة خيبر في عهد النبي ﷺ ؛ وقد كان ذلك في السنة السابعة للهجرة.كما أنه في هذه الغزوة كان تحريم لحوم الحمر الأهلية . [1]

١) انظر الفائدة (٢) من الحديث (١) ص ٤٧.

٧-(٤٢٣١) .* فَلَمَّا جاءَ النَّبِيُّ ﷺ قالَتْ [1] يا نَبِيَّ الله إنَّ عُمَرَ قالَ: كَذا وكَذا ، قالَ: ((فَما قُلْتِ لَهُ؟)) قالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذا وكَذا. قالَ: ((لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِإصْحابِهِ هِجْرَةٌ واحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتانِ)) قالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبا مُوسى وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هذا الْحَدِيثِ ما مِنَ الدُّنْيا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ، مِمَّا قالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ. [2]

٨-(٤٢٣٢). قالَ أَبُو بُرْدَةَ قالَتْ أَسْماءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبا مُوسى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هذا الْحَدِيثَ مِنِّي، قالَ أَبُوبُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسى [3] قالَ النَّبِيُّ ﷺ :((إِنِّي لأَعْرِفُ

---

* بداية الرواية جاءت في الحديث السابق رقم(٤٢٣٠) وقد درس في جزء آخر من موسوعة " فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ "والذي درسه د.سعيد بن علي القحطاني .ونصه:(عَنْ أَبِي مُوسى ﷺ قالَ: بَلَغَنا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ ونَحْنُ بِاليَمنِ فَخَرَجْنا مُهاجِرِينَ إِلَيْهِ أنا وأخوانِ لي أنا أصْغَرُهُم أحدُهُما أبُوبُرْدَةَ والآخَرُ أبو رُهْمٍ إمَّا قالَ: بِضْعٌ ، وإمَّا قالَ:في ثَلاثَة وخَمسين أو اثنينِ وخَمسينَ رجلاً مِنْ قَوْمي فَرَكِبْنا سَفِينَةً فَألْقتنا سَفِينتنا إلى النَّجاشي بِالحبشَةِ، فَوافقْنا جَعْفَرَ بْنَ أبي طالب فَأَقَمْنا مَعَهُ حَتَّى قَدِمنا جميعاً فَوافقنا النبيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ وَكانَ أُناسٌ مِنَ النَّاسِ يَقولونَ لنا يَعْني لأَهلِ السَّفينةِ سَبَقْناكُمْ بالهجرةِ ، وَدَخَلتْ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَهْيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنا على حَفْصَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ ، زائِرَةً وَقَدْ كانت هاجَرَتْ إلى النَّجاشيِّ فِيمنْ هاجَرَ فَدَخَلَ عُمَرُ على حَفْصَةَ وَأسماءُ عِنْدَها فَقالَ عُمَرُ حِينَ رَأى أسماءَ : مَنْ هذِهِ ؟ قالَتْ أسماءُ بِنْتُ عُميسٍ ، قال عُمَرُ : الْحَبَشِيَّةُ هذِهِ، الْبَحَرِيَّةُ هذِهِ ، قالَتْ أسماءُ : نَعَمْ . قالَ: سَبَقْناكُمْ بِالهِجْرَةِ فَنحْنُ أحَقُّ بِرسُول الله مِنْكُمْ ، فَغَضِبَتْ وَقالَتْ :كَلاَّ والله كُنْتُمْ مَعَ رسول الله يُطْعِمُ جائِعَكُمْ وَيَعِظُ جاهِلَكُمْ ، وَكُنَّا فِي دارٍ أوْ فِي أرْضِ الْبُعَداءِ الْبُغَضاءِ بِالْحَبَشَةِ وَذلِكَ فِي الله وَفِي رَسُولِهِ وَأيْمُ الله لا أطْعَمُ طَعَاماً ولا أشْرَبُ شَرَاباً حَتّى أذْكُرَ ما قُلْتَ لِرَسولِ الله ، وَنَحْنُ كُنّا نُؤْذى وَنُخافُ ، وَسَأذْكُرُ ذلِكَ لِلنَّبِيِّ وَأسْأَلُهُ وَالله لا أكْذِبُ وَلا أزِيغُ وَلا أزِيدُ عَلَيْهِ).

١) هي أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية، أم عبد الله من المهاجرات الأول قيل أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم . وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع للهجرة،واستشهد يوم مؤتة تزوج بها أبوبكر الصديق فولدت له محمداً وقت الإحرام ،فحجت حجة الوداع ،ثم توفي الصديق ﷺ فغسلته وتزوج بها علي ﷺ. (انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء /أبو نعيم الأصفهاني ٧٤/٢ ـ ط٣ ـ ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت، وفي الإصابة /ابن حجر ٨/٨).

٢) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل جعفر وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم ﷺ ١٦/ ٢٩٧ رقم (٢٥٠٣).

٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ أبوموسى الأشعري التميمي الفقيه المقريء. وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ .أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين وكان من أهل السبق في الإسلام .جاهد مع النبي ﷺ وحمل عنه علماً كثيراً ، دعا له النبي ﷺ بقوله : ((اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما)) (مسلم ٢٤٩٨).بعثه عمر أميراً على البصرة .وهو فتح تستر .ولم يكن أحد من الصحابة أحسن صوتاً منه. قال

أصْواتَ رُفْقَـةِ الأَشْـعَرِيِّينَ بِـالْقُرْآنِ حِيـنَ يَدْخُلُـونَ بِـاللَّيْلِ، وَأَعْـرِفُ مَنَـازِلَهُمْ مِـنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِـاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْـتُ لَـمْ أَرَ مَنَـازِلَهُمْ حِيـنَ نَزَلُـوا بِالنَّهَـارِ، وَمِنْهُـمْ حَكِيـمٌ إِذَا لَقِـيَ الْخَيْـلَ ـ أَوْقَـالَ: الْعَدُوَّ ـ قَـالَ لَهُـمْ: إِنَّ أَصْحَـابِي يَـأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ)) .[١]

شرح غريب الحديثين :

<< قَالَتْ >> : يعني ؛ أسماء بنت عميس رضي الله عنها . [٢]

<< أَرْسَالاً >> : بفتح الهمزة أي أفواجا أي يجيئون إليها ناساً بعد ناس، وفي اللسان : الرسل القطيع من كل شيء، والجمع أرسال.جاؤوا رسلة رسلة أي جماعة جماعة.[٣]

<< رُفْقَةِ >> : الرفقة جمع رفيق، والرُّفْقة اسم للجمع، والجمع رِفَقٌ ورُفَقٌ ورِفاقٌ . والرِّفْقة: القوم ينهضون في سفر يسيرون معا وينزلون معا ولايفترقون .[٤]

<< وَمِنْهُمْ حَكِيم >> : قيل: هي صفة لرجل منهم ، وقيل: هو اسم علم على رجل من الأشعريين .[٥]

صفوان بن سليم: لم يكن يفتي في المسجد زمن الرسول ﷺ غير هؤلاء عمر وعلي ومعاذ وأبي موسى رضي الله عنهم.قال ابن شوذب:كان– أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم.كان صواماً قواماً ربانياً زاهداً عابداً ، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة،ولا اغتر بالدنيا .توفي سنة اثنتين وقيل ثلاث وأربعين للهجرة.

(انظر: الطبقات /ابن سعد ١٠٥/٤ ،وأسد الغابة /ابن الأثير ٣٦٧/٣ ، والإصابة /ابن حجر ١١٩/٤).

١) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم /باب فضائل الأشعريين رضي الله عنهم ص١١٠٠ رقم (٢٤٩٩) .

٢) فتح الباري/ابن حجر ٣٧٢/٧ .

٣) لسان العرب /ابن منظور ٢٨١/١١ مادة رسل، وفتح الباري/ابن حجر ٣٧٢/٧-٣٧٣ ، وعمدة القاري/العيني ٢٥٣/١٧، وانظر المفهم /القرطبي ٤٦١/٦.

٤) لسان العرب /ابن منظور ١٢٠/١٠ مادة رفق ، وفتح الباري/ابن حجر ٣٧٣/٧ .

٥) انظر: فتح الباري /ابن حجر ٣٧٣/٧ ، وعمدة القاري /العيني ٢٥٣/١٧ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ٣٧٣/٦، وفتح المبدي/ الشرقاوي ١٣٥/٣.

<< تَنْظُرُوهُمْ >> : النظر: الانتظار يقال نظرت فلاناً وانتظرته بمعنى واحد، ومعناه لفرط شجاعته لايفر من العدو بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلا انتظروا الفرسان حتى يأتوكم ليثبتهم على القتال .(١)

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - اهتمام الصحابيات ﵅ بالسؤال عما أشكل عليهن .

الثاني - استخدام أسلوب السؤال للمدعو لمعرفة ما عنده.

الثالث - ذكر محاسن المدعو من أساليب الدعوة في تأليف القلوب .

الرابع - جواز إلقاء العلم من الرجال للنساء وأخذه منهن.

الخامس - جواز قبول خبر الواحد الثقة وإن كان امرأة .

السادس - الاستشهاد بالقرائن لمعرفة المعروف والمنكر .

السابع - من موضوعات الدعوة : فضيلة رفع الصوت بالقرآن الكريم.

الثامن - الحرص على الإخلاص في العمل وترك المراءاة فيه .

التاسع - أهمية ارتباط الداعية بالقرآن الكريم.

العاشر - بيان فضائل الأشعريين.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - اهتمام الصحابيات ﵅ بالسؤال عما أشكل عليهن :

من فطرة الإنسان وطبعه أنه يحب أن يدفع النقيصة عن نفسه ويطلب أسمى المراتب وكان الصحابة من أسبق الناس إلى طلب الفضل وعلو الدرجة ومنه ماورد في هذا الحديث حيث إن أسماء ﵂ لما سمعت ما سمعت من عمر بن الخطاب ﵁ وهي تعرف بلاءها في الإسلام وما تحملته من مشقة في الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينها لما نالهم من أذى المشركين رغبت في أن تعرف منزلتها في الإسلام من رسول الله ﷺ، أهُمْ أفضل ؟ أم الذين سبقوهم بالهجرة إلى المدينة ؟ فقالت

---

١) لسان العرب /ابن منظور ٢١٦/٥ مادة نظر ، و فتح الباري /ابن حجر ٣٧٣/٧ ، وعمدة القاري /العيني ٢٥٣/١٧ ،وفتح المبدي /الشرقاوي ١٣٥/٣ .

للنبي ﷺ :(يا نَبِيَّ الله إنَّ عُمَرَ قالَ : كَذا وكَذا)، فلما أخبرها النبي ﷺ بفضلها وفضل من معها من المهاجرين إلى الحبشة بحصولهم على هجرتين وغيرهم هاجر هجرة واحدة (قَالَ: ((لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحابِهِ هِجْرَةٌ واحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتانِ)) فرحت بذلك فرحاً عظيماً وزال عنها ماحاك في نفسها وما أشكل عليها من قول عمر ﷺ وبلّغت ذلك الفضل لرِفْقَتِها.

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن جدته أم سليم ﷺا قالت: [كانت مجاورة أم سلمة ﷺا زوج النبي ﷺ فكانت تدخل عليها، فدخل النبي ﷺ فقالت أم سليم: (يا رسول الله، أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها جامعها في المنام أتغتسل؟) فقالت أم سلمة: (تربت يداك أم سليم !! فضحت النساء عند رسول الله ﷺ، فقالت أم سليم: (إن الله لا يستحي من الحق ولنا أن نسأل النبي ﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء)، فقال النبي ﷺ: ((بل أنت تربت يداك؛ نعم يا أم سليم عليها الغسل إذا وجدت الماء))].[1]

الثاني - استخدام أسلوب السؤال مع المدعو لمعرفة ما عنده:

ففي هذا الحديث لما ذكرت أسماء للنبي ﷺ الخلاف الذي وقع بينها ﷺا وبين عمر ﷺ أراد أن يعرف ما تضمنه الحوار الذي دار بينهما فسألها عن ردها على عمر لما قال لها بأنه وأصحابه أحق برسول الله ﷺ منها وأصحابها، حيث قال :((فَما قُلْتِ لَهُ؟)) ثم بعد ذلك أجابها على سؤالها.

وهذا أسلوب دعوي هام يجب أن يعلمه الداعية ويعمل به حتى لا يقع في سوء فهم ولكي يعرف ما يسأل عنه المدعو فيجيبه بما يريد ، ثم إن في طرح السؤال استجماع لفكر المدعو فيوافقه أو يعارضه فيكون أدعى لفهم الحكم في المسألة .

الثالث - ذكر محاسن المدعو من أساليب الدعوة في تأليف القلوب :

من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى ذكر محاسن المدعوين وإبرازها والثناء عليهم بما يعلمه عنهم لأن هذا الأسلوب يقرب المدعوين من الداعية ويحببه إليهم فيتألف قلوبهم بحسن أسلوبه. فقد ذكر رسول الله ﷺ لأسماء فضلها وفضل قومها وتقديمهم على غيرهم بهجرتهم مرتين في سبيل الله ، فكان لهذا الثناء منه ﷺ أثره العظيم في نفوسهم حتى توافدوا إلى أسماء ﷺا

---

١) مسند الإمام أحمد : ٤٣٦/١٨ رقم (٢٦٩٩٦) شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر ، وحمزة أحمد الزين - ط١ - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م - دار الحديث - القاهرة.وقال إسناده صحيح .

ليسمعوا ذلك منها ولم يكن شيء في الدنيا أحب إليهم مما قاله عنهم .كما ذكر ما تميز به الأشعريون من رفع الصوت بقراءة القرآن ليلاً وشجاعتهم في الحروب. قال الإمام ابن حجر - رحمه الله -: (استحباب الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لاسيما عند الصنع الجميل ليستزيد من ذلك).[١]

فينبغي للداعية الاقتداء بالرسول ﷺ باستعمال هذا الأسلوب في دعوته لتكون أكثر قبولاً وأسرع انتشاراً .

الرابع - جواز إلقاء العلم من الرجال للنساء وأخذه منهن:

إن في استماع الرسول ﷺ لأسماء ﷺ وسؤالها ومن ثم إجابتها عما سألت عنه دليلاً على جواز إلقاء العلم للمرأة ولو كانت منفردة ، وإلقاء العلم لها دليل على جواز الأخذ منها لأن عدم قبول قولها يتنافى مع قوله : ((بلغوا عني ولو آية)) .[٢] وقد نقلت لنا زوجاته ﷺ الكثير من الأمور التي اعتبرت من التشريع .قال الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (وفيه دليل على إلقاء العلم للنساء ولو واحدة منهن. وقال : وإلقاؤه ﷺ ذلك إليها يدل على جواز أخذه منها).[٣]

الخامس - جواز قبول خبر الواحد الثقة وإن كان امرأة :

في هذا الحديث ما يدل على قبول خبر الواحد الثقة حيث إن الصحابة ﷺ توافدوا على أسماء ﷺ لأخذ حديث الرسول ﷺ منها ولم يرجعوا إليه مع وجوده بينهم. قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (ففيه قبول أخبار الآحاد ، وإن كان خبر امرأة ... والاكتفاء بخبر الواحد المفيد لغلبة الظن مع التمكن من الوصول إلى اليقين؛ فإن الصحابة ﷺ اكتفوا بخبرها، ولم يراجعوا رسول الله ﷺ عن شيء من ذلك).[٤]

السادس - الاستشهاد بالقرائن لمعرفة المعروف والمنكر:

إن في قول النبي ﷺ :- ((إنّي لأعْرِفُ أصْوَاتَ رُفْقَةِ الأشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ

---

١) فتح الباري ٣٥٥/٧ -٣٥٦ .

٢) سبق تخريجه ص٢.

٣) بهجة النفوس ٢٠٩/٤ .

٤) المفهم / القرطبي ٤٦١/٦، وانظر عمدة القاري/العيني ١٨٩/١٠.

يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ)) دليلاً على صحة الاستشهاد بالقرائن والحكم على الإنسان بقرينة الحال حيث كان يستدل على منازل الأشعرين بما تميزوا به من تلاوة القرآن ليلاً وحسن الصوت عند قراءته.قال الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (وفيه دليل على جواز الحكم على الشخص بقرينة الحال).[١]

السابع - من موضوعات الدعوة: بيان فضيلة رفع الصوت بالقرآن الكريم:

مما يستفاد من هذا الحديث من قوله ﷺ :- ((إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ)) أن من موضوعات الدعوة التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني به ويحث عليه: بيان فضيلة رفع الصوت بالقرآن الكريم لأن في ذلك فائدة للقاريء حيث يستجمع فكره ويتركز ذهنه في تدبر معاني الآيات، ومعين له على حفظ القرآن؛ وفائدة للمستمع حيث يشمله أجر القرآن إذا أصغى إلى القاريء ، وأيضا قد يكون السامع لا يجيد القراءة والقاريء متمكن فيتعلم منه.

ولكنه يتوجب على المسلم أن يحرص على عدم إيذاء إخوانه من المسلمين، فإذا كان في الجهر بالقرآن ما يشوش على الآخرين في قراءتهم أو في صلاتهم أو كان في الجهر به يزعج النائمين أو المنشغلين بأمور تخصهم فيحسن عدم الجهر محافظة على شعور الآخرين.قال الإمام النووي - رحمه الله - : (وفيه أن الجهر بالقرآن فضيلة إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم أو لمصل أو غيرهما).[٢]

الثامن - الحرص على الإخلاص في العمل وترك المراءاة فيه:

الإخلاص هو لب العمل قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .[٣] والإسرار بالعمل يكون أفضل من الجهر به في حال وقد يكون

---

١) بهجة النفوس ٨٥/٤.

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٢٩٤/١٦، وانظر الآداب الشرعية /ابن مفلح ٣٢٧/٢،والسراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج /تأليف العلامة أبي الطيب صديق بن حسن خان الحسيني القنوجي البخاري ٦٦٦/٩ - تحقيق الشيخ عبد التواب هيكل - إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية - مطابع الدوحة الحديثة - قطر.

٣) سورة الكهف الآية رقم (١١٠).

الجهر به في بعض الأمور أفضل من الإسرار، فإذا كان الجهر به لا يحدث عند الفاعل رياء وفيه ترغيب وتشجيع على فعل الخير فإظهاره أفضل من إخفائه. و مثله ما جاء في هذا الحديث حيث اعتاد أصحاب رسول الله ﷺ على الجهر بقراءة القرآن ومنهم الأشعريون الذين عرف عنهم رفع الصوت بقراءة القرآن ليلاً حتى إن النبي ﷺ يستمع لهم ولو كان يعرف أن عملهم هذا فيه رياء لأنكر عليهم. قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ ((لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)) .[1] قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وفيه أن رفع الصوت بالقرآن بالليل مستحسن لكن محله إذا لم يؤذ أحدا وأمن من الرياء).[2]

التاسع ـ أهمية ارتباط الداعية بالقرآن الكريم:

إن مما يستفاد من هذا الحديث أهمية ارتباط الداعية إلى الله تعالى بالقرآن الكريم اقتداءً بصحابة رسول الله ﷺ حيث كانوا يلازمون قراءته آناء الليل وأطراف النهار ؛ ومنهم الأشعريون ﷺ الذين تميزوا عن غيرهم بحسن التلاوة والترتيل حتى عرفوا بطريقة معينة في قراءته.قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ :- (((إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ)) يشير إلى أنهم كانوا يلازمون قراءة القرآن في حال رحيلهم، وفي حالة نزولهم) [3]. وهذا الارتباط فيه فوائد للمسلم بشكل عام وللداعية بشكل خاص لأن القرآن تشريع ومعاملة وأخلاق ينبغي للداعية أن يقيس عليه عمله ويقتبس منه أسلوب دعوته. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ عن القرآن : (إنه أعظم معجزاته ﷺ وأفيدها فإنه يشتمل على الدعوة والحجة وينتفع به الحاضر والغائب إلى يوم القيامة).[4]

العاشر ـ بيان فضائل الأشعريين :

في هذا الحديث دليل على ما يتصف به الأشعريون من فضائل، حيث ذكر رسول الله ﷺ ملازمتهم لكتاب الله تعالى حتى إنه يعرف أماكنهم من قراءتهم للقرآن :- ((إِنِّي لأَعْرِفُ

---

١) صحيح الإمام مسلم :كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ص٣٢١ رقم (٧٩٣).

٢) فتح الباري ٣٧٣/٧.

٣) المفهم ٤٥١/٦.

٤) عمدة القاري / العيني ١٣/٢٠.

أصْواتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أصْواتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهارِ))،كما وصفهم بالشجاعة في الحروب قال: ((وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذا لَقِيَ الْخَيْلَ - أَوْقَالَ الْعَدُوَّ - قَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَصْحابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ)). قال الإمام النووي - رحمه الله -: (وفيه دليل لفضيلة الأشعريين) [1]. وقد عنون الإمام النووي هذا الحديث : "باب من فضائل الأشعريين".

---

١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٢٩٤، وانظر المفهم /القرطبي ٦/٤٥١.

٩-(٤٢٣٤) - حدثنا عَبْدُ الله بـنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُعاوِيَةُ بْنُ عَمْرو ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحاقَ عَنْ مالِكِ بْنِ أَنَسٍ قالَ: حَدَّثَنِي ثَوْرٌ قالَ : حَدَّثَنِي سالِمٌ مَوْلَى ابْنِ مُطِيعٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه [١] يَقُولُ افْتَتَحْنا خَيْبَرَ وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَباً وَلا فِضَّةً إِنَّما غَنِمْنَا الْبَقَرَ وَ الْإِبِلَ، وَالْمَتاعَ ، وَالْحَوائِطَ ، ثُمَّ انْصَرَفْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلى وادِي الْقُرى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقالُ لَهُ مِدْعَمٌ أَهْداهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبابِ فَبَيْنَما هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ جاءَهُ سَهْمٌ عائِرٌ حَتَّى أَصابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ. فَقالَ النَّاسُ هَنِيئاً لَهُ الشَّهادَةُ. فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ : ((بَلى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصابَها يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغانِمِ لَمْ تُصِبْها الْمَقاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نارًا)) فَجاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِراكٍ أَوْ بِشِراكَيْنِ فَقالَ: هذا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ؟ فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ : ((شِراكٌ أَوْ شِراكانِ مِنْ نارٍ)).[٢]

شرح غريب الحديث :

<< الْمَتاعَ >> : المتاع في الأصل كل شيء ينتفع به ويتبلغ به ويتزود والفناء يأتي عليه في

---

١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني صاحب رسول الله ﷺ ، سيد الحفاظ الأثبات حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه لم يلحق من كثرته .وكان حفظ أبي هريرة رضي الله عنه الخارق من معجزات النبوة ، عن سعيد وأبي سلمة : أن أبا هريرة قال:إنكم تقولون: إن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد ، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه وسأخبركم عن ذلك إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم ، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يوما أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره فإنه لم ينس شيئا سمعه فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثني به (مسلم ٢٤٩٢) . ودعا له النبي ﷺ بقوله : ((اللهم حبب عبيدك هذا يعني أباهريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبب إليهم المؤمنين)) فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني . (مسلم ٢٤٩١) قال الذهبي:كان أبوهريرة طيب الأخلاق ، وإليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول عليه السلام وأدائه بحروفه.مسنده خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا. وليَّ البحرين لعمر. توفي سنة ٥٧ وقيل ٥٩ للهجرة.

(انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي ٥٧٨/٢ ، والإصابة/ابن حجر ١٩٩/٧).

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب الأيمان والنذور / باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزروع والأمتعة ؟ ٢٩٧/٧ رقم(٦٧٠٧).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان /باب غلظ تحريم الغلول ص٦٢ رقم(١١٥) .

الدنيا.[1]

<< **الْحَوائِط** >> : حاطه يحوطه حوطا إذا حفظه وصانه وذب عنه وتوفر على مصالحه.والحائط: الجدار لأنه يحوط ما فيه، والجمع حيطان. وفي الحديث الحوائط جمع حائط وهو البستان من النخل.[2]

<< **بَنو الضِّبابِ** >> : بكسر الضاد المعجمة وموحدتين الأولى خفيفة بينهما ألف بلفظ جمع الضب،وفي رواية مسلم أهداه له رفاعة بن زيد أحد بني الضبيب بضم أوله بصيغة التصغير، وفي رواية أبي إسحاق رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبني بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها نون وقيل بفتح المعجمة وكسر الموحدة نسبة إلى بطن من جذام .[3]

<< **سَهْمٌ عائِرٌ** >> : بعين مهملة بوزن فاعل أي لا يدرى من رمى به وقيل هو الحائد عن قصده.[4]

<< **الشَّمْلَةَ** >> : هي كساء دون القطيفة يشتمل به الرجل وجمعها شمال.[5]

<< **شِراكٌ** >> : الشراك بكسر المعجمة وتخفيف الراء سير النعل على ظهر القدم ،والجمع شُرُك بضم الشين والراء. وأشرك النعل وشَرَّكَها: جعل لها شراكا .[6]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: فتح خيبر في عهد النبي ﷺ.

الثاني - صدق وعد الله تعالى في غنائم خيبر.

الثالث - من وسائل الترغيب في الجهاد : الغنائم.

الرابع - من أساليب الترغيب في الدعوة : قبول الهدية .

---

١) لسان العرب /ابن منظور ٣٢٩/٨ مادة متع .

٢) المصدر السابق ٢٧٩/٧ مادة حوط ، عمدة القاري/العيني ٢٥٤/١٧.

٣) فتح الباري/ابن حجر ٣٧٥/٧ .

٤) المصدر السابق نفس الصفحة ، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٣٢/٣.

٥) لسان العرب /ابن منظور ٣٦٩/١١ مادة شمل، وعمدة القاري/العيني ٢٥٥/١٧.

٦) المصدر السابق ٤٥١/١٠ مادة شرك، وفتح الباري/ابن حجر ٣٧٥/٧ ، وعمدة القاري/العيني ٢٥٥/١٧ ، وانظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٣٣/٣.

الخامس - حب الصحابة ﷺ للشهادة في سبيل الله وسعيهم لها.

السادس - من أساليب الدعوة: الموعظة.

السابع - من أساليب الدعوة: القسم.

الثامن - تعظيم أمر الغلول .

التاسع - أن السرائر من علم الله ﷻ .

العاشر - المبادرة إلى تصحيح الخطأ عند العلم به .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة : فتح خيبر في عهد النبي ﷺ :

لما نقض يهود بني النضير عهودهم مع النبي ﷺ أخرجهم من المدينة فسكنوا خيبر ولم يكفوا عن أذاهم بل جعلوا يتحرشون بالمسلمين.

وفي منصرف النبي ﷺ من الحديبية نزلت سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة وفيها وعد الله تعالى للمسلمين - أهل بيعة الرضوان - بمغانم خيبر فقدم النبي ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة ، فأقام فيها حتى سار إلى خيبر في المحرم من سنة سبع للهجرة فغزاهم وحاصرهم حتى فتحها الله على المسلمين، وقسم النبي ﷺ حوائطهم وأمتعتهم ودوابهم بين الغانمين.[1]

الثاني - صدق وعد الله تعالى في غنائم خيبر:

صدق الله ﷻ المسلمين وعده في قوله ﷻ : ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [2]، ومن ذلك الغنائم التي حصلوا عليها بعد فتح خيبر قال أبوهريرة رضي الله عنه :- (**غَنِمْنَا الْبَقَرَ وَ الْإِبِلَ، وَالْمَتَاعَ ، وَالْحَوَائِطَ**). عن مروان بن الحكم و المسور بن مخرمة قالا : (انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله ﷻ فيها خيبر ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني خيبر[3]. قال العلامة ابن سعدي - رحمه الله -: [﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ أي غنيمة خيبر،... ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الغنيمة ﴿ءَايَةً

---

١) انظر زاد المعاد / ابن القيم ٣١٧/٣ ، وفتح الباري /ابن حجر ٣٥٦/٧.

٢) سورة الفتح الآية رقم (٢٠).

٣) انظر المصادر السابقة نفس الصفحات.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يستدلون بها على خبر الله الصادق، ووعده الحق، وثوابه للمؤمنين، وأن الذي قدرها، سيقدر غيرها].[1]

وهذا الأمر فيه تذكير للدعاة إلى الله تعالى ، وهو مما يقوي عزائمهم في الدعوة حيث وعدهم الله بالنصر على أعدائهم ، قال الله تعالى :﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[2] فينبغي عليهم أن يحرصوا على الإخلاص في عملهم والبذل فيه وحث إخوانهم المسلمين على نشر الدعوة والصبر عليها حتى يتحقق لهم ما وعدهم الله به من النصر والعزة والتمكين.

الثالث - من وسائل الترغيب في الجهاد :الغنائم:

قال رسول الله ﷺ : ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة)).[3] فكان حل الغنائم للمجاهدين في الإسلام من الحوافز التي تحفزهم على قتال الأعداء وأخذ أموالهم . وليس الحصول على المال هو الهدف الأساس من الجهاد وإنما الهدف الأسمى هو الجهاد لإعلاء كلمة الله، لكن المال وسيلة تشجيع ولهذا كان النبي ﷺ يحرض على القتال ويجعل سلب القتيل من العدو لمن قتله من المجاهدين. قال ﷺ : ((من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه)).[4]

---

١) تيسير الكريم الرحمن/السّعدي ١٠٤/٧.

٢) سورة الحج آية (٤٠).

٣) متفق عليه :صحيح الإمام البخاري:كتاب الصلاة / باب قول النبي ﷺ : ((جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا)) ١٢٩/١ رقم (٤٣٨)،وصحيح الإمام مسلم:كتاب الصلاة/ باب المساجد ومواضع الصلاة ص٢١٢ رقم (١١٦٣).

٤) صحيح الإمام البخاري : كتاب فرض الخمس / باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس، وحكم الإمام فيه ٦٩/٤ رقم (٣١٤٢).

الرابع - من أساليب الترغيب في الدعوة قبول الهدية :

الهدية تجلب المودة في القلوب، وهي مفتاح لجلب الألفة بين المتهادين. فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها).(١)، وهي من أسباب الألفة وتوثيق الروابط الاجتماعية كالتقارب بين المسلمين. يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : (الهدية مندوب إليها ، وهي تورث المودة وتذهب العداوة ...وبالجملة :فقد ثبت أن النبيﷺ كان يقبل الهدية ، وفيه الأسوة الحسنة. ومن فضل الهدية مع أتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المُهدي والمهدى إليه رنّة في اللقاء والجلوس). (٢)

وهي أسلوب من أساليب الترغيب في الدعوة لغير المسلمين أو لتقوية الإيمان إذا كان المُهدي أو المهدى إليه ضعيف الإيمان أو لينال بها حظوة أويحصل بها له دعوة.

وفي هذا الحديث قبل الرسول ﷺ هدية رجل مسلم من بني الضباب رجا منها التقرب من النبي ﷺ حيث ورد (وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وفي الحديث قبول الإمام الهدية).(٣)

الخامس - حب الصحابة رضي الله عنهم للشهادة في سبيل الله وسعيهم لها:

الشهادة في سبيل الله عند أصحاب رسول الله ﷺ من المطالب العالية بل هي أسنى المطالب وقد كانوا يغبطون من قتل في سبيل الله لنيله الشهادة كما في هذا الحديث قالوا (هَنِيئاً لَهُ الشَّهادَةُ)، لما يعرفونه من المنزلة الرفيعة التي بشر الله بها الشهداء في دار كرامته قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ .(٤)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: ((لايقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون دونه)). فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: ((قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)).

---

١) سنن الترمذي: أبواب البر والصلة / باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة عليها ٢٥٧/٣ رقم (٣٠١٩) ،قال عنه الترمذي حديث حسن صحيح غريب.وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - انظر صحيح سنن الترمذي ٣٦١/٢ رقم (١٩٥٣).

٢) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ١٩٩/١٣ - ط٢ - ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م - مطبعة دار الكتب المصرية .

٣) فتح الباري ٣٧٥/٧.

٤) سورة آل عمران الآية (١٦٩).

قال: عُـمير بن الحُمام الأنصاري ﷺ : يا رسـول الله جنـة عرضهـا السـموات والأرض ؟. قـال: ((نعم)). قال: بخ بخ . قال: ((ما يحملك على قول بخ بخ ؟)). قال : لا والله يارسـول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: ((فإنك من أهلها)).فأخرج تمـرات مـن قرنـه فجعـل يـأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معـه مـن التمر ثم قاتلهم حتى قتل).(١)

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يبذلوا أرواحهم في سبيل الدعوة إلى الله إن احتاج الأمر لذلك مع إخلاص النية حتى ينالوا الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي أعده الله لمن قتل في سبيله وابتغاء مرضاته.

السادس - من أساليب الدعوة:الموعظة:

فهذا أسلوب من أساليب الدعوة يوعظ به حتى يحذره الناس .ولهذا أظهر النبي ﷺ خفيـة هذا الرجل ليتعظ به غيره فقال: ((بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا))، وقد حصل الاتعـاظ بالنسبة للرجل الذي جاء بشراك أو شراكين قد غلهما فقد اتعظ بما حدث للغلام والعقـوبة الـتي تنتظـره في الآخرة.

و الداعية يستفيد من هذا الأسلوب الوعظي على اختلاف أنواعه سواء وعظ بآية قرآنية أو حديث نبوي أو بالقصص عن السلف الصالح لأن أسلوب الوعـظ من أكثر الأسـاليب تأثـيراً في المدعوين على أن يراعي في ذلك عـدم التشـهير لغير مصلحـة راجحـة كالمصلحـة الـواردة في الحديث، وأن لا يقصد إيذاء أحد بهذا الأسلوب.

السابع - من أساليب الدعوة: القسم:

استخدام القسم أسلوب دعوي ورد عن النبي ﷺ في الكثير من الأحـاديث. وقـد وردت بصيغ متعددة فمنهـا قولـه ﷺ : ((والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا)) (٢)، وقوله ﷺ : ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)) كما في هذا الحديث. قال الإمـام النـووي –

---

١) صحيح الإمام مسلم:كتاب الإمارة /باب ثبوت الجنة للشهيد ص٨٥٠ رقم (١٩٠١) .

٢) سنن الترمذي :أبواب الزهد /باب ماجاء في قول النبي ﷺ : ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً)) ٣٨١/٣ جزء من الحديث رقم (٢٤١٤) ، وقال عنه الترمذي حسن غريب . وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله – انظر صحيح سنن الترمذي ٥٢٩/٢ رقم (٢٣١٣) .

رحمه الله ـ في أحكام الحديث : (ومنها جواز الحلف بالله تعالى من غير ضرورة لقوله ﷺ والذي نفسي بيده).[١] والنبي ﷺ لا يقسم إلا على حق، ولكن غيره من الدعاة إلى الله تعالى ينبغي ألاّ يكثر من القسم في كلامه للمدعوين لأنه ليس بمعصوم من الخطأ فربما أقسم على شيء يظنه صحيحاً وهو في حقيقة الأمر غير ذلك وقد قال تعالى:﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾.[٢]

الثامن -تعظيم أمر الغلول :

الأموال التي يغنمها المسلمون من العدو أمانة في أيدي الغانمين وأخذ شيء منها قبل القسمة خيانة نهى الله المؤمنين عنها في قولهﷻ: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .[٣] ومسؤوليتها عظيمة وإثمها كبير، قال تعالى :﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.[٤] فأخبر الله تعالى أن الغال يأتي بما غل حاملاً إياه على رقبته يوم القيامة خزياً وعاراً وفضيحة، ويكون ناراً تشتعل على صاحبها كما في هذا الحديث.

ومما يدلنا أيضا على شناعة الغلول أن النبي ﷺ لم يصل على رجل مات وقد غل. فعن زيد بن خالد ﷺ : (توفي رجل من أشجع بخيبر فقال ﷺ : ((صلوا على صاحبكم)). قال: فأنكر الناس ذلك وتغيرت وجوههم فلما رأى ذلك قال : ((إن صاحبكم غل في سبيل الله))، قال زيد: فألتمسوا متاعه ، فإذا خرزات من خرز يهود ما تساوي درهمين).[٥] قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : فقوله ﷺ : ((والذي نفسي بيده)) وامتناعه عن الصلاة على من غل دليل على تعظيم الغلول وتعظيم الذنب فيه وأنه من الكبائر، وهو من حقوق الآدميين ولابد فيه من القصاص بالحسنات والسيئات، ثم صاحبه في المشيئة) [٦]. قال الفقهاء: إن الغال لا يصلي عليه الإمام "أي الإمام الأعظم رئيس الدولة ".[٧] قال الشيخ ابن عثيمين -

---

١) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٨٩/٢.

٢) سورة المائدة جزء من الآية (٨٩).

٣) سورة الأنفال الآية (٢٧).

٤) سورة آل عمران جزء من الآية (١٦١).

٥) سنن ابن ماجة :كتاب الجهاد/باب في الغلول ص٤١١ رقم (٢٨٤٨) وإسناده صحيح ، انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ /ابن الأثير ٧٢١/٢ رقم (١٢١٧) - خرج نصوصه ، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط ـ ط١ ـ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م - نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة البيان.

٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٨/٤ بتصرف ، وانظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٣٠/٣.

٧) الشرح الممتع على زاد المستقنع /الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٤٤٠/٥ ـ اعتنى به وأشرف على طبعه د.سليمان أباالخيل

رحمه الله ـ : (ولما كانت المسألة كبيرة ومتعلقة بعموم المسلمين، امتنع رسول الله ﷺ أن يصلي على الغال نكالاً لمن يأتي بعده، ولا تسقط الصلاة عن بقية المسلمين، فيجب عليهم أن يصلوا عليه).(١)

التاسع ـ أن السرائر من علم الله ﷻ :

الله ﷻ هو المطلع على سرائر العباد وخفايا أمورهم، وله تعالى أن يكشف ما خفي من أعمالهم ويُطلِع عليها من شاء من عباده لحكمة يعلمها كما أطلع نبيه محمداً ﷺ على خفية هذا العبد وسر أمره حتى يحذر الناس مثل هذا العمل ويجتنبوه. قال الله تعالى:﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ .(٢) يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : (ففي هذا دليل على أنه لا ينبغي لنا أن نحكم على شخص بأنه شهيد، وإن قتل في معركة بين المسلمين والكفار، لا نقول فلان شهيد لاحتمال أن يكون غل شيئاً من الغنائم أو الفيء ولو غل قرشاً واحداً، ولو مسماراً زال عنه اسم الشهادة، وكذلك لاحتمال أن تكون نيته غير صواب، بأن ينوي بذلك الحمية أو أن يرى مكانه).(٣)

العاشر ـ المبادرة إلى تصحيح الخطأ عند العلم به:

وهذا من واجب الداعية ألا يسكت على باطل ولا يقر على خطأ فيوضح ويبين الصواب ويصحح الأخطاء التي يرتكبها المدعوون حتى لا يُتأسى بهم في أخطائهم لأن السكوت على الخطأ يجعله ينتشر بين الناس فإذا نبه عليه وحذر منه اجتنبه الناس وتركوه.(٤)

وكان من ثمرة تصحيح الخطأ في هذا الحديث الذي ارتكبه العبد (**فَجاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِراكٍ أَوْ بِشِراكَيْنِ فَقالَ:هذا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ؟**)، ولولا مبادرة النبي ﷺ بالتنبيه على الخطأ لتمادى في غلوله وربما تأسى به غيره فيكثر الغلول وتكثر الخيانات في الجيش.

ود. خالد المشيقح ـ ط٣ ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ـ مؤسسة آسام ـ الرياض.

١) المصدر السابق نفس الصفحة.

٢) سورة العاديات الآيات (٩ـ ١١).

٣) شرح رياض الصالحين ٤/٦٤٣.

٤) انظر الفائدة (٢) من الحديث (٥) ص ٦٤.

١٠-(٤٢٤٢) . حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا حَرَمِيٌّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنِي عُمَارَةُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ [١] قَالَتْ: (لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ قُلْنَا الآنَ نَشْبَعُ مِنَ التَّمْرِ) . [٢]

١١-(٤٢٤٣). حدثنا الْحَسَنُ حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ حُبَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ [٣] قَالَ: (مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ). [٤]

---

١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ﵄، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر.ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين. تزوجها رسول اللهﷺ قبل الهجرة بسنتين وهي بكر، وبنى بها في شوال من السنة الأولى من الهجرة، وهي زوجته في الدنيا والآخرة، وليس فوق هذا فخر. وكان جبريل قد عرض على رسول الله ﷺ صورتها في سرقة حرير في المنام لما توفيت خديجة (مسلم ٢٤٣٨).توفي رسول الله ﷺ بين يديها وسمعت آخر ما تكلم به (متفق عليه). أفقه نساء الأمة على الإطلاق. روت علما طيبا مباركا فيه.وكان أكابر الصحابة ﷺ يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رباح:كانت عائشة من أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً، وعلو مجد .فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة .قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: ما أشكل علينا أمرا فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما. وقال الذهبي: ولا أعلم في أمة محمدﷺ ، بل في النساء مطلقا امرأة أعلم منها. وقد بلغ مسندها (٢٢١٠) أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على (١٧٤)، وانفرد البخاري ب(٥٤) حديثا.توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وخمسين للهجرة، وقيل ثمان وخمسين.
(انظر: أسد الغابة /ابن الأثير ١٨٦/٧، وحلية الأولياء /أبو نعيم ٣٤/٢، وسير أعلام النبلاء /الذهبي ١٣٥/٢، والإصابة /ابن حجر ١٣٩/٨).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ﵄، أمه وأم أخته حفصة: زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحية. أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، كانت هجرته قبل هجرة أبيه. وأجمعوا على أنه لم يشهد بدراً استصغره النبي ﷺ فرده واختلفوا في شهوده أحداً، قال عنه رسول الله ﷺ : ((إن عبد الله رجل صالح)) (متفق عليه)، وقال ((نعم الرجل عبد الله)) (البخاري ٣٧٣٩).كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى إنه ينزل منازله ويصلي في كل مكان صلى فيه وحتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر ﵄ يتعاهدها بالماء لئلا تيبس.قال الشعبي: كان ابن عمر ﵄ جيد الحديث ولم يكن جيد الفقه .وكان ابن عمر ﵄ شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه، قال نافع:كان ابن عمر ﵄ إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه.كان من زهاد الصحابة وأكثرهم اتباعا للسنن وأعرضهم عن الفتن .مات وهو ابن ست وثمانين وقيل أربع وثمانين . (انظر: الطبقات /ابن سعد ١٤٢/٤ ، وحلية الأولياء /أبو نعيم ٧/٢ ، والإصابة /ابن حجر ١٠٧/٤).

٤) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

شرح غريب الحديثين :

<< الآنَ نَشْبَعُ مِنَ التَّمْرِ >> : أي لكثرة ما فيها من النخيل وفيه إشارة إلى أنهم كانوا قبل فتحها في قلة من العيش .[١]

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة : فتح خيبر في عهد النبي ﷺ.

الثاني - من وسائل الترغيب في الجهاد : توفر الخيرات في البلاد المفتوحة .

الثالث - حرص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على إيضاح فضل الله على عباده.

الرابع - من موضوعات الدعوة: وجوب شكر النعم.

الخامس - تعليم الأبناء والموالي.

السادس - استخدام أسلوب النفي في تأكيد الأمر.

السابع - بيان حال المسلمين في أول عهد الإسلام.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: فتح خيبر في عهد النبي ﷺ :

فتح الله للمسلمين مدينة خيبر بعد حصار دام بضع عشرة ليلة ، وغنموا غنائم كثيرة لغنى هذه البلاد وكثرة ثرواتها ومزارعها . وكان ذلك في المحرم من السنة السابعة للهجرة.[٢]

---

١) فتح الباري/ابن حجر ٣٨٠/٧ ، وعمدة القاري/العيني ٢٥٩/١٧ .

٢) انظر الفائدة (٢) من الحديث (١) ص ٤٧.

الثاني - من وسائل الترغيب في الجهاد: توفر الخيرات في البلاد المفتوحة:

الرسول ﷺ لم يكتف بالدعوة في المِصْرَين مكة والمدينة و ما بينهما من بلاد الحجاز بل وسع رقعة الدولة الإسلامية ونشر الدعوة في بلدان كثيرة ولا أدل على ذلك من مخاطبته ملوك الشام والعراق وكتابه للمقوقس في مصر.(١)

ومن الفتوحات التي تمت في عهد النبي ﷺ فتح خيبر وهذه الفتوحات من أسباب توفر الخيرات وسعة الرزق وخيبر كانت بلاداً غنية بالتمر وغيره من المنتجات الزراعية ووجود هذه الوفرة من الخيرات في البلاد المفتوحة من الوسائل التي شجعت المسلمين على القيام بالجهاد وتوسيع رقعة الإسلام حتى حازوا على الكثير من الثروات كملك كسرى وقيصر كما يبرز للعيان أثر القوة الاقتصادية في قوة الدولة الإسلامية .

الثالث - حرص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على إيضاح فضل الله على عباده:

وهذا من واجبات الداعية أن يلفت أنظار المدعوين إلى نعم الله تعالى عليهم ليشكروه ، وهو من صفات المؤمن الشاكر الذي يذكر فضل الله ولا ينساه .

وهو من التحدث بنعمة الله الذي يقوي الإيمان في القلب ويربط العبد الشاكر بخالقه المعطي المتفضل . قال تعالى:﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.(٢) قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : (أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها للناس وإشهارها بينهم، والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها أو نوع من أنواعها).(٣)

وهذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ وقد التزمه وأمر به أمته ،فكانت الاستجابة من صحابته الكرام ، فهذه عائشة رضي الله عنها تقول : (لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ قُلْنَا الآنَ نَشْبَعُ مِنَ التَّمْرِ) ، وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول : (ما شَبِعْنَا حَتَى فَتَحْنَا خَيْبَرَ).

الرابع - من موضوعات الدعوة:وجوب شكر النعم:

الشكر لله واجب على عباده وهو من أسباب زيادة النعمة، قال تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.(٤) فالشكر زيادة في النعمة وكفرها

---

١) انظر:البداية والنهاية /ابن كثير ٢٩٨/٤.

٢) سورة الضحى الآية رقم (١١).

٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير /محمد بن علي الشوكاني ٤٥٩/٥ - سنة الطبع ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

٤) سورة إبراهيم الآية (٧).

بعدم شكرها والاعتراف لله بها سبب لغضب الله وعذابه .وقد ربط الله بين شكر النعمة وذكره تعالى قال ﷻ :﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ .(١)

وشكر النعمة من الموضوعات الدعوية التي يجب أن يهتم بها الداعية أثناء تعليمه الناس لأن إهمال مثل هذا الأمر قد يوجب سخط الله عليهم ونزعها عنهم ، وذلك اقتداءً برسول اللهﷺ حيث كان يحرص دائما على تنبيه أصحابه لذلك ؛ يؤيد ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه أبوهريرة ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا:الجوع يا رسول الله قال :- ((وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا)) فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا .فقال لها رسول الله ﷺ :- ((أين فلان ؟)) قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء . إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب. فقال: كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ : ((إياك والحلوب)) فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : ((والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم)).(٢) قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (وإنما قال النبي ﷺ هذا استخراجاً للشكر على النعم وتعظيماً لذلك).(٣)

الخامس ـ تعليم الأبناء والموالي:

من واجبات المسلم تجاه أبنائه أن يعلمهم ويربيهم التربية الدينية الصحيحة على المنهج الإسلامي القويم ، فإن الأبناء عموماً ينشأون على ما نشأهم عليه الأبوان. وإن أولى الناس بتعليم الرجل هم أولاد الرجل ومن ولاه الله رعايتهم وحمّله مسؤوليتهم وإذا أهملهم حتى نشأوا جاهلين تعرض للمسآلة من الله ﷻ لقول النبي ﷺ: ((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها

١) سورة البقرة الآية (١٥٢).

٢) صحيح الإمام مسلم:كتاب الأشربة /باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه... ص٩٠٨ رقم (٢٠٣٨).

٣) المفهم ٣٠٧/٥ ، وانظر شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٢٢٧/١٣ ـ ٢٢٨.

وولده وهي مسؤولة عنهم..)). (1) وقد التزم السلف الصالح بهذا الأمر وعملوا به فكانوا يحرصون على تعليم أبنائهم العلم الشرعي ، فهذا عبد الله بن دينار يعلم ابنه عبد لله ما منَّ الله به على المسلمين يوم فتحت خيبر.كما ظهر في هذا الحديث أيضا تعليم الموالي حيث علم ابن عمر رضي الله عنهما مولاه ابن دينار ما كانوا فيه من قلة عيش وما تحصل لهم بفضل الله من فتحهم لخيبر من الخير الكثير. وفعل ابن عمر رضي الله عنهما هذا دليل على أهمية العناية بالموالي والخدم وتعليمهم فضل الإسلام وثمار نصرته سواء كانت ثماراً في الدنيا أو الآخرة.

السادس - استخدام أسلوب النفي في تأكيد الأمر :

أسلوب النفي من أساليب اللغة العربية لتأكيد الخبر، هو أسلوب دعوي جيد إذا استخدمه الداعية في الوقت الذي يتناسب معه كأن يرى شخصاً معروفاً بالصلاح يفعل أمراً يخالف الشرع فيقول له: ما ورد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته أنهم فعلوا ذلك ونحو ذلك .

وفي هذا الحديث استعمل الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أسلوب النفي فقال: (ما شَبِعْنَا حَتى فَتَحْنَا خَيْبَرَ) ، ليؤكد لنا أن المسلمين شبعوا من التمر لما فتحت خيبر نظراً لتوفر التمر وكثرته وأنه أصبح ميسوراً متى أرادوه ، وابن عمر رضي الله عنهما كان واحداً من المهاجرين الذين لا يملكون نخلاً في المدينة فلما فتحت خيبر أصابوا نخلاً أغناهم الله به .

السابع - بيان حال المسلمين في أول عهد الإسلام:

هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، تاركين أموالهم في بلادهم، والأنصار في المدينة كانوا أصحاب نخل وزرع لكن الثروة والتجارة كانت بأيدي اليهود فاستأثروا بأموالهم .وعندما قدم المهاجرون إلى المدينة آثر الأنصار إخوانهم المهاجرين وقسموا فيما بينهم ما يملكون مع حاجتهم وهذا ما أشار إليه الله ﷻ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (2) .

(ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن فتح الله عليهم وادي القرى ، وخيبر وغير ذلك فردوا لهم منائحهم

---

١) متفق عليه:صحيح الإمام البخاري :كتاب الأحكام /باب قول الله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ١٣٣/٨ رقم (٧١٣٨) ،وصحيح الإمام مسلم:كتاب الإمارة :فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية،والنهي عن إدخال المشقة عليهم ص٨١٩ رقم (٤٧٢٤).

٢) سورة الحشر الآية (٩).

، واستغنوا بما فتح الله عليهم)[١]. وقد أشار النبيﷺ إلى حالهم قبل الإسلام في كلمته ﷺ التي قالها للأنصار يوم حنين جاء فيها ((ألم تكونوا فقراء فأغناكم الله بي))[٢] فهذا فيه بيان لحال المسلمين في أول الإسلام من قلة ذات اليد، وما حصل لهم باتباعه والجهاد معه من الغنى والنعمة. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (فيه دلالة على أنهم كانوا في قلة عيش قبل فتح خيبر).[٣]

وفي هذا درس عظيم للمسلمين بفضل الإسلام عليهم وأنه لولا جهادهم في سبيله وإعلاء كلمة الله وبذل ما يستطيعون دونه لما حصل لهم هذا النصر العظيم والمكانة الرفيعة التي ذلت لها أعناق غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .

قال عمر بن الخطاب ﷺ: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).[٤]

---

١) المفهم /القرطبي ٣٠٥/٥.

٢) انظر الحديث رقم (٢٧) من البحث ص ١٧٠.

٣) عمدة القاري ٢٥٩/١٧ ،وانظر الإفصاح /ابن هبيرة ٢٤٣/٤.

٤) المستدرك على الصحيحين للإمام محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري :كتاب الإيمان ٦٢/١ وقال الإمام الذهبي هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٤٥ ـ باب غَزْوَةِ مُؤتَةَ مِنْ أرْضِ الشَّامِ

١٢-(٤٢٦٠) ـ حدثنا أَحْمَدُ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ عَمْرٍو، عَنِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي نَافِعٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ[١] أَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ[٢] يَوْمَئِذٍ، وَهْوَ قَتِيلٌ فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ.[٣]

وفي رواية: (أَمَّرَ رَسُولُ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤتَةَ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ[٤] فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ[٥]))، قَالَ عَبْدُ الله: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١) ص ٨٥.

٢) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله ابن عم النبي ﷺ، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأخو علي شقيقه. كان النبي ﷺ يكنيه أبا المساكين، وقال له: ((أشبهت خلقي وخُلُقي)) (البخاري ٤٢٥١).هاجر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه. استشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر، سنة ثمان للهجرة.

(انظر: أسد الغابة / ابن الأثير ٣٤١/١، وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ٢٥/١، والإصابة /ابن حجر ٨٥/١).

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب المغازي / باب غزوة مؤتة من أرض الشام ١٠٢/٥ رقم (٤٢٦١).

٤) هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرىء القيس بن عامر بن النعمان، وأمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء. يكنى أبا أسامة وهو مولى رسول الله ﷺ أشهر مواليه وهو حب رسول الله ﷺ أصابه سباء في الجاهلية، تبناه الرسول ﷺ قال ابن عمر ﷺ: ماكنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ الأحزاب(٥). آخى رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب ﷺ. قتل في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة ولما أتى رسول الله ﷺ خبر قتل جعفر وزيد بكى وقال: أخواي ومؤنساي ومحدثاي وشهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ولم يسم الله أحداً من أصحاب النبي ﷺ إلازيد بن حارثة ـ وذلك في سورة الأحزاب الآية (٣٧).

(انظر: الطبقات /ابن سعد ٤٠/٣، أسد الغابة/ابن الأثير ٢٢٤/٢، الإصابة/ابن حجر ٢٤/٣).

٥) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو الأنصاري الخزرجي، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، من بني الحارث أيضا. كان ممن شهد العقبة، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ إلا الفتح وما بعده فإنه قتل قبله. وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة، وهو خال النعمان بن بشير ﷺ. وكان أول خارج إلى الغزو وآخر قافل. قتل شهيداً في مؤتة سنة ثمان للهجرة.

(انظر: أسد الغابة / ابن الأثير ١٣/٣، وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي /إعداد الحمصي٢٦/١).

الْقَتْلى وَوَجَدْنا ما فِي جَسَدِهِ بِضْعاً وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ). (١)

١٣-(٤٢٦٢) . حدثنا أَحْمَدُ بْنُ واقِدٍ حَدَّثَنا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلالٍ عَنْ أَنَسٍ ﷺ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعى زَيْداً وَجَعْفَراً وابْنَ رَواحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقالَ : ((أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَواحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفانِ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِم)). (٣)

شرح غريب الحديثين :

<< دُبُرِهِ >> : بضم الموحدة وسكونها يعني ظهره بيان فرط شجاعته وإقدامه .(٤)

<< مُؤْتَةَ >> : بلدة أردنية تقع جنوب الكرك غير بعيدة عنها .(٥)

<< نَعى >> : النعي خبر الموت، والناعي المخبر بذلك .(٦)

<< تَذْرِفانِ >> : الذرف: صب الدمع . وذرف الدمع يذرف ذرفا وذرفانا :سال.وتذرفان بذال معجمة وراء مكسورة أي تدفعان الدموع .(٧)

---

١) الطرف رقم (٤٢٦١).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٢) ص٥٠.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) الكواكب الدراري /الكرماني ١٢١/١٦ ـ ط٢ـ ١٤٠١هـ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، فتح الباري/ابن حجر ٣٩٤/٧ ، وعمدة القاري/العيني ٢٦٨/١٧ ، وفتح المبدي/ الشرقاوي ١٣٦/٣ .

٥) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية / عاتق بن غيث البلادي ص٣٠٤ ـ ط١ ـ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ـ دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة.

٦) تفسير غريب ما في الصحيحين /للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ص٢٨٧ ـ دراسة وتحقيق د.زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز ـ ط١ ـ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ـ مكتبة السنة ـ القاهرة.وانظر حاشية السندي على سنن النسائي مع شرح السيوطي ١٣/٤ ـ اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه عبد الفتاح أبوغدة ـ ط٢ ـ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٧) لسان العرب /ابن منظور ١٠٩/٩ مادة ذرف ، وفتح الباري/ابن حجر ٣٩٤/٧ ، وعمدة القاري/العيني ٢٦٩/١٧ ، وانظر شرح السيوطي على سنن النسائي ٢٦/٤.

<< سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ >> : أراد به خالد بن الوليد ﷺ فمن يومئذ سمي خالد سيف الله.[١]

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الموالي .

الثاني - من صفات الداعية: الشجاعة في الجهاد في سبيل الله .

الثالث - من أساليب الدعوة: ذكر العدد لبيان شجاعة جعفر بن أبي طالب ﷺ .

الرابع - من تاريخ الدعوة: امتداد الفتح الإسلامي في عهد النبي ﷺ إلى مؤتة .

الخامس - من وسائل الدعوة: الجهاد في سبيل الله.

السادس - من وسائل الدعوة: تأمير الأمراء على البعوث .

السابع - أهمية التخطيط للأمر الدعوي.

الثامن - من دلائل النبوة : الإشعار بمقتل من ذكرهم على الترتيب ثم الإخبار بذلك قبل وصول الخبر.

التاسع - تحقيق مبدأ المساواة في الإسلام .

العاشر - من أساليب الدعوة:بيان حال الصحابة ﷺ للاقتداء بهم.

الحادي عشر - أن الابتلاء أمر ملازم للدعوة إلى الله .

الثاني عشر - الحرص على حسن الخاتمة بتقديم أقصى ما يستطيعه.

الثالث عشر - حرص الصحابة ﷺ على إعلاء راية التوحيد رغم شدة القتال.

الرابع عشر - أهمية وصف المسلم بما يليق به.

الخامس عشر - تحقق النصر للإسلام والمسلمين في عهد النبي ﷺ.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) عمدة القاري/العيني ٢٦٩/١٧ .

الأول - تعليم الموالي :

دل هذا الحديث على اهتمام الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بتعليم مولاه نافع وحرصه على اطلاعه على حال صحابة رسول الله ﷺ، وما قدموه من بلاء في الدين، وبذل للنفس في سبيل نشر الإسلام؛ ومنهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فينبغي للمسلم أن يقتدي بابن عمر في هذا الحرص وغيره من الصحابة ممن ضربوا مثلاً في الاهتمام بنشر العلم، وأن يهتم بتعليم خدمه أمور الدين، وسيرة النبي ﷺ وصحبه لينتفعوا بالعلم وينفعوا الأمة بمماثلتهم لهم في عطائهم، وفدائهم الدين بالنفس والمال. وقد ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما قال لمجاهد بن جبر: وددت أن نافعاً يحفظ حفظك.[١] وهذا يؤكد لنا ذلك الاهتمام منه .

الثاني - من صفات الداعية: الشجاعة في الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله من أفضل أعمال البر بل هو ذروة سنام الإسلام، ولا يقصر على الجهاد بالسيف إنما الجهاد يكون بالقول والفعل، والشجاعة من أهم متطلبات الجهاد فبها يستطيع المسلم أن يحقق مبتغاه سواء بالقول أو بالعمل. ولن يكون له ذلك إلا إذا استشعر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ودحر الأعداء وتحقيق العزة والكرامة لهذا الدين. وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه استلهم كل معاني الجهاد في سبيل الله فأقدم إلى حرب أعداء الإسلام بكل ما أوتي من قوة حتى لقد قطعت يديه ولم يأبه بذلك بل رفع الراية بعضديه .

(عن رجل من بني مرة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل).[٢] وذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد : (ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة ، فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعاً ، وأخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال ، اقتحم عن فرسه ، فعقرها ، ثم قاتل حتى قتل فكان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتال فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره ، فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة).[٣] قال الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله - : (وفيه أيضا ما يدل على شجاعة جعفر، وأنه كان به بضع

---

١) شذرات الذهب/ابن العماد ١/١٢٥.

٢) أسد الغابة /ابن الأثير ١/٣٤٣ ، والبداية والنهاية /ابن كثير ٤/٢٧٨، وفتح الباري / ابن حجر ٧/٣٩٣.

٣) زاد المعاد ٣/٣٨٣.

وسبعون جراحة كلها ليست في ظهره ،فانظر إلى عزم ثبت عليه قلب حتى صبر على مثل هذا فما انثنى ولا انهزم).[١]

وللداعية في صحابة رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في شجاعتهم وإقدامهم ،خاصة للداعية الذي يقف في أول الطريق الدعوي محتجا بعدم قدرته أو إعراض الناس عنه ومعاداتهم له، نقول له إن طريق الدعوة طويل وشاق ولابد من اقتحامه بشجاعة وإقدام ولا يكون إلا مع إيمان بالله تعالى واحتساب الأجر منه سبحانه .

الثالث ـ من أساليب الدعوة: ذكر العدد لبيان شجاعة جعفر بن أبي طالب ﷺ :

ذكر العدد من أساليب الدعوة لبيان ما يلقاه المسلم من البلاء الذي يعظم به الجزاء وترتفع به الدرجات، وفي قوله: (فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ) وقوله: (فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى وَوَجَدْنَا ما فِي جَسَدِهِ بِضْعاً وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ) بيان لشجاعة هذا الداعية جعفر بن أبي طالب ﷺ الذي جاهد في سبيل الله بعزيمة وإصرار لم تفتتها الضربة ولا الضربتان فجعل ﷺ يكابد ويصارع إلى آخر رمق طلباً لزيادة الأجر من الله تعالى.

الرابع ـ من تاريخ الدعوة:امتداد الفتح الإسلامي في عهد النبي ﷺ إلى مؤتة :

توسعت رقعة الدولة الإسلامية داخل الجزيرة العربية ، وانتشرت الدعوة في أنحائها ولم يبق للمسلمين عدو في عهد الرسول ﷺ إلا في الدول المتاخمة للجزيرة العربية دولة الروم ودولة فارس وكان النبي ﷺ قد كتب إلى عظيم الروم (هرقل) يدعوه إلى الإسلام وكاد أن يستجيب لولا أنه رأى استنكار حاشيته وبطانة السوء من حوله [٢]، وعن بطانة السوء هذه انتشرت في الدولة روح العداء ضد الإسلام وأهله حتى إن أمير دمشق لما أتته من الرسول ﷺ رسالة لم يشأ أن يجعل لها جواباً إلا التهيؤ لحرب المسلمين لولا نهي قيصر له لانشغالهم بشؤونهم الداخلية ، وحتى لقد قتل شرحبيل بن عمر الغساني رسولاً مسلماً وهو الحارث بن عمير الأزدي ﷺ أرسله النبي ﷺ برسالة إلى أمير بصرى يدعوه للإسلام ، وكان هذا سبب موقعة مؤتة سنة ثمان من الهجرة .[٣]

---

١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٤/٢٣٦.

٢) انظر البداية والنهاية /ابن كثير ٤/٣٠٠.

٣) انظر: زاد المعاد /ابن القيم ٣/٣٨١ ، وفتح الباري / ابن حجر ٧/٣٩٣ ، ومنار القاري /حمزة قاسم ٤/٣٦٤.

الخامس - من وسائل الدعوة: الجهاد في سبيل الله:

وهذه هي حقيقة الجهاد فإن الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وهذه الوسيلة تأتي بعد أن تقدم الدعوة إلى العدو فإن قبلها وإلا أمر بدفع جزية للمسلمين فإن رفض قوتل ، فالحرب في الإسلام لم تشرع إلا لأنبل المقاصد وأسمى الأغراض؛ لم تشرع إلا لأمن الدعوة وسلامة الدولة وأن يكون الدين كله لله، حتى إذا أحرزنا الغاية المرجوة وهي نشر الدعوة؛ وذلك بأن يسلم العدو أو يخضع لحكمنا وجب أن تضع الحرب أوزارها، وهو قوله تعالى :﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [1] [2]. ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن بريدة ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: ((اغزو باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم؛ ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ... فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم)) [3]، وفي حديث سلمان الفارسي ﷺ: (أنه انتهى إلى حصن، أو مدينة، فقال لأصحابه: دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال لهم: إنما كنت رجلاً منكم فهداني الله للإسلام، فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، فإن أبيتم نابذناكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، ففعل ذلك بهم ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الرابع أمر الناس، فغدوا إليها ففتحوها). [4]

وقد أرسل النبي ﷺ رسولاً إلى أمير بصرى حاملاً رسالة من النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام

---

١) سورة البقرة الآية (١٩٣).

٢) مذكرة العلاقات الدولية في الإسلام /للدكتور إبراهيم عبدالحميد ص٢٦ ـ طبعت سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ،وانظر المغني/ابن قدامة ٢٩/١٣.

٣) صحيح الإمام مسلم :كتاب الجهاد /باب تأمير الإمام الأمراء ص٧٦٨ رقم (١٧٣١).

٤) نصب الراية لأحاديث الهداية /للإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي كتاب السير ٣٧٨/٣- ط١ -١٣٥٧هـ/١٩٣٨م - مطبعة دار المأمون بشبرا.

فقتل أمير بصرى الرسول وهو الحارث بن عمير الأزدي ﷺ فكان هـذا رفضاً منه للدعوة، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسولا غيره ولذا أرسل النبي ﷺ هذه السرية لهم، وأمرهم أن يـأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعو من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم.(١)

السادس - من وسائل الدعوة: تأمير الأمراء على البعوث :

إن في قول ابن عمر ﷺ :- (أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُوتَةَ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ) دليلاً على أن تأمير الأمير على البعث أو السرية من الوسائل التي اتخذها النبيﷺ في دعوته ، حيث لم يكن يرسل بعثاً إلا أمّر عليه أميراً ، وأمرهم أن يطيعوه ، والدخول في ولايته ، والقبول لأمره ونهيه في غير معصية الله ،ويفوضوا أمرهم إليه ، ويكلوه إلى تدبيره ، وذلك جمعاً لكلمة المسلمين، وتوحيداً لصفوفهم فإنه لابد من اختلاف الآراء فحينئذ يحدث تنازع وفوضى في الجيش (٢)، وهذه سنته ﷺ . وقد أفرد الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه باباً في كتاب الجهاد أسماه الإمام النووي (تأمير الإمام الأمراء على البعوث) وذكر فيه أحاديث في التأمير. قال القاضي عياض - رحمه الله - : (وقد استحب هذا العلماء أن يمثل ذلك في الوقعة في السفر وغيره ليرجع رأيهم إلى واحد ، فإن الرأي متى انتشر وخرج عن واحد وقع الخلاف وفسد النظام).(٣)

السابع - أهمية التخطيط للأمر الدعوي:

التخطيط للأمر الدعوي أمر مهم للدعاة وهكذا تكون القيادة الحكيمة فإن القائد الناجح هو الذي يستطيع أن يضع التخطيط المناسب لكل عمل يقوم به حتى يثمر ثماره ،ويتم على الوجه الأكمل ، وبدون التخطيط يبذل الكثير من الجهد ويضيع الكثير من الوقت على إنتاج ضئيل .

والرسول ﷺ في هذا الحديث رتب للمعركة قبل الخروج إليها ووضع قادة لها واحداً بعد آخر في حال مصرع حاملها حرصاً على استمرار ظهور قوة الجيش المسلم ؛ قال:- ((إِنْ قُتِلَ

---

١) انظر الطبقات الكبرى/ابن سعد ١٢٨/٢،وزاد المعاد/ابن القيم ٣٨١/٣.

٢) المنهج المسلوك في سياسة الملوك /عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن الشيزري ص٦٢٧ - تحقيق ودراسة علي عبد الله الموسى - ط١ - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م - مكتبة المنار - الأردن .

٣) إكمال المعلم ٣٧١/٦.

زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ))، ولم يكن ذلك منه إلا لحكمة عظيمة وحسن تدبير، وبهذه الحكمة في القيادة والتنظيم استطاع ﷺ أن ينشر الدعوة الإسلامية في أرجاء الأرض ، وأن يخضع أقوى الملوك لسلطان الإسلام .

وقد استلهم صحابته ﷺ أهمية هذا التخطيط في تحقيق النصر فهذا خالد بن الوليد ﷺ لما قتل القادة الثلاثة الذين عينهم الرسول ﷺ، أخذ الراية وبحكمته وحنكته في الحروب جعل مقدمة الجيش ساقته وميمنته ميسره فظن العدو أنهم جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين.(١)

الثامن - من دلائل النبوة: الإشعار بمقتل من ذكرهم على الترتيب ثم الإخبار بذلك قبل وصول الخبر:

إن من دلائل النبوة في هذا الحديث ترتيب رسول الله ﷺ للقادة وذكر توليهم تباعا بعد قتلهم فكأنه أخبر بأن هؤلاء سيقتلون في هذه المعركة جميعا وهذا ما حدث بالفعل فدل على صدق نبوته.(قال نعمان اليهودي لما سمع ذلك من النبي ﷺ - أي قوله ((إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُاللهِ بْنُ رَوَاحَةَ)) - : يا أبا القاسم ، إن كنت نبياً فسميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ، إن الأنبياء في بني إسرائيل إذا استعملوا الرجل ثم قالوا: إن أصيب فلان فلو سمى مائة أصيبوا جميعاً).(٢)

ومن دلائل نبوته أيضا أنه ﷺ نعى الصحابة الثلاثة ﷺ قبل أن يأتيهم خبرهم فدل هذا أيضا على نبوته حيث أطلعه الله ﷺ على أمرهم . ذكر موسى بن عقبة - رحمه الله - في المغازي : (أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله ﷺ إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك . قال :فأخبرني . فأخبره خبرهم فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره فقال رسول الله ﷺ : ((إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم)).(٣) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله : (وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة).(٤)

---

١) انظر البداية والنهاية /ابن كثير ٢٨٢/٤،وفتح الباري /ابن حجر ٣٩٥/٧ .

٢) البداية والنهاية /ابن كثير ٢٧٥/٤.

٣) زاد المعاد /ابن القيم ٣٨٤/٣ ،البداية والنهاية /ابن كثير ٢٨٢/٤، فتح الباري / ابن حجر٣٩٤/٧ ، إرشاد الساري/ االقسطلاني ٣٨٣/٦.

٤) فتح الباري ٣٩٥/٧ ،وانظر عمدة القاري للعيني ٢٦٩/١٧.

التاسع - تحقيق مبدأ المساواة في الإسلام :

إن مما يستفاد من هذا الحديث تحقيق النبي ﷺ لمبدأ المساواة بين المسلمين حيث أمر على جيش مؤتة مولاه زيد بن حارثة بما فيه من كبار الصحابة ﷺ، بل وقدمه على ابن عمه جعفر بن أبي طالب ﷺ، فقد جاء في هذا الحديث :- أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُوتَةَ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :- ((إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ)))، كما أمر ابنه أسامة ﷺ على جيش فيه المهاجرين والأنصار ليثبت بذلك لأمته أن الإسلام دين المساواة ولا فرق بين أتباعه مهما علت مراتبهم في الدنيا، فمتى وجد من يستحق القيادة فلا ينظر إلى من يكون في الحسب والنسب.وهذا لما طعن المنافقون في إمرة أسامة وأبيه لكونهما موالي غضب رسول الله ﷺ وقال:- ((إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للإمرة، وإنه كان لمن أحب الناس إليَّ وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده))[1] . قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (وكان الطعن في إمارة زيد ﷺ من حيث أنه كان مولى ، فشهد النبي ﷺ لأسامة وأبيه ﷺما بأنهما صالحان للإمارة، لما يعلم من أهليتهما لها، وأن كونهما موليين لا يغض من مناصبهما، ولا يقدح في أهليتهما للإمارة). [2]

العاشر - من أساليب الدعوة: بيان حال الصحابة ﷺ للاقتداء بهم:

الصحابة ﷺ هم خير من يقتدى به بعد النبي ﷺ ؛ لأنهم صحبوا النبي ﷺ ، وأخذوا السنة القولية والفعلية منه مباشرة وحرصوا على تطبيقها على وجهها الصحيح ،فما ورد عنهم فهو مجال للاقتداء ولهذا قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: (من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علماً وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الصراط المستقيم).[3]

---

١) صحيح الإمام البخاري:كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ /باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ ٢٥٦/٤ رقم (٣٧٣٠).وصحيح الإمام مسلم :كتاب فضائل الصحابة ﷺ /باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد ﷺما ص١٠٦٨ رقم (٢٤٢٦) واللفظ له .

٢) المفهم ٣٠٨/٦.

٣) إعلام الموقعين /ابن القيم ١١٣/٤، وذكره أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر ٣٠٦/١.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى ألا يغفلوا هذا الأسلوب في دعوتهم وتعليمهم ، وأن يكثروا من ذكر ما ورد عن صحابة رسول الله ﷺ من حرص على التعلم ، وشجاعة في الحرب ، والطاعة الكاملة لله ورسوله ﷺ.

الحادي عشر - أن الابتلاء أمر ملازم للدعوة إلى الله :

قال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.(١) وقال ﷻ : ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.(٢) فالابتلاء من الأمور الملازمة للدعوة إلى الله فما قامت دعوة على وجه الأرض إلا بعد أن أُبتلي أصحابها ومحّصَ الله قلوبهم ، واستخرج عبوديتهم، وذلهم لله، وافتقارهم إليه، وسؤاله نصرهم على أعدائهم، ولو كانوا دائما منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا، ودخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول فإنه تبع من له الغلبة والعزة. ولو كانوا دائما مقهورين مغلوبين منصورا عليهم لما قامت للدين قائمة. ولذا اقتضت حكمة الخالق ﷻ أن يبتليهم ليؤهلهم للتمكين في الأرض فيقيموا دينه وشعائره، ويجاهدوا عدوه، وينصروا أولياءه(٣). وفي الحديث وجد جعفر ﷺ من البلاء ما لا يطيقه إلا المؤمن الصادق والمجاهد الموقن بالثواب من الله تعالى، فصبر واحتسب.قال ابن هشام في وصف ما أصاب جعفر ﷺ: (وحدثني من أثق به من أهل العلم: أن جعفر ﷺ أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل. ويقال إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين).(٤)

لذا وجب على الدعاة إلى الله ﷻ مجاهدة النفس والصبر على ما يصيبهم في سبيل الدعوة وعدم الاستسلام للمعوقات لأنه لابد منها ولابد للداعية من التغلب عليها للوصول إلى ما يريد.

الثاني عشر - الحرص على حسن الخاتمة بتقديم أقصى ما يستطيعه:

ينبغي على المسلم أن يبذل جهده في تحصيل الخاتمة الحسنة ليفوز في الآخرة ،وأن يسعى إلى ذلك بالحرص على الأعمال الصالحة وتقديم أقصى ما يستطيعه، وأقصى ما يستطيعه الإنسان

---

١) سورة آل عمران الآية (١٤٢).

٢) سورة العنكبوت الآيات (١،٢،٣).

٣) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان /ابن قيم الجوزية ٢/٢٠٢ - تحقيق محمد حامد الفقي - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م - دار الكتب العلمية - بيروت .

٤) البداية والنهاية /ابن كثير ٤/٢٧٩.

هو نفسه وأغلى ما يبذله في سبيل الله هو دمه فيكون من الشهداء يوم القيامة إن شاء الله تعالى، والشهادة من أجلِّ خواتيم الأعمال ، ولهذا كان الصحابة ﷺ أحرص الناس على طلب الشهادة والتضحية في سبيلها.

فهذا جعفر ﷺ قد أبلى بلاءً عظيماً في هذه الغزوة ، فعقر فرسه وقاتل حتى قتل[١] وعُدَّ ما في جسده فوُجِدَ (ما فِي جَسَدِهِ بِضْعاً وَتِسعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ) في قبله قبل أن يُقتل، كما ذكر الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في الجمع بين الروايتين قال: (أن ابن عمر ﷺما اطلع على هذا العدد وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، وإن هذه في قبله أصيبها قبل أن يقتل ، فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضا ضربات في ظهره، فعد ابن عمر ﷺما ما كان في قبله وهو في وجه الأعداء قبل أن يقتل ﷺ).[٢]

الثالث عشر ـ حرص الصحابة ﷺ على إعلاء راية التوحيد رغم شدة القتال:

وعنوان ذلك وأبرزه أن زيداً ﷺ حمل الراية فقاتل حتى قتل ثم حملها جعفر ﷺ فلما قطعت يده التي فيها الراية حملها بالأخرى فلما قطعت ضم الراية بذراعيه على صدره مخافة أن تسقط .ثم إنه مع شدة القتال وكثرة البلاء في المسلمين لم تهن عزائمهم بل أخذها عبد الله بن رواحة ﷺ فقاتل دونها حتى قتل ((أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ)) فاصطلح الجيش على سيف الله خالد بن الوليد ﷺ لشدة بأسه في الحروب فحول الهزيمة إلى نصر مؤزر، ووضع خطة محكمة استطاع بها ـ بإذن الله ـ دحر الأعداء والانتصار عليهم رغم كثرة عددهم مقارنة بعدد المسلمين. قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ : (لما نظر خالد بعد موتهم وهو في ثغر مخوف، وبإزاء عدو عددهم جم، وبأسهم شديد، خاف ضياع الأمر وهلاك من معه من المسلمين فتصدى للإمارة عليهم وأخذ الراية من غير تأمير وقاتل إلى أن فتح الله على المسلمين).[٣]

وفي هذه المواقف العظيمة من صحابة رسول الله ﷺ مجال عظيم لاقتداء الدعاة إلى الله وتقوية عزائمهم والحرص على نشر الدعوة الإسلامية بشتى الطرق والوسائل، والتفاني في ذلك ونسيان الذات وتقدير المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقهم، وتقديم كل ما في وسعهم في سبيل

---

١) انظر الفائدة (٢) من هذا الحديث ص ٩٤.

٢) البداية والنهاية /ابن كثير ٤/٢٨٠.

٣) عمدة القاري/العيني ٨/٢٤.

القيام بها .

الرابع عشر- أهمية وصف المسلم بما يليق به:

الأوصاف الحميدة اللائقة بالإنسان من غير مبالغة ولا مرية فيها مما يشد من عزم الموصوف ويقويه ويشجعه فإن النبي ﷺ سمى خالداً ﷺ سيف الله قال : ((حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ)) لفرط شجاعته ومضاء عزيمته فمن يومئذ سمي خالد سيف الله[1]. ومثل ذلك ما لقب به عمر بن الخطاب ﷺ حيث لقبه الرسول ﷺ بالفاروق لأن الله فرق به بين الحق والباطل؛ وكان الصحابة ﷺ يستخفون من المشركين في مكة فلما أسلم خرج بهم يصلون في الحرم جهاراً نهاراً. وقد لقب أبوبكر بالصديق ﷺ لتصديقه بما جاء به رسول الله ﷺ دون تردد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[2]

وهكذا كان الرسول ﷺ يطلق الألقاب على صحابته ﷺ كل بما تميز به عن الآخرين تشجيعاً على تقديم الأفضل في مجال الدعوة والتميز بمعالي الأمور، وفي رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة للدعاة إلى الله بتشجيع من يعاونهم في مجال نشر الإسلام باختيار الألقاب التي تشعر الإنسان بتقدير ما يقوم به وتشجعه على بذل المزيد دون مبالغة في ذلك .

الخامس عشر- تحقق النصر للإسلام والمسلمين في عهد النبي ﷺ:

وهذا تصديق لوعد الله الذي وعد به المؤمنين الصادقين المصلحين الذين يبذلون كل ما يملكون في سبيل نصرة هذا الدين. والمسلمون في عهد الرسول ﷺ آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات فتحقق لهم ما وعد الله به المؤمنين الصالحين في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.[3] وقد نصروا الله وأبلوا بلاءً حسناً في هذه المعركة فنصرهم الله قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[4] قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر حيث أطلعه الله على المعركة : ((حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ)).

---

١) انظر: فتح الباري/ابن حجر ٣٩٤/٧ ، وعمدة القاري/العيني ٢٦٩/١٧.

٢) سورة الزمر الآية (٣٣).

٣) سورة النور جزء من الآية (٥٥).

٤) سورة الحج جزء من الآية (٤٠).

فمن واجب الدعاة إلى الله تعالى أن يبذلوا جهدهم في سبيل نصرة دين الله ولا يهنوا ولا يستكينوا وأن يغرسوا في نفوس المسلمين حب هذا الدين والتفاني في نصرته حتى يتحقق لهم العزة والتمكين كما تحققت للمسلمين في عهد نبي الأمة محمد ﷺ.

١٤-(٤٢٦٥) ـ حدثنا إبْراهِيمُ حَدَّثَنا سُفْيانُ عَنْ إسْماعِيلَ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حازِمٍ قالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ[١] يَقُولُ: (لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُوتَةَ تِسْعَةُ أَسْيافٍ فَما بَقِيَ فِي يَدِي إلاَّ صَفِيحَةٌ يَمانِيَةٌ).[٢]

شرح غريب الحديث :

<< صَفِيحَةٌ >> : الصفيحة هي السيف العريض .[٣]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول ـ تفاني الصحابة ﷺ في القتال في سبيل الله.

الثاني ـ بطولة خالد ﷺ وشدة بأسه في الحروب.

الثالث ـ من فقه الداعية : الحديث عن النفس أحياناً للمصلحة.

الرابع ـ من أساليب الدعوة: ذكر العدد.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ تفاني الصحابة ﷺ في القتال في سبيل الله:

صحابة رسول الله ﷺ هم أخلص الناس عبادة لله وأحرصهم على عمل كل مايحبه الله ويرضاه ، والجهاد من أفضل العبادات والقرب التي يحبها الله لمافيه من إعلاء كلمته وإعزاز دينه وإذلال أعدائه .

١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب ،سيف الله تعالى ،وفارس الإسلام ، وليث المشاهد، السيد الإمام الأمير ، قائد المجاهدين .أبو سليمان القرشي المخزومي المكي. وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث ﷺ .هاجر مسلماً ،ثم سار غازياً ،شهد مؤتة والفتح وحنين ، وحارب أهل الردة ومسيلمة وشهد حرب الشام ، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء. ومناقبه غزيرة، عاش ستين سنة وقتل جماعة من الأبطال ومات على فراشه .قال خالد ﷺ : منعني الجهاد كثيراً من القراءة ، أمّره الصديق ﷺ على سائر الأجناد،توفي في حمص سنة إحدى وعشرين للهجرة.
(انظر: أسد الغابة /ابن الأثير ١٠٩/٢، و الإصابة /ابن حجر ٩٨/٢ ، وشذرات الذهب /ابن العماد ٣٢/١).

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب المغازي /باب غزوة مؤتة من أرض الشام ١٠٣/٥ رقم (٤٢٦٦).

٣) لسان العرب /ابن منظور ٥١٣/٢ مادة صفح .

وتلك أول موقعة يحضرها خالد بن الوليد ﷺ في صف المسلمين إذ لم يكن قد مضى على إسلامه إلا مدة يسيرة [١]، ومع ذلك فقد أمَّر نفسه بعد مشاورة الجيش حين رأى مصرع الأمراء من قبل الرسول ﷺ، وخاض المعركة ببسالة حتى انقطعت في يده تسعة أسياف . قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله - : (وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً).[٢]

هذه التضحيات الخالصة من الصحابة ﷺ ما هي إلا مشاعل من نور يهتدي بها الدعاة إلى الله في طريق الدعوة، فلم تقم دعوة الإسلام ولم تتحقق العزة للمسلمين إلا بهذا التفاني العظيم من اتباعها ولن تقوم لنا إلا بالاقتداء بهذه النماذج الرائعة ووضعها نصب أعيننا عند حدوث أي معوقات.

الثاني - بطولة خالد ﷺ وشدة بأسه في الحروب:

خالد بن الوليد ﷺ من أشجع قريش بل من أشجع المسلمين وبطولاته معروفة في الجاهلية وفي الإسلام وهو صاحب القيادة العسكرية التي رجحت بها كفة المشركين في آخر معركة أحد حيث كان على بعض قطاعات جيش قريش فتعقب المسلمين من جهة جبل الرماة حين تركه حراسه وانشغلوا مع قومهم بجمع الغنيمة فأوجع المسلمين قتلاً وضرباً.[٣]

وفي الإسلام كانت له بطولات مشهورة من أهمها ما قام به في غزوة مؤتة حيث دبر حيلة انكشف بها جيش الروم ثم قاتل قتال البواسل حتى انكسر في يده تسعة أسياف لم يبق منها إلا سيف عريض صمد لضرب الأعداء كما جاء في هذا الحديث (**لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُوتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ**). وفي قصص خالد ﷺ وأمثاله من صحابة رسول الله ﷺ لعبرة للدعاة إلى الله لتقويتهم في الدعوة، ونشر الإسلام بكل قوة وشجاعة ولابد من الشجاعة في العمل الدعوي لأن طريقه محفوف بالمخاطر ومواجهة أعداء الإسلام ليس بالأمر الهين. فينبغي على الدعاة أن يكثروا من قراءة السيرة لتغذية نفوسهم بسيرة الأصحاب العطرة وتقوية عزائمهم بها.

---

١) أسلم خالد بن الوليد ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان للهجرة ، ووقعت غزوة مؤتة في جمادى الأولى من السنة نفسها.انظر البداية والنهاية/ابن كثير ١٢٨/٣، ٢٧٥/٤.

٢) البداية والنهاية ٢٨٥/٤، وانظر فتح الباري /ابن حجر ٣٩٧/٧، وإرشاد الساري / القسطلاني ٣٨٤/٦.

٣) انظر الكامل في التاريخ/ للإمام العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير ١٠٧/٢ – عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء - ط٤ -١٤٠٣هـ/١٩٨٨٣م - دار الكتاب العربي - بيروت.

الثالث ـ من فقه الداعية: الحديث عن النفس أحياناً للمصلحة:

مدح الإنسان لنفسه مذموم ولا سيما إذا كان يمدح نفسه بما ليس فيه، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.(١) أما إذا كان يريد إظهار الشجاعة لتقوية معنويات المسلمين حتى يتأسوا به ويكون عمله مثالاً يحتذى فهذا محمود وصاحبه مأجور (٢) كما تحدث خالد بن الوليد ﷺ عن نفسه (لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُوتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ). ومثله تحدث نبي الله يوسف عليه السلام عن نفسه: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) . قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على أنه يجوز ـ لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل ـ طلب ذلك لنفسه، ويجوز أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها؛ ترغيبا فيما يروم (٤)، وتنشيطاً لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطة به (٥)).(٦)

الرابع ـ من أساليب الدعوة: ذكر العدد:

أسلوب ذكر العدد من الأساليب الدعوية التي ينبغي أن يهتم بها الداعية لما له من تأثير في جذب المستمعين والرفع من هممهم في الدعوة إلى الله، والصبر على الجهاد الدعوي على مختلف أنواعه. وفي الحديث ذكر خالد ﷺ عدد الأسياف التي تكسرت في يده يوم مؤتة ليدل على أن النصر لايتحقق إلا بالصبر فيشد من عزيمة المسلمين في الدعوة بذكر عدد من حفّظهم القرآن أو من علمهم العلم أو عدد البلدان التي سافر إليها ليبلغ الناس دعوة الله أو يكون بعدد ما أنفقه من المال في بناء المساجد والمراكز الإسلامية، إذا كان في ذكر هذا العدد ترغيباً وتشجيعاً للآخرين .

---

١) سورة آل عمران الآية (١٨٨).

٢) انظر نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار/ للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٦٨/٨ – ٦٩ – ١٩٧٣م ـ دار الفكر ـ بيروت.

٣) سورة يوسف الآية رقم (٥٥).

٤) معنى يروم : رام الشيء يَرومُهُ رَوْماً ومَراماً :طلبه .لسان العرب/ابن منظور ٢٥٨/١٢ مادة (روم).

٥) معنى منوطة به: المنوط هو المعلق، ويقال :هذا الأمر منوط بك ، أي راجع إليك . ويقال: فلان منوط بني أسد أي ملحق بهم، وقد لايكون منهم . الهادي إلى لغة العرب/ الكرمي ٣٨٢/٤. وانظر لسان العرب/ابن منظور ٤١٨/٧ مادة (نوط).

٦) فتح القدير ٥٣/٣ .

١٥-(٤٢٦٧) ـ حدثني عِمْرانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عامِرٍ عَنِ النُّعْمانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما [١] قالَ: أُغْمِيَ عَلى عَبْدِاللهِ بْنِ رَواحَةَ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي واجَبَلاهْ واكَذا واكَذا، تُعَدِّدُ عَلَيْهِ فَقالَ حِينَ أَفاقَ: (ما قُلْتِ شَيْئاً إِلاَّ قِيلَ لِي آنْتَ كَذلِكَ). [٢]

وفي رواية:(فَلَمَّا ماتَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ). [٣]

شرح غريب الحديث :

<< واجَبَلاهْ >> : بالجيم واللام ، والواو فيه للندبة وهو حرف نداء ولكنه يختص بالندبة.[٤] والندبة هي أن تذكر النائحة الميت بأحسن أوصافه وأفعاله .[٥]

<< تُعَدِّدُ >> : تعدد بضم التاء من التعديد وهو ذكر أوصاف الميت ومحاسنه في أثناء البكاء.[٦]

<< قِيلَ لِي آنْتَ كَذلِكَ >> : هو استفهام إنكار أي قيل لي هذا الكلام على سبيل الإيذاء والإهانة.[٧]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: الحرص على الصبر عند المصيبة.

---

١) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة ، الأمير العلم ، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه ، أبو عبد الله ، وقيل أبو محمد الأنصاري الخزرجي .شهد أبوه بدراً وولد النعمان سنة اثنتين للهجرة وسمع من النبي ﷺ. وعُدَّ من الصحابة الصبيان باتفاق .قال سماك بن حرب: كان النعمان بن بشير ـ والله ـ من أخطب من سمعت.كان من أمراء معاوية.فولاه الكوفة مدة ، ثم ولي إمرة حمص.قتل بقرية بيرين بعد وقعة مرج راهط آخر سنة أربع وستين للهجرة.

(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ٤١١/٣ ، والإصابة /ابن حجر ٢٤٠/٦ ، وشذرات الذهب /ابن العماد٧٢/١).

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب المغازي /باب غزوة مؤتة من أرض الشام ١٠٤/٥ رقم (٤٢٦٨).

٣) الطرف رقم (٤٢٦٨).

٤) عمدة القاري/العيني ٢٧١/١٧ .

٥) لسان العرب /ابن منظور ٧٥٤/١ مادة (ندب).

٦) عمدة القاري/العيني ٢٧١/١٧ .

٧) الكواكب الدراري /الكرماني ١٢٤/١٦ ، وفتح الباري/ابن حجر ٣٩٨/٧ ، وعمدة القاري/العيني ٢٧١/١٧ .

الثاني - من صفات المرأة المسلمة: الرقة.

الثالث - من صفات المؤمنين: تجنب ما فيه إيذاء للمسلم .

الرابع - من صفات المؤمن: الحرص على النهي عن المنكر حتى في المرض .

الخامس - استعمال أسلوب النفي لتأكيد الخبر.

السادس - من صفات المسلم: الالتزام بالأمر الشرعي مباشرة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: الحرص على الصبر عند المصيبة:

الصبر صفة حميدة ولاسيما عند المصيبة ، وقد بشر الله الصابرين المسترجعين عند المصائب بالصلوات منه تعالى والرحمة واعتبرهم من أهل الهداية والتوفيق ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.[١]

ومرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: ((**اتقي الله واصبري**)). قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي. ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي ﷺ ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك . فقال: ((**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)). [٢] قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (أي إنما الصبر الشاق على النفس؛ الذي يعظم الثواب عليه إنما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها؛ فإنه يدل على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، وأما إذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذ ذاك؛ ولذلك قيل: يجب على كل عاقل أن يلتزم عند المصيبة ما لابد للأحمق منه بعد ثلاث - أي ثلاثة أيام -).[٣]

الثاني - من صفات المرأة المسلمة: الرقة:

إن من الصفات التي جبل الله‌ﷻ عليها المرأة الرقة وشفافية الشعور وسرعة التأثر بما يحدث لها ولهذا وصف رسول الله ﷺ النساء بالقوارير فعن أنس بن مالك ؓ قال: كانت أم سليم في الثقل وأنجشة غلام النبي ﷺ يسوق بهن فقال النبي ﷺ : ((**يا أنجش ، رويدك سوقك**

١) سورة البقرة جزء من الآية ١٥٥، والآيتان ١٥٦،١٥٧.

٢) صحيح الإمام البخاري: كتاب الجنائز /باب زيارة القبور ٢/ ٩٩ رقم (١٢٨٣).

٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٧٤.

بالقوارير)).[١]

وفي هذا الحديث برزت لنا هذه الصفة في عمرة بنت رواحة ﷺ[٢] لما أغمي على أخيها عبد الله ﷺ أخذت تبكي عليه وتعدد محاسنه من فرط حزنها عليه .

الثالث - من صفات المؤمنين: تجنب ما فيه إيذاء للمسلم :

إيذاء المسلم أمر نهى عنه الشرع الإسلامي قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.[٣]

ومن إيذاء المسلم النياحة عليه وتعداد محاسنه كما جاء في هذا الحديث ، حيث تأذى عبد الله بن رواحة ﷺ بما قالته أخته وما أثنت عليه به. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله — : (وفي مرسل أبي عمران الجوني فقال: كان ملك قد رفع مرزبة من حديد يقول آنت كذا فلو قلت نعم لقمعني بها).[٤] ومدح الإنسان قد يبعث في نفس الممدوح العجب فيجد الشيطان إليه طريقاً يوقعه به في الرياء، والرياء محبط للعمل، وقد نهى عنه النبي ﷺ حيث قال: ((إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)).[٥] ومثل هذا لا يخفى على عبد الله ﷺ ولذلك نهى أخته عنه. قال العلامة القسطلاني - رحمه الله - : (تعدد عليه: أي تذكر محاسنه وذلك غير جائز).[٦]

الرابع - من صفات المؤمن: الحرص على النهي عن المنكر حتى في المرض :

النهي عن المنكر من الصفات اللازمة للمؤمنين في جميع أحوالهم، فالمؤمن ينهى عن المنكر كلما رأى فعلاً ينكره الشرع ولا يلهيه أمر من أمور الدنيا. وفي هذا الحديث نرى إنكار عبد الله بن رواحة ﷺ على أخته ندبها له فقال: (ما قُلْتِ شَيْئاً إلاَّ قِيلَ لِي آنْتَ كَذلِكَ)، ولم يشغله ما يجده من ألم المرض عن الإنكار عليها. فقد نهى النبي ﷺ عن الندبة ولابد من التمسك بأمر

---

١) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأدب /باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً ١٥٤/٧ رقم (٦٢٠٢).

٢) هي عمرة بنت رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس بن عمرو بن امريء القيس ، الأنصارية ، وهي امرأة بشير بن سعد والد النعمان. (انظر : الإصابة / ابن حجر ١٤٦/٨).

٣) سورة الأحزاب الآية (٥٨).

٤) فتح الباري ٣٩٨/٧ ، وانظر:عمدة القاري /العيني ٢٧١/١٧ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٨٥/٦ .

٥) صحيح الإمام مسلم:كتاب الزهد والرقاق /باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، وخيف من فتنة على الممدوح ص١٢٩٦ رقم (٣٠٠٢).

٦) إرشاد الساري ٣٨٥/٦.

النبيﷺ والإنكار على من خالفه.

ومثل عبد الله ﷺ ماذكر عن عمر بن الخطابﷺ لما طُعن وعلم الناس أنه ميت أقبلوا يثنون عليه [وجاء رجل شاب فقال: أبشر ياأمير المؤمنين ببشرى الله لك ، من صحبة رسول اللهﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال ﷺ: (وددت أن ذلك كفاف لاعلي ولا لي). فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: (ردوا علي الغلام). قال: (ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك)].[١] وذكر هذا أيضا عن أبي موسى الأشعري ﷺ فيما رواه ابنه أبوبردة ﷺ قال: (وجع أبو موسى وجعا فغشى عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فصاحت امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئا، فلما أفاق قال: أنا بريء مما بريء منه رسول الله، فإن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة).[٢]

لذا ينبغي على جميع المسلمين القيام بالاحتساب في كل الأحوال كل بحسبه، وألا يتذرعوا بعدم القدرة ونحوها لأن الاحتساب درجات ولا يعذر في تركه أحد .

الخامس ـ استعمال أسلوب النفي لتأكيد الخبر:

أساليب اللغة العربية كالنفي وغيره من الأساليب التي تنفع في إيصال العلم للشخص بحسب نوعيته إن كان لتأكيد وقوع الشيء أونفيه أو النهي عنه وغير ذلك. وقد ورد مثل هذا في كتاب الله، في قوله تعالى :﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ .[٣] أي مايتكلم بشيء إلا كتب عليه، ف "مَا" هنا نافية أن يكون شيء من كلامه مهمل .[٤]

وفي الحديث استعمل عبد الله بن رواحة ﷺ أسلوب النفي في قوله (**ماقُلْتِ شَيْئاً إلاَّ قِيلَ لِي آنْتَ كَذلِكَ**) في تأكيد أن جميع ماقالته عنه قد سئل عنه على سبيل السخرية (**آنْتَ كَذلِكَ**).

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ / باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ ٢٤٨/٤ جزء من الحديث رقم (٣٧٠٤).

٢) صحيح الإمام مسلم :كتاب الإيمان / باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ص٥٨ رقم (١٠٤).

٣) سورة ق الآية (١٨).

٤) انظر:الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ١١/١٧،وفتح القدير/الشوكاني ٧٥/٥.

السادس - من صفات المسلم: الالتزام بالأمر الشرعي مباشرة:

وهذه من صفات المسلمين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا ارتكبوا منكراً عن جهل أو أزة شيطان فوعظوا اتعظوا وتركوا المنكر. وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا أحرص الناس على سرعة الاستجابة والانتهاء عن المنكر فور النهي عنه ، وعمرة ﷺا قالت ماقالته حسب عادات ألفوها فلما نهاها أخوها انتهت ولهذا ﴿فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ﴾ ولم تندبه، مما يدلنا على هذا الحرص المتأصل في نفوسهم حتى في ساعات الأزمات. قال العلامة القسطلاني - رحمه الله - : (فلما مات في غزوة مؤتة وبلغها خبره لم تبك عليه لنهيه إياها عن ذلك في مرضه الذي أغمي عليه فيه).[١]

والمسلم ينبغي عليه الابتعاد عن المنكرات عموماً وإن وقع في منكر لايعلمه ونهي عنه يجب عليه أن ينتهي .

١) إرشاد الساري ٣٨٥/٦.

بابـ بَعْثِ النَّبيِّ ﷺ أُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَى الْحُرَقاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ

١٦-(٤٢٦٩) . حدثني عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنا حُصَيْنٌ أَخْبَرَنا أَبُو ظَبْيانَ قالَ:سَمِعْتُ أُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما [١] يَقُولُ: بَعَثَنا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ فَصَبَّحْنا الْقَوْمَ فَهَزَمْناهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشيناهُ قالَ:لاإِلهَ إِلاَّ الله فَكَفَّ الأَنْصارِيُّ،فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ: ((يا أُسامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَما قالَ لا إِلهَ إِلاَّ الله؟)) قُلْتُ كانَ مُتَعَوِّذاً فَما زالَ يُكَرِّرُها حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ. [٢]

شرح غريب الحديث :

<< الْحُرَقَة >> : بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف وهي قبيلة من جهينة والظاهر أنها منسوبة إلى رجل يكنى بالحرقة و اسمه جهيش بن عامر بن ثعلبة سمى الحرقة لأنه حرق قوماً بالقتل فبالغ في ذلك .[٣]

<< غَشيناهُ >>: يقال غشيه يغشاه غشيانا إذا جاءه.وغشوه أي ازدحموا عليه وكثروا.[٤]

---

١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امريء القيس ، المولى الأمير حب رسول الله ﷺ ، ومولاه وابن مولاه.كان شديد السواد، خفيف الروح، شجاعاً .رباه النبي ﷺ وأحبه كثيراً.وهوابن حاضنة النبي ﷺ أم أيمن ، وكان أبوه أبيض .قالت عائشة رضي الله عنها : ما ينبغي لأحد أن يبغض أسامة ،بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة)). وكان النبي ﷺ يأخذه والحسن ويقول:- ((اللهم أحبهما فإني أحبهما)) (البخاري٣٧٣٥) .استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام وفي الجيش أبو بكر وعمر والكبار . له مئه وثمانية عشر حديثا .مات في آخر خلافة معاوية .

(انظر: الطبقات /ابن سعد ٦١/٤ ،و سيرأعلام النبلاء /الذهبي ٤٩٦/٢ ،والإصابة /ابن حجر ٢٩/١).

٢) طرفه في صحيح الإمام البخاري: كتاب الديات /باب قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ ٤٦/٨ رقم (٦٨٧٢).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الإيمان /باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لاإله إلا الله ص٥٦ رقم (٩٦).

٣) انظر: فتح الباري/ابن حجر ٣٩٨/٧ ، وعمدة القاري /العيني ٢٧١/١٧ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ٣٨٥/٦ .

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر/ للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري " المعروف بابن الأثير" ٣٦٩/٣- تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي - ط١ - ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م - المكتبة الإسلامية .

<< **كـان مُتَعَوِّذاً** >> : عـاذ بـه يعـوذ عـوذا وعيـاذا ومعـاذا: لاذ بـه ولجـأ إليـه واعتصـم. وفي الحديث:إنما قالها تعوذا أي إنما أقر بالشهادة لاجئاً إليها ومعتصمـاً بهـا ليدفـع عنـه القتـل وليـس بمخلص في إسلامه.[١]

<< **حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لَمْ أَكُنْ أسلَمْتُ** >>: هو للمبالغة لاعلى الحقيقة ويقال معنـاه أنـه كـان يتمنى إسلاماً لاذنب فيه.[٢]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول ـ من وسائل الدعوة: بعث البعوث .

الثاني ـ من تاريخ الدعوة: ثبوت دخول الحرقة الإسلام في عهد النبي ﷺ.

الثالث ـ تعليق أحكام الإسلام بالظاهر والله يتولى السرائر.

الرابع ـ من صفات الداعية: الشدة في الإنكار على من ارتكب محرماً .

الخامس ـ من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري .

السادس ـ من أساليب الدعوة: التكرار في الإنكار لإظهار عظمة المنكر.

السابع ـ من موضوعات الدعوة: عصمة دم من نطق بالشهادتين.

الثامن ـ تأثر أسامة رضي الله عنه بشدة إنكار النبي ﷺ وخوفه على إيمانه.

التاسع ـ أهمية الشهادتين ومكانتهما في الدعوة إلى الله.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ من وسائل الدعوة: بعث البعوث :

إن من وسائل الدعوة التي استخدمها رسول الله ﷺ في نشر دعوتـه بعـث البعـوث، فقـد ذكر أسامة بن زيد رضي الله عنهما في هذا الحديث: (**بَعَثَنا رَسُولُ الله ﷺ إلى الْحُرَقَـةِ**)، فقـد بعثهـم لقتالهم حيث سـبقت دعوتهم فلم يستجيبوا، وقد ذكر **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ أن النبيﷺ أقـام

---

١) لسان العرب /ابن منظور ٤٩٩/٣ مادة عوذ ، وعمدة القاري /العيني ٢٧٢/١٧ .

٢) عمدة القاري /العيني ٢٧٢/١٧.

في المدينة بعد مقدمه من خيبر إلى شوال وبعث في خلال ذلك السرايا، عد منها سرية أسامة إلى الحرقة [١]. وذكر ابن سعد أن عدد سرايا النبي ﷺ التي بعثها سبعٌ وأربعين سرية [٢]، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدم جميع الوسائل الممكنة للدعوة إلى الله، وأن يستعين بالعلماء والمتخصصين في الدعوة، ويُكَوِّن منهم لجان ترسل للدعوة داخل البلاد وخارجها، أداء للأمانة التي خلفهم رسول الله ﷺ عليها .

الثاني - من تاريخ الدعوة :ثبوت دخول الحرقة الإسلام في عهد النبي ﷺ:

أرسل النبي ﷺ غالب بن عبيد الله الليثي على رأس سرية إلى الحرقة وهم بطن من جهينة في رمضان سنة سبع فهجموا عليهم صباحاً قبل أن يشعروا بهم فهزموهم.[٣] قال ابن سعد — رحمه الله - : (بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي إلى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة وهم بالميفعة، وهي وراء بطن نخل إلى النقرة قليلاً بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية برد [٤]، بعثه في مائة وثلاثين رجلاً ودليلهم يسار مولى رسول الله ﷺ، فهجموا عليهم جميعاً ووقعوا وسط محالهم ، فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاءً فحدروه إلى المدينة ولم يأسروا أحداً ، وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال لا إله إلا الله).[٥]

الثالث -تعليق أحكام الإسلام بالظاهر والله يتولى السرائر:

في هذا الحديث دليل على إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى[٦] لأن الإيمان أمر غيبي لايعلم حقيقته إلا الله تعالى، ولهذا قال النبي ﷺ لأسامة ﷺ :- ((يا أُسامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لا إِلهَ إلاَّ اللهُ؟))، فنحن أمرنا بإجراء الأحكام تبعاً للظاهر وظاهر هذا الرجل الإسلام لنطقه بكلمة التوحيد ، وقد نهينا عن الظن واتباع ماليس لنا به علم قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [٧] وقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا

---

١) انظر: زاد المعاد/ابن القيم ٣/٣٥٩-٣٧٠.

٢) الطبقات الكبرى ٢/٥،وانظر فتح الباري/ابن حجر ٨/١١٦.

٣) انظر: فتح الباري /ابن حجر ١٢/١٧١، وعمدة القاري /العيني ٢٤/٣٦، إرشاد الساري/ القسطلاني ١٠/٤٥، وفتح المبدي/ الشرقاوي ٣/١٣٦.

٤) البرد :جمع بريد ،والبريد اثنا عشر ميلا ، ويساوي بحسابنا اليوم٢٢, ١٨ كيلاً. الهادي إلى لغة العرب/الكرمي ١/١٣٧.

٥) الطبقات الكبرى٢/١١٩، وانظر زاد المعاد/ابن القيم ٣/٣٦١.

٦) انظر الإفصاح / ابن هبيرة ١/١٩٣.

٧) سورة الحجرات جزء من الآية رقم (١٢).

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١)(٢). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (إنما كلفت بالعمل بالظاهر وماينطق به اللسان وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة مافيه فأنكر عليه ـ النبي ﷺ ـ امتناعه عن العمل بما ظهر باللسان).(٣)

الرابع ـ من صفات الداعية: الشدة في الإنكار على من ارتكب محرماً :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله تعالى أن يكون متصفاً بالرفق في تعامله مع المدعوين ، لكنه في حالات معينة ينتقل من الرفق إلى الشدة في الإنكار ومنها عند انتهاك حرمات الله ؛ فهنا تكون الشدة غضباً لله تعالى . وفي هذا الحديث ظهرت الشدة من النبي ﷺ ويدل على ذلك إنكاره ﷺ على أسامة ﷺ قتل الرجل الذي نطق بكلمة التوحيد بناءً على ظن خاطيء وهو أنه ظن أن الرجل قالها متعوذاً ، فقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال له : ((يا أُسامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَما قالَ لا إلهَ إلاَّ الله؟)) قُلْتُ كانَ مُتَعَوِّذاً فَما زالَ يُكَرِّرُها)، والظاهر هو المتيقن والباطن هو المظنون فلايجوز ترك اليقين لوجود ظن محتمل أو شك في صحة هذا اليقين، ولشدة إنكاره قال أسامة: (حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (قال ابن التين: في هذا تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد).(٤) وقال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: (شدد النبي ﷺ على أسامة الأمر وعظمه لئلا يواقعه ثانية في قائلها عن صحة وحقيقة، وممن يكتم إيمانه كما قال للمقداد؛ فلهذا كان أسامة بعد لايقاتل مسلماً وحلف على ذلك؛ ولهذا قعد عن نُصرة علي ﷺ)(٥). فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتصف بالشدة في مثل هذا الأمر، وينتقل مما أمر به من اللين إلى الغضب انتقاماً لحرمات الله .

---

١) سورة الإسراء الآية رقم (٣٦).

٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية/لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ص٣٣٣ ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ ط٢ ـ ١٤٠٠هـ ـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٤٦٢ ،وانظر إكمال المعلم/القاضي عياض ١/ ٣٧٣.

٤) فتح الباري ١٢/ ١٧٢.

٥) إكمال المعلم /القاضي عياض ١/ ٣٧٣.

الخامس - من أساليب الدعوة:الاستفهام الانكاري:

الاستفهام الإنكاري من أساليب الدعوة في إنكار المنكر، لأن فيه استفهاماً عن الفعل مع إنكار له لأنه قد علمه مسبقا وإنما أعاده عليه من باب التأكيد على فداحة الخطأ الذي وقع فيه مرتكب المنكر . وفي هذا الحديث قال النبي ﷺ لأسامة ﷺ : ((أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟)) ، فقوله ﷺ أقتلته بصيغة الاستفهام الإنكاري للفعل لأن مافعله أسامة ﷺ خطأ عظيم ومحرم شرعاً وهو قتل من نطق بمايعصم دمه وهي الشهادتان . قال العلامة العيني – رحمه الله - : (((أَقَتَلْتَهُ)) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الإنكار).[١]

السادس - من أساليب الدعوة: التكرار في الإنكار لإظهار عظمة المنكر:

يظهر من حديث الدراسة أن النبي ﷺ كرر الإنكار على أسامة بن زيد ﷺ لقتله الرجل فقال :- ((يا أُسامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ؟)) قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذاً فَما زالَ يُكَرِّرُها.وتكرار النبي ﷺ لها ليبين لأسامة ﷺ عظم الأمر الذي فعله وشدد في الإنكار فيه تحذيراً من تكراره. قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (وتكرار ذلك القول :إنكار شديد وزجر وكيد ، و إعراض عن قبول عذر أسامة).[٢]

السابع - من موضوعات الدعوة: عصمة دم من نطق بالشهادتين:

الهدف الأساس من دعوة الإسلام للناس هو توحيد الله ﷻ قال رسول الله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)) .[٣]

وفي هذا الحديث دليل على أن نطق المحارب في ساحة الجهاد بالشهادتين يعصم دمه فلا يحل قتله، ومن قتله فقد ارتكب محرما وهو قتل نفس بغير حق. قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله - : (والرسول ﷺ يكرر ((أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟)). ((ما تصنع

---

١) عمدة القاري ٢٧٢/١٧.

٢) المفهم ٢٩٦/١.

٣) صحيح الإمام البخاري: كتاب الإيمان / باب ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ١٤/١ رقم (٢٥).

بلا إله إلا الله إذا جاءتك يوم القيامة)) (١)، مع العلم بأن الذي يغلب على الظن ما فهمه أسامة ﷺ أنه قالها متعوذاً من القتل، يستجير بها من القتل، لكن مع ذلك إذا قال لاإله إلا الله انتهى الأمر ويجب الكف عنه، ويعصم بذلك دمه وماله، وإن كان قالها متعوذاً أو قالها نفاقاً، حسابه على الله).(٢)

الثامن - تأثر أسامة بشدة إنكار النبي ﷺ وخوفه على إيمانه:

وهذا من ورع الصحابة ﷺ وشدة خوفهم من الله ولاسيما إذا ارتكب أحدهم أمراً بين الرسول ﷺ خطورته وعظم إثمه، فأسامة ﷺ خاف أن يكون هذا العمل أحبط إسلامه، ولهذا قال: (حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ)، ولايعني هذا أنه تمنى الكفر بعد الإسلام، أو أنه تمنى أنه لم يكن من السابقين إلى الإسلام ، لكنه تمنى أن يكون أسلم إسلاما لم يذنب فيه مثل هذا الذنب. قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ : (فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الفعلة ولم يرد أنه تمنى أن لا يكون مسلماً قبل ذلك . قال القرطبي: وفيه إشعار بأنه كان استصغر ماسبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابلة هذه الفعلة لما سمع من الإنكار الشديد).(٣)

والمؤمن الحق هو الذي يخاف الله ويخشاه، لذا ينبغي على جميع المسلمين أن يستشعروا الخوف من الله دائما لأن هذا سبيل النجاة من عذابه ونقمته ﷻ في الدنيا والأخرة ولنا في صحابة رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة .

التاسع - أهمية الشهادتين ومكانتهما في الدعوة إلى الله:

الشهادتان هما الركيزة الأولى من ركائز الإسلام والركن الأعظم من الأركان الخمسة التي قام عليها الدين الإسلامي، وغيرهما من شرائع الدين لايقوم مقامهما لأنهما أصل الأركان فلو آمن بالأركان الأخرى ولم ينطق بالشهادتين لم ينفعه إيمانه بل كما قال تعالى:﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا

---

١) هذا النص مأخوذ من رواية الإمام مسلم في الحديث رقم (٩٧).

٢) شرح رياض الصالحين ٣٢٩/٥.

٣) فتح الباري ١٧٢/١٢، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٤٦٢/٢. قال بعض العلماء : (لايجوز لمن فعل كبيرة أن يتمنى أن لم يكن أسلم إلا بعد ذلك ، وإنما قال ذلك أسامة لما حصل في نفسه من الخوف من شدة إنكار النبي ﷺ لذلك) انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين - تأليف مجموعة من العلماء - ط١٢ - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ - مؤسسة الرسالة - بيروت.

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ .[١]

وهذا لما بعث رسول الله ﷺ معاذا ﷺ إلى اليمن قال : ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، ..)).[٢]

لذا كانت الشهادتان أوّل أمر يجب أن يدعو إليه الدعاة إلى الله ومن نطق بهما لم يجز التعرض له ، ولهذا أنكر النبي ﷺ على أسامة ﷺ قتله الرجل بعد نطقه بالشهادتين فقال ((يا أُسامةُ أقتلتَهُ بعدما قالَ لا إلهَ إلاّ الله؟))، فبمجرد نطق الكافر بالشهادتين تجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا كغيره من المسلمين دون البحث عن حقيقة قوله لأن مثل هذا لايعلمه إلا الله ﷻ.

١) سورة الفرقان الآية رقم (٢٣).

٢) صحيح الإمام البخاري : كتاب الزكاة / باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، وترد في الفقراء حيث كانوا ١٦٥/٢ رقم (١٤٩٦).

١٧-(٤٢٧٠) • حدثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنا حاتِمٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ،قال: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ [١] يَقُولُ : غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَواتٍ وَخَرَجْتُ فِيما يَبْعَثُ مِنَ الْبُعُوثِ تِسْعَ غَزَواتٍ مَرَّةً عَلَيْنا أَبُو بَكْرٍ وَمَرَّةً عَلَيْنا أُسامَةُ .[٢]

وفي رواية : (وَقالَ عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِياثٍ حَدَّثَنا أَبِي عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ) .[٣]

وفي رواية : (غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَ غَزَواتٍ، وَغَزَوْتُ مَعَ ابْنِ حارِثَةَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْنا) .[٤]

وفي رواية : (غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَواتٍ، فَذَكَرَ خَيْبَرَ وَالْحُدَيْبِيَةَ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَيَوْمَ الْقَرَدِ، قالَ يَزِيدُ: وَنَسِيتُ بَقِيَّتَهُمْ) .[٥]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: تعليم الموالي والأبناء .

الثاني - من فقه الداعية: الحديث عن النفس أحياناً للمصلحة .

الثالث - من أساليب الدعوة: ذكر العدد .

الرابع - اهتمام الرسول ﷺ بنشر الإسلام .

الخامس - من وسائل الدعوة: بعث البعوث .

السادس - حرص سلمة بن الأكوع ﷺ على الجهاد في سبيل الله.

---

١) سبقت ترجمته في الحديث (١) من هذ البحث ص٤٥.

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري :كتاب المغازي /باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ١٠٤/٥ رقم (٤٢٧١) و ١٠٥/٥ رقم (٤٢٧٢) ، (٤٢٧٣) .

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الجهاد والسير /باب عدد غزوات النبي ﷺ ص٨١٤ رقم (١٨١٥).

٣) الطرف رقم (٤٢٧١).

٤) الطرف رقم (٤٢٧٢).

٥) الطرف رقم (٤٢٧٣).

السابع - من وسائل الدعوة: تأمير الأمراء على البعوث .

الثامن - من محاسن الدين الإسلامي: المساواة بين الناس.

التاسع - من تاريخ الدعوة: غزوة خيبر والحديبية وحنين وذي قرد .

العاشر - حرص السلف على الدقة في النقل والأمانة فيه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو التالي:

الأول - من موضوعات الدعوة: تعليم الموالي والأبناء :

دل هذا الحديث على أهمية تعليم الموالي أخبار النبي ﷺ، ظهر ذلك من تعليم سلمة بن الأكوع ﷺ لمولاه يزيد قيام النبي ﷺ بالجهاد في سبيل الله سواءً كان ذلك بنفسه أو بإرسال من يقوم بهذه المهمة دعوة لله تعالى ولدين الحق، وأخبره عن مشاركته في بعض الغزوات معه. كما دل على أهمية تعليم الأبناء [1] حيث حدث بذلك حفص بن غياث ابنه عمر لما في ذلك من إثارة دوافع النفس المسلمة للاقتداء بهم في نشر الإسلام ورفع رايته. فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحث المسلمين على تعلم سيرة رسول الله ﷺ وصحابته ﷺ وتعليمها لمن هم تحت أيديهم من أبناء وموالي[2] ليتكون لنا جيل معتزٌ بتاريخه؛ عاملٌ على الحفاظ عليه عن طريق انتهاج منهج الداعية الأول محمد ﷺ، والرعيل الأول من هذه الأمة.

الثاني - من فقه الداعية: الحديث عن النفس أحياناً للمصلحة :

إن من فقه الداعية في هذا الحديث إخباره عما قام به في سبيل نشر الدين الإسلامي، وعن بلائه في ذلك لكي يقتدى به في عمله ، وفي هذا الحديث أخبر سلمة ﷺ عن عدد الغزوات التي غزاها مع النبي ﷺ قال :- (**غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ وَخَرَجْتُ فِيما يَبْعَثُ مِنَ الْبُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ**) وقد كان كثير من الصحابة ﷺ يُحدثون بما قدموه لخدمة الإسلام [3] على سبيل إذكاء الهمم وحث العزائم على السير على مثل هذا فيحصل بذلك النفع العظيم للإسلام والمسلمين. روى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أبي بردة، عن أبي موسى ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه قال فنقبت أقدامنا فنقبت

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (٣) ص٥٧.

٢) انظر الفائدة (١) من الحديث (١٣) ص٩٤.

٣) انظر مثلاً الحديث (١٤) ص ١٠٤، والحديث (٢٢) ص ١٤٧من هذا البحث .

قدماي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق. قال أبو بردة: فحدث أبوموسى بهذا الحديث ثم كره ذلك قال كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه [١]. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه: فيه استحباب إخفاء الأعمال الصالحة ومايكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالى ولا يظهر شيئاً من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبيه على الاقتداء به فيه ونحو ذلك وعلى هذا يحمل ما وجد للسلف من الأخبار بذلك). [٢]

الثالث ـ من أساليب الدعوة: ذكر العدد :

إن من أساليب الدعوة في هذا الحديث ذكر العدد لبيان تعدد الغزوات التي شارك فيها حيث إنه كلما كان العدد كبيراً في ذلك كان دافع الاقتداء لدى السامع والقاريء أكبر ولذلك ذكر سلمة أنه اشترك في (**سَبْعَ غَزَوَاتٍ**) و(**فِيما يَبْعَثُ مِنَ الْبُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ**) مما يدل على كثرت إسهاماته في الجهاد في سبيل الله .

الرابع ـ اهتمام الرسول ﷺ بنشر الإسلام :

دل هذا الحديث على اهتمام النبي ﷺ بنشر الإسلام والجهاد في سبيل ذلك ، فقد ذكر سلمة ﷺ بعض غزوات النبي ﷺ قال: (**غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ وَخَرَجْتُ فِيما يَبْعَثُ مِنَ الْبُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ**)، وصيغة خبره هذا تدل على أن غزوات النبي ﷺ كانت أكثر من ذلك، وكذلك بعوثه فهو إنما أخبر بما شهده فقط . [٣]

الخامس ـ من وسائل الدعوة: بعث البعوث :

استخدم رسول الله ﷺ جميع الوسائل الممكنة لنشر دين الله في أنحاء العالم ؛فأرسل الرسائل والكتب إلى الملوك وبعث البعوث وقاد كثيراً من الغزوات فتحقق له بذلك ماأراد ووصل الإسلام إلى بقاع بعيدة ودانت له العرب والعجم على حد سواء. وفي هذا الحديث ذكر لنا سلمة ﷺ بعض الغزوات التي قادها النبي ﷺ، والبعوث التي أرسلها فقال (**غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ وَخَرَجْتُ فِيما يَبْعَثُ مِنَ الْبُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ**).[٤]

---

١) صحيح الإمام مسلم:كتاب الجهاد والسير /باب غزوة ذات الرقاع ص٨١٥ رقم (١٨١٦).

٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٣٨/١٢.

٣) انظر المفهم/القرطبي ٦٩١/٣، وشرح النووي على صحيح مسلم ٤٣٧/١٢.

٤) انظر الفائدة رقم (١) من الحديث (١٦) ص١١٣.

السادس - حرص سلمة بن الأكوع ﷺ على الجهاد في سبيل الله :

دلت هذه الأحاديث على حرص الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع ﷺ على الجهاد في سبيل الله حيث شارك في عدد من الغزوات مع النبيﷺ، ولعل ماقام به في غزوة الغابة خير دليل على هذا الحرص منه ﷺ. [١]

السابع - من وسائل الدعوة:تأمير الأمراء على البعوث والتنويع فيهم :

من وسائل الدعوة في هذا الحديث تأمير الأمراء على البعوث والسرايا فقد ذكر سلمةﷺ أن رسول الله ﷺ أمَّر عليهم في كل سرية أميراً (**مَرَّةً عَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ وَمَرَّةً عَلَيْنَا أُسامَةُ**) وقال في الرواية الأخرى: (**غَزَوْتُ مَعَ ابْنِ حارِثَةَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْنا**)، وهذه كانت من الوسائل التي استعملها النبي ﷺ في نشر دعوته [٢]، كما ظهر من هذه السرايا تنويع النبي ﷺ للأمراء فلم يكن يعين أحداً خاصاً بهذه المهمة بل كان يختار لكل سرية من يصلح لتوليها ومن هو أقدر على أدائها على وجهها، ويتحقق به النفع للمسلمين.

الثامن - من محاسن الدين الإسلامي: المساواة بين الناس:

إن في قول سلمة ﷺ : (**مَرَّةً عَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ وَمَرَّةً عَلَيْنَا أُسامَةُ**) بيان لما يتميز به الدين الإسلامي من محاسن ومنها مساواته بين أتباعه ، فأبوبكر الصديق ﷺ كان من أشراف قريش وذا حسب ونسب فيهم ، وأسامة بن زيد ﷺما مولى رسول الله ﷺ، وابن مولاه زيد بن حارثة ومولاته أم أيمن ﷺ ، ومع ذلك فقد أمَّر النبي ﷺ أسامة على جيش كما أمَّر أبابكر ، تقريرا لهذا المبدأ في الإسلام . [٣]

التاسع - من تاريخ الدعوة: غزوة خيبر والحديبية وحنين وذي قرد :

من تاريخ الدعوة في هذا الحديث وقوع غزوة خيبر والحديبية وحنين وذي قرد، أما غزوة خيبر فقد كانت في السنة السابعة للهجرة وقد قاد الجيش فيها رسول اللهﷺ بعد أن جعل على المدينة سباع بن عرفطة [٤] . أما الحديبية فقد كانت في السنة السادسة للهجرة حيث خرج فيها النبيﷺ إلى مكة معتمراً قد ساق الهدي، فلما علمت قريش بخروجه جمعت جموعها،

---

١) انظر الفائدة رقم (٩) من هذا الحديث ص١٢٢.

٢) انظر الفائدة (٦) من الحديث (١٢) ص ٩٧.

٣) انظر الفائدة (٩) من الحديث (١٢) ص٩٩.

٤) انظر الفائدة (٢) من الحديث (١) ص ٤٧.

وعاهدت ألا يدخلها أبدا، فغير النبي ﷺ طريقه لكي لايواجه الجيش حتى يقرب من مكة، فبركت ناقته في الطريق فعلم أن الله لا يريد قتالا ولهذا قال: لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. فكان بينه وبينهم رسل ومناظرات انتهت بصلح الحديبية الذي كان من بنوده أن يعود النبي ﷺ دون أن يدخل مكة هذا العام على أن يأتيها في العام القادم [1]. أما غزوة حنين "وتسمى أيضا غزوة أوطاس" فقد وقعت في شوال من العام الثامن للهجرة بعد غزوة الفتح بأيام حيث خرجت هوازن وثقيف لغزو النبيﷺ حملهم على ذلك الحقد على المسلمين بسبب النصر العظيم الذي تحقق لهم في فتح مكة، وقد تأمرهم مالك بن عوف سيد هوازن فأمرهم بالخروج بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى يجد كل منهم ما يحبسه عن الفرار فنزل بهم وادي أوطاس وجعلهم في مضايقه وأنحائه فكانت هذه الخطة سبباً لانهزام المسلمين في أول المعركة لأنهم فوجئوا بالعدو يخرج لهم من كل ناحية، حتى نادى فيهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بأمر النبي ﷺ وهم منهزمون (ياأصحاب السمرة)[2] فانعطفوا عليه عطفة البقر على أولادها وقاتلوا مع رسول الله ﷺ حتى انتصروا وفرت هوازن [3]. أما غزوة ذي قرد "وتسمى أيضا غزوة الغابة " فقد وقعت في السنة السادسة للهجرة حين أغار عيينة بن حصن الفزاري في خيل من غطفان على لقاح النبي ﷺ بالغابة وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح، فرآهم سلمة بن عمرو بن الأكوع، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، فنظر إلى بعض خيلهم فصاح: واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل، فبلغ النبيﷺ صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع فلما اجتمع إليه عدد منهم أمَّر عليهم سعد بن زيد وأرسلهم على أن يلحق بهم في الناس ، فخرج ﷺ واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ولحقوا بالقوم فهزموهم واستنقذوا جميع اللقاح وثلاثين بردة .[4]

العاشر- حرص السلف على الدقة في النقل والأمانة فيه :

في هذا الحديث دليل على حرص السلف الصالح من هذه الأمة على الدقة في نقل الروايات عن الصحابة رضي الله عنهم والأمانة في ذلك؛ حيث قال يزيد بن أبي عبيد ــ رحمه الله ــ:

---

١) انظر زاد المعاد/ابن القيم ٢٨٦/٣، والبداية والنهاية /ابن كثير ١٨٨/٤، وعمدة القاري/العيني ٢١٢/١٧.

٢) السمرة هي شجرة الرضوان التي بايع تحتها أصحاب بيعة الرضوان بالحديبية . المفهم /القرطبي ٦١٥/٣

٣) انظر زاد المعاد/ابن القيم ٤٦٥/٣، والبداية والنهاية /ابن كثير ٣٦٨/٤ .

٤) انظر زاد المعاد/ابن القيم ٢٧٨/٣، والبداية والنهاية /ابن كثير ١٧٠/٤، وعمدة القاري/العيني ٢٣٢/١٧ .

(وَنَسِيتُ بَقِيَّتَهُمْ). وهذا واجب المسلمين حفاظا على السنة وحماية لها من التحريف و التبديل ومن ثم الضياع ، ولهذا حرص السلف على توثيق الرواية ، وبيان المجروحين من الرواة الذين لاتقبل رواياتهم ، وألفوا في تعيينهم المؤلفات. قال أبو حاتم البستي ـ رحمه ا لله ـ: (ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ماظهر في سائر الأمم ،وذاك أنه لم يكن أمة لنبي قط حفظت عليه الدين عن التبديل ماحفظت هذه الأمة ، حتى لايتهيأ أن يزاد في سنة من سنن رسول ا لله ﷺ ألف ولا واو ، كما لايتهيأ زيادة مثله في القرآن فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين ، وكثرت عنايتهم بأمر الدين ، ولولاهم لقال من شاء بما شاء).[1]

١) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين /الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي ١/ ٢٥ ـ تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ـ دار المعرفة ـ بيروت .

١٨-(٤٢٨١) . حدثنا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُعاوِيَةَ بْـنِ قُـرَّةَ، قَـالَ: سَـمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ[١] يَقُولُ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّـةَ عَلَـى نَاقَتِـهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُـورَةَ الْفَتْـحِ يُرَجِّـعُ) ، وَقَـالَ: (لَـوْلا أَنْ يَجْتَمِـعَ النَّـاسُ حَوْلِـي لَرَجَّعْتُ كَمَـا رَجَّعَ). [٢]

وفي رواية:(قَالَ مُعاوِيَةُ[٣]: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَحْكِيَ لَكُمْ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَفَعَلْتُ). [٤]

وفي رواية:(قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْجَمَلِهِ وَهْيَ تَسِيرُ بِـهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ قِرَاءةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ) . [٥]

وفي روايـة:(فَقُلْتُ[٦] لِمُعاوِيَـةَ: كَيْـفَ كَـانَ تَرْجِيعُـهُ؟ قَـالَ: ءَا ءَا ءَا ثَـلاثَ مَرَّاتٍ). [٧]

---

١) هو عبد الله بن مغفل بن عبد غنم وقيل عبدنهم بن عفيف بن أسحم بن ربيعة بن عـداء المزني ، نسـبوا إلى أمهـم مزينـة بنـت كلب.كان عبد الله ﷺ من أهل بيعة الرضوان ، وكان يقول:إني لممن رفـع عـن رسـول الله ﷺ مـن أغصـان الشـجرة يومئـذ. يكنى أبا سعيد وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو زياد. سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وابتنى بهـا داراً قـرب الجـامع وكـان مـن البكائين. وكان أحد العشرة الذين بعثهم عمرﷺ إلى البصرة يفقهون الناس ، وهو أول من دخل من باب مدينة تسـتر لما فتحهـا المسلمون. توفي بالبصرة سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين للهجرة ، أيام إمارة ابن زياد بالبصرة ، ولـه عـدة أحاديث. (انظـر: أسد الغابة/ ابن الأثير ٢٦٤/٣ ، و الإصابة /ابن حجر ١٣٢/٤ ، وشذرات الذهب /ابن العماد ٦٥/١).

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب التفسير /باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ٥١/٦ رقم (٤٨٣٥). وكتاب فضائل القـرآن /بـاب القـراءة على الدابـة ١٣٤/٦ رقـم (٥٠٣٤)،وبـاب الـترجيع ١٣٧/٦ رقـم (٥٠٤٧). وكتـاب التوحيد /باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه ٢٦٦/٨ رقم (٧٥٤٠).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين وقصرها /باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتـح يـوم فتـح مكـة ص٣٢١ رقم (٧٩٤) .

٣) هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب ،الإمام العالم الثبت أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس.حدّث عن والده وعن عبدالله بن مغفل وعلي بن أبي طالب إن صح إسناده ،وابن عمر ، ومعقل بن يسار ، وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي هريـرة ، وابن عباس، وطائفة. وثّقه ابن معين ، والعجلي، وأبو حاتم، وابن سعد، والنسائي. مات سنة ثلاث عشرة ومئة للهجرة .

(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٨١/١).

٤) الطرف رقم (٤٨٣٥) .

٥) الطرف رقم (٥٠٤٧).

٦) القائل هو شعبة بن الحجاج بن الورد.

٧) الطرف رقم (٧٥٤٠).

شرح غريب الحديث :

<< **يُرَجِّعُ** >> : رجع الرجل وترجع: ردد صوته في قراءة أو أذان أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به. وترجيع الصوت: ترديده في الحلق كقراءة أصحاب الألحان .[١]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة : فتح مكة في عهد النبي ﷺ.

الثاني - من صفات الداعية : الحرص على نشر الإسلام.

الثالث - تبليغ الصحابة ﷺ عن مشاهداتهم من سيرة الرسول ﷺ للتأسي به .

الرابع - ملازمة الداعية للعبادة في جميع الظروف والأحوال .

الخامس - ترغيب المدعوين في ترتيل القرآن .

السادس - اتخاذ جميع الأساليب التي تجمع النفوس للإصغاء إلى القرآن واستمالتهم إليه.

السابع - وجوب اقتداء الداعية بالرسول ﷺ في سنته ومنها إظهار التعبد .

الثامن - تحري الصحابة ﷺ الدقة والأمانة في النقل .

التاسع - أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم.

العاشر - من أساليب الدعوة: التشويق.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة : فتح مكة في عهد النبي ﷺ:

دل هذا الحديث على أن فتح مكة كان في عهد النبي ﷺ وبقيادته وكان ذلك في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وكان سببه أنه كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم

---

١) لسان العرب /ابن منظور ١١٥/٨ مادة رجع ، وفتح الباري/ابن حجر ١٢/٨ ، وعمدة القاري/العيني ٢٨١/١٧ .

فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً. ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له " الوتير "وهو قريب من مكة، وقالت قريش مايعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم، وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبر الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : ((نصرت ياعمرو بن سالم)) وأمر الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه ، وسار إلى مكة في جيش قوامه عشرة آلاف ، فدخلها فاتحاً منتصراً بعد أن استسلم أهلها دون قتال . (١)

الثاني - من صفات الداعية : الحرص على نشر الإسلام :

إن من صفات الداعية إلى الله تعالى الحرص على نشر الإسلام ، وفي هذا الحديث ظهر هذا الحرص من الرسول ﷺ وهو الداعية الأول والقدوة لغيره من الدعاة ، فهو أحرص الناس على نشر الإسلام بحسب مايقتضيه الوضع من وسائل وأساليب ، ومنها قيادة جيوش المسلمين في الجهاد فقد كان يقود الجيش بنفسه، ولم يذكر أنه ﷺ ولى مدبراً في معركة من المعارك مهما اشتد القتال ؛ وإن كانوا في غير جهاد فهو المعلم والإمام .

ومن قول ابن مغفل في هذا الحديث "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ " ثبت لنا أن الرسول ﷺ قاد الناس إلى الفتح العظيم حرصا منه على نشر دعوة الله وإظهار عزة الإسلام فهذا الفتح سيترتب عليه إسلام كثير من الناس ، دل على ذلك كثرة الوفود التي قدمت إلى النبي ﷺ بعد الفتح .

الثالث - تبليغ الصحابة ﷺ عن مشاهداتهم من سيرة الرسول ﷺ للتأسي به :

أصحاب رسول الله ﷺ أشبه بالمرآة التي تنعكس عليها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ، فهم يلازمونه في سفره وإقامته ينصتون لما يقول ويشاهدون مايفعل ثم يبلغون به من لم يشهد للتأسي به، وتصرفهم هذا استجابة لقوله ﷺ: ((بلغوا عني ولو آية)) (٢)، وقوله ﷺ: ((ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه)).(٣)

---

١) انظر : زاد المعاد /ابن القيم ٣/٣٩٤، والبداية والنهاية /ابن كثير ٤/٣١٧.

٢) سبق تخريجه ص٢.

٣) صحيح الإمام البخاري :كتاب العلم /باب قول النبي ﷺ : ((رب مبلغ أوعى من سامع)) ١/٢٨ رقم (٦٧).

ويشهد على تنفيذهم لأمره ماجاء في هـذا الحديث حين حكى عبد الله ﷺ مشاهدته للرسول ﷺ وهو يُرجِّع على ناقته للتأسي به، حتى ذكر كيفية ترجيعه لئلا يسرف الناس في الترجيع فيخرجوه إلى الألحان والمبالغة الممقوتة. قال العلامة القسطلاني ـــ رحمه الله ـــ : (إن هذا الترجيع منه عليه الصلاة والسلام كان اختيارا لا اضطراراً لهز الناقة له فإنه لو كان لهز الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل ﷺ يفعله ويحكيه اختيارا ليتأسى به وهو يراه من هز الناقة له ثم يقول كان يُرجِّع في قراءته فنسب الترجيع إلى فعله).[١]

والداعية ينبغي أن يطلع على كتب السنة النبوية الشريفة وكتب السيرة لينقل للناس ماورد فيها من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته سواء كان النقل عن طريق الخطب أو المقالات أوغيرها من وسائل الدعوة ليقتدوا به ﷺ .

الرابع - ملازمة الداعية للعبادة في جميع الظروف والأحوال:

العبادة هي التي تربي الإيمان وتقويه ولا يكون الداعية قوياً في دعوته إلا إذا كان ملازماً للعبادة، ولايكون أسوة حسنة وقدوة صالحة إلا إذا امتثل أوامر الله قولاً وعملاً.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الدعاة إلى الله؛ أن يذكروا الله قياما وقعوداً ويستشعروا وجوده في جميع الأحوال فهو سبحانه الناصر والهادي إلى سواء السبيل. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وفي الحديث ملازمته ﷺ للعبادة ، لأنه حال ركوبه للناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة).[٢]

الخامس -ترغيب المدعوين في ترتيل القرآن:

إن من أساليب الدعوة الترغيب في المداومة على قراءة القرآن الكريم وقراءته بترتيل وتمعن لأن ذلك مما يعين على فهمه ويجعل للقلب فرصة ليعرف معاني ما أنزل الله على رسوله ﷺ. وقد أمر الله نبيه ﷺ بترتيل القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [٣] ، وقوله ترتيلاً تأكيد على أهمية قراءته بأحكامه من ترتيل وتجويد، وقال ﷺ: ((ليس منا من لم يتغن

---

١) إرشاد الساري ٤٨١/٧.

٢) فتح الباري ٨٠/٩ ، وانظر الإفصاح / ابن هبيرة ٢٨٤/٤ .

٣) سورة المزمل جزء من الآية (٤).

بالقرآن)) (١). ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ يوم الفتح سورة الفتح ويرتل كما أمره الله، قال ابن مغفل ﷺ : (يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرَجِّعُ). قال العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ : (فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته والتهيؤ والاستعداد التام له).(٢) والداعية إلى الله مطالب بالترغيب في كتاب الله فعليه أن يجتهد في ترتيل الآيات على الوجه الصحيح عند قراءته ، ليجعل المدعوين يقتدون به في التلاوة وتدبر آيات القرآن .

السادس ـ اتخاذ جميع الأساليب التي تجمع النفوس للإصغاء إلى القرآن واستمالتهم إليه :

في هذا الحديث نجد الرسول ﷺ يقرأ القرآن ويُرجِّع فيه ليجذب أسماع الناس إلى مايقوله، ويذكرهم بوعد الله ﷺ له بالفتح، وقد لمسنا الإصغاء إليه من كلام عبد الله بن مغفل وحكايته لترجيعه، وطريقته في الترجيع. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وقول معاوية : (لَوْلا أنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ) يشيرأن القراءة بالترجيع والألحان تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء إليه وتستميلها بذلك حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع).(٣)

ولهذا وجب على الدعاة أن يقدموا جميع الأساليب التي تفيد في شد الانتباه والاستماع لما يدعو إليه من أمور دينهم وأن يختاروا من الأساليب مايناسب المكان وحال المدعوين لأن الأسلوب يختلف باختلاف حال المدعوين فتُنوع الأساليب حسب مقتضى الحال .

السابع ـ وجوب اقتداء الداعية بالرسول ﷺ في سنته ومنها إظهار التعبد :

كان صحابة رسول الله ﷺ يحرصون على تلقي العلم منه مباشرة، ومافاتهم أخذوه ممن علمه، وهذا واجب المسلم أن يتعلم العلم الشرعي ومانقل عن النبي ﷺ للاقتداء به في سنته القولية والفعلية لينال بذلك الفلاح في الدنيا والآخرة .

ولم يكن حديث عبد الله بن مغفل ﷺ لترجيع الرسول ﷺ ونقله له على كيفيته إلا للاقتداء به في إظهاره للعبادة حتى وهو يسير على ناقته. قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله

---

١) صحيح الإمام البخاري: كتاب التوحيد /باب قول الله تعالى : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ... الآية﴾ ٢٦٢/٨ رقم (٧٥٢٧).

٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٩٩/٧.

٣) فتح الباري ٤٣٠/١٣.

ـ : (فيه دليل على إظهار التعبد وهي السنة يؤخذ ذلك من قراءته عليه السلام وهو يسير على ناقته لأنه ﷺ لما كان شأنه دوام التعبد وجاءته ضرورة السير لم يترك القراءة).[١]

الثامن ـ تحري الصحابة ﷺ الدقة والأمانة في النقل :

كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على حفظ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومعرفة الناسخ والمنسوخ فجمعوا القرآن حفظا له من الاختلاف ، كما اعتنوا بالسنة حفظا وتدوينا فخلفوا لمن بعدهم هذه الثروة العلمية الموثقة بصحة السند والمتن . في هذا الحديث نجد الصحابي الجليل عبدالله بن مغفل ﷺ يقول في روايته (عَلَى نَاقَتِهِ أَوْجَمَلِهِ وَهْيَ تَسِيرُ بِهِ وَهْوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحُ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ) فلم يجزم بأحدهما وإن لم يكن في ذلك مايؤثر على الحديث ولكن هذا من شدة حرصه على صحة النقل عن النبي ﷺ والأمانة في ذلك . قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : ("عَلَى نَاقَتِهِ أَوْجَمَلِهِ " شك من الراوي وفيه دليل على صدقهم وتحريهم في النقل).[٢]

التاسع ـ أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم:

إثارة الأسئلة والإجابة عليها من طرق تحصيل العلم وتوفره واستقراره في القلوب، وكان الصحابة ﷺ يسألون عما أشكل عليهم لكنهم ماكانوا يكثرون الأسئلة على رسول الله ﷺ امتثالاً لأمره. وكانوا يفرحون بالأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ ليستفيدوا من أجوبته لأسئلتهم .

عن أنس بن مالك ﷺ قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع .[٣] قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (وقوله "العاقل" لكونه أعرف بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه وحسن المراجعة فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب).[٤]

وفي هذا الحديث نجد شعبة يسأل معاوية عن كيفية ترجيع الرسول ﷺ فيقول :(كَيْفَ

---

١) بهجة النفوس ٤/ ٨٠.

٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

٣) صحيح الإمام مسلم :كتاب الإيمان /باب السؤال عن أركان الإسلام ص ٢٧رقم (١٢).

٤) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١/ ٢٨٣.

كانَ تَرْجيعَهُ) من باب العلم بسنة النبي ﷺ والاقتداء به.

العاشر - من أساليب الدعوة: التشويق:

التشويق يكون بعدة أساليب كإثارة السؤال وطلب الجواب عليه أوذكر تعارض بين حكمين متشابهين وطلب تحرير محل النـزاع والترجيح، أو طرح مسألة وطلب الدليل عليها وبهذه الأساليب تكون النفوس مشرئبة ومتطلعة إلى معرفة الصواب .

وفي الحديث قال معاوية : (**لَوْ شِئْتُ أَنْ أَحْكِيَ لَكُمْ قِراءَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَفَعَلْتُ**) فيه تشويق للمستمع للتعرف على الكيفية التي كان يقرأ بها رسول الله ﷺ القرآن يوم الفتح .

٥٤ - باب

١٩-(٤٣٠٠) - وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ[١]، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ مَسَحَ وَجْهَهُ عامَ الْفَتْحِ . [٢]

وفي رواية: (وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ مَسَحَ عَيْنَهُ أَنَّهُ رَأَى سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يُوتِرُ بِرَكْعَةٍ).[٣]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - تأليف قلوب الأطفال للدعوة.

الثاني - تحدث الصحابة ﷺ عن مشاهداتهم .

الثالث - من أصناف المدعوين: الأطفال.

الرابع - من تاريخ الدعوة : فتح مكة في عهد النبي ﷺ.

الخامس - الحث على صلاة الوتر وبيان أقل الوتر.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تأليف قلوب الأطفال للدعوة:

كان النبي ﷺ سمحاً رحيماً يألف ويؤلف ومن حرصه على صلاح ناشئة المسلمين، كان يمسح عليهم ويدعو لهم، وهذه اللمسة المباركة من الرسول ﷺ بقي معناها في نفس هذا

---

١) هو عبد الله بن ثعلبة بن صعير بن عمرو بن زيد بن سنان العذري يكنى بأبي محمد ولد قبل الهجرة بأربع سنين، حليف بني زهرة. مسح النبي ﷺ رأسه فوعى ذلك .وكان شاعراً ، فصيحاً، نسّابة. توفي سنة تسع وثمانين للهجرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة.

(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ٥٠٣/٣ ، والإصابة /ابن حجر ٤٤/٤ ، وعمدة القاري /العيني ٢٨٨/١٧).

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب الدعوات /باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم ٢٠١/٧ رقم (٦٣٥٦).

٣) الطرف رقم (٦٣٥٦).

الصحابي تكبر معه ويعتز بها وترتاح لها نفسه ويطمئن بها قلبه فكان يذكر ذلك لأصحابه حتى رواها عنه ابن شهاب بقوله: (وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ مَسَحَ وَجْهَهُ عَامَ الْفَتْحِ) وفي الرواية الأخرى (وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ مَسَحَ عَيْنَهُ) وهذه تهيئه نفسياً وعملياً للتأسي برسول الله ﷺ ومتابعته وتبليغ دعوته .

وهناك عدد من الأحاديث التي تدل على اهتمام النبي ﷺ بالأطفال وحسن معاملته لهم ليكسب محبتهم ومن ثم اتباعه وحب الدعوة التي جاء بها. عن جابر بن سمرة ﷺ قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله وِلْدان فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحدا واحدا وأما أنا فمسح خدِّي قال فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار.[١] قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (وفي مسحه ﷺ الصبيان بيان حسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم).[٢] وقد بوب له الإمام البخاري في كتاب الدعوات بقوله : (باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم).

ولهذا ينبغي على الداعية أن يتآلف الأطفال ويحسن معاملتهم ويطيب خواطرهم بمسح رؤوسهم والاهتمام بقولهم لأنهم ناشئة المجتمع وعماده مستقبلاً فإذا أحسن إليهم استطاع أن يغرس فيهم حب الدعوة وأهلها والرغبة في الاقتداء بهم .

الثاني ـ تحدث الصحابة ﷺ عن مشاهداتهم:

الثروة العلمية التي بين أيدينا لم تكن إلا نتاج حرص السلف على نقل مايرونه وما يسمعونه عن النبي ﷺ وصحابته المقربين ﷺ. وفي هذا الحديث ينقل لنا عبد الله بن صعير ﷺ ما شاهده من سعد بن أبي وقاص [٣] الصحابي الجليل ﷺ، وهو من أفاضل الصحابة، شهد له

---

١) صحيح الإمام مسلم :كتاب الفضائل /باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولين مسه ، والتبرك بمسحه ص١٠٢٧ رقم (٢٣٢٩) وقال النووي:صلاة الأولى: يعني الظهر ، والولدان: الصبيان واحدهم وليد ...وجؤنة: بضم الجيم وهمزة بعدها وهي السقط الذي فيه متاع العطار. شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٩٢/١٥

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٩٢/١٥.

٣) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب، الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي، أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدراً والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى. أمه حمنة بنت سفيان.أسلم ابن سبع عشرة سنة، فحلفت أمه ألا تكلمه ولاتشرب ولاتأكل حتى يكفر فأنزل الله فيه قوله :﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ لقمان ١٥ (مسلم ١٧٤٨)، توفي بالعقيق في قصره على سبعة أميال من المدينة. وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو من أخوال النبي ﷺ . قال علي ﷺ: ما سمعت النبي ﷺ يجمع أبويه لأحد غير سعد بن مالك فإنه جعل يقول له يوم

النبيﷺ بالجنة وكان مستجاب الدعوة ، فهـذه المميزات جعلته يقتدى به وتؤخذ عنه السنة القولية والفعلية ، فلم يكن النقل إلا عن ثقة وذي علم. ولهذا استدل بما أخبر به عبدالله ﷺ على جواز الوتر بركعة، وقد ورد عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ : ((صلاة الليل مثنى مثنى فإذا أردت أن تنصرف فاركع ركعة توتر لك ماصليت)).(١)

الثالث - من أصناف المدعوين: الأطفال:

الدعوة توجه إلى المميزين والبالغين والشيوخ لأن دعوة الإسلام عامة فمتى أدرك المخاطب الخطاب وجبت دعوته للإسلام وقد كان الرسول ﷺ يدعو الصغير والكبير دون استثناء وقد كان علي ﷺ وهوصبي من أوائل المسلمين ومن الأدلة على قيام النبي ﷺ بدعوة الصغار؛ مارواه البخاري عن أنس ﷺ أن غلاماً ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: ((أسلم)) فأسلم .(٢)

كما اهتم النبي ﷺ بتربية صغار المسلمين على شرائع الدين ليعتادوا القيام بها حيث أمر بتعويدهم على أداء الفرائض وتعليمهم الأدب الإسلامي في كل شيء. فقال ﷺ : ((مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع)).(٣)

وقال ﷺ لعمر بن أبي سلمة ﷺ: ((يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)).(٤)

ولهذا ينبغي على الداعية ألا يغفل هذا الصنف من المدعوين وأن يهتم بتعليمهم أمور دينهم حتى ينشأوا على الإسلام ويتشربوا حبه منذ الصغر و ينشأوا صالحين مصلحين.

أحد ((فداك أبي وأمي)) (مسلم ٢٤١٠).كان مستجاب الدعوة لدعاء الرسول ﷺ له. وكان ﷺ يقول: ((هذا خالي. فليرني امرؤ خاله)). عن الحسن قال: لما كان الهيج في الناس، جعل رجل يسأل عن أفاضل الصحابة، فكان لايسأل أحداً إلا دله على سعد بن مالك .توفي سنة خمس وخمسين للهجرة.

(انظر:حلية الأولياء /أبو نعيم ٩٢/١، والإصابة /ابن حجر ٨٣/٣، وعمدة القاري / العيني ٢٢٧/١٦، وشذرات الذهب /ابن العماد ٦١/١).

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب الوتر / باب ماجاء في الوتر ١٥/٢ رقم (٩٩٣).

٢) صحيح الإمام البخاري :كتاب المرضى / باب عيادة المشرك ٧/٧ رقم (٥٦٥٧).

٣) سنن أبي داود:كتاب الصلاة /باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١٣٣/١ رقم الحديث (٤٩٥). وصححه الشيخ الألباني: انظر صحيح سنن أبي داود ١٤٤/١ رقم (٤٩٥) - ط٢ - ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض .

٤) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأطعمة /باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٢٤١/٦ رقم (٥٣٧٦).

الرابع - من تاريخ الدعوة: فتح مكة في عهد النبي ﷺ:

لاخلاف أن الفتح الأعظم - فتح مكة - كان في عهد النبيﷺ، وأنه في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة [١] وكان فتحاً مبيناً أعز الله به الإسلام وأهله وأذل به الشرك وأهله، ودخل الناس بعده في دين الله أفواجاً .

قال تعالى :﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.[٢] ولهذا كانت السنة التي تلي سنة الفتح وهي السنة التاسعة تسمى سنة الوفود لأن الناس وفدوا من كل حدب وصوب يعلنون إسلامهم ويتعلمون أمور دينهم وهو قمة النصر.

الخامس - الحث على صلاة الوتر وبيان أقل الوتر:

صلاة الوتر من الطاعات التي كلما زيد فيها زاد الأجر وهي سنة مؤكدة عن النبي ﷺ فقد كان يوتر ليلاً ويوقظ أهله للوتر. عن عائشة ﵂ قالت : (كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه ، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت).[٣] ولم يكن رسول الله ﷺ يترك الوتر لا في السفر ولا في الحضر وكان يوصي بها أصحابه . عن أبي هريرة ﵁ قال : (أوصاني النبي ﷺ بالوتر قبل النوم).[٤] والوتر ليس له عدد ركعات معين[٥]، فيجوز أن يوتر بركعة وبثلاث وبخمس وبغيرها فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه قال بعدد معين.قال القاضي عياض - رحمه الله - : (ولاخلاف أنه ليس له في ذلك حد لا يزاد عليه ولا ينقص منه).[٦]

والداعية إلى الله ينبغي أن يقتدي بالرسول ﷺ في صلاة آخر الليل، وأن يدعو إلى القيام بها ويرغب المدعوين في أدائها من خلال ذكر اهتمام الرسولﷺ بها وعظيم الثواب الذي جعله الله لمن فعلها.

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (١٨) ص ١٢٦.

٢) سورة النصر .

٣) صحيح الإمام البخاري:كتاب الوتر /باب إيقاظ النبي ﷺ أهله بالوتر ١٦/٢ رقم (٩٩٧).

٤) صحيح الإمام البخاري :كتاب الوتر /باب ساعات الوتر ١٦/٢.

٥) انظر اختلاف العلماء في عدد ركعات الوتر في : عمدة القاري/العيني ٢/٧ ، ونيل الأوطار/ الشوكاني ٣٩/٣ وذكر الشوكاني: عدد كثير من الصحابة ﵃ الذين كانوا يوترون بركعة منهم الخلفاء الراشدون وسعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل وكذلك ذكر بعض التابعين والسلف.

٦) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٢٦٣/٦.

٢٠-(٤٣٠١) - حدثني إبْراهِيمُ بْنُ مُوسى ، أَخْبَرَنا هِشامٌ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سُنَيْنٍ أَبِي جَمِيلَةَ[١] قالَ : أَخْبَرَنا وَنَحْنُ مَعَ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، قالَ: وَزَعَمَ أَبُو جَمِيلَةَ أَنَّهُ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَخَرَجَ مَعَهُ عامَ الْفَتْحِ . [٢]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - حرص الصحابة ﷺ على بيان صحبتهم للنبي ﷺ لما فيها من الفضل.

الثاني - اهتمام الصحابة ﷺ بالخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ.

الثالث - من تاريخ الدعوة: فتح مكة في عهد الرسول ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - حرص الصحابة ﷺ على بيان صحبتهم للنبي ﷺ لما فيها من الفضل:

في هذا الحديث حرص أبو جميلة على إثبات إدراكه للنبي ﷺ وصحبته له وخروجه معه لفتح مكة :- (قالَ: وَزَعَمَ أَبُو جَمِيلَةَ أَنَّهُ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ). فصحبة النبي ﷺ شرف عظيم، ومزية لمن صحبه ، وفضيلة الصحبة واللقاء ولو لحظة لايوازيها عمل ولاينال درجتها شيء، والفضائل لاتؤخذ بقياس ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٣] وسب الصحابة ﷺ وتنقصهم أو أحد منهم من الكبائر المحرمة ، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك [٤]. وخير القرون ذلك الذي عاش فيه النبي ﷺ ومن شهده شملته تلك الخيرية. قال النبي ﷺ :

١) هو سنين السلمي ويقال الضمري قيل اسم أبيه فرقد وله رواية ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين. وقال العجلي: إنه تابعي ثقة. وذكره ابن منده وابن حبان وغيرهما في الصحابة وقال أبو عمر في الاستيعاب قال مالك بن شهاب: أخبرني سنين أبو جميلة أنه أدرك النبي ﷺ عام الفتح. وقال غيره وحج معه حجة الوداع .

(انظر: الإصابة /ابن حجر ١٣٧/٣، وعمدة القاري / العيني ١٧/ ٢٨٩ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ٣٩٧/٦).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) سورة الحديد جزء من الآية (٢١) .

٤) إكمال المعلم/القاضي عياض ٥٨٠/٧ .

((خـــير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهـم ...))[١]. قـال الإمـام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : (والذي يستفاد من مجموع الأحاديث أن للصحابة مزية لايشاركهم فيها من بعدهم وهي صحبتهﷺ ، ومشاهدته والجهاد بين يديه وإنفاذ أوامره ونواهيه). [٢]

والصحبة أيضا من طرق التوثيق عند المحدثين لأن الصحابة ﷺ كلهم عدول [٣]، وحرص الصحابي على بيان صحبته يبعث الطمأنينة في نفوس السامعين لما يقوله .

وفي هذا العصر لم يبق للمسلم إلا العلماء يصحبهم فإنهم وإن لم يصلوا إلى منزلة أصحاب الرسولﷺ ولن يصلوا لكنهم ورثة النبي ﷺ في تبليغ العلم الشرعي والدعوة إلى الله تعالى وفي صحبتهم الخير الكثير.

الثاني ـ اهتمام الصحابة ﷺ بالخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ:

في هذا الحديث يخبر أبو جميلة ﷺ عن خروجه مع النبي ﷺ عام الفتح (**وَخَرَجَ مَعَهُ عامَ الْفَتْحِ**) ومشاركته في الجهاد، ولو لم يكن في ذلك أهمية لما أخبر به .فالجهاد في سبيل الله من وسائل نشر الدين الإسلامي ولذلك كان الرسول ﷺ يخرج لجهاد من عاند الدعوة ورفضها، وكان الصحابةﷺ يحرصون على الخروج معه لأداء هذا الواجب العظيم فهم أولوا السبق إلى كل خير وليس أخير من جهاد أعداء الإسلام ورفع رايته في أقطار الأرض .

وفي قصة عمرو بن الجموح ﷺ يوم أحد خير دليل على هذا الاهتمام حيث جاء إلى النبيﷺ فقال: يارسول الله ! إن بني هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك ، ووالله إني لأرجو أن أُستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة .[٤]

---

١) متفق عليه: في صحيح الإمام البخاري:كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ / باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبيﷺ أو رآه من المسلمين فهو في أصحابه ٢٢٨/٤ رقم (٣٦٥٠) واللفظ له ،ورواه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب فضائل الصحابة ﷺ /باب فضل الصحابة ﷺ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ص١١١١ رقم (٢٥٣٥).

٢) نيل الأوطار ٢٣٠/٩ .

٣) انظر المفهم /القرطبي ١٢٢/١.

٤) انظر القصة في : السيرة النبوية / لأبي محمد عبدالملك بن هشام المعافري ٣٦/٣ قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبدالرؤوف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ، وزاد المعاد /ابن القيم ٢٠٨/٣ ،

الثالث ـ من تاريخ الدعوة : فتح مكة في عهد الرسول ﷺ:

فتح الله ﷻ لنبيه ﷺ مكة فدخلها منتصرا بعد أن أخرج منها متخفيا خوفا من بطش أهلها الذين تآمروا على قتله، وقد كان وعد الله له بالنصر والعودة إليها قد نزل عليه وهو في طريق هجرته حيث نزل عليه قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [١]. ووعد تعالى بالفتح والنصر فقال:﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢]. وفي هذا الحديث تأكيد على أن هذا الفتح كان في عهد رسول الله ﷺ حيث ذكر أبو جميلة أنه خرج مع الرسول ﷺ عام الفتح في السنة الثامنة للهجرة.

---

١) سورة القصص جزء من الآية رقم (٨٥).

٢) سورة الفتح الآية رقم (٢٧).

٢١-(٤٣٠٢) . حدثنا سُلَيْمانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ [١] قالَ: قالَ لِي أَبُو قِلابَةَ ألا تَلْقاهُ فَتَسْأَلَهُ، قالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقالَ:كُنَّا بِما مَمَرِّ النَّاسِ وكانَ يَمُرُّ بِنا الرُّكْبانُ فَنَسْأَلُهُمْ ما لِلنَّاسِ، ما لِلنَّاسِ ما هذا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ : يَزْعُمُ أَنَّ الله أَرْسَلَهُ أَوْحى إِلَيْهِ أَوْ أَوْحى الله بِكَذا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذلِكَ الْكَلامَ، وكَأَنَّما يُغرى فِي صَدْرِي وكانَتِ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلامِهِمُ الْفَتْحَ ، فَيَقُولُونَ :اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهْوَ نَبِيٌّ صادِقٌ فَلَمَّا كانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلامِهِمْ و بَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قالَ: جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقّاً فَقالَ: ((صَلُّوا صَلاةَ كَذا، فِي حِينِ كَذا وَصَلُّوا كَذا فِي حِينِ كَذا فَإِذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً)) فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآناً مِنِّي لِما كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبانِ،فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنا ابْنُ سِتٍّ أَوْسَبْعِ سِنِينَ وَكانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ كُنْتُ إِذا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي فَقالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْحَيِّ: أَلا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قارِئِكُمْ؟فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصاً فَما فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذلِكَ الْقَمِيصِ).[٢]

شرح غريب الحديث :

<< أَلا تَلْقاهُ فَتَسْأَلَهُ >> : أي قال أيوب : قال لي أبوقلابة :ألا تلقاه ، ألا تلقى عمرو بن سلمة فتسأله.[٣]

<< بِما >> : أراد به المنزل الذي ينزل عليه الناس .[٤]

---

١) هو عمرو بن سلمة أبو بريد الجرمي وقيل أبو يزيد، لأبيه صحبة ووفادة .وقد قيل أنه وفد مع أبيه وله رؤية. نزل البصرة،صلى بقومه في عهد النبي ﷺ في صغره ويقال له صحبة. مات سنة ٨٥ هـ. وهو غير عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ .(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ٥٢٣/٣ ، والإصابة /ابن حجر ٣٠٣/٤ ، وشذرات الذهب /ابن العماد ٩٥/١).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) عمدة القاري ٢٨٩/١٧.

٤) فتح الباري /ابن حجر ١٨/٨ ، عمدة القاري /العيني ٢٨٩/١٧،وإرشاد الساري / القسطلاني ٣٩٨/٦.

<< **الرُّكْبانُ** >> : الراكب للبعير خاصة ثم اتسع فيه فأطلق على من ركب دابة. والجمع ركاب وركبان وركوب .[١]

<< **يُغْرِى** >> : بغين معجمة وراء ثقيلة من التغرية أي يلصق بالغراء وقرئت يقر بضم أوله وفتح القاف وتشديد الراء من القرار .[٢]

<< **تَلَوَّمُ** >> : بفتح التاء المثناة من فوق وفتح اللام وتشديد الواو وأصله تتلوم فحذفت إحدى التاءين ومعناه تنتظر .[٣]

<< **إنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ** >> : أصل الظهور الارتفاع والغلبة ومنه قوله ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾[٤] أي ماقدروا أن يعتلوا عليه لارتفاعه وقوله ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[٥] أي غالبين معتلين على من ناوأهم وعاداهم.[٦]

<< **بَدَرَ** >> : بدر إلى الشيء أبدر بدورا: أسرعت وكذلك بادرت إليه. وبدرني الأمر وبدر إليَّ عجل إليَّ واستب. وابتدر القوم أمرا وتبادروه أي بادر بعضهم بعضا إليه أيهم يسبق إليه .[٧]

<< **تَقَلَّصَت** >> : قلص الشيء يقلص قلوصا :تداني وانضم. وقلصت قميصي: شمرته ورفعته. وتقلص هو تشمر .[٨]

<< **اسْت** >> : الاست : العجز .[٩]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: تناقل خبر بعث النبي ﷺ بين الناس.

الثاني - من تاريخ الدعوة: فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

---

١) لسان العرب/ابن منظور ٤٢٩/١ مادة ركب ، وعمدة القاري /العيني ٢٨٩/١٧ .

٢) فتح الباري/ابن حجر ١٨/٨ ، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٠/٣ .

٣) لسان العرب /ابن منظور ٥٥٧/١٢ مادة لوم ، وعمدة القاري/العيني ٢٩٠/١٧ .

٤) سورة الكهف جزء من الآية رقم (٩٧).

٥) سورة الصف جزء من الآية (١٤).

٦) تفسير غريب مافي الصحيحين /الحميدي ص٥١٣.

٧) لسان العرب /ابن منظور ٤٨/٤ مادة بدر .

٨) المصدر السابق ٧٩/٧ مادة قلص ، وفتح الباري/ابن حجر ١٨/٨ ، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٤٠/٣ .

٩) المصدر السابق ٤٩٥/١٣ مادة سته .

الثالث - من موضوعات الدعوة: أهمية السبق إلى الإسلام.

الرابع - من أساليب الدعوة: استخدام القسم.

الخامس - بيان أهمية الصلاة .

السادس - فضل حافظ القرآن وتقديمه للإمامة دون النظر إلى سنه.

السابع - من أساليب الدعوة: ذكر العدد.

الثامن - دور المرأة في إنكار المنكر.

التاسع - أهمية التعاون بين المسلمين.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: تناقل خبر بعث النبي ﷺ بين الناس:

في هذا الحديث دليل على تناقل الناس لخبر بعثة النبي محمد ﷺ حيث قال عمرو بن سلمة ﷺ : (**وَكانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبانُ فَنَسأَلُهُمْ ما لِلنَّاسِ،ما لِلنَّاسِ ما هذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ : يَزْعُمُ أَنَّ الله أرْسَلَهُ أَوْحى إلَيْهِ أَوْ أَوْحى الله بِكَذا**) وذلك لأن بعثة النبيﷺ حدث عظيم في تاريخ العرب ، ولهذا تناقلته الأخبار وسارت به الركبان حتى انتشر بين الناس داخل الجزيرة العربية وحتى في خارجها، كما جاء في قصة أبي سفيان مع هرقل لما سأله عن النبيﷺ الذي بعث فيهم ولولا أن الأمر جلل ماسأل عنه ملك الروم [١]، وقد عرف خبر البعثة في جنوب شرق أفريقيا حين ذهب المهاجرون إلى الحبشة وأسلم النجاشي لما سمع ماعند المهاجرين من القرآن عرف صدق دعوة رسول الإسلام ﷺ.[٢]

وقد كانت هذه الأخبار هاجس الناس وحديثهم فكان بمثابة الإرهاصات والمقدمات لإسلامهم، ولهذا لما ظهر محمد ﷺ على قومه بفتح مكة لم يترددوا في قبول الإسلام بل جاءت الوفود تباعاً تعلن قبولها للدعوة .

---

١) انظر البداية والنهاية /ابن كثير ٣٠١/٤.

٢) انظر المصدر السابق ٨٩/٣.

الثاني ـ من تاريخ الدعوة: فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً:

وهذا ما أشار إليه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ .[١]

فهذا الفتح العظيم إعلام بقوة الإسلام وسلطانه فلم يكن بد من قبول الدعوة والانقياد لها ، ولم يبق عند الناس شك في صحة النبوة وصدق الرسول ﷺ، ولهذا كثرت الوفود على الرسول ﷺ تعلن الإذعان لله تعالى وتوحيده والطاعة المطلقة للخالق ﷻ قال عمرو بن سلمة ﷺ: (وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ ، فَيَقُولُونَ : اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ). قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (اقتضت حكمة الله أن فتح مكة كان سبباً لدخول كثير من قبائل العرب في الإسلام وكانوا يقولون دعوه وقومه فإن غلبهم دخلنا في دينه وإن غلبوه كفونا أمره).[٢]

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: أهمية السبق إلى الإسلام:

المبادرة إلى قبول الدعوة والاستسلام للخالق بالتوحيد لاشك أنه فضيلة عظيمة لصاحبه، ولذا كان السابقون إلى الإسلام في بداية البعثة المحمدية أفضل من غيرهم لتصديقهم بالنبي ﷺ بمجرد إخباره لهم ببعث الله له، رغم معرفتهم بما سينالونه من قومهم خاصة الموالي منهم كبلال وسمية وزوجها وابنها ﷺ، وقد سمي أبو بكر بالصديق ﷺ لأنه أول من صدق بمحمد ﷺ من الرجال فلم يتردد في قبول الدعوة. عن همام قال سمعت عماراً ﷺ يقول: (رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر)[٣]. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (إن في أبي بكر ﷺ فضيلة خاصة لسبقه في الإسلام حيث لم يسلم أحد قبله من الرجال الأحرار).[٤]

وفي هذا الحديث يذكر لنا عمرو بن سلمة ﷺ مبادرة أبيه إلى الإسلام حيث قال : (و بَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ) وسبقه لهم في ذلك لما لهذا السبق من أهمية وفضل.

---

١) سورة النصر .

٢) فتح الباري ٣٩/٨.

٣) صحيح الإمام البخاري:كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ /باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ٢٣٢/٤ رقم (٣٦٦٠).

٤) عمدة القاري ١٧٩/١٦.

الرابع - من أساليب الدعوة: استخدام القسم:

من أساليب الدعوة إلى الله تعالى في تأكيد الأمر أسلوب القسم عند الإخبار عن الأمر الديني. وفي هذا الحديث أقسم سلمة ﷺ على صدق نبوة محمد ﷺ حينما قدم من عنده وقد سمع كلامه وتحقق من بعث الله له لدعوة الناس، فجاء إلى قومه فقال: (جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقّاً). قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (جواز الحلف ، بل استحبابه على الخبر الديني الذي يريد تأكيده ،وقد حفظ عن النبي ﷺ الحلف في أكثر من ثمانين موضعاً وأمره الله تعالى بالحلف على تصديق ماأخبر به في ثلاثة مواضع: في سورة يونس، وسبأ، والتغابن).[١]

وهذا الأسلوب الدعوي يستعمل عندما يكون الداعية على يقين تام بما يقوله فيقنع به الغير، فينبغي ألا يكثر من استخدامه في كل صغيرة وكبيرة حتى لايهون أمره في أعين الناس أويقع في الكذب على الله من غير أن يعلم.

الخامس - بيان أهمية الصلاة:

الصلاة هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولذا كان النبي ﷺ إذا جاءه الوفود يسألون عن الإسلام فأول مايبدأ به من شرائع الدين بعد الشهادتين الصلاة، وإذا بعث ﷺ رسولاً إلى أي بلد كان يأمره بأن يبدأ بدعوتهم إلى كلمة التوحيد ـ الشهادتين ـ فإذا قبلوا ، أمرهم بالصلاة.[٢] فكانت الصلاة في الدعوة تأتي في المرتبة الثانية ولهذا كانت من أوائل الأمور التي تعلمها سلمة ﷺ من النبي ﷺ حين قدم إليه، فقد قال له النبي ﷺ : ((صَلُّوا صَلاةَ كَذَا، فِي حِينِ كَذَا وَصَلُّوا كَذَا فِي حِينِ كَذَا فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا)) .

لذا ينبغي على الدعاة أن يهتموا بالصلاة تعليماً وأداءً وأن يجعلوها من أوائل

١) زاد المعاد ٣/٢٠٣.والآية التي في سورة يونس هي قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ آية (٥٣)، والتي في سورة سبأ هي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ جزء من الآية(٣)، والتي في سورة التغابن هي قوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الآية (٧).

٢) مثله ماجاء في حديث بعث معاذ ﷺ إلى اليمن في صحيح الإمام البخاري :كتاب التوحيد /باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٨/٢٠٧ رقم (٧٣٧٢).

الموضوعات التي يثيرونها في أحاديثهم للناس وفي خطبهم ببيان فضلها وعظم إثم تاركها والمتهاون بها وفقاً لما جاء في الكتاب والسنة من الشواهد .

السادس - فضل حافظ القرآن وتقديمه للإمامة دون النظر إلى سنه:

حامل القرآن له مزية على غيره ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام ، ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران)).[١] ، وعن عامر بن واثلة أن نافع بن عبدالحارث لقي عمر ﷺ بعسفان ، وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي ؟ قال: ابن أبزي. قال : ومن ابن أبزي ؟ قال مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى ! قال: إنه قاريء لكتاب الله ﷻ ،وإنه عالم بالفرائض. قال عمر ﷺ : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين))[٢] . ولأن قراءة القرآن ــ سورة الفاتحة ــ من أركان الصلاة فلا تصح دونها لقول النبي ﷺ : ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)).[٣] ولهذه الأهمية قدم حامل القرآن على غيره في الإمامة ولو كان صغيراً بشرط أن يكون مميزاً. قال رسول الله ﷺ : ((فإذا حضرت الصلاةُ فليؤذّنْ أحدُكمْ وليؤمَّكمْ أكثرُكمْ قرآناً)). وقال ﷺ : ((إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالإمامة أقرؤهم)).[٤]
قال العلامة العيني - رحمه الله - : (فالأسن إذا وجد وكان منهم من هو أصغر منه ولكنه أقرأ قدم الأقرأ كما في حديث عمرو بن سلمة وكان قد أم قومه في مسجد عشيرته وهو صغير وفيهم الشيوخ والكهول).[٥]

لذا ينبغي للمسلم الاهتمام بقراءة القرآن وحفظه وتعليمه بفتح حلقات أو الإعانة عليها أو دعوة القادرين لإقامتها . لما في تعلم القرآن وتعليمه من الخير العظيم للأمة المسلمة .قال رسول الله ﷺ : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) .[٦]

---

١) الحديث (١٦٤) من البحث ص٧٦٢.
٢) صحيح الإمام مسلم:كتاب صلاة المسافرين /باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ص٣٢٩ رقم (٨١٧).
٣) صحيح الإمام البخاري :كتاب الأذان /باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ٢٠٧/١ رقم (٧٥٦).
٤) صحيح الإمام البخاري :كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب من أحق بالإمامة ١٧٨/٥ رقم (٦٧٢).
٥) عمدة القاري ٢١٢/٥ .
٦) صحيح الإمام البخاري :كتاب فضائل القرآن / باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٣١/٦ رقم (٥٠٢٧).

السابع - من أساليب الدعوة: ذكر العدد:

أسلوب العدد والترقيم من الأساليب الدعوية التي تستخدم لبيان عدد الشيء من حيث الكثرة والقلة أو تحديده أو إظهار ميزة معينة للمعدود .

وفي هذا الحديث ذكر لنا عمرو بن سلمة كم كان عمره حين أمَّ قومه في الصلاة بعد أمر الرسول ﷺ لهم بإقامتها، وأوضح أن سنه كان يومئذ لا يتجاوز سبع سنوات وهو سن صغير بالنسبة لإمام، ولكنه تميز عن الكبار من قومه بكثرة قراءة القرآن، فقدم على الشباب والكهول بهذه الميزة.

الثامن - دور المرأة في إنكار المنكر:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .[1] فقد فرض الله ﷻ على الأمة الإسلامية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمرأة المسلمة عليها مسؤولية القيام بالاحتساب كالرجل كما دلت عليه الآية السابقة. قال الإمام النحاس - رحمه الله - : (وفي ذكره تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ هنا دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على النساء كوجوبه على الرجال حيث وجدت الاستطاعة).[2] وقد كانت المسلمات من هذه الأمة يقمن بالاحتساب في كثير من المجالات اقتداءً بأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين.[3] وفي هذا الحديث دليل على ذلك حيث أنكرت امرأة على قومها خروج عورة إمامهم حيث إن خروج شيء من العورة منكر شرعاً فلهذا أنكرته فقالت: (ألا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قَارِئِكُمْ؟).

---

١) سورة التوبة جزء من الآية (٧١).

٢) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين للإمام محي الدين أبي زكريا النحاس ص٢٠- حققه وعلق عليه عماد الدين عباس سعيد بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث - ط١ - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م - دار الكتب العلمية - بيروت.

٣) انظر أمثلة على ذلك في كتاب فضيلة الأستاذ الدكتور فضل إلهي ظهير مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء النصوص وسير الصالحات.

التاسع - أهمية التعاون بين المسلمين:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأعمال التي يجب أن تتضافر جهود المسلمين في القيام بها لقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.[١]

ومجال التعاون في العمل الدعوي واسع نظراً لاتساع الأرض وكثرة المنكرات في البلاد الإسلامية واندثار الإسلام في بعض بلاد العالم ، فلابد من التعاون بين المسلمين في القضاء على المنكرات ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام لأنهم خلفاء الله في أرضه وقد قضى الله ألا يقبل غير الإسلام دينا من أحد من البشر . ومسؤولية الدعاة إلى الله عظيمة ولن يتحقق المطلوب ـ وهو نشر الإسلام - إلا ببذل الجهد واتحاد الهدف والسعي بكل مايستطيعون إلى تحقيقه .

وفي هذا الحديث ظهر لنا وجه من أوجه التعاون الذي دعى إليه الإسلام وهو إزالة المنكر بستر عورة الإمام الصغير الذي لا يملك من اللباس إلا هذه البردة. وقد قال رسول الله ﷺ: ((من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة))[٢] . قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (وفي الحديث حض على التعاون وحسن المعاشرة والألفة والستر على المسلم).[٣]

---

١) سورة المائدة جزء من الآية (٢).

٢) صحيح الإمام البخاري :كتاب المظالم / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ١٣٤/٣ جزء من الحديث رقم (٢٤٤٢).

٣) عمدة القاري ٢٨٩/١٢.

٥٥- **باب** قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]

٢٢-(٤٣١٤) - حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: رَأَيْتُ بِيَدِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى [٢] ضَرْبَةً قَالَ: ضُرِبْتُهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قُلْتُ: شَهِدْتَ حُنَيْناً؟ قَالَ: قَبْلَ ذَلِكَ. [٣]

شرح غريب الحديث:

<< **قَبْلَ ذَلِكَ** >> :أي نعم ؛ وقبل ذلك، أي وشهدت مشاهد قبل حنين، وأول مشاهده الحديبية.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: وقوع غزوة حنين في عهد النبي ﷺ.

الثاني - حرص السلف على سؤال الصحابة ﷺ عن أحوالهم .

الثالث - قوة إيمان الصحابة ﷺ وحرصهم على الجهاد في سبيل الله.

الرابع - جواز الإخبار عن النفس عند أمن الرياء.

---

١) سورة التوبة الآيات (٢٥ إلى٢٧).

٢)سبقت ترجمته في الحديث رقم (٥) ص٦٢.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) انظر فتح الباري / ابن حجر ٢١/٨.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: وقوع غزوة حنين في عهد النبي ﷺ:

بعد أن فتح الله على نبيه ﷺ والمسلمين مكة وهي غير بعيدة من الطائف ساء ثقيف خبر هذا الفتح وخافوا وصول المسلمين إليهم فبادروا بحربهم وخرجت ثقيف وهوازن عن بكرة أبيهم برجالهم وأموالهم فلقيهم المسلمون في وادي حنين ـ واد بين مكة والطائف ـ عام ثمان للهجرة، ونصرهم الله ﷻ عليهم وغنموا منهم غنائم كثيرة .(١)

الثاني - حرص السلف على سؤال الصحابة ﷺ عن أحوالهم:

في هذا الحديث دليل على حرص السلف الصالح من هذه الأمة على سؤال الصحابة ﷺ عن أمور الدين ، حيث كانوا يسألون عن أي أمر قد يوصلهم إلى العلم بأمر في الدين ؛ ومن ذلك سؤالهم عن آثار الجراح في أقدامهم ليتعرفوا من خلالها على موقف من مواقفهم مع الرسولﷺ، فيستفيدوا منه وينقلوه للناس للاقتداء بهم ، فهذا إسماعيل بن أبي خالد البجلي يسأل عبد الله ﷺ عن أثر ضربة فيه (رَأَيْتُ بِيَدِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى ضَرْبَةً قَالَ: ضُرِبْتُهَا مَعَ النَّبِيِّﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قُلْتُ: شَهِدْتَ حُنَيْنًا؟ ،قَالَ: قَبْلَ ذَلِكَ).

الثالث - قوة إيمان الصحابة ﷺ وحرصهم على الجهاد في سبيل الله :

إن في هذا الحديث دليلاً على قوة إيمان الصحابة ﷺ وحرصهم على الجهاد في سبيل الله بتكرار الغزو مع رسول الله ﷺ رغم ما يصيبهم من البلاء فيه ، فقد ذكر ابن أبي أوفى إصابته يوم غزوة حنين مع رسول الله ﷺ، وقد شهد عدد من الغزوات غيرها (٢). ذكرالإمام القرطبي - رحمه الله - : (أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أقوى في دين الله ، وأحرص على إظهاره).(٣)،

لذا ينبغي على المسلم الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في هذا الحرص وأن يبذل جهده في إظهار دين الله تعالى بشتى الوسائل والأساليب ، وأن يتحمل في سبيل ذلك ماينالـه من أذى

---

١) انظر : زاد المعاد / ابن القيم ٤٦٥/٣ ، والبداية والنهاية / ابن كثير ٣٦٨/٤ ، وعمدة القاري /العيني ٢٩٣/١٧ ،ومنار القاري / حمزة قاسم ٣٧١/٤ .

٢) انظر قصة أخرى في حرص صحابة رسول الله ﷺ على الجهاد في الحديث رقم (٨٢) من البحث.

٣) المفهم ٣/ ٦٤٧.

احتسابا للأجر عند الله تعالى ، وليوقن أنه لابد من تعرضه للأذى فلايوهن ذلك عزائمه في التصدي لأعداء الإسلام ، وإزالة المنكرات .

الرابع - جواز الإخبار عن النفس عند أمن الرياء :

مما يستفاد من هذا الحديث جواز إخبار الداعية عن نفسه عند أمن الرياء؛ حيث أخبر عبد الله بن أبي أوفى ﷺ التابعي إسماعيل عن شهوده لعدد من الغزوات مع النبي ﷺ رغم اقتصار سؤاله على غزوة حنين. ولايعد هذا من المدح المذموم فإن مدح النفس نوعان: ماقصد به المرء افتخاراً بغياً وانتقاصا لغيره فهذه هي التزكية وهو مذموم جداً، والآخر ماخرج مخرج الإخبار بالحق بل مما قصد به الحض على الخير لاالفخر فهو خير . (١) لهذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يبين للمدعوين أنواع المدح وأنه منه ماهو مباح بل مطلوب في حالات معينة كهذه التي في الحديث.

---

١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل /للإمام علي بن أحمد بن حزم الظاهري ٤/٣٥ - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م - دار الفكر .

٥٧ - بابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمانٍ

٢٣-(٤٣٢٤) . حدثنا الْحُمَيْدِيُّ سمِعَ سُفْيانَ، حَدَّثَنا هِشامٌ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّها أُمِّ سَلَمَةَ [١]، دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدِي مُخَنَّثٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ الله بْنِ أُمَيَّةَ: يا عَبْدَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ الله عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَداً، فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلانَ فَإِنَّها تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمانٍ فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لا يَدْخُلَنَّ هؤُلاءِ عَلَيْكُنَّ)) قالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَقالَ ابْنُ جُرَيْجٍ الْمُخَنَّثُ هِيتٌ .[٢]

شرح غريب الحديث :

<< مُخَنَّثٌ >> : الخنثى الذي لا يخلص لذكر ولا أنثى. ورجل خنثى له ما للذكر والأنثى وخنث الشيء فتخنث أي عطفته فتعطف، والمخنث من ذلك للينه وتكسره .[٣]

<< تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمانٍ >>:أي أن لها أربع عكن لسمنها تقبل بهن ، من كل ناحية ثنتان ولكل واحدة طرفان فإذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية .والعكنة بالضم الطي الذي في البطن من

١) هي أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية زوج النبي ﷺ واسمها هند، بنت عم خالد بن الوليد وأبي جهل ، وكان أبوها يعرف بزاد الركب وكانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة :أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي فولدت له سلمة وعمر ودرة وزينب ، وتوفي ، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده وكانت من المهاجرات الأول حيث هاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة وكانت رضي الله عنها تعد من فقهاء الصحابيات ومن أجمل النساء وأشرفهن نسباً .آخر أمهات المؤمنين موتاً وهي صاحبة المشورة المباركة يوم الحديبية ورأت جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه.عاشت نحواً من تسعين سنة.توفيت على الأرجح سنة إحدى وستين للهجرة .وبلغ مسندها ثلاث مئة وثمانية وسبعين حديثا ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشرة . (انظر: أسد الغابة /ابن الأثير ٥/٥٨٨ ، وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي /إعداد الحمصي ١/٥٥، والإصابة /ابن حجر ٨/٢٤٠ ، وشذرات الذهب /ابن العماد ١/٦٩).

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب النكاح /باب ماينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة ٦/١٩٤ رقم (٥٢٣٥) .

وكتاب اللباس /باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ٧/٧٢ رقم (٥٨٨٧) .

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب السلام /باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب ص٩٦٨ رقم (٢١٨٠).

٣) لسان العرب /ابن منظور ٢/١٤٥ مادة خنث ، وعمدة القاري /العيني ١٧/٣٠٣ .

السمن. [١]

<< هِيتٌ >> : أي اسمه وهو بكسر الهاء وسكون التحتانية بعدها مثناة وقيل بفتح الهاء ، وقيل هنب بنون ساكنة بعدها مكسورة وفي آخره باء موحدة وقال ابن درستويه هذا هو الصواب وماسواه تصحيف قال: والهنب الأحمق ، وقيل اسمه ماتع .[٢]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول ـ حرص الصحابيات ﷺ على تعليم أبنائهن العلم الشرعي وأحكام الإسلام.

الثاني ـ من موضوعات الدعوة: قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة.

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: صلة الرحم وزيارة الأقارب.

الرابع ـ الإنكار على من يصف المرأة أمام الرجال.

الخامس ـ من أساليب الدعوة: إضافة نون التوكيد مع الفعل.

السادس ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

السابع ـ حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن.

الثامن ـ من موضوعات الدعوة: وجوب الحجاب .

التاسع ـ من أصناف المدعوين: المخنثون.

العاشر ـ من أصناف المدعوين: النساء.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ حرص الصحابيات ﷺ على تعليم أبنائهن العلم الشرعي وأحكام الإسلام:

وهذا الخبر الذي ورد في هذا الحديث من أهم مايجب أن تعرفه النساء ولهذا حرصت أم سلمة ﷺ على أن تعلمه ابنتها حتى تعرف مانهى عنه رسول الله ﷺ فإن بعض المخنثين وإن لم

---

١) انظر: عمدة القاري/ العيني ٢١٦/٢٠.

٢) انظر: فتح الباري/ابن حجر ٣٥/٨ ، وعمدة القاري/ العيني ٣٠٤/١٧ ، وإرشاد الساري /القسطلاني ٤٠٩/٦.

يكن له همة في النساء إلا أنه يعرف محاسنهن فيصفهن للرجال وفي هذا ذريعة إلى الفساد يجب سدها ولهذا أمر النبي ﷺ زوجته ألاّ تسمح بدخول هذا المخنث عليها ثم أمر ﷺ بإخراجه ونفاه من المدينة [١]. فينبغي على الداعيات الحرص على تعليم أولادهن العلم الشرعي وأحكام الإسلام والاقتداء بأمهات المؤمنين فهذا الحديث نقلته زينب رضي الله عنها[٢] عن أمها إلى المسلمين وتناقلوه بينهم كما فعل أبوهشام حين علمه لابنه ومن هشام [٣] إلى غيره من التابعين حتى بلغنا في هذا العصر. فلولا اهتمامهن بهذا التعليم وحرصهن عليه لما وصلنا الكثير من العلم بأمور ديننا الإسلامي الحنيف.

الثاني -من موضوعات الدعوة: قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة:

في هذا الحديث دليل على قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة، فقد قُبل قول أم سلمة رضي الله عنها في إخراج المخنثين، ومنعهم من الدخول على النساء، ولا ريب في ذلك فهي صحابية والصحابة كلهم عدول وخبر الواحد منهم مقبول [٤]، وهي أيضا زوج النبي ﷺ، وأم المؤمنين، وما نقلته عنه فهو حق. قال الإمام ابن أبي العز الحنفي ــ رحمه الله ــ: (وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر. ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع. كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((**إنما الأعمال بالنيات**))[٥] ، وخبر ابن عمر رضي الله عنهما: (**نهى عن بيع الولاء وهبته**) [٦] وخبر أبي هريرة رضي الله عنه:

---

١) انظر فتح الباري/ ابن حجر ٩/٢٩٤.

٢) هي زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومية .ربيبة النبي ﷺ ، وأخت عمر ،ولدتهما أم المؤمنين بالحبشة . روت أحاديث .ولها عن عائشة ، وزينب بنت جحش ، وأم حبيبة ، وجماعة .حدَّث عنها :عروة ، وابنها أبو عبيدة بن عبيد الله بن زمعة ، وآخرون .توفيت قريباً من سنة أربع وسبعين للهجرة .

(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١/٩٥ ،وعمدة القاري /العيني ١٧/٣٠٣).

٣) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، الإمام الثقة ، شيخ الإسلام ، أبو المنذر القرشي ، الأسدي ، المدني.ولد سنة إحدى وستين للهجرة ، سمع من أبيه وعمه ابن الزبير وطائفة من كبراء التابعين . قال أبو حاتم الرازي :ثقة ، إمام في الحديث.وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً ، كثير الحديث ، حجة .توفي ببغداد سنة ست وأربعين ومئة للهجرة. (انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي / إعداد الحمصي١/٢١٣).

٤) انظر الكفاية في علم الرواية / للإمام أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ص٦٦ ـ تحقيق وتعليق الدكتور أحمد عمر هاشم ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥) صحيح الإمام البخاري:كتاب بدء الوحي/باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/٣ رقم (١).

٦) صحيح الإمام البخاري:كتاب الفرائض/باب إثم من تبرأ من مواليه ١٣/٨ رقم (٦٧٥٦).

((لاتنكح المرأة على عمتها ولاعلى خالتها)) (١)، وكقوله : ((يحرم من الرضاع مايحرم من النسب)) (٢)، وأمثال ذلك . وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة، فاستداروا إليها. وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحادا، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد ! وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٣). فلابد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه، لئلا يبطل حججه وبيناته). (٤)

الثالث .من موضوعات الدعوة: صلة الرحم وزيارة الأقارب:

صلة الرحم واجبة، وقطيعة الرحم محرمة، وقاطع الرحم ملعون في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.(٥) لهذا فإنه يجب على المسلمين وقاية أنفسهم من هذا العقاب؛ بزيارة ذوي الأرحام، والسؤال عن حالهم، وتفقدهم، وإعانة المحتاج منهم، وعيادة المريض، وتحصل صلة الرحم أيضاً بالهدية والصدقة إذا كان من أهلها .

وفي هذا الحديث نرى امتثال الصحابة ﷺ لهذا الأمر الذي يحصل به التكافل الاجتماعي فهذه أم سلمة ﷺ تحكي لنا زيارة أخيها عبدالله لها :- (دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدِي مُخَنَّثٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ الله بْنِ أُمَيَّةَ) وهذا إنما يدل على أهمية التزاور بين الأقارب.

الرابع . الإنكار على من يصف المرأة أمام الرجال:

لا يجوز لرجل أو امرأة وصف المرأة للرجل إلا إذا كان تقدم لخطبتها فإن الخاطب يجوز أن توصف له المرأة بما فيها ليرغب في نكاحها. أما ماسوى ذلك فلا يجوز وصف المرأة للرجال الأجانب، وقد نهى عنه النبي ﷺ لأنه منكر وفيه من المفاسد الشيء العظيم منها تهييج النفوس إلى الوقوع في الحرام. قال ﷺ : ((لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر

---

١) انظر صحيح الإمام البخاري:كتاب النكاح/باب لاتنكح المرأة على عمتها ١٥٦/٦ رقم (٥١٠٨) ،ورقم (٥١١٠).

٢) متفق عليه :صحيح الإمام البخاري:كتاب الشهادات/باب الشهادة على الأنساب والرضاع ... ٢٠١/٣ رقم(٢٦٤٥)، وصحيح الإمام مسلم :كتاب الرضاع/باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة ص٦١٥ رقم (١٤٤٦).

٣) سورة التوبة جزء من الآية رقم (٣٣).

٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٠٨.

٥) سورة محمد الآيتان (٢٢،٢٣).

إليها))(١). وفي هذا الحديث أنكر رسول الله ﷺ على المخنث لما سمعه يصف المرأة لعبد الله بن أمية كأنه يراها وأمر بإخراجه، فقال ﷺ : ((لا يَدْخُلَنَّ هؤُلاءِ عَلَيْكُنَّ)). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (قال العلماء وإخراجه ونفيه كان لثلاث معان ـ وذكر منها ـ والثاني وصفه النساء ومحاسنهن وعوراتهن بحضرة الرجال وقد نهى ﷺ أن تصف المرأة المرأة لزوجها فكيف إذا وصفها الرجل للرجل)(٢). وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (زاد ابن الكلبي في حديثه فقال النبي ﷺ : ((لقد غلغلت النظر إليها ياعدو الله ثم أجلاه عن المدينة إلى الحمى))).(٣)

الخامس ـ من أساليب الدعوة: إضافة نون التوكيد مع الفعل :

جاء النهي في قول النبي ﷺ : ((لا يَدْخُلَنَّ هؤُلاءِ عَلَيْكُنَّ)) مقترناً بنون التوكيد لتأكيد النهي عن دخول المخنثين على النساء، واقتران النون بالنهي أسلوب من أساليب الدعوة يفيد شدة المنع ، وجاء في هذا الموضع لما في دخول هؤلاء عليهن من الخطورة التي تكون ذريعة الفساد.ومثل ذلك قوله ﷺ : ((لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم)).(٤) فأكد ﷺ النهي بالنون لتعظيم أمر الخلوة وحرص الشيطان على الظفر بها من المسلمين لإيقاعهم في الفساد وارتكاب ماحرمه الله.

وهذا أسلوب دعوي قوي خاصة إذا كان الداعية يتحدث عن محرمات استهان بها الناس أو كان يدعو في بلد كثرت فيه المعاصي والمنكرات؛ فيستخدم هذا الأسلوب في حديثه ليكون أوقع في النفس ويستعين بما ورد في الكتاب والسنة من هذا الأسلوب .

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب النكاح / باب لاتباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها ١٩٦/٦ رقم (٥٢٤٠).

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤١٤/١٤ بتصرف، وانظر إكمال المعلم/القاضي عياض ٧٤/٧، ونيل الأوطار / الشوكاني ٢٤٧/٦.

٣) فتح الباري ٢٩٤/٩ ،وعمدة القاري/ العيني ٣٠٣/١٧.

٤) صحيح الإمام البخاري:كتاب الجهاد والسير /باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يؤذن له ؟ ٢٣/٤ رقم (٣٠٠٦).

السادس ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

من القواعد الفقهية أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فإذا كانت المفسدة راجحة أو مساوية للمصلحة أهدرت المصلحة لدرء المفسدة كما في هذا الحديث فإن المخنث في الغالب إنسان عاطل لا يحسن التصرف فهو بحاجة إلى العطف عليه والإحسان إليه، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة من الرجال، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره لغير أولي الإربة من الرجال : (يعني كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء وهم مع ذلك في عقولهم وله وحوب، ولا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن. قال ابن عباس ﷺما: هو المغفل الذي لاشهوة له. وقال مجاهد: هو الأبله، وقال عكرمة :هو المخنث) (١)، ولهذا كان يدخل على النساء ليجد عندهن مايسد حاجته. قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ : (وهذا إنما كان يؤذن له على أزواج النبيﷺ على أنه من جملة غير أولي الإربة من الرجال فلم ير بأساً به).(٢)

فلما سمع النبي ﷺ من هيت ما سمع من الكلام المثير للغير الذي قد يكون ذريعة فساد؛ نهى عن دخوله عليهن (٣) فأهدر مصلحة المخنث الشخصية لدرء ما يترتب على دخوله على النساء من المفاسد.

السابع ـ حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن:

أمر الله ﷻ المسلمات بالحجاب وتجنب إبداء الزينة للرجال الأجانب لما في ذلك من الفتنة وإشاعة للفساد في المجتمع المسلم، أما المحارم فقد أباح دخولهم على محارمهم والحديث معهن، وقد عُد غير أولي الإربة من الذين يسمح لهم بالدخول عليهن إذا لم يكونوا ممن يعرفون أمور النساء ويفطنون لمحاسنهن. قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءابَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ .(٤)

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير غير أولي الإربة : (ويجتمع فيمن لافهم له ولا هِمةَ ينتبه بها إلى أمر النساء . وبهذه الصفة كان هيت المخنث عند رسول الله ﷺ، فلما سمع

١) تفسير القرآن العظيم ٢٨٥/٣ .

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤١٣/١٤ ، عمدة القاري / العيني ٣٠٣/١٧ .

٣) إكمال المعلم/القاضي عياض ٧٢/٧-٧٣.

٤) سورة النور جزء من الآية (٣١).

منه ماسمع من وصف محاسن المرأة : بادية بنت غيلان ، أمر بالاحتجاب منه).(١)

وذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ من أسباب إخراج المخنث ـ هيت ـ عند العلماء قوله: (والثالث أنه ظهر أنه كان يطلع من النساء وأجسامهن وعوراتهن على ما لا يطلع عليه كثير من النساء) (٢). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفي سياق الحديث ما يشعر بأنه حجبه لذاته أيضا لقوله ﷺ لاأرى هذا يعرف ما ههنا، ولقوله، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فلما ذكر الوصف المذكور دل على أنه من أولي الإربة فنفاه لذلك، ويستفاد منه حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن).(٣)

الثامن ـ من موضوعات الدعوة : وجوب الحجاب :

أوجب الله ﷻ الحجاب على نساء المؤمنين لحفظهن ووقايتهن من الفتن. وهو عبادة تثاب عليها المرأة كما تثاب على امتثال أحكام الشرع وهو طاعة لله ولرسوله. قال تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٤)

قال ابن عباس ﷺ : (أمر الله نساء المؤمنات إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب).(٥) وفي هذا الحديث دليل على وجوب الحجاب حيث إن الرسول ﷺ أمر نساءه بالاحتجاب عن هذا الذي عد من غير أولي الإربة واتضح أنه ممن يحتجب عنه لسبب آخر وهو أنه يصف النساء للرجال وكأنهم ينظرون إليهن فلا معنى لحجابهن بفعله هذا. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (قال المهلب: إنما حجبه ﷺ عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيج قلوب الرجال فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب).(٦)

---

١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/٢٣٤.

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٤/٤١٤ ، ونيل الأوطار /الشوكاني ٦/٢٤٧.

٣) فتح الباري ٩/٢٩٤ ، وانظر الكواكب الدراري /الكرماني ١٦/١٥٥ ، وإرشاد الساري /القسطلاني ٨/١١٧.

٤) سورة الأحزاب الآية رقم (٥٩).

٥) فتح القدير / الشوكاني ٤/٣٠٧.

٦) فتح الباري ٩/٢٩٤.

التاسع ـ من أصناف المدعوين: المخنثون:

إن من أصناف المدعوين المخنثين كما في هذا الحديث لأن الدعوة الإسلامية موجهة إلى أصناف الناس سواء كانوا صغاراً أم كباراً أم قاصري الأهلية دون قصور العقل، والمخنث ذو عقل يفهم به خطاب التكليف ويعرف به الحلال والحرام فيؤمر بالتوحيد وينهى عن الشرك ويؤمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج وشرائع الدين وينهى عن المحرمات كالقتل وشرب الخمر والسرقة وغيرها. فهو إذاً ممن توجه له الدعوة، فإنه إذا خالف شيئاً من ذلك استحق العقوبة ولهذا لما قال لعبد الله بن أمية (يا عَبْدَ اللـه أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ اللـه عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَداً، فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلانَ فَإِنَّها تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وتُدْبِرُ بِثَمانٍ) عزره رسول الله ﷺ بإخراجه ومنعه من الدخول على النساء فقال: ((لا يَدْخُلَنَّ هؤُلاءِ عَلَيْكُنَّ)). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (قال العلماء: المخنث ضربان أحدهما من خلق كذلك ولم يتكلف التخلق بأخلاق النساء وزيهن وكلامهن وحركاتهن بل هو خلقة خلقه الله عليها فهذا لا ذم عليه ولا عتب ولا إثم ولا عقوبة لأنه معذور لا صنع له في ذلك ولهذا لم ينكر النبي ﷺ أولاً دخوله على النساء ولا خلقه الذي هو عليه حيث كان من أصل خلقته وإنما أنكر عليه بعد ذلك معرفته لأوصاف النساء ولم ينكر صفته وكونه مخنثاً، الضرب الثاني من المخنث: هو من لم يكن له ذلك خلقة بل يتكلف أخلاق النساء وحركاتهن وهيآتهن وكلامهن ويتزيا بزيهن فهذا هو المذموم الذي جاء في الأحاديث الصحيحة لعنه، وهو بمعنى الحديث الآخر ((لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين بالنساء من الرجال)) [1]. وأما الضرب الأول فليس بملعون ولو كان ملعوناً لما أقره أولا والله أعلم)[2]. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفي الحديث أيضا تعزير من يتشبه بالنساء بالإخراج من البيوت والنفي إذا تعين ذلك طريقاً لردعه وظاهر الأمر وجوب ذلك).[3]

---

١) ورد بلفظ قريب في :صحيح البخاري (٥٨٨٥)، وسنن الترمذي (٢٩٣٥) ، وسنن أبي داود (٤٠٩٧).
٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٤/٤١٤.
٣) فتح الباري ٩/٢٩٤.

العاشر ـ من أصناف المدعوين: النساء :

وفي هذا الحديث أيضا من أصناف المدعوين النساء حيث أمرهن رسول الله ﷺ بالاحتجاب عن هذا المخنث الذي أشاع أمر امرأة أمام غير ذي محرم، فقال : (**لا يَدْخُلَنَّ هؤُلاءِ عَلَيْكُنَّ**) وذلك منه صيانة لهن عن الفساد، وحفاظاً على معنى الحجاب، وتحقيقاً للحكمة التي شرع الله تعالى الحجاب من أجلها.

٢٤-(٤٣٢٥). حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَمْرٍو عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الشَّاعِرِ الأَعْمَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو[1] قَالَ: لَمَّا حاصَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئاً قَالَ: ((إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ)) فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلا نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً نَقْفُلُ فَقَالَ: ((اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ)) فَغَدَوا فَأَصابَهُمْ جِراحٌ فَقَالَ: ((إِنَّا قَافِلُونَ غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ)) فَأَعْجَبَهُمْ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَتَبَسَّمَ قَالَ: قَالَ الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الْخَبَرَ كُلَّهُ. [2]

وفي رواية:(... فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : لانَبْرَحُ أَوْ نَفْتَحَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ)) قَالَ: فَغَدَوْا فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالاً شَدِيداً وَكَثُرَ فِيهِمُ الْجِراحَاتُ ...). [3]

شرح غريب الحديث :

<< قَافِلُونَ >> : القفول : الرجوع من السفر. وقيل: القفول رجوع الجند بعد الغزو ،قفل القوم يقفلون بالضم ، قفولا وقفلا واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقفلون .وفي الحديث: قافلون أي راجعون إلى المدينة .[4]

<< اغْدُوا >> : غدا عليه غدوا وغدوا واغتدى : بكر . والاغتداء : الغدو . وغاداه: باكره ، وغدا عليه. والغدو : نقيض الرواح . وفي الحديث: اغدوا على القتال أي سيروا أول النهار لأجل القتال.[5]

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١) ص٨٥. (المقصود بمن سبقت ترجمته عبد الله بن عمر بن الخطاب حيث ذكر ابن حجر في فتح الباري ٣٦/٨ أنه هو الراوي على الصحيح وليس كما ورد في الحديث على أنه عبد الله بن عمرو بن العاص).

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري : كتاب الأدب/ باب التبسم والضحك ١٢٢/٧ رقم (٦٠٨٦). وكتاب التوحيد /باب في المشيئة والإرادة ٢٤٤/٨ رقم (٧٤٨٠).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير /باب غزوة الطائف ص ٧٩١ رقم (١٧٧٨).

٣) صحيح الإمام البخاري : كتاب الأدب/ باب التبسم والضحك ١٢٢/٧ رقم (٦٠٨٦) .

٤) لسان العرب /ابن منظور ٥٦٠/١١ مادة قفل ، وفتح الباري/ابن حجر ٣٦/٨ ، وعمدة القاري/العيني ٣٠٥/١٧ ،وفتح المبدي/الشرقاوي ١٤٢/٣ .

٥) المصدر السابق ١١٨/١٥ مادة غدا ، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٢/٣ .

<< لانَبْرَحُ >> : برح الأرض : فارقها . ولن نبرح لن نزال .[١]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: حصار الرسول ﷺ للطائف.

الثاني - من صفات الداعية: سعيه إلى مافيه خير المسلمين.

الثالث - ربط المسلم حياته بمشيئة الله.

الرابع - من موضوعات الدعوة : أهمية الشورى في الإسلام .

الخامس - حرص الصحابة ﷺ على الجهاد ونشر الإسلام في أرجاء الأرض.

السادس - من صفات الداعية: شفقته على المدعوين ورفقه بهم .

السابع - من أساليب الدعوة : التبسم والضحك .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: حصار الرسول ﷺ للطائف:

لما فرغ النبي ﷺ من فتح مكة لم يبق له عدو قريب منه ذو شوكة وقوة إلا أهل الطائف وكانوا قد أصلحوا ماتلف من بناء حصنهم وأدخلوا فيه مايصلحهم لسنة ، فلما انهزموا في أوطاس دخلوا حصنهم واغلقوه عليهم ، فحاصرهم رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمان للهجرة مدة ثمانية عشر يوما وقيل أكثر من ذلك [٢]، وشدد الحصار عليهم حتى ضربهم بالمنجنيق وقطع كرومهم ليحملهم على الاستسلام [٣] لكنهم لم يستسلموا فرجع عنهم . **قال الحافظ ابن كثير** - رحمه الله - : (وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخر الفتح – فتح الطائف – عامئذ لئلا يستأصلوا قتلاً ... ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل).[٤]

---

١) المصدر السابق ٤٠٩/٢ مادة برح .

٢) انظر زاد المعاد/ابن القيم ٤٦٦/٣، وفتح الباري /ابن حجر ٣٦/٨، وعمدة القاري/العيني ٣٠٥/١٧، وإرشاد الساري /القسطلاني ٤٠٩/٦، وفتح المبدي /الشرقاوي١٤٢/٣.

٣) انظر زاد المعاد / ابن القيم ٤٩٦/٣.

٤) البداية والنهاية ٤٠٣/٤.

الثاني -من صفات الداعية: سعيه إلى مافيه خير المسلمين:

الأصل في الدعوة أن ينقل الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى توحيد الله والنجاة من عذابه يوم القيامة و الداعية يعمل جاهدا في سبيل تحقيق هذا الأمر و إذا كان حرصه هذا على مشرك فحرصه على المسلم أشد وهذا واجب الداعية النصح للمسلمين وتوجيههم إلى مافيه خير الدنيا والأخرة.

ورسول الله ﷺ وهو إمام المسلمين وقدوة الدعاة كان حريصاً على مصالح أمته، ساعياً إلى مافيه الخير لهم. ولهذا عز عليه مالقيه المسلمون في حصار الطائف من العنت والمشقة بسبب طول مدة الحصار فأمرهم بالرجوع حتى يقضي الله في أهل الطائف حكمه ولهذا قال لهم: ((إنَّا قافِلُونَ إنْ شاءَ اللهُ)). قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ : (ذكر أهل المغازي أن النبيﷺ لما استعصى عليه الحصن وكانوا قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة ورموا على المسلمين سكك الحديد المحماة ، ورموهم بالنبل فأصابوا قوما فاستشار نوفل بن معاوية الديلي، فقال: هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك فرحل عنهم).[١] وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ أيضا: (لما أخبرهم ﷺ بالرجوع بغير فتح لم يعجبهم فلما رأى ذلك أمرهم بالقتال فلم يفتح لهم فأصيبوا بالجراح لأنهم رموا عليهم من أعلى السور فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولاتصل السهام إلى من على السور فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع فلما أعاد عليهم القول بالرجوع أعجبهم حينئذ).[٢]

الثالث - ربط المسلم حياته بمشيئة الله:

قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.[٣] فالمشيئة بيد الله تعالى وللعبد مشيئة لكنها لا تنفك عن مشيئة الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمشيئة العبد سبب ومشيئة الله تقدير. فينبغي على المسلم أن لا يقول أنه سيفعل كذا أو كذا إلا بربط ذلك الفعل بمشيئة الله تعالى، ولا يكون مسلما إلا بالاعتراف بالمشيئة والإرادة المطلقة لله ﷻ. وفي هذا الحديث أظهر لنا رسول الله ﷺ هذا الواجب ماثلاً في قوله :

---

١) فتح الباري ٣٦/٨ ، وانظر زاد المعاد /ابن القيم ٤٩٧/٣، والبداية والنهاية /ابن كثير ٤٠١/٤.

٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

٣) سورة الكهف الآية رقم (٢٣،وجزء من الآية ٢٤).

((إنّا قافلون غداً إنْ شاءَ الله)). وأورد الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ هذا الحديث في كتاب التوحيد في باب المشيئة والإرادة.

الرابع ـ من موضوعات الدعوة: أهمية الشورى في الإسلام :

الشورى من مباديء الحكم في الإسلام، قال تعالى :﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ .[١] وقد مدح الله ﷻ المؤمنين باتصافهم بهذه الصفة في قوله تعالى :﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.[٢] ولهذا كان النبي ﷺ يشاور أصحابه ﷺ في الأمور المتعلقة بالمصلحة العامة، ويستشير الصحابة المقربين في الأمور الخاصة، ولهذا عرض على أصحابه ﷺ في الحصار القفول لما رأى شدة الحصار مع علمه بصواب رأيه، ولكن من باب المشاورة [٣] والإشراك في الأمر لأنه يتعلق بهم جميعا كما هي عادته ولهذا لم يلزمهم بالقفول بل نزل ﷺ على رأيهم لما عرف أن لهم رغبة في الاستمرار في الحصار حتى يفتح الطائف. قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: (فيه ترك الإنسان رأيه لرأي الجماعة ومساعدتهم، لاسيما وكان هو ذهب إلى الرفق بهم والحيطة عليهم، لما رأى من تحصين أهل الطائف وجدهم، أو تيقنه فتح ذلك عليه بغير مشقة بعد كما كان، فلما رأى منهم الجد والصبر في الجهاد ساعدهم على ذلك ، فلما أصابهم من الجزع ماأصابهم رجع إلى رأيه من الرفق بهم ، وقال: ((إنّا قافلون غداً)) فساعدوه إذا رأوا أنه الرأي؛ لما خبروه من الحال) [٤]. فمن واجب الدعاة الاقتداء بالرسول ﷺ في المشاورة وعدم الاستقلال بالرأي بل يشاور ويعرض الأمر ويرى الأصلح فيأخذ به لأن الإنسان لا بد أن يخطيء أو ينسى جانباً معيناً فالمشاركة تفتح أبواباً واسعة أمام الداعية يأخذ منها ما يناسب الحال والمقام.

الخامس ـ حرص الصحابة ﷺ على الجهاد ونشر الإسلام في أرجاء الأرض:

لما آمن الصحابة ﷺ بالله ﷻ وصدقوا برسوله ﷺ وعرفوا الإسلام وسماحته أحبوا أن ينعم الناس كلهم بهذه النعمة، وأن يعم هذا الخير، فحملوا راية الجهاد ودعوا الناس إلى دين الله وقاتلوا من امتنع عن الإسلام ورغب في البقاء في الكفر، ونصب العداء للمسلمين، ومن هؤلاء

---

١) سورة آل عمران جزء من الآية (١٥٩).

٢) سورة الشورى جزء من الآية (٣٨).

٣) انظر المفهم/ القرطبي ٦٢٥/٣.

٤) إكمال المعلم ١٣٥/٦.

أهل الطائف .

ولذلك لما قال النبي ﷺ: ((إنَّا قافِلُونَ إنْ شاءَ الله)) ثقل عليهم وقالوا: (نَذْهَبُ وَلانَفْتَحُهُ) وهذا يدلنا على شدة حرصهم ﷺ على الجهاد وإعلاء راية الإسلام. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (فلما رأى حرص أصحابه على المقام والجهاد أقام).[١]

وهذا الحرص لا يكون إلا من مسلم عرف الإسلام حقا، وعرف واجبات الانتماء إليه، وأطاع الله في أوامره، ومنها الأمر بالجهاد ونشر الإسلام، حيث قال ﷻ :﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.[٢]

السادس ـ من صفات الداعية: شفقته على المدعوين ورفقه بهم:

الشفقة والرفق من الصفات التي يجب أن يتصف بها الداعية اقتداءً بالداعية الأول نبينا محمدﷺ والذي قال الله ﷻ فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[٣] وكان يدعو إلى الرفق ويحث عليه ويتمثله في جميع المواقف التي تقتضيه وكان يقولﷺ: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه))[٤]. وفي الحديث نجد رفقه ﷺ بأمته وشفقته عليهم لما طال بهم الحصار وأصابهم الضرر ونال منهم أهل الطائف، فأذَّن فيهم بالرحيل ولم يصر على الفتح، ولم يكن همه ﷺ دخول الطائف دون النظر إلى ما سيصيب المسلمين. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (معنى الحديث أنه قصد الشفقة على أصحابه والرفق بهم بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذين فيه وتقويتهم بحصنهم).[٥]

١) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٣٦٦/١٢ ،وانظر إكمال إكمال المعلم /لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي ٤٠٠/٦ـ ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢) سورة البقرة جزء من الآية (١٩٣).

٣) سورة التوبة الآية (١٢٨).

٤) صحيح الإمام مسلم:كتاب البر والصلة والآداب /باب فضل الرفق ص١١٣٣ رقم (٢٥٩٤).

٥) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٣٦٦/١٢ ، وانظر :إكمال المعلم /القاضي عياض ١٣٥/٦،والمفهم / القرطبي ٦٢٥/٣.

السابع ـ من أساليب الدعوة: التبسم والضحك :

تبسم الداعية في وجه المدعوين يدل على طلاقة الوجه ، ولقاء المدعوين بوجه طلق صدقة ، وهو مما ترتاح إليه النفوس وتجتمع عليه القلوب. فينبغي على الداعية أن يستخدم هذا الأسلوب الدعوي في دعوته للناس لأن الغلظة منفرة ، قال تعالى :﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١). وفي الحديث نرى تبسم الرسول ﷺ لما رأى فرح أصحابه بالعودة ، وقد كانوا بالأمس قد كرهوا ذلك فتبسم ﷺ تعجباً من سرعة تغير رأيهم ليشعرهم بأن مايقوله هو الأصح والأصوب وفيه المصلحة لهم جميعاً. قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ : (وضحك النبي ﷺ حين وافقهم ذلك تعجب من اختلاف قولهم بين أمس واليوم للحالين المختلفين ، ورجوعهم إلى الرأي السديد).(٢)

---

١) سورة آل عمران جزء من الآية (١٥٩).

٢) إكمال المعلم ١٣٥/٦ وانظر شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٣٦٦/١٢.

٢٦،٢٥-(٤٣٢٦/٤٣٢٧) . حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنا غُنْدَرٌ حَدَّثَنا شُعْبَةُ عَنْ عاصِمٍ قالَ: سَمِعْتُ أبا عُثْمانَ، قالَ سَمِعْتُ سَعْداً[١] وَهْوَ أوَّلُ مَنْ رَمى بِسَهْمٍ فَي سَبيلِ الله وَأبا بكْرَةَ [٢]، وكَانَ تَسَوَّرَ حِصْنَ الطَّائِفِ فِي أُناسٍ فَجاءَ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقالا: سَمِعْنا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:((مَنِ ادَّعَى إلى غَيْرِ أبِيهِ وَهْوَ يَعْلَمُ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ)). وَقالَ هِشامٌ: وَأَخْبَرَنا مَعْمَرٌ عَنْ عاصِمٍ، عَنْ أَبِي الْعالِيَةِ، أَوْ أَبِي عُثْمانَ النَّهْدِيِّ قالَ: سَمِعْتُ سَعْداً وَأَبا بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ عاصِمٌ: قُلْتُ لَقَدْ شَهِدَ عِنْدَكَ رَجُلانِ حَسْبُكَ بِهِما قالَ:أجَلْ أمَّا أحَدُهُما فَأَوَّلُ مَنْ رَمى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله وَأَمَّا الآخَرُ فَنَزَلَ إلى النَّبِيِّ ﷺ ثالِثَ ثَلاثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ. [٣]

وفي رواية: (فَذَكَرْتُهُ لأَبِي بَكْرَةَ فَقالَ: وَأَنَا سَمِعَتْهُ أُذُناي وَوَعاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ).[٤]

شرح غريب الحديث :

<< تَسَوَّر >>: تسورت الجدار أي علوته.يقال تسورت الحائط وسورته.[٥]

<< مَنِ ادَّعَى >> : أي من انتسب إلى غير أبيه فالجنة عليه حرام إما على سبيل التغليظ وإما أنه إذا استحل ذلك .[٦]

١) سبقت ترجمته في ص (١٣٣) من البحث.

٢) أبوبكرة مولى النبي ﷺ ، اسمه نفيع بن الحارث من فضلاء الصحابة . تدلى في حصار الطائف ببكرة وفر إلى النبي ﷺ ، وأسلم على يده ، أعلمه أنه عبد فأعتقه . روى جملة أحاديث .سكن البصرة وكان من فقهاء الصحابة، وأنجب أولاداً لهم شهرة. قال الحسن البصري:لم ينزل البصرة أفضل من أبي بكرة وعمران بن حصين . مات في خلافة معاوية بالبصرة سنة إحدى وخمسين للهجرة .

(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ٥/٣ ،والإصابة /ابن حجر ٢٥٢/٦ ، وعمدة القاري /العيني ٣٠٥/١٧، وشذرات الذهب /ابن العماد ٥٨/١).

٣) طرف الحديث (٤٣٢٦) في صحيح الإمام البخاري:كتاب الفرائض /باب من ادعى إلى غير أبيه ١٥/٨ رقم (٦٧٦٦) .

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الإيمان /باب حال إيمان من رغب عن أبيه ص٤٧ رقم (٢١٩) .

وطرف الحديث (٤٣٢٧) في صحيح الإمام البخاري :كتاب الفرائض / باب من ادعى إلى غير أبيه ١٥/٨ رقم (٦٧٦٧).

٤) الطرف رقم (٦٧٦٧).

٥) النهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير ٤٢٠/٢ .

٦) عمدة القاري /العيني ٣٠٥/١٧ .

<< **حَسْبُكَ بِهِما** >> : حسب بمعنى كفى، وحسبك ذلك أي كفاك ذلك. ومررت برجل حسبك من رجل أي كافيك، ومحسب لك أي كاف لك من غيره .[١]

<< **وَعاهُ** >> : الوعي :حفظ القلب الشيء. وعى الشيء والحديث يعيه وعيا وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله، فهو واع، وفلان أوعى من فلان أي أحفظ منه.[٢]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول ـ ذكر فضائل المُخْبِر لتوثيق الخبر.

الثاني ـ مكانة الشهادة .

الثالث ـ تحريم انتساب الرجل لغير أبيه وهو يعلم.

الرابع ـ من أساليب الدعوة التغليظ على من ارتكب محرماً يعلمه .

الخامس ـ من أساليب الدعوة : ذكر العدد لبيان الفضل.

السادس ـ أهمية أسلوب التأكيد في الإقناع والتأثير.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ ذكر فضائل المخبر لتوثيق الخبر:

في هذا الحديث ذكر أبو عثمان النهدي ـ رحمه الله ـ الصفة التي تميز بها راويا الحديث حيث قال : (**سَمِعْتُ سَعْداً وَهْوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَبا بَكْرَةَ، وَكَانَ تَسَوَّرَ حِصْنَ الطَّائِفِ فِي أُناسٍ**) لتأكيد صحة الحديث لاسيما أن في الحديث تحريماً وتغليظاً في الحكم ، وهذا أسلوب من أساليب تأكيد الخبر ذلك أن ذكر فضائل الإنسان تزكية له ومن عرف فضله بسبقه إلى الإسلام أو إلى الهجرة أو بالإنفاق في سبيل الله اطمأنت إليه النفوس ووثق بخبره لأن حبه للخير يدل على إيمانه، ومن صفات المؤمنين الصدق فيما يخبرون به. قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (ينبغي للمُخْبِر بالأشياء أن يأتي من الدلائل على

---

١) لسان العرب /ابن منظور ٣١٢/١ مادة حسب ،وعمدة القاري /العيني ٣٠٦/١٧ .

٢) المصدر السابق ٣٩٦/١٥ مادة وعي .

تصديقه بما أمكنه فإن ذلك دال على تحرزه في النقل والإخبار لتهمة المعترض السيء الظن) [١].
وهذا الأسلوب يكون له أكثر الأثر في المستمعين حين يذكر الداعية رواية عن عالم معروف أو شيخ ثقة،فينبغي على الداعية أن يجعله أسلوباً في دعوته حتى تكون الاستجابة أسرع والدخول والعمل عن قناعة تامة لايشوبها شك.

الثاني ـ مكانة الشهادة :

الشهادة لها مكانة عظيمة لما فيها من إثبات الحق وضمان إعادته لأهله والحكم بين الناس بالعدل لذا وجب أن يختار من الشهداء من عرف بالإيمان والصدق. **قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ**: (لما كانت الشهادة ولاية عظيمة ومرتبة منيفة، وهي قبول قول الغير على الغير، شرط تعالى فيها الرضا والعدالة. فمن حكم الشاهد أن تكون له شمائل ينفرد بها وفضائل يتحلى بها حتى تكون له مزية على غيره، توجب له تلك المزية رتبة الاختصاص بقبول قوله، ويحكم بشغل ذمة المطلوب بشهادته. وهذا أدل دليل على جواز الاجتهاد والاستدلال بالأمارات والعلامات عند علمائنا على ماخفي من المعاني والأحكام).[٢] **ولهذا قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ**: (**حَسْبُكَ بِهِما**:أي كافيك بهذين الإثنين في الشهادة).[٣]

حيث ذكر فضائل سعد وأبي بكرة ﷺ وماتفرد به كل منهما من ميزة مما يؤكد صدقهما وقوة شهادتهما.

الثالث ـ تحريم انتساب الرجل لغير أبيه وهو يعلم:

حرص الإسلام على ضبط الأنساب ولهذا حرم التبني وأبطل عادة الجاهلية فيه فقال تعالى : ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.[٤] فلايجوز لإنسان أن يدعي أباً غير أبيه ولا أن ينتسب إلى غير أهله وعشيرته ، فهذه كبيرة من كبائر الذنوب ولا يعذر فيها إنسان إلا بالجهل ولهذا جاء في هذا الحديث : (**مَنِ ادَّعَى إِلى غَيْرِ أَبِيهِ وَهْوَ يَعْلَمُ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرامٌ**).
قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ : (في هذا الحديث من الفقه تحريم الانتساب إلى غير الوالد وإن علا . وقال: فلو قد انتمى منتم إلى أب من الناس وهو لايعلم الحقيقة في ضد

١) بهجة النفوس ٤/٧٠.
٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٩٦.
٣) عمدة القاري ١٧/٣٠٦.
٤) سورة الأحزاب جزء من الآية (٥).

ذلك لم يكن داخلاً في هذا الوعيد إن شاء الله).(١)

الرابع ـ من أساليب الدعوة :التغليظ على من ارتكب محرماً يعلمه :

الأصل في الدعوة أن تكون بالرفق واللين لكن هناك حالات تستلزم الشدة والتغليظ على الفاعل للمنكر وذلك إذا كان المنكر محرماً والفاعل يعلم بتحريمه لما في ذلك من تعمد معصية الله وتعدي حدوده. فهنا يجب على الداعية أن يغلظ له القول حتى ينزجر ويرتدع ولا أشد في الاغلاظ من ذكر لعن الله له أو تحريم الجنة عليه كما جاء في هذا الحديث ((فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ))، وهذا من أحاديث الوعيد التي تمر كما جاءت فإن مفهومه أنه في النار وإلا فأين يذهب إذا حرمت عليه الجنة فهذا أسلوب تغليظ ، يقول الشيخ عبدالله بن جبرين ــ حفظه الله ـ : (وأما التكفير بالذنوب لأهل القبلة فلايجوز تكفيرهم بمجرد عمل ذنب كبير ونحوه ، وماورد من نصوص الوعيد فإنا نجريها على ظاهرها ، ليكون أبلغ في الزجر عن تلك المآثم ، مع اعتقادنا أنه لايخرج بها من الدين ، ولايخلد في النار) (٢). قال الإمام الكرماني ـ رحمه الله ــ : (فالجنة عليه حرام : على سبيل التغليظ).(٣)

الخامس ـ من أساليب الدعوة :ذكر العدد لبيان الفضل:

ذكر العدد من أساليب الدعوة في بيان فضل أحد معين على غيره ، فإذا قيل أول من آمن بالله وصدق برسوله ﷺ من الرجال أبو بكر ﷺ فهذه ميزة ترفعه على غيره، وإذا قيل أول من آمن من النساء خديجة ﷺ فهي فضيلة لها على غيرها من النساء لسبقها للإسلام. وهكذا إذا قيل ثالث ثلاثة أو رابع أربعة أو كما في الحديث: (فَنَزَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَالِثَ ثَلاثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ)، فهذا يدل على سبق أبي بكرة ﷺ إلى هذه الفضيلة حيث تسلق حصن الطائف فاراً إلى الله ورسوله ﷺ معلنا إسلامه وهذه فضيلة عظيمة في مثل هذه الظروف .

---

١) الإفصاح ٣٣٧/١ ، وانظر بهجة النفوس/ابن أبي جمرة ٢٣٣/٤.

٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي الحنبلي/ شرح وتعليق الشيخ عبد الله بن جبرين ص١٧٠-١٧٢ ــ ١٤١٦هـ ــ دار الصميعي ـ الرياض.

٣) الكواكب الدراري ١٧٧/٢٣ ، وعمدة القاري/ العيني ٣٠٥/١٧ ، وانظر الإفصاح /ابن هبيرة ٣٣٧/١.

السادس - أهمية أسلوب التأكيد في الإقناع والتأثير:

إن في قول أبي بكرة ﷺ : (وَأَنَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللهﷺ) مايدل على اقتناع السامع بثقة الراوي وصحة ماوراه فإنه لم ينقل عن غيره بل أخذ الحديث عن النبي ﷺ مشافهة ولم يكن بالإشارة أو الإيماء وإنما كان من النبي ﷺ بصوت سمعته أذناه ولم يكن سامعاً مع غياب فؤاده أو ذهوله بالانشغال في شيء من أمور الدنيا بل كان مستمعاً لكلام قرع أذنيه ووعاه قلبه الحاضر اليقظ.قال العلامة العيني - رحمه الله -: (سمعته أذناي نفى أن يكون سمعه من غيره ..ووعاه قلبي تحقيق لفهمه والتثبت في تعقل معناه)[1]. وقوله : (وَأَنَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاي) ولم يقل سمعته مبالغة في التأكيد على سماعه ، فقد جاء بالأذنين في صورة مجسمة، وكأنها ممثلة عنه في السماع .

١) عمدة القاري ٢/١٤١.

٢٧-(٤٣٣٠) . حدثنا مُوسَى بْنُ إسْمَاعِيلَ حَدَّثَنا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنا عَمْرُو بْنُ يَحْيى عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ[١]، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ في النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصارَ شَيْئاً فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ ماأصابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ، فَقالَ: ((يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ الله بِي، وكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ الله بِي، وَعالَةً فَأَغْنَاكُمُ الله بِي)) كُلَّما قالَ شَيْئاً قالُوا:اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ.قالَ: ((ما يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ الله ﷺ ؟)) قالَ: كُلَّما قالَ شَيْئاً قالُوا:الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ . قالَ: ((ولَوْشِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنا كَذا وكَذا أَلاتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّﷺ إلى رِحالِكُمْ؟ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصارِ، ولَوْ سَلَكَ النَّاسُ وادِياً وَشِعْباً، لَسَلَكْتُ وادِيَ الأَنْصارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصارُشِعارٌ، وَالنَّاس دِثارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)).[٢]

شرح غريب الحديث :

<< **أَفَاءَ** >> : الفيء الغنيمة والخراج . تقول منه: أفاء الله على المسلمين مال الكفار يفيء إفاءة. ومعناه في الحديث ما أعطاه من غنائم الذين قاتلهم يوم حنين ، وأصل الفيء الرَدَةَ والرجوع ومنه سمي الظل بعد الزوال فيا لأنه رجع من جانب إلى جانب فكأن أموال الكفار سميت فيأً لأنها كانت في الأصل للمؤمنين إذ الايمان هو الأصل والكفر طاريء عليه فإذا غلب الكفار على شيء من المال فهو بطريق التعدي فإذا غنمه المسلمون منهم فكأنه رجع إليهم ما كان لهم .[٣]

---

١) هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب ، أحد بني مازن بن النجار يعرف بابن أم عمارة .من فضلاء الصحابة وهو الذي قتل مسيلمة بالسيف مع رميه وحشي له بحربته . قيل إنه قتل يوم الحرة سنة ٦٣هـ .شهد أحداً واختلف في شهوده بدر .

(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ٣٧٧/٢ ،والإصابة /ابن حجر ٧٣/٤).

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب التمني / باب ما يجوز من اللو ١٦٨/٨ رقم (٧٢٤٥) .

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة /باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى ص٤٢٨ رقم (١٠٦١) .

٣) لسان العرب /ابن منظور ١٢٦/١ مادة فيأ ، وفتح الباري /ابن حجر ٣٨/٨ .

<< الْمُؤَلَّفَة >> : ألفه :جمع بعضه إلى بعض. والمؤلفة قلوبهم قوم من سادات العرب أمر الله نبيه في أول الاسلام بتأليفهم: أي بمقاربتهم وإعطائهم ليرغبوا من وراءهم في الإسلام، فلا تحملهم الحمية مع ضعف نياتهم على أن يكونوا إلباً مع الكفار على المسلمين .(١)

<< وَجَدُوا >> : بفتح الواو والجيم أي حزنوا .(٢)

<< عالَةً >> : بالمهملة أي فقراء لامال لهم والعيلة الفقر .(٣)

<< أمَنُّ >> : بفتح الهمزة والميم وتشديد النون أفعل تفضيل من المن .(٤)

<< شِعارٌ >> : بكسر المعجمة بعدها مهملة خفيفة ؛ الثوب الذي يلي الجلد من الجسد والجمع أشعرة وشعر .(٥)

<< دِثَارٌ >> : بكسر المهملة ومثلثة خفيفة الثوب الذي يكون فوق الشعار يعني أنتم الخاصة والناس العامة .(٦)

<< أَثَرَةً >> : بفتح الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين ويجوز كسر أوله مع الإسكان أي الانفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق.(٧)

<< الْحَوْض >>: الحوض:مجتمع الماء معروف ، والجمع أحواض وحياض. وحوض الرسولﷺ: الذي يسقي منه أمته يوم القيامة. (٨)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

---

١) لسان العرب /ابن منظور ١١/٩ مادة ألف ، وفتح الباري/ابن حجر ٣٨/٨ .

٢) فتح الباري /ابن حجر ٤٠/٨ ، وعمدة القاري /العيني ٣٠٨/١٧ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ٤١٢/٦.

٣) لسان العرب /ابن منظور ٤٨٨/١١ مادة عيل ، وفتح الباري/ابن حجر ٤١/٨ .

٤) فتح الباري/ابن حجر ٤١/٨ .

٥) لسان العرب /ابن منظور ٤١٣/٤ مادة شعر ، وفتح الباري/ابن حجر ٤٢/٨ ، وانظر:اللباب في الجمع بين السنة والكتاب/المنبجي ٤٧/١.

٦) لسان العرب /ابن منظور ٢٧٦/٤ مادة دثر ، وفتح الباري/ابن حجر ٤٢/٨، وانظر:اللباب في الجمع بين السنة والكتاب/المنبجي ٤٧/١.

٧) فتح الباري/ابن حجر ٤٢/٨ .

٨) لسان العرب /ابن منظور ١٤٠/٧ مادة حوض.

الأول - من موضوعات الدعوة : بيان أن الغنائم حلال في حق هذه الأمة.

الثاني - الحرص على تأليف قلوب المسلمين بشتى الوسائل .

الثالث - من صفات الداعية: الحلم والصبر.

الرابع - من أساليب التأثير في المدعوين: تخصيص بعض المخاطبين بالخطبة .

الخامس - من وسائل الدعوة: الخطبة .

السادس - من أصناف المدعوين: أهل التقوى والصلاح .

السابع - من أساليب الدعوة: التدرج في ذكر الأمور من الأهم إلى المهم .

الثامن - من صفات الداعية: التواضع لكسب قلوب الناس .

التاسع - تسلية من فاته شيء من الدنيا بما يحصل له من ثواب الآخرة .

العاشر - عظم منزلة الأنصار عند رسول الله ﷺ .

الحادي عشر - من أساليب الدعوة: استعمال أساليب البلاغة لتقريب المعنى (الاستعارة) .

الثاني عشر - حث الداعية المسلمين على الصبر وتقديم الآخرة على الدنيا .

الثالث عشر - من أسباب نجاح الدعوة استخدام الأسلوب العاطفي لتحصيل القناعة .

الرابع عشر - من أعلام النبوة إخباره ﷺ عما يستقبل.

الخامس عشر - من أساليب الدعوة التنبيه ولفت النظر.

السادس عشر - من موضوعات الدعوة: إثبات الحوض للرسول ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: بيان أن الغنائم حلال في حق هذه الأمة:

ففي الحديث (**لَمَّا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ**) أي لما أعطاه غنائم الذين قاتلهم يوم حنين.والغنيمة فضل من الله وكرامة لأمة محمد ﷺ على غيرها وإحلال الغنائم من خصوصياتها دون غيرها من الأمم وكانت الأمم قبل هذه الأمة إذا غنموا مع نبيهم غنائم جمعوها فتنزل نار من السماء فتحرقها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : ((غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لايتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أوقريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم ، فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا)).[١] قال الإمام النووي - رحمه الله -: (وفي هذا الحديث إباحة الغنائم لهذه الأمة زادها الله شرفاً وأنها مختصة بها).[٢]

الثاني - الحرص على تأليف قلوب المسلمين بشتى الوسائل :

من الحكمة في الدعوة أن يؤلف الداعية قلوب المدعوين بشتى الوسائل وأن يرغبهم في دين الله والثبات عليه بإظهار محاسن هذا الدين ومن محاسنه إعطاء إمام المسلمين التصرف في أمورهم بمافيه المصلحة العامة ، ومن هذه الأمور أباح تخصيص الإمام لبعض الناس بجزء من غنيمة الحرب تأليفاً لقلوبهم واستجلابا لطاعته .[٣]

ولما وجد الأنصار موجدة في نفوسهم بعد أن لم يصيبهم شيء من الغنائم وعلم النبيﷺ بذلك كان له هذا الموقف الذي استرضاهم به وطيّب به نفوسهم فأزال من قلوبهم ما عسى أن يكون فيه صدع بسبب ما وجدوه حين جمعهم وخطبهم فَقَالَ: ((يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي)) . فكان منه ﷺ تأليفاً لقلوبهم أيضا كما ألف قلوب السابقين كل بحسب ما يناسبه . قال

---

١) صحيح الإمام البخاري : كتاب فرض الخمس / باب قول النبي ﷺ : ((أحلت لكم الغنائم)) ٤/ ٦١ رقم (٣١٢٤) واللفظ له ، وفي صحيح الإمام مسلم: كتاب الجهاد والسير /باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ص٧٧٣ رقم (١٧٤٧).

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٢٩٧/١٢.

٣) انظر: الإفصاح / ابن هبيرة ٧٠/٢ ، و فتح الباري / ابن حجر ٤٣/٨ ، ونيل الأوطار / الشوكاني ١٢٦/٨ .

الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (ثم اقتضت تلك الحكمة ـ حكمة الله تعالى ـ أن تقسم تلك الغنائم في المؤلفة ويوكل من قلبه ممتليء بالإيمان إلى إيمانه. ثم كان من تمام التأليف رد من سبي منهم إليهم ، فانشرحت صدورهم للإسلام ، فدخلوا طائعين راغبين، وجبر ذلك قلوب أهل مكة بما نالهم من النصر والغنيمة عما حصل لهم من الكسر والرعب فصرف عنهم شر من كان يجاورهم من أشد العرب من هوازن وثقيف بما وقع بهم من الكسرة وبما قيض لهم من الدخول في الإسلام ولولا ذلك ماكان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها وكثرتها وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم ولما شرح لهم رسول الله ﷺ ماخفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلى بلادهم فسلوا عن الشاة والبعير والسبايا من الأنثى والصغير بما حازوه من الفوز العظيم ومجاورة النبي الكريم ﷺ لهم حيا وميتا وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه).(١)

الثالث ـ من صفات الداعية:الحلم والصبر:

في هذا الحديث ظهرت لنا صفة من صفات الإمام المعلم ﷺ حيث إنه لما بلغه ما بلغه عن الأنصار لم يظهر عليه جزع ولا امتعاظ ولا غضب بسبب استنكارهم لتصرفاته فعالج الموقف بالصبر والحكمة، ولم يكن شأنه شأن القادة المتجبرين الذين لايقبلون معارضة رأيهم ولا استنكار تصرفاتهم، بل جمعهم وخطب فيهم مذكراً لهم فضله عليهم ((يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي)) ذاكراً فضلهم عليه ((ولَوْشِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وكَذَا)). وهكذا ينبغي أن يكون الداعية من حيث الحلم والصبر والأناة ومعالجة المواقف بمثل هذا الأسلوب الذي يرضي به المدعوين والحلم والصبر على الأذى والعفو عن الظلم أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة. يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام(٢). قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : (وهكذا ينبغي لنا نحن أن نقتدي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الصبر على الأذى وأن نحتسب الأجر على الله وأن

---

١) فتح الباري / ابن حجر ٣٩/٨ .

٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول /لشيخ الإسلام الإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية ص٢٣٤ ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد ـ طبعة خاصة للحرس الوطني السعودي بإشراف الإدارة العامة للشئون الدينية.

نعلم أن هذه زيادة في درجاتنا مع الاحتساب وتكفير لسيئاتنا).(١)

الرابع ـ من أساليب التأثير في المدعوين :تخصيص بعض المخاطبين بالخطبة :

إن من أساليب الدعوة في التأثير على المدعوين أسلوب التخصيص بالخطبة، والإنفراد بهم لمعرفة المشكلة وعلاجها، لأن هذا الأسلوب أقوى في التأثير عليهم، وقبولهم الأمر ،بل والإعانة في حله كما حدث من الأنصار في هذا الحديث؛ فإن الموجدة لما كانت من الأنصار جمعهم النبيﷺ الداعية دون غيرهم للخطبة وخصهم بالذكر بهذا الأسلوب الذي لمس شغاف قلوبهم، وتغلغل في جوانحهم حتى أيقنوا عذر النبي ﷺ في إعطاء غيرهم وتركهم دون عطاء .

وهكذا إذا تميز إنسان أوجماعة بصفة تستحق أن تذكر يجوز خصهم بالحديث ، ومثل ذلك في كتاب الله ما حكي عن نبي الله موسى عليه السلام في خطابه للذي صنع العجل وقال لبني إسرائيل هذا إلهكم وإله موسى فقال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ﴾.(٢) قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الحديث: (وفيه جواز تخصيص بعض المخاطبين في الخطبة).(٣)

الخامس ـ من وسائل الدعوة: الخطبة :

الخطبة من الوسائل الدعوية البارزة والتي لها أثر كبير في تبليغ الناس أمور دينهم أوتعديل سلوكهم وتوجيههم. وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر أو رأى مايدعو إعلام الناس به قام فيهم خطيباً.وفي الحديث لما سمع الرسول ﷺ ماقاله الأنصار أراد أن يوضح لهم سبب ماقام به فجمعهم وخطبهم مذكراً لهم مامن الله به عليهم من الهداية والألفة والغنى ،إضافة إلى مجاورة نبيه ﷺ ثم بين لهم أن إعطاءه للمؤلفة دونهم إنما هو لتثبيتهم على الدين وتقوية إيمانهم وهذا أمر حاصل بالنسبة للأنصار فلايحتاجون إلى هذا النوع من العطاء ، وأن مامن الله به عليهم من مصاحبة الرسول ﷺ لهم وعودتهم به لهو الخير والغنيمة العظمى فحصلت لهم القناعة ورضوا بقسمته ﷺ وندموا على ما كان منهم. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فوائد الحديث : (مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصاً أم عاماً).(٤)

---

١) شرح رياض الصالحين ١٩٧/١.

٢) سورة طه الآية (٩٥).

٣) فتح الباري ٤٣/٨.

٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

فينبغي على الدعاة ألا يغفلوا عن هذه الوسيلة الدعوية وأن يحرصوا عليها ويعطوها اهتماماً بالغاً من حيث الإعداد ومراعاة التوقيت وحال المدعوين .

السادس ـ من أصناف المدعوين : أهل التقوى والصلاح :

إن من أصناف المدعوين كما في هذا الحديث أهل التقوى والصلاح ،فإنه قد يقع منهم خطأ لكونهم بشر ، ولاعصمة لبشر إلا من عصمه الله ﷺك الأنبياء والرسل قالﷺ ((كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)) [١]، ووقوع الخطأ من هؤلاء الصالحين أمر وارد ليكون منهم التوبة والندم والاستغفار فيثابون على ذلك،لأن من كان طبعه الصلاح وتقوى الله فإنه إذا عرف الحق اتبعه ولو خالف رأيه. وفي هذا الحديث وقع أنصار رسول الله ﷺ في خطأ لما وجدوا في أنفسهم بسبب إعطائه قريش من الغنائم دونهم ،فظنوا أن فعله هذا لكونهم أهله، وعشيرته، ولهذا احتسب رسول الله ﷺ عليهم بجمعه لهم وخطبته فيهم حيث بيّن لهم سبب فعله ، ثم دعا لهم، وبين موقفه منهم ، مذكرا لهم بأنه لايزال على عهده معهم، ولن يتركهم .فكان منهم الندم، والعودة عما قالوا، والرضا بقسمة رسول الله ﷺ.

السابع ـ من أساليب الدعوة: التدرج في ذكر الأمور من الأهم إلى المهم :

التدرج في الدعوة منهج إسلامي بدأت به رسالة الله إلى الناس فإن أول شيء دعا إليه رسول الله ﷺ هو التوحيد، مايزيد؛ أن يقول للناس قولوا لا إله إلا الله ويأمرهم أن يُصدقوا بما جاء به عن الله ليشهدوا أنه رسول الله ﷺ، واستمر على ذلك زهاء عشر سنين دون غيره من شرائع الإسلام الكبرى، ثم فرضت الصلاة وتوالت بعد ذلك شرائع الدين. وفي هذا الحديث تدرج النبي ﷺ في ذكر ما امتن به الله على الأنصار فقال: ((أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي)). يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وقد رتب ﷺ ما منَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيباً بالغاً فبدأ بنعمة الإيمان التي لايوازيها شيء من أمر الدنيا ، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع

---

١) سنن ابن ماجة :كتاب الزهد /باب ذكر التوبة ص٦١٩ رقم (٤٢٥٢).وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ انظر صحيح سنن ابن ماجة ١٤١٨/٢ رقم (٣٤٢٨).

لما وقع بينهم من حرب بعاث وغيرها كما تقدم في أول الهجرة فزال ذلك كله بالإسلام).[١]

لذا ينبغي على الداعية أن يحرص على استعمال هذا الأسلوب في دعوته وأن يتدرج أثناء حديثه في خطبة الناس بذكر الأهم من الأمور فالمهم إلى أن يصل إلى أقل الأمور مرتبة فتتكون في أذهانهم فيستوعبونها ويصل إلى الغاية من جمعهم وخطبتهم وهي القناعة الكاملة بما يقول .

الثامن ـ من صفات الداعية: التواضع لكسب قلوب الناس :

في هذا الحديث ظهرت لنا صفة أخرى من صفات رسول الله ﷺ وهي التواضع للمدعوين فقد كان ﷺ متواضعاً رقيقاً سمحاً ولهذا استطاع أن يملك قلوبهم وأن يكون منهم أمة مسلمة قوية أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. وفي هذا الحديث ذكر ﷺ للأنصار ماتفضل الله به عليهم من نعم، ثم قال لهم : ((ما يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ الله ﷺ ؟))، ((ولَوْشِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كذَا وكذَا))..

[وقد فسر قوله كذا وكذا حديث أبي سعيد ولفظه : فقال ﷺ : ((أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلاً فواسيناك)).]. [٢]

فذكر فضائلهم عليه من باب التواضع والإنصاف لهم مع أن الفضل كله لله ورسوله وقد اعترفوا بذلك بقولهم : (الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (إنما قال ﷺ ذلك تواضعاً منه وإنصافاً وإلا في الحقيقة الحجة البالغة والمنة الظاهرة في جميع ذلك عليهم فإنه لولا هجرته إليهم وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق).[٣]

---

١) فتح الباري ٤١/٨.

٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

٣) المصدر السابق ٤٠/٨ ، وعمدة القاري/العيني ٣٠٨/١٧ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٤١٢/٦ .

التاسع ـ تسلية من فاته شيء من الدنيا بما يحصل له من ثواب الآخرة:

لما وجد الأنصار ما وجدوا في أنفسهم حين أعطى المؤلفة قلوبهم الكثير ولم يعطهم شيئاً أخبرهم النبي ﷺ أن ما أعطاهم إنما هو لعاعة [١] يتألف بها الناس وأن الناس سيرجعون بالشاة والبعير وهم سيرجعون برسول الله ﷺ إلى رحالهم وديارهم، ولا يقاس ما أخذوا من الغنم والإبل بما يكسبه الأنصار بوجود رسول الله ﷺ عندهم، وبهذه المقارنة بيْنَ شيء تافه مآله إلى الفناء والزوال، وبيْنَ شيء عظيم يحصل به ثواب الآخرة؛ تتجلى الصورة عند السامع وتسلي من فاته شئ من هذا المغنم الحقير بما حصل له من ثواب الأخرة. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا مماحصل له من ثواب الآخرة).[٢]

فمن واجب الدعاة أن يرتقوا بالناس عن متاع الدنيا الزائل إلى الرغبة في ثواب الآخرة بتذكيرهم بما أعده الله لعباده الصالحين من الثواب الجزيل في الدنيا والآخرة ، وحقارة الحياة الدنيا رغم مافيها من ملذات يغري بها الشيطان ضعاف النفوس .

العاشر ـ عظم منزلة الأنصار عند رسول الله ﷺ :

الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين وآووا رسول الله ﷺ ونصروه ومنعوه ، وبذلوا في إقامة الدين النفوس والأموال، وعادوا الأحمر والأسود من أجله وآووا المهاجرين وواسوهم في الأموال ، وكان المهاجرون إذ ذاك قليلاً غرباء فقراء مستضعفين .[٣]

وقد بين ﷺ عظم منزلتهم في هذا الحديث بقوله: ((لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَشِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاس دِثَارٌ)). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (ومعنى الحديث الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق بي من سائر الناس وهذا من مناقبهم الظاهرة وفضائلهم الباهرة).[٤] وقال الإمام الكرماني ـ رحمه الله ـ: (والغرض منه التعريض بأنه لافضيلة أعلى من النصرة بعد الهجرة وبيان أنهم بلغوا من الكرامة مبلغاً لولا أنه من المهاجرين

---

١) اللعاعة:الشيء اليسير ،يقال :مابقي في الإناء إلا لعاعة ، وببلاد بني فلان لعاعة من كلأ ، وهي الخفيف من الكلأ .الفائق في غريب الحديث /الزمخشري ٣/٣١٧.

٢) فتح الباري ٨/٤٣.

٣) الصارم المسلول /ابن تيمية ص٥٨١ .

٤) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٧/١٦٣.

لعد نفسه ﷺ من الأنصار).[١]

الحادي عشر ـ من أساليب الدعوة استعمال أساليب البلاغة لتقريب المعنى(الاستعارة):

ففي قوله ﷺ : ((الأَنْصارُشِعارٌ، والنَّاس دِثَارٌ)) استعارة لطيفة تبين قرب الأنصار من رسول الله ﷺ حين شبههم بالشعار الملاصق للجسد ولا أحب إليهم من هذا الوصف فقربهم من رسول الله ﷺ والتصاقهم به أحب إليهم من كل شيء . قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ـ : (وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه ﷺ وأراد أيضا أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم).[٢]

وهذه الأساليب يمكن توظيفها في الدعوة لتنويع الأساليب التي تقدم للناس وتقريب المعاني التي يشكل على البعض فهمها فيستعير من بينتهم ألفاظاً توصل إليهم مفهوم الأمر الذي يريد ، وفي الوقت نفسه تقربه من قلوبهم حيث يشعرون بحرصه على فهمهم فيرغبون في الاستماع إليه دائماً وفي ذلك منفعة عظيمة.

الثاني عشر ـ حث الداعية المسلمين على الصبر وتقديم الآخرة على الدنيا:

من واجبات الداعية أن يوصي المسلمين بالصبر فإن الإنسان في هذه الحياة معرض للنقص في المال والمرض وربما الكوارث التي تصيب ماله أوتصيب حالاً من أحواله . ويضطهد ، ويلقى من الناس أذى ولايعزيه في ذلك ويجعله يتحمل مايلقاه إلا الصبر والاحتساب ابتغاء جزاء ذلك كله عند الله في الآخرة. ولهذا أوصى النبي ﷺ أصحابه بقوله : ((إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)). قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ: (فيه الحض على تقديم جانب الآخرة على الدنيا والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى).[٣] وقال الشيخ ابن عثيمين ــ رحمه الله ــ : (يعني أنكم إذا صبرتم فإن من جزاء الله على صبركم أن يسقيكم من حوضه حوض النبي ﷺ - اللهم اجعلنا جميعا

---

١) الكواكب الدراري ١٣/٢٥ ، و عمدة القاري/العيني ١١/٢٥.

٢) فتح الباري ٤٢/٨ ، وانظر:عمدة القاري/ العيني ٣٠٩/١٧ ، وإرشاد الساري /القسطلاني ٤١٢/٦.

٣) فتح الباري ٤٣/٨ ،وانظر: عمدة القاري/ العيني ٣٠٩/١٧ ، وإرشاد الساري /القسطلاني ٤١٢/٦.

ممن يرده ويشرب منه ـ هذا الحوض الذي يكون في يوم القيامة في مكان وزمان أحوج مايكون الناس إليه ، لأنه في ذلك ا لمكان والزمان في يوم الآخرة يحصل على الناس من الهم والغم والكرب والعرق والحر ما يجعلهم في أشد الضرورة إلى الماء فيردون حوض الرسولﷺ).[١]

وذكر مثل هذا للمسلمين يسليهم عما فاتهم من زينة الدنيا ومتاعها الفاني ويصبرهم على مايلقونه من الأذى والحرمان فيها.

الثالث عشر ـ من أسباب نجاح الدعوة استخدام الاسلوب العاطفي لتحصيل القناعة:

لمس العواطف باستخدام الأساليب التي تؤثر في مشاعر المدعوين وترقق عواطفهم منهج دعوي ناجح في كسب المدعوين وإقناعهم بقبول مايريده الداعية منهم .وفي الحديث استخدم النبي ﷺ أسلوب المعاتبة للأنصار لحبه لهم وتعجبه أن يقع مثل هذا الأمر منهم فكان يقول : ((أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي،...)). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة الحجة عليه والاعتذار والاعتراف).[٢]

الرابع عشر ـ من أعلام النبوة إخباره ﷺ عما يستقبل:

كما جاء في هذا الحديث : ((إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)) حيث أخبر عن أمور ستقع في المستقبل وأوضح لصحابته مايجب عليهم تجاهها من الصبر طمعاً في الثواب الجزيل من الله يوم القيامة. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وفيه علم من أعلام النبوة لقوله ستلقون بعدي أثرة فكان كما قال).[٣] قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على نبوة الرسول ﷺ لأنه أخبر بأمر وقع؛ فإن الخلفاء والأمراء منذ عهد بعيد كانوا يستأثرون بالمال).[٤]

---

١) شرح رياض الصالحين ١/٢٢٠.

٢) فتح الباري ٨/٤٣.

٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

٤) شرح رياض الصالحين ١/٢١٩.

الخامس عشر ـ من أساليب الدعوة التنبيه ولفت النظر:

قد يكون المدعو ناسياً لشيء تفضل الله به عليه ، أو يكون هذا الشيء لم يحضره ساعة يخاطب أو لم يأخذ أهميته في الاعتبار فينبغي للداعية أن ينبه المدعوين إلى ما امتن الله به عليهم من نعمة؛ بصحة في الأبدان وأمن في الأوطان ورخاء العيش بعد الفقر، والعزة بعد أن كانوا أذلة، والهداية بعد أن كانوا ضلالاً.

وفي هذا الحديث ذكر النبي ﷺ الأنصار بما من الله عليهم من الهداية وغيرها ، ثم لفت أنظارهم إلى نعمه الكبرى حين قال : ((أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟)) وبهذا رقت قلوبهم وطابت أنفسهم .قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وقد نبه على ذلك بقوله ﷺ ألا ترضون ... إلى آخره فنبههم على ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به منه بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية).[1]

السادس عشر ـ من موضوعات الدعوة: إثبات الحوض للرسول ﷺ:

فقد قال ﷺ في هذا الحديث: ((حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : ((حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدا)).[2]

وهذه الأحاديث تدل على ثبوت إعطاء الله تعالى لنبيه ﷺ الحوض ووجوب الإيمان بحوض النبي ﷺ ولاينكره إلا فاسق مبتدع . وقد نفته المعتزلة و الأحاديث الصحيحة حجة عليهم.[3] قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله ﷻ قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين؛ منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله

١) فتح الباري ٤١/٨ ، وعمدة القاري/العيني ٣٠٨/١٧ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٤١٢/٦ .

٢) صحيح الإمام البخاري :كتاب الرقاق / باب في الحوض ٧ /٢٦٣ رقم (٦٥٧٩).

٣) انظر: الإفصاح / ابن هبيرة ١٩٢/٢، وعمدة القاري/العيني ٣/٢٠، ومنار القاري /حمزة قاسم ٣٠٥/٥ .

واشتهرت روايته ثـم رواه عـن الصحابـة المذكوريـن مـن التـابعين أمثـالهم ومـن بعدهـم أضعـاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف).[١]

١) فتح الباري /ابن حجر ١١/٤٠٦.

٥٨ - باب بَعْثِ النَّبيِّ ﷺ خالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ

٢٨-(٤٣٣٩) . حدثنا مَحْمُودٌ حَدَّثَنا عَبْدُالرَّزَّاقِ أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ح.

.... - وَحَدَّثَنِي نُعَيْمٌ أَخْبَرَنا عَبْدُ الله أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سالِمٍ عَنْ أَبِيهِ [١] قالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعاهُمْ إلى الإسْلامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنا ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنا صَبَأْنا، فَجَعَلَ خالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنّا أَسِيرَهُ حَتّى إذا كانَ يَوْمٌ أَمَرَ خالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لا أَقْتُلُ أَسِيرِي ، وَلا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْناهُ لَهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقالَ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خالِدٌ)) . مَرَّتَيْنِ. [٢]

شرح غريب الحديث :

<< **صَبَأْنا** >> : صبأ يصبأ وصبوءا خرج من دين إلى آخر.وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابيء لأنه خرج من دين قريش إلى الاسلام .[٣]

<< **أَبْرَأُ** >> : أبرأ براءة ، وبرئت إليك من فلان أبرأ براءة . قال ابن الأعرابي:بريء إذا تخلص، وبريء إذا تنزه وتباعد، وبريء إذا أعذر وأنذر . وأبرأ إليك أي أتبرأ وألتجيء إليك.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

---

١) أبوه هو عبد الله بن عمر بن الخطاب سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١).

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري :كتاب الأحكام /باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد ١٥٠/٨ رقم (٧١٨٩).

٣) لسان العرب /ابن منظور ١٠٨/١ مادة صبأ ، والكواكب الدراري /الكرماني ١٦٦/١٦ ، وفتح الباري/ابن حجر ٤٥/٨، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٤/٣ ، وانظر حاشية السندي على سنن النسائي ٢٣٧/٨.

٤) لسان العرب /ابن منظور ٣٣/١ مادة برأ ، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٤/٣ .

الأول - تعليم الأبناء العلم .

الثاني - من وسائل الدعوة: بعث الرسل للدعوة إلى الإسلام.

الثالث - من تاريخ الدعوة: إرسال خالد بن الوليد ﷺ إلى بني جذيمة.

الرابع - من موضوعات الدعوة: بيان تحريم قتل من تلفظ بما يدل على إسلامه .

الخامس - الحث على عدم العجلة والحرص على التثبت في الأمر.

السادس - انتفاء العصمة لبني البشر.

السابع - من أساليب الدعوة: استخدام أسلوب القسم لتأكيد عدم تنفيذ الأمر.

الثامن - جواز الحلف على نفي فعل الغير إذا وثق بطواعيته .

التاسع - وجوب طاعة ولاة الأمر في المعروف دون المنكر.

العاشر - مشروعية رفع اليدين عند الدعاء.

الحادي عشر - من أساليب الدعوة: تكرار اللفظ للتشديد في الإنكار.

الثاني عشر - من موضوعات الدعوة: بيان أن المجتهد إذا أخطأ لايعاقب.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تعليم الأبناء العلم :

كان من أول الاهتمامات عند الصحابة ﷺ في تربية أبنائهم أن يرغبوهم في تعلم العلوم الشرعية وفقه السنة النبوية حتى ينشأوا النشأة الإسلامية الصحيحة. [1]

وفي هذا الحديث يذكر لنا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[2] إخبار والده ﷺ له

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (٣) ص٥٧.

٢) هو الإمام الزاهد ، الحافظ ، مفتي المدينة ،أبو عمر ،وأبو عبدالله ، القرشي ، العدوي ، المدني ،ولد في خلافة عثمان ، وكان خشن العيش يلبس الصوف ويخدم نفسه .قال مالك :لم يكن أحد في زمانه أشبه بمن مضى من الصالحين منه .حدث عن أبيه فجود وأكثر ، وروى أيضا عن عائشة وصفية امرأة أبيه وغيرهم ، قال ابن سعد :كان سالم ثقة كثير الحديث ، عالياً من الرجال ، ورعا. مات سنة ست ومئة للهجرة .(انظر حلية الأولياء/أبو نعيم ١٩٣/٢ ،وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٥٨/١ ،وشذرات الذهب/ابن العماد ١٣٣/١).

عن بعث النبي ﷺ للصحابي خالد بن الوليد ﷺ للدعوة إلى الإسلام ، وفقه التعامل مع من أسلم على اختلاف التعبير عن هذا الإسلام، والتعامل مع الأسرى.

الثاني ـ من وسائل الدعوة: بعث الرسل للدعوة إلى الإسلام:

كان النبي ﷺ يرسل للدعوة رسلاً يدعون الناس إلى الإسلام فبعث مصعب بن عميرﷺ إلى المدينة، وبعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن .

وهذا الحديث يؤكد لنا أهمية هذه الوسيلة في نشر الدعوة الإسلامية، وتوسيع رقعة الإسلام حيث كان هذا البعث بعد فتح مكة والذي مثل انتصاراً عظيماً للإسلام ودخل الناس بعده في دين الله أفواجاً، فلم يكتف ﷺ بهذا النصر بل استمر على بعث الرسل فبعث خالداًﷺ إلى بني جذيمة داعياً إلى الله. **قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ** : (بعث رسول اللهﷺ خالد بن الوليد ﷺ حين افتتح مكة إلى بني جذيمة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً).[١] وفي الحديث: (**فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ**).

فهذه وسيلة عظيمة ينبغي ألاّ يغفل عنها الدعاة ، فلايكن همهم فقط الدعوة داخل بلادهم إلا إذا كانت الحاجة إليهم فيها شديدة أو كان عدد الدعاة قليلاً ، وإلا انطلقوا بها خارج بلادهم . وعلى الجهات المسؤولة عن الدعوة الإسلامية أن تبعث من يقوم بواجب الدعوة في البلاد التي تحتاج لذلك أداء للأمانة التي كلفت الأمة الإسلامية بحملها .

الثالث ـ من تاريخ الدعوة: إرسال خالد بن الوليد ﷺ إلى بني جذيمة:

إن من تاريخ الدعوة المستفاد من هذا الحديث إرسال النبي ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إلى بني جذيمة، وقد كان ذلك في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة. **قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ** : (بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناف بن كنانة، وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازي وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم. قال ابن سعد: بعث النبي ﷺ إليهم خالد بن الوليد في ثلثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً).[٢]

---

١) فتح الباري ٤٥/٨ .

٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

الرابع ـ من موضوعات الدعوة:بيان تحريم قتل من تلفظ بما يدل على إسلامه :

إن في قول النبي ﷺ ((اللهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ)) دليلاً على عظم الأمر الذي قام به خالد ﷺ حيث دعا أن يبرئه من أثم ما صنعه، وهو قتل من تلفظ بما يدل على إسلامه حيث إن هؤلاء الأسرى لم يحسنوا الكيفية التي تتبع في إعلان الإسلام وتلفظوا بما هو في عرفهم (فَلَمْ يُحْسِنُوا أنْ يَقُولُوا: أسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا) وهذا اللفظ يقبل شرعاً لإعلان الإسلام حتى يتحقق من ذلك بإعلانه على الوجه المطلوب، فلما قتلهم خالد أنكر النبي ﷺ عليه وتبرأ من فعله وهذا دليل على تحريم قتل من تلفظ بما يدل على إسلامه فإن الناس تختلف لغاتهم وألسنتهم وماذكر منها قُبل. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفي الآية دليل على أن من أظهر شيئاً من علامات الإسلام لم يحل دمه حتى يختبر). [(١)]

الخامس ـ الحث على عدم العجلة والحرص على التثبت في الأمر:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث الحث على التأني في الأمور والحرص على معرفة حقيقتها ؛ فقد أنكر الرسول ﷺ على خالد بن الوليد ﷺ استعجاله في الحكم على الأسرى بالقتل قبل أن يتحقق من صدق إسلامهم فوقع فيما حرم الله وهو قتل النفس بغير حق. قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ : (أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم : صبأنا)[(٢)] . فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحرص على أن يكون الحث على التثبت من موضوعات دعوته وأن يذكر من كتاب الله ما يؤكد على أهمية التثبت وعدم الاستعجال في الحكم قبل معرفة جوانب الأمر وحقيقته لئلا يقع المسلم في الخطأ أو يؤدي تصرفه إلى تجاوز حدود الله أو التعدي على حقوق الأخرين. ومنها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.[(٣)] وكرر الأمر بالتبين في آية واحدة مرتين للتأكيد على أهميته. قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ

---

١) فتح الباري ١٩٥/٨ ،ويقصد بالآية قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ (٩٤) النساء .

٢) المصدر السابق ٤٦/٨ ، وعمدة القاري / العيني ١٧ /٣١٣ ، وانظر: الإفصاح / ابن هبيرة ٢٠٠/٤ ،وإرشاد الساري للقسطلاني ٤١٧/٦ ، وفتح المبدي / الشرقاوي ١٤٤/٣ .

٣) سورة الحجرات الآية (٦).

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.[١] قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : (وكرر الأمر بالتبين للتأكيد عليهم لكونه واجباً لافسحة فيه ولارخصة).[٢] قال بعض الحكماء: على الملك أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة في سلطان الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن والعمل بالأناة فيما يحدث من الأمور، فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة إلى الطاعة من الرعية ، وفي الأناة اتضاح الرأي وانفساح الصواب. [٣]

السادس ـ انتفاء العصمة لبني البشر:

في هذا الحديث دليل على انتفاء العصمة لبني البشر، فكل آدمي يرد منه الخطأ؛ ثم هم على قسمين: قسم يعترف بخطئه، ويتوب ويستغفر، وقسم يجحده ويصر عليه. قال رسول الله ﷺ: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)).[٤] ولاشك أن الصنف الأول هم المؤمنون، لمعرفتهم بالله، ويقينهم به وخوفهم منه؛ ومن هذا الصنف صحابة رسول الله ﷺ؛ حيث وقع منهم أخطاء ونحن نعترف بذلك ولكن ينبغي على كل مسلم تجاهه أن ينحو منحى أهل السنة والجماعة فهم لا يخوضون في ما وقع من الصحابة ﷺ من خطأ؛ على أن غالب ما ورد عنهم كذب أو متأول على غير وجهه الصحيح، وماصح من ذلك فهم معذورون فيه: إما مجتهدون مصيبون ،وإما مجتهدون مخطئون. ولا يعتقد أهل السنة والجماعة أن كل واحد من الصحابة معصوم بل يجوز عليهم الوقوع في الذنوب، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة مايصدر منهم [٥]. وفي حديث الدراسة مثال على وقوع الصحابة ﷺ في الخطأ؛ فإن خالدﷺ مع حسن نيته أخطأ حين بطش بهؤلاء الذين دعاهم فلم يفهم منهم استجابة مع أنهم في الواقع أجابوه، فلم يعاقبه الرسولﷺ لأنه يعرف أنه إنما قتلهم على اعتقاد أنهم لم يجيبوه إلى الإسلام، ولذلك اكتفى رسول الله ﷺ برفع يديه إلى الله وطلب البراءة من فعله. قال العلامة

١) سورة النساء الآية (٩٤).

٢) فتح القدير ٥٠٢/١.

٣) المنهج المسلوك في سياسة الملوك / الشيزري ص٣٣٤.

٤) سبق تخريجه ص١٧٦.

٥) انظر العقيدة الواسطية /لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٩ ـ مع شرح محمد خليل هراس ـ راجعه الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله ـ ط٥ ـ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

القسطلاني ــ رحمه الله ــ : (ولم ير عليه قودا لأنه تأول أنه كان مأموراً بقتالهم إلى أن يسلموا).[١]

السابع ـ من أساليب الدعوة:استخدام أسلوب القسم لتأكيد عدم تنفيذ الأمر:

إذا أمر الإنسان بأمر من ذي سلطان وهو على يقين بأن فيه خطأ جاز له أن يمتنع ويؤكد امتناعه بالقسم في عدم تنفيذ الأمر حتى يعزم على نفسه بعدم الفعل ويقنع الآمر أنه لن يفعل ، ولايدخل في هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾[٢] لأن الآية تعني أن يكون القسم يأتي في كل أسلوب أو كلام يقوله الإنسان ، لكن أن يقسم أحياناً ؛ فهذا أسلوب دعوي جاء مثله في القرآن وفي خطاب النبي ﷺ.

وفي هذا الحديث قال ابن عمر ﷺ: (فَقُلْتُ: وَاللهِ لا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِي أَسِيرَهُ) ، فاستعمل أسلوب القسم لتأكيد رفضه القيام بما أمر به خالد ﷺ لأنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة وإن لم يحسنوا التعبير عن ذلك وبإسلامهم تعصم دماؤهم. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (وفيه جواز الحلف من غير استحلاف إذا ثبتت على ذلك مصلحة دينية ، وقال النووي هو مستحب إذا كانت فيه مصلحة من توكيد الأمر أو زيادة طمأنينة أونفي توهم نسيان أو غير ذلك من المقاصد الصالحة).[٣]

الثامن ـ جواز الحلف على نفي فعل الغير إذا وثق بطواعيته:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث جواز حلف المسلم على أخيه أن لا يفعل ما يخالف أمر الله أو أن يفعل المعروف إذا وثق من طواعيته لذلك وأن يعزم المسألة ويظهر الجد فيما يقول، فابن عمر ﷺ لما فهم من قولهم الإجابة وقبول الإسلام رفض أن يقتلهم وحلف على أصحابه ألا يفعلوا قال : (وَاللهِ لاأَقْتُلُ أَسِيرِي،وَلا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِي أَسِيرَهُ) لأن هذا هو الحق كما ظهر لهم فيما بعد ولولا علمه بإجابة أصحابه لما يقول لم يحلف عليهم وقصر القسم على نفي فعله هو فقط. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفيه جواز الحلف على

---

١) إرشاد الساري ٦/٤١٧ ، وفتح المبدي / الشرقاوي ٣/١٤٤ .

٢) سورة البقرة جزء من الآية (٢٢٤).

٣) عمدة القاري ٥/٩١.

نفي فعل الغير إذا وثق من طواعيته)[١] .

التاسع - وجوب طاعة ولاة الأمر في المعروف دون المنكر:

ولاة الأمر ليسوا معصومين من الخطأ وطاعتهم مشروطة بما فيه طاعة الله ورسوله ولاطاعة لمخلوق في معصية الخالق . فما فيه منكر لاتجوز الطاعة فيه ، وخالد ﷺ وهو أمير الجيش لما أمر أصحابه بأن يقتل كل واحد أسيره لم يطعه ابن عمر ﷺ وعزم على أصحابه ألا يقتلوا أسراهم لأنه تيقن أن قتلهم ظلم والطاعة إنما هي في المعروف وهذا ليس من المعروف. وقد ظهر أن الصواب مع ابن عمر ﷺ لأن النبي ﷺ تبرأ من فعل خالد ﷺ. قال الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (إن الأمور التي يكون فيها مخالفة في الدين لايطاع فيها أمير ولاغيره لأنه ماجعلت الإمارة أن ينقل الناس لها إلا من أجل أن ((**لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق**)) وقد قال علماء الدين أنه لايجوز لشرطي أن يؤدب أحداً بقول أميره حتى يعلم أن ذلك حق عليه بأمر الله واجبا).[٢]

العاشر - مشروعية رفع اليدين عند الدعاء:

رفع اليدين مشروع في الدعاء كما ورد عن النبي ﷺ لكن ليس في كل الأحوال إنما يكون فيما ثبت أن النبي ﷺ رفع يديه فيه .وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((**إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً (أو قال) خائبتين**)).[٣] وكما في حديث المسافر : ((**... ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك**)).[٤] وكما في هذا الحديث : (**فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: ((اللهمَّ..))**)). فهذه الأحاديث تدل على مشروعية رفع اليدين في الدعاء ولكن ليس على إطلاقه إنما في المواضع التي ذكرت عن النبي ﷺ فقط، حيث لم يرد أنه ﷺ رفع يديه في الدعاء في

---

١) فتح الباري ٤٦/٨.

٢) بهجة النفوس ٢٥٦/٤.

٣) سنن ابن ماجة :كتاب الدعاء /باب رفع اليدين في الدعاء ص ٥٥٣ رقم (٣٨٦٥) .وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - انظر صحيح سنن ابن ماجة ٣٣١/٢ رقم (٣١١٧).

٤) صحيح الإمام مسلم:كتاب الزكاة /باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ص٤٠٩ رقم (١٠١٥).

خطبة الجمعة مثلاً، ولا كان الصحابة ﷺ يرفعون أيديهم إذا سمعوا الدعاء في خطبة الجمعة وماكانوا يؤمنون على الدعاء بصوت مسموع لأن المشروع الإنصات حال الخطبة. وكذلك لم يرد عن النبي ﷺ ولاعن أحد من أصحابه ﷺ أنهم يرفعون أيديهم بعد صلاة الفريضة، ومايفعله بعض الناس من رفع اليدين بعد صلاة الفريضة بدعة .[١]

الحادي عشر ـ من أساليب الدعوة :تكرار اللفظ للتشديد في الإنكار:

التكرار في اللفظ أسلوب دعوي يستخدم في مواضع عدة إما للتفهيم أو لترسيخ الفكرة أثناء التعليم أو المبالغة في الزجر في الموعظة. وهو أسلوب بليغ استخدمه النبي ﷺ في تعامله مع أصحابه وتعليمه لهم ، كما في هذا الحديث حيث كرر ﷺ الدعاء بالبراءة من فعل خالد ﷺ لتأكيد الخطأ الذي وقع فيه خالد ﷺ وبيان جسامة الأمر الذي حدث ولذا جاء في الحديث : (مَرَّتَيْنِ) لبيان حدوث هذا التكرار. قال السندي ـ رحمه الله ــ في إعادة النبي ﷺ الحديث مرتين وثلاث: (هو محمول على الحديث المهتم بشأنه وإلا لما كان لقول الصحابة في بعض الأحاديث قال مرتين أو ثلاث كثير وجه).[٢] وقال بعض الأئمة: (أراد الإبلاغ في التعليم والزجر في الموعظة).[٣]

الثاني عشر ـ من موضوعات الدعوة بيان أن المجتهد إذا أخطأ لايعاقب:

إن في قول النبي ﷺ ((اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ)) وبراءته من فعل خالد ﷺ وليس من خالد نفسه دليل على أن الأمير إذا اجتهد في أمر وأخطأ فيه لايعاقب على خطائه ، فخالد قد قتل بني جذيمة وأخذ أموالهم بنوع شبهة ولم يكن يجوز له ذلك ،وقد شدد النبيﷺ عليه في كونه لم يتأنى في القتل بمن يلقي إليه السلام حتى يفهم عنه مايريد من قوله ،ولهذا وداهم النبي ﷺ، وضمن أموالهم. ورغم ما صدر من خالد ﷺ فمازال يقدمه على إمارة الحرب، وفعل ما فعل بنوع تأويل [٤]. قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (وفيه أيضا مايدل

---

١) انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم / لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين ابن أحمد بن رجب الحنبلي ص ٩٨-٩٩ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت، وفتح الباري /ابن حجر ١١/١٢٠- ١٢١.

٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود /للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح ابن قيم الجوزية ١٠/٨٧ ـ ضبط عبدالرحمن محمد عثمان ـ ط٢ ـ ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

٣) عون المعبود ١٠/٨٧.

٤) انظر إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة /السيد صديق حسن خان القنوجي ص١٥٠ ـ إعداد وتحقيق مجموعة من الأساتذة

على أن الأمير إذا كان له مقصود عام فجرت منه هفوة خاصة؛ فإنها لايقتص منه بها، لأن رسول الله ﷺ قال: ((أبرأ إليك مما صنع خالد))، أي من أن أكون رضيت به لما بلغني؛ ثم لم يقتص من خالد ﷺ بما فعل لأن الأمر كان فيه نوع اشتباه). (١)

ـ ط١ ـ ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١) الإفصاح ٤/٢٠٠.

٦٠ - باب سَرِيَّةِ عَبْدِالله بْنِ حُذافَةَ السَّهْمِيِّ وَعَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيِّ

(وَيُقالُ: إنَّها سَرِيَّةُ الأَنْصارِ)

٢٩-(٤٣٤٠) . حدثنا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنا عَبْدُ الْواحِدِ حَدَّثَنا الأَعْمَشُ حَدَّثَني سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ[١] قالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْها رَجُلاً مِنَ الأَنْصارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ فَغَضِبَ فَقالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قالُوا: بَلى قالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً فَجَمَعُوا فَقالَ: أَوْقِدُوا ناراً فَأَوْقَدُوها فَقالَ: ادْخُلُوها فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضاً وَيَقُولُونَ فَرَرْنا إِلى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَما زالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ فَسَكَنَ غَضَبُهُ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ: ((لَوْ دَخَلُوها ما خَرَجُوا مِنْها إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)) .[٢]

وفي رواية : (لاطاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ ، إِنَّما الطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ). [٣]

شرح غريب الحديث :

<< فَهَمُّوا >> : بفتح الهاء وضم الميم المشددة قيل معناه حزنوا من الهم وهو الحزن والأولى أن يكون معناه قصدوا بدليل رواية:" فلما هموا بالدخول".[٤]

<< خَمَدَتِ النَّارُ >> : بفتح الميم أي أطفيء لهبها .[٥]

<< فَسَكَنَ >> : السكون ضد الحركة، وكل ماهدأ فقد سكن كالريح .[٦]

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص ٥٤.

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الأحكام /باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ١٣٤/٨ (٧١٤٥).
وكتاب أخبار الآحاد /باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق ١٧١/٨ (٧٢٥٧).
وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الإمارة /باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ص٨٢٦ رقم(١٨٤٠).

٣) الطرف رقم (٧٢٥٧).

٤) فتح المبدي /الشرقاوي ١٤٤/٣ .

٥) فتح الباري/ابن حجر ٤٨/٨ ،وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٤/٣ .

٦) لسان العرب /ابن منظور ٢١١/١٣ مادة سكن .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول ـ من وسائل الدعوة : بعث السرايا .

الثاني ـ من وسائل الدعوة: تأمير الأمير على السرية .

الثالث ـ من فقه الدعوة: عدم التصريح باسم المخالف .

الرابع ـ من فقه الداعية: تجنب الكلام عند الغضب .

الخامس ـ من موضوعات الدعوة: بيان أن التأويل الفاسد لايعذر صاحبه .

السادس ـ استفادة الداعية الفطن من كون الأمة لاتجتمع على خطأ .

السابع ـ من صفات المؤمن: رد أخيه المؤمن عما يضره ولو بالقوة .

الثامن ـ من موضوعات الدعوة: بيان أن صدق الإيمان ينجي من الهلاك .

التاسع ـ من موضوعات الدعوة: بيان أهمية النية الصادقة للمسلم.

العاشر ـ من أساليب الدعوة : استعمال الأساليب البلاغية في الترهيب من معصية الله .

الحادي عشر ـ من موضوعات الدعوة: بيان أن الأمر المطلق لايعم جميع الأحوال .

الثاني عشر ـ من موضوعات الدعوة: إثبات عذاب القبر.

الثالث عشر ـ من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة ولاة الأمر في المعروف دون المنكر.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ من وسائل الدعوة: بعث السرايا :

في هذا الحديث دليل على أن من الوسائل الدعوية التي استخدمها النبي ﷺ في دعوته بعث السرايا للدعوة إلى الله وقتال من لم يقبلها، وقد جاء في هذا الحديث: (**بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْها رَجُلاً مِنَ الأَنْصارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ**)، وقد كان رسول الله ﷺ يبعث السرايا والبعوث لنشر الدعوة فقد ذكر أهل السير أن سراياه بلغت ثلاثاً وأربعين: أربعة وعشرون بعثا وتسع عشرة غزوة، وقيل بلغت سراياه سبعين سرية وقيل غير ذلك. [1]

---

١) انظر : البداية والنهاية /ابن كثير ٢٩٥/٣ ، وفتح الباري/ابن حجر ١١٦/٨، وعمدة القاري/العيني ٧٩/١٨.

الثاني ـ من وسائل الدعوة:تأمير الأمير على السرية:

من وسائل الدعوة في هذا الحديث تأمير الأمير على السرية لما له من أهمية في وحدة الكلمة واجتماع الصف ونزول الناس تحت حكم واحد لأن من واجب الجميع الطاعة لهذا الأمير وإلا فلا معنى لإمرته كما ورد في هذا الحديث (وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ)، قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ في فوائد الحديث : (منها أن من السنة أن لاتخرج سرية حتى يكون عليها أمير يؤخذ ذلك من قوله ((فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ)).[١]

الثالث ـ من فقه الدعوة: عدم التصريح باسم المخالف:

عدم التصريح باسم المخالف من الأساليب الدعوية الناجحة والتي تؤتي ثمارها في المدعوين لأن البشر بطبيعتهم لا يحبون أن يشاع عنهم الوقوع في الخطأ.

لذا كان النبي ﷺ يراعي هذا الأمر مع أمته فكان إذا علم عن وقوع أحد في منكر يقول: ((مابال أقوام يفعلون كذا وكذا)) [٢]. وقال: ((إن منكم منفرين))[٣] ، مع أنه يعلم المخطيء لكنه رغب عن ذكر اسمه واكتفى بتأديبه عن طريق التعريض حتى لا يقع فيه مرة أخرى وليعتبر غيره من السامعين دون التشهير به. وقد يؤدي التشهير نتيجة عكسية لدى المدعو فيعاند ويصر على خطئه وينفر الناس من ذلك الداعية بسبب أسلوبه .

ولذا جاء في هذا الحديث قول علي ﷺ : (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ) ولم يصرح باسمه .قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (فيه دليل على اتباعه ﷺ في التعليم سنة رسول الله ﷺ ... وكذلك كانت عادة رسول الله ﷺ إذا قيل له عن أحد شيئا لايعجبه ؛ يقول:مابال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا ولايسمي أحدا) .[٤]

---

١) بهجة النفوس ٧١/٤.

٢) انظر الأحاديث: رقم (٤٥٦) ورقم (٧٥٠) ورقم (٧٣٠١) من صحيح الإمام البخاري.

٣) صحيح الإمام البخاري :كتاب الأذان /باب تخفيف الإمام في القيام ، وإتمام الركوع والسجود ١٩٣/١ رقم(٧٠٢).

٤) بهجة النفوس ١١٧/٤.

الرابع .من فقه الداعية: تجنب الكلام عند الغضب :

الغضب من الأمور التي جبل عليها ابن آدم، وجميع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما هي من شهوته وغضبه إذا لم يستطع أن يتغلب عليهما ويكسر شوكة الشيطان فيهما بالوضوء ونحوه مما أمر النبيﷺ به. وقد نهى النبي ﷺ أن يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان لأنه قد يتجاوز في حكمه إلى غير الحق، قال ﷺ : ((لايقضين حكم بين اثنين وهو غضبان)).(١)

وفي هذا الحديث جاء أن أمير السرية ـ الذي أمّره رسول الله ﷺ وأمر الجيش أن يطيعوه ـ غلب عليه الغضب حتى أمر أفراد جيشه أن يوقدوا ناراً ويدخلوا فيها، قال علي ﷺ يحكي قصته (فَغَضِبَ فَقالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قالُوا: بَلى قالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً فَجَمَعُوا فَقالَ: أَوْقِدُوا ناراً فَأَوْقَدُوها فَقالَ: ادْخُلُوها)، ومثل هذا الأمر وهو أمرهم بدخول النار التي أوقدوها لايجوز لأن فيه معصية لله تعالى بقتل النفس ولو نفذوا حكمه هلك وهلكوا . قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على أن الغضب يغطي على ذوي الأحلام الحق في بعض الأمور ، لأن هذا الأمير الذي أمّره النبي ﷺ على السرية لم يؤمره حتى كان فيه دين زائد وفضل ولولا ماحقه من الغضب ماحقه ماأمر جمعا من المسلمين أن يحرقوا أنفسهم ولذلك قال النبي ﷺ: ((إذا غضبت فاسكت)) (٢) لأن كل متكلم في حال الغضب وإن قال حقا فلابد له من شيء مايقع فيه).(٣) لذا وجب على الدعاة أن يبتعدوا عن الغضب في أمرهم للناس وفي نهيهم هم عن المنكرات أيضا، لأن الحلم والرفق من الصفات الأساسية التي ذكرها العلماء في المحتسب.

الخامس ـ من موضوعات الدعوة: بيان أن التأويل الفاسد لايعذر صاحبه :

الإنسان مأمور بالالتزام بجميع ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من أمر ونهي، وماعرض له من أمور في حياته يجب أن يقيسها بمقياس الشرع إن لم يُعرف لها دليل من كتاب الله أومن سنة نبيه الكريم ﷺ ، ولايطلق لعقله العنان لتفسير الأمور أو الحكم فيها بما يراه هو.وفي هذا الحديث لم يكن لدى الصحابة ﷺ دليل واضح لكنهم اعتقدوا أن أمر الرسول ﷺ هم

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب الأحكام /باب هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان ؟ ١٣٨/٨ رقم (٧١٥٨).

٢) مسند الإمام أحمد رقم (٣٤٤٨) ، وقال المحققون : حسن لغيره.

٣) بهجة النفوس ٧١/٤ ، وانظر فتح الباري / ابن حجر ٤٨/٨.

بطاعة الأمير يشمل كل مايقول، لذا كان تأويل من هموا بدخول النار التي أوقدوها أن أمر أميرهم هذا داخل في الأمر النبوي وهو وجوب الطاعة دون تفكير أوتمحيص للأمور كما فعل الآخرون، فكاد تأويلهم الفاسد أن يهلكهم بدخول النار وعدم الخروج منها إلى يوم القيامة. قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (فإن قيل: فلو دخلوها دخلوها طاعة لله ورسوله في ظنهم، فكانوا متأولين مخطئين، فكيف يخلدون فيها ؟ قيل: لما كان إلقاء نفوسهم في النار معصية يكونون بها قاتلي أنفسهم، فهموا بالمبادرة إليها من غير اجتهاد منهم: هل هو طاعة وقربة، أو معصية ؟ كانوا مقدمين على ماهو محرم عليهم، ولاتسوغ طاعة ولي الأمر فيه، لأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، فكانت طاعة من أمرهم بدخول النار معصية لله ورسوله، فكانت هذه الطاعة هي سبب العقوبة، لأنها نفس المعصية، فلو دخلوها، لكانوا عصاة لله ورسوله، وإن كانوا مطيعين لولي الأمر، فلم تدفع طاعتهم لولي الأمر معصيتهم لله ورسوله، لأنهم قد علموا أن من قتل نفسه، فهو مستحق للوعيد، والله قد نهاهم عن قتل أنفسهم، فليس لهم أن يقدموا على هذا النهي طاعة لمن لاتجب طاعته إلا في المعروف).(١) وقال العلامة القسطلاني ــ رحمه الله ــ: (وفيه أن التأويل الفاسد لايعذر به صاحبه).(٢) ولهذا قال النبيﷺ: ((لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ)) .

السادس ـ استفادة الداعية الفطن من كون الأمة لاتجتمع على خطأ:

الاختلاف بين الصحابة ﷺ في المسائل ورد في كثير من الأحاديث نتيجة للاختلاف في فهم النصوص واستنباط الأحكام منها وهذا أمر ليس بمذموم بل فيه فائدة عظيمة (٣). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ـ أي من القرآن ـ ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك فليس منهياً عنه بل هو

١) زاد المعاد ٣٦٩/٣ .

٢) إرشاد الساري ٤١٧/٦ ، وانظر فتح المبدي / الشرقاوي ١٤٤/٣ .

٣) ذكر ابن عبد البر في بيان العلم وفضله قصة عن عبدالله بن الزبير ﷺ ذكر فيها أن علي بن أبي طالب ﷺ خالف عثمانﷺ في مسألة وكان عثمان ﷺ وقتها أميراً للمؤمنين فقال رجل من أهل الشام مع حبيب بن مسلمة الفهري: انظر إلى هذا كيف يخالف أمير المؤمنين ، والله لو أمرني لضربت عنقه . قال فرفع حبيب يده فضرب بها في صدره وقال: اسكت فض الله فاك، فإن أصحاب رسول الله أعلم بما يختلفون فيه . ٣٧/٢.

مأمور به وفضيلة ظاهرة وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن والله أعلم).(١)
وفي هذا الحديث تجلت فائدة الاختلاف بين الصحابة ﷺ في وقاية بعضهم من الوقوع في الخطأ ، فهذه الحماية التي حصلت لبعض الصحابة ﷺ ينبغي أن يستفيد منها الداعية بالحرص على معرفة الأحكام الشرعية وأدلتها من الكتاب والسنة حتى يعرف الحكم في القضية التي تعرض له ويحكم فيها بحكم الله فينجو من الهلاك وإهلاك المدعوين. والداعية الفطن يستفيد من كون أمة محمد ﷺ لاتجتمع على ضلالة في أن الأمة مهما حدث فيهم اختلاف فإنه لابد من وجود فئة صالحة تسعى للخير والإصلاح يستطيع أن يُكَوِن منها جنوداً للدعوة ضد أعدائها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (وذلك أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أكمل الدين بمحمد خاتم النبيين ، وبينه وبلغه البلاغ المبين، فلا تحتاج أمته إلى أحد بعده يغير شيئا من دينه، وإنما تحتاج إلى معرفة دينه الذي بعث به فقط، وأمته لاتجتمع على ضلالة، بل لا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة) (٢). قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على أن الجمع من هذه الأمة لا يجتمعون على غلط يؤخذ ذلك من كون تلك السرية انقسموا قسمين منهم من هان عليه دخول النار فظنه طاعة ومنهم من لم يظهر له ذلك فكان خلافهم سبباً لرحمة الجميع).(٣)

السابع ـ من صفات المؤمن: رد أخيه المؤمن عما يضره ولو بالقوة:

الإيمان الكامل لا يحصل للإنسان إلا إذا أحب لأخيه الخير كما يحبه لنفسه ومنعه من الشر كما يمتنع هو عنه، وإذا عرف الإنسان أن في أمر شراً ولم يمنع أخاه عنه أو أحب له ما يكره لنفسه فإن هذا من كبائر الذنوب.(٤) قال رسول الله ﷺ : ((**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه**)).(٥) وفي هذا الحديث علم بعض الصحابة ﷺ أن طاعة الأمير لا كون في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقد أمر هذا الأمير بما نهى الله عنه من إهلاك النفس وقتلها بغير وجه حق فامتنعوا عن تنفيذ أمره استجابة للأمر الأعلى وهو أمر الله ﷺ، ولم

١) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٦/٤٦٠.
٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٦٢/١ ـ تحقيق وتعليق د. علي بن ناصر ،ود.عبدالعزيز العسكر ،ود.حمدان الحمدان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ دار العاصمة ـ الرياض .
٣) بهجة النفوس ٧٢/٤ ، وانظر الحسبة في الإسلام/لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص٤٠ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، وجامع العلوم والحكم /ابن رجب ص٢٥٠.
٤) انظر شرح رياض الصالحين / ابن عثيمين ٧٢٠/٤ .
٥) صحيح الإمام البخاري : كتاب الإيمان / باب من الإيمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه ١١/١ رقم(١٣).

يكتفوا بذلك بل منعوا من تأولوا الطاعة المطلقة للأمير من إهلاك أنفسهم (**وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضاً**) وهذا من واجبات المسلم نحو أخيه. قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على أن من السنة رد أخيك المسلم عن ما يضره بالقوة إذا لم يقبل منك بالقول يؤخذ ذلك من كون الذين أرادوا أن يدخلوا النار ولم يسمعوا من قول إخوانهم فررنا إلى النبي ﷺ من النار حبسوهم بالقهر حتى خمدت النار يقوي ذلك قوله ﷺ : ((**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**)) [١] فنصر الظالم أن ترده عن الظلم بأي وجه قدرت).[٢]

الثامن ـ من موضوعات الدعوة: بيان أن صدق الإيمان ينجي من الهلاك :

المؤمن الصادق هو الذي يلجأ إلى الله دائماً في السراء والضراء، والإيمان بالله إيمان اليقين بقوته وجبروته واستحقاقه للألوهية والعبودية وحده دون سواه يجعل الإنسان دائماً في حرز من مهالك الشيطان. وفي هذا الحديث لما غضب الأمير وحكم في غضبه على أفراد جيشه بإشعال النار والدخول فيها، ثار وازع الإيمان بالله في نفوس المؤمنين فقالوا (**فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ**) بمعنى أنا آمنا بالله تعالى وما جاء به نبيه ﷺ من الحق للنجاة من عذاب النار فكيف ندخلها. فكان هذا الإيمان الحق واليقين الصادق سبباً في نجاتهم منها ولو أنهم دخلوها لما خرجوا منها إلى يوم القيامة كما قال ﷺ . قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على أن المنجي من النار هو الإيمان ، يؤخذ ذلك من قولهم (**فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ**) فإذاً الفرار إلى النبي ﷺ فرار إلى الله تعالى والله ﷻ يقول: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[٣] والفرار إليه سبحانه هو اتباع أمره واجتناب نهيه).[٤]

التاسع ـ من موضوعات الدعوة: بيان أهمية النية الصادقة للمسلم:

النية الصادقة من أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، لأن الأعمال بالنيات والمرء محاسب على نيته في القول والعمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وهؤلاء الصحابة ﷺ الذين كادوا أن يفعلوا ماطلبه منهم أمير السرية؛ لما كانت نياتهم صادقة، وطاعتهم لهذا الأمير إنما كانت طاعة

---

١) صحيح الإمام البخاري : كتاب المظالم /باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ١٣٥/٣ رقم (٢٤٤٣).

٢) بهجة النفوس ٧٢/٤ .

٣) سورة الذاريات جزء من الآية (٥٠).

٤) بهجة النفوس ٧٢/٤ ، وانظر فتح الباري /ابن حجر ٤٨/٨ .

لأمر رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث (وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ) ؛ لذا نجاهم الله من الوقوع في معصيته بسبب نيتهم الصادقة .قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه دليل على أن من كان صادقاً مع الله تعالى لايقع إلا في خير، وإن قصد شرا وأراده فإن الله يصرفه عنه ، يؤخذ ذلك من أنه لما كان الذين أرادوا أن يدخلوا النار وظنوا أنها طاعة لله تعالى فبصدقهم مع الله جعل الله إخوانهم حبسوهم عن ذلك حتى نجوا من هذا الأمر العظيم ومن كلام أهل التحقيق من صدق مع الله وقاه الله ومن توكل على الله كفاه الله وهداه).[١]

العاشر ـ استعمال الأساليب البلاغية في الترهيب من معصية الله:

ففي هذا الحديث استعمل الرسول ﷺ أسلوب البديع في إيضاح حقيقة الأمر والترهيب من مثل هذا النوع من الطاعة والذي فيه معصية للخالق ﷻ فقال: ((لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) لأن الضمير في (دخلوها) يعني النار التي أوقدوها والضمير في قوله ماخرجوا منها لنار الآخرة .قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (ففي العبارة نوع من أنواع البديع وهو الاستخدام [٢] لأن الضمير في قوله لو دخلوها للنار التي أوقدوها والضمير في قوله ماخرجوا منها أبداً لنار الآخرة لأنهم ارتكبوا مانهوا عنه من قتل أنفسهم . ويحتمل وهو الظاهر أن الضمير للنار التي أوقدت لهم أي ظنوا أنهم إذا دخلوا بسبب طاعة أميرهم لاتضرهم فأخبر النبي ﷺ أنهم لو دخلوا فيها لاحترقوا فماتوا فلم يخرجوا).[٣] وقال الداودي ـ رحمه الله ـ: (أنه سيق مساق الزجر والتخويف ليفهم السامع أن من فعل ذلك خلد في النار وليس ذلك مراداً وإنما أريد به الزجر والتخويف).[٤]

---

١) مصدر سابق ٧٣/٤ .

٢) الاستخدام هو ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضمير أو إشارة عليه بمعنى آخر ، أوإعادة ضميرين عليه تريد بثانيهما غيرماتريد بأولهما . فالأول :كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ، فالمراد بالشهر الهلال وبضميره الزمان المعلوم ... .علوم البلاغة البيان والبلاغة والبديع /أحمد مصطفى المراغي ص٣٢٩ ـ ط٢ ـ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ـ بيروت ـ لبنان.وانظر الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) /الخطيب جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني ص٤٠٢،٤٠٣ ـ تحقيق ودراسة د. عبد القادر حسين ـ أول طبعة محققة في العالم ـ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ـ الناشر مكتبة الآداب ـ القاهرة.

٣) فتح الباري ٤٨/٨وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٤١٧/٦ .

٤) نيل الأوطار / الشوكاني ٥١/٨ .

الحادي عشر ـ من موضوعات الدعوة: أن الأمر المطلق لايعم جميع الأحوال :

دل هذا الحديث على الأمر المطلق من النبي ﷺ لا يعم جميع الأحوال بل لا بد من النظر في الأوامر الأخرى التي تقيده، فقد أمر الرسول ﷺ أصحابه بأمر مطلق في هذه السرية قال عليﷺ (وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ) لكنه مقيد بشروط واردة في أحاديث أخرى يجب العمل بها وإن لم يصرح بذلك. قال العلماء: (تجب طاعة ولاة الأمر فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية فإن كانت لمعصية فلاسمع ولاطاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأن لا سمع ولا طاعة في المعصية).[١] قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ : (وفيه أن الأمر المطلق لا يعم الأحوال لأنه أمرهم أن يطيعوا الأمير فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب وفي حال الأمر بالمعصية فبين لهم أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان في غير معصية).[٢]

ولذلك ينبغي للداعية أن لا يطلق أحاديث الأمر من النبي ﷺ دون أن يذكر مايتصل بها من قيود وشروط، وما يشذ منها من أحوال تستلزم تغيير الحكم فهذا الأمر بالطاعة في الحديث مشروط بأن تكون في غير معصية الله.

الثاني عشر ـ من موضوعات الدعوة: إثبات عذاب القبر:

لقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على التأكيد على وقوع العذاب في القبر لمن كان له أهل، وكل ميت لا بد له من فتنة وسؤال، وبعد ذلك سرور أو نكد، فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم القيامة فيوفون حينئذ أجورهم، وينقلبون إلى الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٣]. وقال ﷺ : ((إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)) ثم قال : ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)) [٤]. قال ابن أبي

---

١) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٦٥/١٢.

٢) فتح الباري ٤٨/٨ ، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٤/٣.

٣) سورة غافر جزء من الآية (٤٥) والآية (٤٦) .

٤) صحيح الإمام مسلم :كتاب الجنة ونعيمها /باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه ،وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ص١٢٤٢ رقم (٢٨٦٧).

العز الحنفي ـ رحمه الله ـ: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلاً، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار ... واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبر أو لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب مايصل إلى المقبور) [١]. وفي هذا الحديث جاء قوله ﷺ: ((لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) تأكيداً على وقوع العذاب في القبر. لذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يبين للمسلمين عذاب القبر ومستحقيه وكيفيته كماجاءت عن رسول الله ﷺ، ويحذرهم منه ، ويذكرهم بأمر رسول الله ﷺ بالتعوذ منه .

الثالث عشر ـ من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة ولاة الأمر في المعروف دون المنكر:

أمر الله ﷻ بطاعته وطاعة نبيه ﷺ وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، ثم أمر بطاعة أولي الأمر، وهم الولاة على الناس على اختلاف ولايتهم، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله ورغبة فيما عنده. ولكن بشرط ألاّ يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بذلك ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.[٢] قال تعالى :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.[٣] والولاة ليسوا معصومين من الخطأ لذلك قد يأمرون بما فيه معصية لله فينبغي أن يميز المدعوون مافيه طاعة لله وما فيه معصية مما أمر به الوالي. ولذلك حذف الفعل في الآية عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول ﷺ. فإن الرسول لايأمر إلا بطاعة الله، ومن يطيعه فقد أطاع الله، وأما أولوا الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون في معصية الله. قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (في هذا الحديث من الفقه أنه تجوز طاعة الأمير إلى الحد الذي لا ينتهي إلى معصية الله ﷻ فإذا انتهى إليها فحينئذ لا طاعة له ولا لغيره).[٤]

---

١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٤ ،وانظر العقيدة الواسطية/ابن تيمية ص١٢٩.

٢) انظر تيسير الكريم الرحمن / ابن سعدي ٨٩/٢.

٣) سورة النساء جزء من الآية (٥٩).

٤) الإفصاح ٢٥٨/١ ، وانظر المفهم /القرطبي ٣٨/٤.

٦١- باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع

٣٠-(٤٣٤٢) . حدثنا موسى حَدَّثَنا أَبُوعَوانَةَ حَدَّثَنا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ[١] قالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أبا مُوسى[٢] وَمُعاذَ بْنَ جَبَلٍ[٣] إِلَى الْيَمَنِ قالَ: وبَعَثَ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما عَلى مِخْلافٍ، قالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلافانِ ثُمَّ قالَ: ((يَسِّرا وَلا تُعَسِّرا، وَبَشِّرا وَلا تُنَفِّرا))، فَانْطَلَقَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما إِلى عَمَلِهِ، قالَ: وَكانَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما إِذا سارَ فِي أَرْضِهِ وَكانَ قَرِيباً مِنْ صاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْداً فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسارَ مُعاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيباً مِنْ صاحِبِهِ أَبِي مُوسى، فَجاءَ يَسِيرُ عَلى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهى إِلَيْهِ وَإِذا هُوَ جالِسٌ وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَإِذا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَداهُ إِلى عُنُقِهِ، فَقالَ لَهُ مُعاذٌ: يا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَيُّمَ هذا؟ قالَ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلامِهِ؟ قالَ: لاأَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قالَ:إِنَّما جِيءَ بِهِ لِذلِكَ، فَانْزِلْ ، قالَ: ماأَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ثُمَّ نَزَلَ فَقالَ:يا عَبْدَ اللهِ كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ قالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقاً، قالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يا مُعاذُ قالَ: أَنامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي

---

١) هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، الإمام ، الفقيه، الثبت ،حارث ويقال عامر ،ابن صاحب النبي ﷺ عبد الله بن قيس بن حضار الكوفي الفقيه. وكان قاضي الكوفة للحجاج ،ثم عزله بأخيه أبي بكر .حدَّث عن أبيه وعلي وعائشة وأسماء بنت عميس وعبد الله بن سلام وحذيفة ومحمد بن مسلمة وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عمر والبراء ومعاوية والأغر المزني وعدة . وحدَّث عنه بنوه سعيد ويوسف والأمير بلال والشعبي وخلق كثير وكان من أئمة الاجتهاد .قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث. مات سنة ثلاث ومئة .وقيل سنة أربع ومئة للهجرة. (انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي١/١٤٩).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٨) ص ٦٩.

٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب ،أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام . شهد المشاهد كلها. أمّره النبي ﷺ على اليمن ، قال أبونعيم: إمام الفقهاء وكنز العلماء شهد العقبة وبدراً والمشاهد كان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياءً وسخاءً قال ابن كعب بن مالك: كان معاذ شاباً جميلاً سمحاً لايسأل الله شيئاً إلا أعطاه. قال عمر ﷺ: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ .مناقبه كثيرة جداً، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة للهجرة أو التي بعدها وهو قول الأكثر .عاش أربعاً وثلاثين سنة وقيل غير ذلك .

(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ٤٤٣/١ ،والإصابة / ابن حجر ١٠٦/٦ ،وشذرات الذهب /ابن العماد ٢٩/١).

مِنَ النَّوْمِ فَأَقْرَأُ ما كَتَبَ الله لِي فَأَحْسِبُ نَوْمَتِي كَما أَحْسِبُ قَوْمَتِي .(١)

وفي رواية:(حَدَّثَنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَدَّهُ أَبا مُوسى وَمُعاذاً ، إِلى الْيَمَنِ فَقالَ: ((يَسِّرا ولاتُعَسِّرا ، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا ، وتَطاوَعا)) فَقالَ أَبُومُوسى: يانَبِيَّ الله إِنَّ أَرْضَنا بِها شَرابٌ مِنَ الشَّعِيرِ الْمِزْرُ وَشَرابٌ مِنَ الْعَسَلِ الْبِتْعُ فَقالَ: ((كُلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ)) فَانْطَلَقا فَقالَ مُعاذٌ لِأَبي مُوسى: كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قالَ: قائِماً وَقاعِداً ، وَعَلى راحِلَتِهِ وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقاً ، قالَ أَمَّا أَنا فَأَنامُ وَأَقُومُ فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي ، وَضَرَبَ فُسْطاطاً فَجَعَلا يَتَزاوَرانِ فَزارَ مُعاذٌ أَبا مُوسى فَإِذا رَجُلٌ مُوثَقٌ فَقالَ : ماهذا فَقالَ: أَبُومُوسى : يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ ، فَقالَ مُعاذٌ: لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ). (٢)

شرح غريب الأحاديث :

<< مِخْلاف >> : بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء هو بلغة أهل اليمن ،وهو الكورة والإقليم والرستاق بضم الراء وسكون المهملة بعدها مثناة وآخرها قاف .(٣)

<< أَحْدَثَ بِهِ عَهْداً >> : أي جدد العهد بزيارته .(٤)

<< أَيُّمَ هذا >> : أيم بفتح الميم وترك إشباعها لغة وأخطأ من ضمها وأصله أي الاستفهامية دخلت عليها ما .وقد سمع ايم هذا بالتخفيف مثل أيش هذا فحذفت الألف من أيم والهمزة من أيش.(٥)

---

١) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب المغازي/ باب بعث أبي موسى ومعاذ ﷺما إلى اليمن قبل حجة الوداع ١٢٧/٥ رقم (٤٣٤٥).

وكتاب الأدب /باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولاتعسروا)) ١٣١/٧ رقم (٦١٢٤).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الإمارة /باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ص٧٢٦ رقم (١٦٥٢).

٢) الطرف رقم (٤٣٤٥).

٣) فتح الباري/ابن حجر ٤٩/٨ .

٤) عمدة القاري/ العيني ١٨/ ٣.

٥) فتح الباري/ابن حجر ٤٩/٨ .

<< **أتَفَوَّقُهُ** >> : الفُواق والفِواق ما بين الحلبتين من الوقت، مشتق من فـواق الناقـة، وهـو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب هكذا دائما. أي ألازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً بعـد شـيء وحيناً بعد حين .[١]

<< **قَضَيْتُ جُزْئِي** >> : المراد به أنه جزأ الليل أجزاء جزءاً للنوم وجزءاً للقراءة والقيام.[٢]

<< **أَحْسِبُ نَوْمَتِي** >> : الحسبة مصدر احتسابك الأجر على الله ، تقول فعلته حسـبة، وأحتسب فيه احتسابا .معناه أنه يطلب الثواب في الراحـة كما يطلبـه في التعب لأن الراحـة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب .[٣]

<< **فُسْطاطاً** >>: الفُسطاط بيت من شعر. وقال الزمخشـري: الفُسـطاط ضـرب مـن الأبنيـة في السفر دون السُّرادق. [٤]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن.

الثاني - من وسائل الدعوة: بعث الدعاة إلى أنحاء الأرض لنشر الإسلام .

الثالث - من أساليب الدعوة: التخطيط والإعداد المسبق.

الرابع - من واجبات الداعية: الوصية للولاة و الدعاة وتذكيرهم بمايجب عليهم.

الخامس - من أساليب الدعوة: الترفق بالمدعوين .

السادس - من فقه الدعوة: البدء بالتبشير والترغيب.

السابع - من موضوعات الدعوة: بيان فضيلة التزاور بين المسلمين.

الثامن - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية التثبت في الأمور.

---

١) لسان العرب /ابن منظور ٣١٨/١٠ مادة فوق ، وفتح الباري/ابن حجر ٤٩/٨ .

٢) فتح الباري/ابن حجر ٤٩/٨ .

٣) لسان العرب /ابن منظور ٣١٤/١ مادة حسب ، فتح الباري/ابن حجر ٤٩/٨ ، فتح المبدي /الشرقاوي ١٤٥/٣ .

٤) المصدر السابق ٣٧١/٧-٣٧٢ مادة (فسط) .

التاسع - من واجبات الداعية: الحرص على إنكار المنكر وتطبيق شرع الله.

العاشر - من قواعد الدعوة: استخدام أسلوب الشدة مع من تعدى حدود الله.

الحادي عشر - عدم انشغال الصحابة ﷺ بالولاية وعبئها الثقيل عن ذكر الله.

الثاني عشر - من واجبات الداعية: احتساب الأجر عند الله في كل عمل يقوم به .

الثالث عشر - تعليم الأبناء .

الرابع عشر - أهمية التعاون بين الدعاة.

الخامس عشر - من موضوعات الدعوة : تحريم المسكرات .

ا لسادس عشر - من أساليب الدعوة : إجابة السائل بأكثر مما سأل .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ﷺما إلى اليمن:

من تاريخ الدعوة المستفاد من هذا الحديث بعث النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ﷺما إلى اليمن لدعوتهم ، وتعليمهم أمور دينهم ، وإمامتهم ، والقضاء بينهم ، كما بعث غيرهما إليها في مهمات متعددة ، وجعل كل واحد منهما على إقليم منها وكان بعثه لهما بعد الرجوع من غزوة تبوك سنة تسع للهجرة .[1]

الثاني - من وسائل الدعوة: بعث الدعاة إلى أنحاء الأرض لنشر الإسلام :

كان النبي ﷺ يرسل الدعاة إلى أنحاء الأرض لتبليغ الرسالة وتعليم الناس أمور دينهم، وكان ينتقي من الدعاة الأصلح للبلد المرسل إليه وحسب حاجاتهم لأن الداعية سيتولى جميع شؤون المسلمين هناك. وقد أرسل أباموسى الأشعري ومعاذاً ﷺما إلى اليمن كما في هذا الحديث (**بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ أبا مُوسى وَمُعاذَ بْنَ جَبَلٍ إلَى الْيَمَنِ قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما عَلى مِخْلافٍ**) أما أبو موسى فلأنه من أهل اليمن وهو أعلم بمنازلهم ولهجاتهم وعاداتهم وأعرافهم حاذقا لها. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (واستدل به على أن أبا

---

١) انظر فتح الباري /ابن حجر ٨/٥٠ .

موسى ﷺ كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة).[١] وأما معاذ ﷺ فهو خزرجي من أفقه الصحابة وأعلمهم بالحلال والحرام ، وأهل اليمن أهل علم بالكتاب الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام ، فبعث رسول الله ﷺ معاذاً إليهم قاضيا ومعلما . لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يتوجه منهم دعاة إلى البلاد التي في حاجة إلى الدعوة وأن يختاروا منهم لكل بلد مايناسبه .

الثالث - من أساليب الدعوة: التخطيط والإعداد المسبق:

وضع الخطط للعمل الذي يراد تنفيذه وبيان المنهج الذي يتبع في ذلك واختيار من يقوم بتنفيذه من أهم الأساليب التي تضمن نجاح العمل ، وهكذا كان النبي ﷺ يفعل . وفي هذا الحديث ظهر التخطيط في الدعوة من قبل النبي ﷺ حيث أرسل أبا موسى ﷺ على إقليم من اليمن ومعاذا ﷺ على إقليم فولى كل واحد منهما على مكان تبعا لطبيعة المكان المرسل ومميزات كل واحد منهما .[٢]

الرابع - من واجبات الداعية:الوصية للولاة و الدعاة وتذكيرهم بمايجب عليهم:

كان من سنة النبي الكريم ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو ولى شخصاً ولاية أوصاه بتقوى الله والرفق والتيسير [٣]، والقيام بما يجب عليهم في حق الله وتجاه المدعوين وخير شاهد على ذلك وصيته لأبي موسى ومعاذ ﷺما لما بعثهما إلى اليمن كما جاء في هذا الحديث : ((يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا)).قال الإمام النووي - رحمه الله -:(وفيه وصية الإمام الولاة وإن كانوا أهل فضل وصلاح كمعاذ وأبي موسى ﷺما فإن الذكرى تنفع المؤمنين).[٤]

الخامس - من أساليب الدعوة :الترفق بالمدعوين :

الترفق بالمدعوين من أساليب الدعوة التي حثنا على الالتزام بها نبي الرحمة ﷺ حيث قال: ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله)).[٥] وقال ﷺ : ((فإنما بعثتم ميسرين ولم

١) المصدر السابق نفس الصفحة.

٢) انظر المفهم / القرطبي ٤/١٧.

٣) انظر زاد المعاد/ابن القيم ٣/١٠٠.

٤) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٢/٢٨٥.

٥) صحيح الإمام البخاري :كتاب الأدب /باب الرفق في الأمر كله ٧/١٠٥ رقم (٦٠٢٤).

تبعثوا معسرين)).(١)

ولأن الرفق يثمر في الدعوة أكثر من غيره ، وفيه تأليف لقلوب المدعوين وسرعة إستجابتهم للدعوة ، كان النبي ﷺ يوصي به الأمراء على الجيوش وغيرها كما جاء في هذا الحديث: ((يَسِّرُا ولا تُعَسِّرُا، وبَشِّرُا ولا تُنَفِّرُا)). قال القاضي عياض ـــ رحمه الله ـــ : (وقوله ﷺ لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن : ((يَسِّرُا ولاتُعَسِّرُا ، وبَشِّرُا ولا تُنَفِّرُا، وتَطاوَعا ولاتختلفا)) : فيه مايجب الاقتداء به من التيسير في الأمور ، والرفق بالناس ، وتحبيب الإيمان إليهم ، وترك الشدة والتنفير لقلوبهم ، لاسيما فيمن كان قريب العهد به . وكذلك يجب فيمن قارب حد التكليف من الأطفال ولم يتمكن رسوخ الأعمال في قلبه ولاالتمرن عليها ، ألايشدد عليه ابتداء ؛لئلا ينفر عن عمل الطاعات).(٢)

السادس - من فقه الدعوة: البدء بالتبشير والترغيب:

التبشير يقرب المدعو من الداعية والترغيب في الخير تحبه النفوس وتألفه القلوب لأن الإنسان فطر على حب الخير فإذا رُغِبَ رغب وإذا دعي بأسلوب التبشير والترغيب استجاب في الغالب ولهذا أوصى النبي ﷺ صاحبيه ﷺما كما هي عادته مع غيرهم من الولاة أن يبشرا فقال ((وبَشِّرُا ولا تُنَفِّرُا)) حتى يكون ذلك معينا على قبول الدعوة . قال الإمام النووي ـــ رحمه الله ـ : (وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلا وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالبا التزايد منها).(٣)

السابع - من موضوعات الدعوة: بيان فضيلة التزاور بين المسلمين:

التزاور بين المسلمين من الأمور التي حث عليها الإسلام أبناءه لتوثيق عرى الروابط الإيمانية بينهم وتحقيق التكافل الإجتماعي بسؤال بعضهم عن بعض والتعرف على أحوالهم

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب الأدب /باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولاتعسروا)) ٧/ ١٣٢ رقم (٦١٢٨).

٢) إكمال المعلم ٦/ ٣٧، وانظر شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٢/ ٢٨٥.

٣) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٢/ ٢٨٥.

للوقوف معهم عند الحاجة . ومن التزاور تزاور العلماء والولاة فيما بينهم كما في هـذا الحديث (وَكانَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما إذا سارَ فِي أَرْضِهِ وكانَ قَرِيباً مِنْ صاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْداً فَسَلَّمَ عَلَيْهِ) فقد كان كل منهما يحرص على زيارة أخيه. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وفيه تزاور الإخوان والأمراء والعلماء).[١]

الثامن ـ من موضوعات الدعوة: بيان أهمية التثبت في الأمور:

التبين بمعرفة الصحيح من الخطأ والصدق من الكذب منهج قرآني أخذ به رسول الله ﷺ، وأخذ به الصحابة والمسلمون ولايجوز أن يكون الداعية أذنا يسمع كل ما قيل ويتعجل في الحكم على ماسمع بل يجب أن يتثبت حتى يعرف الحق ويعطيه حكمه الشرعي المناسب [٢]. قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.[٣] ولهذا لما قدم معاذ على أبي موسى ﷺما ورأى الرجل المقيد سأل عن حاله وسبب تقييده: (يا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ أَيُّمَ هذا؟).

التاسع ـ من واجبات الداعية: الحرص على إنكار المنكر وتطبيق شرع الله:

إن من أهم واجبات الداعية المبادرة إلى إنكار المنكر والحرص على تطبيق شرع الله على من خالفه، وفي هذا الحديث ظهر لنا حرص الصحابة ﷺ متمثلاً في الصحابي معاذ ﷺ على القضاء على المنكرات وتطبيق الشرع الإسلامي حيث إنه بمجرد أن علم أن هذا الموثق مرتد عن الإسلام رفض أن ينزل من راحلته حتى يقام عليه الحد ولم ينزل حتى قتل، كما جاء في الحديث: (لاأَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قالَ: إنَّما جِيءَ بِهِ لِذلِكَ، فَانْزِلْ، قالَ: ما أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ثُمَّ نَزَلَ) فرغم أن أباموسى ﷺ قد أخبره بأنه لم يُحضر إلا للقتل فإنه لحرصه على إقامة الحد وامتثالاً لأمر النبي ﷺ حيث قال : ((من بدل دينه فاقتلوه))[٤] رفض النزول من دابته حتى نُفذ فيه الحكم. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وفيه المبادرة إلى إنكار المنكر وإقامة الحد على من وجب عليه).[٥] فمن واجب الدعاة إلى الله أن يقتدوا بصحابة

---

١) فتح الباري ٢٤٣/١٢.

٢) انظر الفائدة (٥) من الحديث (٢٨) ص ١٨٦.

٣) سورة الحجرات الآية رقم (٦).

٤) صحيح الإمام البخاري :كتاب استتابة المرتدين /باب حكم المرتد والمرتدة ٦٤/٨ رقم (٦٩٢٢).

٥) فتح الباري ٢٤٣/١٢ .

رسول الله ﷺ في حرصهم على إزالة المنكر.

العاشر ـ من قواعد الدعوة:استخدام أسلوب الشدة مع من تعدى حدود الله:

إن أمر الرسول ﷺ ووصيته لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما بالتيسير والتبشير لا يشمل من تجاوز حدود الشرع فليس من التيسير المأمور به تبديل أحكام الشرع أو الإقرار على معصية مهما كانت. ومعاذ رضي الله عنه مع ماعرف عنه من السماحة واليسر فيما جبل عليه وتنفيذاً لوصية الرسول ﷺ له اشتد حين رأى المرتد وأبى أن ينزل حتى يقام عليه حد الردة فقال: (لا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ). وهكذا يجب أن يكون الداعية في رفقه وشدته سمحاً ميسراً غير معنف إلا أن تنتهك حرمات الله فهنا تكون الغلظة. عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله)).[1]

الحادي عشر ـ عدم انشغال الصحابة رضي الله عنهم بالولاية وعبئها الثقيل عن ذكر الله:

في هذا الحديث تحدث أبو موسى ومعاذ رضي الله عنهما عن قيامهما الليل وكيفية ترتيب الوقت للعبادة وقراءة القرآن (فَقَالَ: يا عَبْدَالله كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقاً، قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يا مُعاذُ قَالَ: أَنامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ فَأَقْرَأُ ما كَتَبَ الله لِي فَأَحْسِبُ نَوْمَتِي كَما أَحْسِبُ قَوْمَتِي)، فلم يشغلهم ماحملوه من أمانة الولاية مع ماهم فيه من الغربة والبعد عن الأهل والوطن عن ملازمة العبادة. وهكذا ينبغي أن يكون عليه المسلم الداعية في مدارج سلوكه في الحياة يقوم بعمل الولاية على الوجه الذي ينبغي أن تؤدى عليه على أن يكون ذكر الله ﷻ رفيقه دائما يمتلىء به قلبه ويلهج به لسانه، فهذا مما يقربه إلى الله ويعينه على حمل أعباء الولاية ويبصره بالحق.

الثاني عشر ـ من واجبات الداعية:احتساب الأجر عند الله في كل عمل يقوم به:

هذا المبدأ الإسلامي القويم يجب أن يكون ماثلاً أمام المسلم ويجب أن يستحضره في كل عمل يؤديه حتى فيما ينفع نفسه وأهله ومن حوله يحتسب ذرات هذا العمل عند الله ولا يستحقر شيئاً يقوم به في حياته، فما من مباح إلا ويمكن أن يقصد فيه وجهاً من وجوه الخير،

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب الأدب/باب قول النبي ﷺ: ((يسروا ولاتعسروا)) ١٣٢/٧ رقم (٦١٢٦).

فيصير قربة بحسب القصد الصحيح [١]، والمهم في هذا إخلاص العمل لله وسلامة القصد وحسن النية لأن الأمور بمقاصدها والأعمال بالنيات .

وفي هذا الحديث بين لنا معاذ ﷺ أنه يحتسب الثواب في الراحة كما يحتسبه في القيام لله تعالى (فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي)، لأنه إنما ينوي براحته التقويّ للعبادة فيكسب بذلك أجر العبادة وأجر الراحة. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب).[٢]

الثالث عشر ـ تعليم الأبناء:

إن قرابة المسلم هم أولى بالتعليم وأحق بالبدء بالدعوة إلى الهداية والإصلاح، وأبناؤه في مقدمة المستحقين للتعليم من القرابة لأن مسؤوليتهم تختص به وهو مكلف بهم تعليما وتربية .

ولهذا لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإنذار قومه ودعوتهم إلى التوحيد قال : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.[٣] ممايدل على أولوية القريب وإن كان الأمر بالإنذار لعموم الناس لكنه في حق القريب آكد . قال العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية : (الذين هم أقرب الناس إليك وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي ، وهذا لاينافي أمره بإنذار جميع الناس . كما إذا أُمر الإنسان بعموم الإحسان ، ثم قيل < أحسن إلى قرابتك > فيكون هذا الخصوص دالا على التأكيد ، وزيادة الحث).[٤]

وفي هذا الحديث ظهر اهتمام الصحابة ﷺ بتعليم أبنائهم ، حيث روى لنا سعيد بن أبي بردة عن والده ، واستشعر أهمية التعليم فنقله لغيره للانتفاع به .

الرابع عشر ـ أهمية التعاون بين الدعاة:

التعاون بين الدعاة أمر مهم لزيادة ثمار العمل الدعوي ، وبالتعاون يسد الخلل فمانقص من أحدهم أكمله الآخر كل بحسب طاقته وعلمه ومواهبه .

---

١) المفهم /القرطبي ٢٠/٤ ، فتح الباري /ابن حجر ٢٤٣/١٢.

٢) فتح الباري /ابن حجر ٥٠/٨ ، وانظر جامع العلوم والحكم /ابن رجب ص ٢٨٠ ، وعمدة القاري / العيني ٣/١٨ ، وإرشاد الساري /القسطلاني ٤١٩/٦ ،وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٥/٣.

٣) سورة الشعراء الآية رقم (٢١٤).

٤) تيسير الكريم الرحمن ٥٥١/٥-٥٥٢.

وفي هذا الحديث أوصى النبي ﷺ معاذا وأبا موسى ﷺما بأن يتفقا ولايختلفا لأن الاختلاف قد يفسد بينهم ، ويكون مجلبة لازدرائهم ، ويشمت بهم أعداءهم ، ويفرق عنهم أصحابهم ،كما يؤثر ذلك على المدعوين فينفروا منهم ، أما بالاتفاق تقوى سلطتهم وترتفع مكانتهم في أعين الناس فتثمر دعوتهم. قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: (وفيه التعاون على البر ومصالح المسلمين) [١]. وقال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ : (وتطاوعا أي كونا متفقين في الحكم ولاتختلفا فإن اختلافكما يؤدي إلى اختلاف أتباعكما وحينئذ تقع العداوة والمحاربة بينهم).[٢]

الخامس عشر ـ من موضوعات الدعوة: تحريم المسكرات :

حرم اللهﷻ الخمر وجميع أنواع المسكرات لأنها تغطي العقل وتزيله حتى لايعرف ربه، والله ﷻ إنما خلق الإنسان لعبادته وذكره ، إضافة إلى ما يؤديه تناول المسكرات من وقوع في المنكرات.قال طائفة من السلف : (إن شارب الخمر تمر عليه ساعة لايعرف فيها ربه واللهﷻ إنما خلقهم ليعرفوه ويذكروه ويعبدوه ويطيعوه ، فما أدى إلى الامتناع من ذلك وحال بين العبد وبين معرفة ربه وذكره ومناجاته كان محرماً وهو السكر).[٣] قال الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ : (فهذا الحديث أصل في تحريم تناول جميع المسكرات المغطية للعقل).[٤]

السادس عشر ـ من أساليب الدعوة : إجابة السائل بأكثر مما سأل:

فرسول الله ﷺ لما سأله أبو موسى الأشعري ﷺ عن حكم شراب الشعير وشراب العسل قال له ((كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)) فلم يكتف بالإجابة عن حكم هذين النوعين بل أوضح له الحكم بتحريم جميع ما يسكر ، وهذا أسلوب عظيم في الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي ويستفيد منه السائل كما إنه يكفيه مشقة العودة والسؤال مرة أخرى . قال الإمام الزرقاني ـ رحمه الله ـ : (وفيه أن المفتي يجيب السائل بزيادة عما سأله عنه إذا كان مما يحتاج إليه السائل).[٥]

---

١) إكمال المعلم ٦/٤٦٢.

٢) إرشاد الساري ٦/٤١٩،وانظر إكمال المعلم /القاضي عياض ٦/٣٨.

٣) جامع العلوم والحكم/ ابن رجب ص ٣٩٤ .

٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

٥) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٤/١٧٠.

٣١-(٤٣٤٨) . حدثنا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ أَنَّ مُعَاذاً ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْيَمَنَ صَلَّى بِهِمْ الصُّبْحَ فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [١] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: لَقَدْ قَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ،زَادَ مُعَاذٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ، فَقَرَأَ مُعَاذٌ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ سُورَةَ النِّسَاءِ،فَلَمَّا قَالَ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ قَالَ رَجُلٌ خَلْفَهُ قَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ . [٢]

شرح غريب الحديث :

<< قَرَّتْ عَيْنُ >> : أي حصل لها السرور وكني عنها ب "قرّت عينها " أي بردت دمعتها لأن دمعة السرور باردة بخلاف دمعة الحزن فانها حارة ولهذا يقال فيمن يدعى عليه أسخن الله عينه.[٣]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من وسائل الدعوة: بعث الدعاة لنشر الإسلام.

الثاني - من تاريخ الدعوة: بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن .

الثالث - من وسائل الدعوة: تولي الوالي إمامة الناس في الصلاة .

الرابع - من صفات المؤمن: حسن الإنصات إلى قراءة الإمام .

الخامس - الترغيب في الأعمال الصالحة من خلال غبطة من حصل على محبة الله .

١) سورة النساء جزء من الآية (١٢٥).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) فتح الباري/ابن حجر ٥١/٨ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ من وسائل الدعوة: بعث الدعاة لنشر الإسلام :

الإسلام رسالة عالمية ورسول الإسلام ﷺ بعث للناس كافة قال تعالى:﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.(١)

وحتى تصل إلى الناس كافة كان النبي ﷺ يبعث البعوث لتبليغ رسالة الإسلام ومن ذلك بعثه معاذاً ﷺ إلى اليمن. فمن واجب الدعاة أن يهتموا بهذه الوسيلة الدعوية وأن يرسلوا دعاة مؤهلين لنشر دين الله في كل مكان فهذه المسؤولية ليست قاصرة على رسول الله ﷺ بل هي واجب الأمة الإسلامية حتى قيام الساعة. يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : (يجب على ولي أمر المسلمين أن يبعث الدعاة إلى الله في كل مكان، كل مكان يحتاج إلى الدعوة، فإن على ولي أمر المسلمين أن يبعث من يدعو الناس إلى دين الله ﷻ ، لأن هذا دأب النبي ﷺ وهديه أن يبعث الرسل يدعون إلى الله ﷻ).(٢)

الثاني ـ من تاريخ الدعوة: بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن :

من تاريخ الدعوة إرسال رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ إلى اليمن لدعوتهم وتعليمهم أمور الدين وولاية الكثير من أمور المسلمين فيها. قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (بعث النبيﷺ الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس وأخذ صدقاتهم وأخماسهم؛ معاذ بن جبل وأباموسى وخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين).(٣)

الثالث ـ من وسائل الدعوة: تولي الوالي إمامة الناس في الصلاة :

كان رسول الله ﷺ حين يرسل داعية يختار الأصلح والأفقه لتبليغ الدعوة، كاختياره لمعاذ ﷺ ، وإذا ولى النبي ﷺ شخصاً على ولاية، أو بعث رسولاً في دعوة استحق أن يكون إماماً لمن معه وإماماً للمدعوين. وفي هذا الحديث أَمَّ معاذ ﷺ الناس حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (دل الحديث على أنه كان أميراً على الصلاة).(٤)

---

١) سورة الأعراف جزء من الآية رقم (١٥٨).

٢) شرح رياض الصالحين ٦١٦/٤ .

٣) البداية والنهاية ٩١/٥.

٤) فتح الباري ٥١/٨ ،وانظر عمدة القاري /العيني ٦/١٨ .

الرابع - من صفات المؤمن : حسن الإنصات إلى قراءة الإمام :

إن من تمام الخشوع في الصلاة والتأدب عند قراءة القرآن حسن الإنصات له وتدبر معانيه ، وقد أمر الله ﷻ عباده بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(١) قال العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ: (ومن أوكد مايؤمر به مستمع القرآن أنه يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه ، فإنه مأمور بالإنصات حتى إن أكثر العلماء يقولون إن اشتغاله بالإنصات أولى من قراءة الفاتحة وغيرها).(٢)

وقد كان السلف من الصحابة والتابعين يلتزمون بأمر القرآن الكريم في الإنصات إلى الإمام وتدبر معاني الآيات والتأثر بها رغبة ورهبة .عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (٣) تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة أو قال يوم ، فخر فتى مغشياً عليه .. .(٤) قال العلامة ابن مفلح المقدسي ـ رحمه الله ـ : (لولا حضور قلب حي وعلم معنى المسموع وقدره واستشعار معنى مطلوب يتلمح منه لم يحصل ذلك).(٥)

الخامس - الترغيب في الأعمال الصالحة من خلال غبطة من حصل على محبة الله :

حب الله تعالى للعبد بل اتخاذ الله العبد خليلاً ـ والخلة أخص من المحبة ـ منزلة يغبط صاحبها ، والمؤمن الحق إذا سمع ماحصل لبعض عباد الله الذين اصطفاهم تاقت نفسه وغبط من حصل له ذلك وهذا من علامات الإيمان والرغبة في الخير فيحمل ذلك المدعوين على الإزدياد من الأعمال الصالحة التي تقربهم إلى ربهم . وفي هذا الحديث لما تلا معاذ رضي الله عنه قوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ قال رجل (لَقَدْ قَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ) فغبطه على هذه المكانة، وأسمع غيره حثاً لهم على العمل الصالح لينالوا المقامات العالية عند الله تعالى .

---

١) سورة الأعراف الآية رقم (٢٠٤).

٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان ١٣٨/٣.

٣) سورة التحريم جزء من الآية (٦) .

٤) المستدرك على الصحيحين /الحاكم ٣٥١/٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٥) الآداب الشرعية ٣٢٥/٢ .

٦٢ - باب بَعْث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ، وَخالِدِ بْنَ الْوَلِيدِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَداعِ

٣٢-(٤٣٤٩) . حدثني أحْمَدُ بْنُ عُثْمان، حَدَّثَنا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنا إبْراهِيمُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ إسْحاقَ بْنِ أَبِي إسْحاقَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي إسْحاقَ، سَمِعْتُ الْبَراءَ ﷺ [1]، بَعَثَنا رَسُولُ الله ﷺ مَعَ خالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إلى الْيَمَنِ، قالَ: ثُمَّ بَعَثَ عَلِيّاً بَعْدَ ذَلِكَ مَكانَهُ فَقالَ: ((مُرْ أَصْحابَ خالِدٍ مَنْ شاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ وَمَنْ شاءَ فَلْيُقْبِلْ))، فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَهُ، قالَ: فَغَنِمْتُ أَواقٍ ذَواتِ عَدَدٍ.[2]

شرح غريب الحديث :

<< أنْ يُعَقِّب >> : المعقب :الذي يغزو غزوة بعد غزوة ، ويسير سيرا بعد سير ، ولايقيم في أهله بعد القفول . وأصله أن الخليفة يرسل العسكر الى جهةٍ ؛ مدة ؛ فاذا انقضت، رجعوا وأرسل غيرهم فمن شاء أن يرجع من العسكر الأول مع العسكر الثاني سمي رجوعه تعقيبا .[3]

<< أواقٍ >> : أصله أواقيّ بتشديد الياء وتخفيفها فحذفت الياء استثقالاً [4]. وكانت الأوقية الشرعية موجودة في مكة في صدر الإسلام كوزن يساوي ٤٠ درهما ويساوي ١٢٥ غراماً.[5]

<< ذَواتِ عَدَدٍ >> : أي كثيرة .[6]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأبناء.

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٥) ص٦٢.

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) لسان العرب /ابن منظور ٦١٤/١ مادة عقب ،وفتح الباري/ابن حجر ٥٢/٨ .

٤) مصدر سابق ١٢/١٠ مادة أوق، وعمدة القاري/العيني ٦/١٨ ، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٦/٣.

٥) المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري /فالترهنتس ص١٩ – ترجمه عن الألمانية د. كامل العسلي – ط٢ – منشورات الجامعة الأردنية .

٦) عمدة القاري / العيني ٦/١٨.

الثاني ـ من تاريخ الدعوة: تعدد الرسل الذين بعثهم الرسول ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع.

الثالث ـ من أساليب الدعوة: التخيير .

الرابع ـ من أساليب الدعوة : الترغيب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ تعليم الأبناء :

اهتم السلف الصالح من هذه الأمة بتعليم أبنائهم العلم الشرعي ومانقله الصحابة ﷺ عن رسول الله ﷺ من أخبار وأحكام شرعية لاستشعارهم المسؤولية التي كلفوا بها وهي تربية الأبناء وتنشئتهم على تعاليم الإسلام وآدابه . [١]

فهذا إبراهيم بن يوسف يروي عن أبيه يوسف ،ويوسف يروي عن جده أبي إسحاق السبيعي ، وهذا التناقل للرواية يدل على شدة حرصهم على التعليم واشتغالهم بالسيرة النبوية الشريفة وهذا ماينبغي أن يكون عليه المسلمون .

الثاني ـ من تاريخ الدعوة: تعدد الرسل الذين بعثهم الرسول ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع:

اليمن هو طرف الجزيرة العربية من جهة الجنوب الغربي، وقد أرسل النبي ﷺ إليهم معاذاً داعياً إلى الإسلام كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً ﷺ إلى اليمن فقال : ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله...)).[٢] كما أرسله قاضياً وحاكماً في الحروب ومصدقاً إليه تدفع الصدقات، وكان يصلي بهم الصلوات الخمس.[٣] كما أرسل إليهم أباموسى الأشعري ﷺ مع معاذ بن جبل ﷺ كل منهما حاكماً على مخلاف وقاضياً فيه ومتولياً لعامة أمور الناس فيه وذلك بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة.[٤] كما أرسل إليهم خالد بن الوليد ﷺ في ربيع الآخر من السنة العاشرة في سرية ثم أرسله في رمضان من السنة نفسها، فأقام عليه ستة أشهر لايجيبونه إلى شيء ، فأرسل رسول الله ﷺ إليه علي بن أبي طالب ﷺ في مهمة متعددة

١) انظر الفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص٢١٠.

٢) صحيح الإمام البخاري :كتاب الزكاة /باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ٢/ ١٦٥ رقم (١٤٩٦).

٣) البداية والنهاية /ابن كثير ٥/ ١٢٠ ،وعمدة القاري /العيني ٨/ ٢٣٥.

٤) انظر الحديث رقم (٣٠) من البحث ص٢٠٢.

الأغراض أرسله داعياً وقاضياً وجابياً للمال المغنوم، وأمره أن يُقفِل خالداً ومن معه، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد ﷺ أن يعقب معه تركه، فلما دنا علي ﷺ من القوم خرجوا إليه، فصلى بأصحابه الفجر، وصفهم وتقدم بين أيديهم، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد.(١)

الثالث ـ من أساليب الدعوة: التخيير :

الاختيار الصحيح هو أساس العمل الصحيح والإكراه على العمل والإلزام به جبراً لايؤدي ثمرته المرجوة ولهذا خير النبي ﷺ مَنْ مع خالد ﷺ في أن يعقبوا أو يرجعوا، قال: ((مُرْ أصْحابَ خالِدٍ مَنْ شاءَ مِنْهُمْ أنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ وَمَنْ شاءَ فَلْيُقْبِلْ)) وإذا بقي الشخص بطوعه واختياره قام به على الوجه الذي يجب .

الرابع ـ من أساليب الدعوة : الترغيب :

الترغيب في الفعل بذكر ثماره من أساليب الدعوة إلى الله، وفي هذا الحديث ذكر لنا البراء ﷺ أنه لما عقب مع خالد ﷺ غنم عدد من الأواق يقول (فَغَنِمْتُ أواقِ ذَواتِ عَدَدٍ) وهي غنيمة كبيرة بالنسبة لذلك الوقت وكان ذكره لها من باب الترغيب في الخروج للجهاد في سبيل الله، هذا بجانب ما أعده الله للمجاهدين في سبيله من الجزاء الذي لا يضاهيه جزاء. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .(٢)

لذا ينبغي على الداعية ذكر الأجر الذي أعده الله لعباده في كل عمل لما في ذلك من استحثاث للهمم والمبادرة إلى العمل .

---

١) انظر تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) /لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣/١٣١ ـ ١٣٢ ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط٤ ـ دار المعارف ـ بيروت ، والكامل في التاريخ /ابن الأثير ٢/٢٠٥، والبداية والنهاية /ابن كثير ٥/١٢٠-١٢٢ .

٢) سورة التوبة الآيات رقم (٢٠-٢٢) .

٣٣-(٤٣٥٠)- حدثني مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنا رَوْحُ بْنُ عُبادَةَ ، حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ مَنْجُوفٍ ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ [1] قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيّاً إِلى خالِدٍ لِيَقْبِضَ الْخُمُسَ، وكُنْتُ أُبْغِضُ عَلِيّاً وَقَدِ اغْتَسَلَ ، فَقُلْتُ لِخالِدٍ: أَلا تَرى إِلى هذا؟ فَلَمَّا قَدِمْنا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرْتُ ذلِكَ لَهُ فَقالَ: ((يابُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيّاً؟)) قُلْتُ: نَعَمْ.قالَ: ((لاتُبْغِضْهُ فَإِنَّ لَهُ فِي الْخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ)). [2]

شرح غريب الحديث :

<< الْخُمُسَ >> : أي خمس الغنيمة .[3]

<< اغْتَسَلَ >> : كناية عن الوطء أراد أن عليا وطيء الجارية التي أخذها من الخمس واصطفاها لنفسه .[4]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأبناء.

الثاني - من تاريخ الدعوة : بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب إلى خالد بن الوليد ﷺ في اليمن.

الثالث - استخدام أسلوب الاستفهام للتحقق من الأمر .

الرابع - من أساليب الدعوة : كراهية مرتكب المنكر وبغضه.

---

١) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحرث بن الأعرج بن سعد.أبو عبد الله وقيل أبوسهل ، الأسلمي.قيل إنه أسلم عام الهجرة ، وشهد غزوة خيبر والفتح وكان معه اللواء .استعمله النبي ﷺ على صدقة قومه .وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرض البلقاء إثر وفاة رسول الله ﷺ .له جملة أحاديث ، نزل مرو ونشر العلم فيها .وكان من أمراء عمر بن الخطاب في نوبة سرغ - مكان بين الشام والمدينة - ،ومناقبه مشهورة. توفي سنة ٦٣ هـ.

(انظر: الطبقات الكبرى /ابن سعد ٢٤١/٤ ، وسير أعلام النبلاء /الذهبي ٤٦٩/٢ ،والإصابة /ابن حجر ١٥١/١).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) فتح الباري/ابن حجر ٥٢/٨ ، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٤٦/٣ .

٤) عمدة القاري/العيني ٧/١٨ .

الخامس - الصدق في القول من سمات الصحابة ﷺ .

السادس - من واجبات الداعية :الحرص على إيضاح ماأشكل على المدعوين .

السابع - من أساليب الدعوة: استخدام أسلوب النهي .

الثامن - من واجبات المسلم:إحسان الظن بالآخرين .

التاسع - فضل علي ﷺ واقتصاره على ما أحل له.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تعليم الأبناء:

الأبناء هم أقرب الناس وألصقهم بآبائهم فيعرفون عنهم ماعندهم من العلم ويقتدون بهم في أقوالهم وأفعالهم.وأبناء الصحابة ﷺ كانوا كذلك فهذا عبدالله بن بريدة [١] يروي عن أبيه قصة بعث علي ﷺ إلى اليمن وماوجد في نفسه على علي وماكان منه من فهم خاطيء لتصرفه وبغضه له لارتكابه منكراً من وجهة نظره ، فتعلم عبدالله حكم الإسلام في تخميس الغنيمة والواجب على المسلم تجاه المنكرات وعدم السكوت عليها لمكانة الفاعل . [٢]

الثاني - من تاريخ الدعوة : بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب إلى خالد بن الوليد ﷺما في اليمن:

في هذا الحديث شيء من تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ وهو بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن على جيش ليؤدب الخارجين على الإسلام وغنم غنائم ثم أرسل ﷺ علياً ﷺ ليقبض الخمس وذلك قبل حجة الوداع في رمضان من السنة العاشرة للهجرة . [٣]

الثالث - استخدام أسلوب الاستفهام للتحقق من الأمر :

الاستفهام من الأساليب الدعوية للتحقق من الأمر قبل الحكم فيه ولهذا سأل النبي ﷺ بريدة ﷺ حين بلغه بغضه لعلي ﷺ (يابُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيّاً؟) فلما أجابه بالإثبات أخبره عن

---

١) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب ،الحافظ الإمام ، شيخ مرو وقاضيها ،أبو سهل الأسلمي المروزي ،أخو سليمان بن بريدة وكانا توأمين ، ولدا سنة خمس عشرة للهجرة . حدَّث عن أبيه فأكثر ، وعدد من الصحابة .كان من أوعية العلم ولي قضاء مرو بعد أخيه سليمان فكان على القضاء إلى أن مات سنة خمس عشرة ومئة للهجرة .(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٧٣/١).

٢) انظر : الفائدة (١) من الحديث (٣) ص٥٧، والفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص٢١٠.

٣) انظر : تاريخ الطبري ١٣١/٣، والبداية والنهاية/ابن كثير ١٢٠/٥.

حقيقة الأمر، وهذا الأسلوب العظيم الذي اتبعه مع بريدة ﷺ جعله يقتنع ويتفهم المسألة. ولهذا ينبغي للدعاة استخدام أسلوب الاستفهام والتحقق من الأمر قبل القول أو العمل فيه. [١]

الرابع ـ من أساليب الدعوة :كراهية مرتكب المنكر وبغضه:

من أساليب الدعوة في إنكار المنكر كراهية مرتكب المنكر وبغضه، وفي هذا الحديث أنكر بريدة ﷺ على علي ﷺ وطء الجارية فظن أنه غل وأخذ ما لا يستحق، فكرهه له لم يكن إلا لما اعتقده من كونه غل؛ والغلول أمر مخالف للشرع. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (إنما أبغضه لأنه رأى عليا ﷺ أخذ جارية .... فظن بريدة ﷺ أنه غل وكان مافعله علي من ذلك سبب بغض بريدة إياه).[٢]

الخامس ـ الصدق في القول من سمات الصحابة ﷺ :

صحابة رسول الله ﷺ هم أبعد الناس عن الكذب وكانوا يتحرون الصدق في كل مايحدثون به. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[٣] قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ :(قال غير واحد من السلف: هم أصحاب محمد، ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وكل صادق بعدهم فبهم يأتم في صدقه، بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم).[٤]

ولهذا لما سأل النبي ﷺ بريدة ﷺ ((يابُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيّاً)) لم ينكر ذلك مع علمه بأن عليا ﷺ هو ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته وكان يحبه ويدعو إلى محبته بل قال : (قُلْتُ: نَعَمْ).

فينبغي على المسلم الاقتداء بالصحابة ﷺ في صدقهم والتزامهم بالحق مهما كان الأمر لأن الصدق يهدي إلى البر، و البر يهدي إلى الجنة كما قال ﷺ. [٥]

---

١) انظر : الفائدة (٥) من الحديث (٢٨) ص١٨٦.

٢) عمدة القاري ١٨/١٧.

٣) سورة التوبة الآية رقم (١١٩).

٤) إعلام الموقعين ٤/١٠٧.

٥) قال ﷺ : ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأدب /باب قول الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ومايُنهى عن الكذب ٧/١٢٤ رقم (٦٠٩٤).

السادس - من واجبات الداعية: الحرص على إيضاح ما أشكل على المدعوين:

إن من واجبات الداعية إلى الله تعالى أن يقتدي بالرسول ﷺ في حرصه على إيضاح الحقائق وتسوية الأمور بين الناس إبعاداً لهم عن النزاع وتسلط الشيطان ونزواته ، لأنه بذلك ينبه المدعوين على إمكانية الخطأ في النظر في الأمور ووقوع الظن السيء بينهم ولهذا قال النبي ﷺ : ((لا تُبْغِضْهُ فَإِنَّ لَهُ فِي الْخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ)). قال الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله - : (إنه إذا ظن الناس الظن وليس له صحة وعند الإمام أو العالم المخرج منه ، واليقين من حاله أنه يصدع بذلك ، ويذكره، ولايترك الناس على ظنهم المخطئ).[1]

السابع - من أساليب الدعوة: استخدام أسلوب النهي :

من أساليب الدعوة أسلوب النهي عن الفعل، وفي الحديث نهى الرسول ﷺ بريدة بن الحصيب ﷺ عن كراهية علي واعتقاده ارتكابه ماحرم الله من الغلول بقوله : ((لا تُبْغِضْهُ فَإِنَّ لَهُ فِي الْخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ)).

وهذا الأسلوب من الأساليب الدعوية التي ينبغي للداعية أن يستخدمها في تعامله مع مرتكبي المنكرات ، لأنه أسلوب قوي ومباشر وموضح للحكم .

الثامن - من واجبات المسلم: إحسان الظن بالآخرين :

يجب على المسلم أن يكون حسن الظن بالمسلمين وأن يحمل تصرفهم على المحمل الحسن وإذا رأى أن بعضهم أخطأ فلا يبغضه ولا يعامله بجفوة بل عليه أن يصارحه حتى يعرف حقيقة الأمر، ولو أن بريدة ﷺ واجه عليا ﷺ بما أنكره عليه لبين له علي أنه يستحق ذلك بدلا من ترك الأمر حتى يصل إلى الرسول ﷺ ليخبره . قال الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.[2]

---

١) الإفصاح ٢٦٠/١.

٢) سورة الحجرات جزء من الآية رقم (١٢).

التاسع - فضل علي ﷺ واقتصاره على ما أحل له:

علي ﷺ من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ لسبقه في الإسلام ولأنه صهر النبي ﷺ وابن عمه وهو من أعلم الناس بالحلال والحرام وحين بعثه النبي ﷺ إلى خالد ﷺ ليقبض الخمس لم يكن يتجاوز حدود ماشرع الله فأخذ مايستحقه بنص القرآن لكونه من ذوي القربى ومثل هذا لا ينكر عليه .

٣٤، ٣٥-(٤٣٥٣/٤٣٥٤) . حدثنا مُسَدَّدٌ قالَ:حَدَّثَنا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ،عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، حَدَّثَنا بَكْرٌ الْبَصْرِيُّ أَنَّهُ ذَكَرَ لِابْنِ عُمَرَ أَنَّ أَنَساً[١] حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ، فَقالَ:أَهَلَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحَجِّ ، وَأَهْلَلْنا بِهِ مَعَهُ فَلَمَّا قَدِمْنا مَكَّةَ قالَ: ((مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَجْعَلْها عُمْرَةً)) وكانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ هَدْيٌ فَقَدِمَ عَلَيْنا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ مِنَ الْيَمَنِ حاجّاً، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((بِمَ أَهْلَلْتَ فَإِنَّ مَعَنا أَهْلَكَ؟)) قالَ: أَهْلَلْتُ بِما أَهَلَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قالَ:((فَأَمْسِكْ فَإِنَّ مَعَنا هَدْياً)).[٢]

شرح غريب الحديث :

<< أَهَلَّ >> : كل شيء ارتفع صوته فقد استهل . والإهلال بالحج رفع الصوت بالتلبية ، أهل المحرم بالحج يهل إهلالاً إذا لبى ورفع صوته . وتقول أهل بحجة أوبعمرة في معنى أحرم بها.[٣]

<< هَدْيٌ >> : الهدي مايهدى من الأنعام إلى البيت الحرام .[٤]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول - بيان السنن بالقول والعمل والتقرير.

الثاني - أن الأصل في أفعال الرسول ﷺ التشريع مالم يدل دليل على التخصيص به.

الثالث - من خصائص الإسلام : التيسير .

الرابع - من محاسن الإسلام: مراعاة العلاقة الزوجية في الحج.

الخامس - متابعة الرسول ﷺ ومماثلته في أفعاله حرصاً على اتباع السنة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٢) ص٥٠.

٢) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب الحج /باب إهلال النبي ﷺ وهديه ٤٨٣/٨ رقم (١٢٥٠) .

٣) لسان العرب /ابن منظور ٧٠١/١١ مادة هلل .

٤) المفهم /القرطبي ٤٦/٥ ، وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٣٩٠/٨.

الأول - بيان السنن بالقول والعمل والتقرير:

سنة النبي ﷺ تثبت بثلاثة أنواع؛ القول بأن يخبرهم بالأمر، أو العمل بأن يعمل الشيء أمامهم فيفعلونه اقتداءً ويستمر كمنهج فهو درس ديني عملي، أوالتقرير بأن يرى أحداً يفعل أمراً فيقره عليه فيكون سنة تتبع. وفي هذا الحديث علم النبي ﷺ صحابته ﷺ بعض أمور الحج بالأنواع الثلاثة، فالقول في قوله لأصحابه: (مَنْ لَمْ يكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً))، والعمل ثبت بفعله ﷺ حين أحرم قارنا وهو نسك من ساق الهدي وغير ذلك من مناسك الحج. قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (إنه ﷺ إنما كان يفعل من أفعال الحج بحسب ما ينزل عليه به الوحي، فيفهمه هو ويبينه للناس بفعله).[1]

والسنة التقريرية ثبتت بإقراره ﷺ لفعل علي ﷺ فإنه أهل بما أهل به رسول الله ﷺ فأقره على ذلك ولزمه القران لأنه ساق معه هديا من اليمن .قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (أن علياً ﷺ هو الذي ابتدأ إحرامه محالاً به على إحرام النبي ﷺ من غير تعيين حج ولا عمرة، وأنه ﷺ أقره على ذلك فكان ذلك حجة على جواز الحوالة على إحرام الغير).[2]

الثاني - أن الأصل في أفعال الرسول ﷺ التشريع مالم يدل دليل على التخصيص:

في هذا الحديث دليل على أن أفعال النبي ﷺ تشريع لأمته [3] لأنه صاحب الرسالة وما كان منه من قول أو فعل فهو للاقتداء والمماثلة، ولهذا لما أهل بالحج أهل الناس معه وكانوا يتابعونه في أفعاله وأقواله وقد قال لهم ﷺ : ((لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه))[4]، ولما قال لهم : ((مَنْ لَمْ يكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً)) كان أمراً خاصاً بمن لم يسق الهدي.

---

١) المفهم ٣/٣٢٤.

٢) المصدر السابق ٣/٣٣٠.

٣) انظر نيل الأوطار ٥/٤٢ ، ٥٢ ، وعشرون حديثاً من صحيح البخاري دراسة أسانيدها وشرح متونها /عبدالمحسن بن حمد العباد ص ٩٤ ، ص ١١٤ - ط٢ - ١٤٠٤هـ - مطابع الرشيد - المدينة المنورة.

٤) صحيح الإمام مسلم :كتاب الحج /باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله ﷺ : ((لتأخذوا مناسككم)) ص٥٤٦ رقم (١٢٩٧).

الثالث ـ من خصائص الإسلام :التيسير:

إن من محاسن هذا الدين العظيم تيسيره على المسلمين ومراعاته لظروفهم وأحوالهم وترك الفسحة لهم فيما لا يستطيعون القيام به عجزاً وليس تكاسلاً قال تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١) وقال ﷻ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (٢).

وفي هذا الحديث ظهرت لنا هذه الخصيصة التي تميز بها ديننا الإسلامي حيث وضع التخيير بين الأنساك الثلاثة ليختار منها الحاج ما يراه مناسباً لحاله ، ورخص في أول حجة للرسول ﷺ بالناس للحجاج بتحويل حجهم إلى عمرة عندما لم يتوفر لهم الهدي .(٣)

الرابع ـ من محاسن الإسلام:مراعاة العلاقة الزوجية في الحج:

إن من محاسن الإسلام مراعاته للعلاقة الزوجية حتى في مواسم العبادة المحضة كموسم الحج ، يستفاد ذلك من قول رسول الله ﷺ لعلي ﷺ :((بِمَ أَهْلَلْتَ فَإِنَّ مَعَنَا أَهْلَكَ؟)) ، ويتضح ذلك من عدة أمور :

١- إرشاد النبي ﷺ الحاج الذي يكون معه أهله أن يأخذ نسك التمتع لأنه أرفق به لوجود أهله معه . وقد أذن رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ في حجة الوداع لما خرجوا مهلين بالحج أن يجعلوه عمرة إلا من كان معه الهدي، ومن لازم الإحلال إباحة إتيان النساء ، وقال ﷺ: ((لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معي الهدي لأحللت)) فحلوا وأصابوا النساء . (٤)

٢- واقعية الدين الإسلامي حيث يراعي العلاقة الجنسية بين الزوجين، فإن النبي ﷺ لما قدم عليه علي ﷺ سأله بنوعية النسك الذي اختاره ونبهه بوجود زوجه فاطمة ﷺ معه ، وإخباره له بوجودها حتى يختار نسك التمتع الذي يكون فيه الحاج حلالا في الوقت بين العمرة والحج فيستطيع أن يجامع زوجته ، وقد جاء في حديث عن النبي ﷺ مايدل على اهتمامه بهذا الأمر ،

---

١) سورة التغابن جزء من الآية (١٦).

٢) سورة آل عمران جزء من الآية رقم (٩٧).

٣) قال الإمام العيني في تحويل الحج إلى عمرة عند عدم توفر الهدي:(قال القاضي:... أنه كان خاصاً لهم في حجتهم تلك دون سائر الناس بعدهم. ثم قال: والدليل على أن ذلك كان خاصاً للصحابة الذين حجوا مع رسول الله ﷺ دون غيرهم حديث بلال بن الحارث قال : قلت يارسول الله أرأيت فسخ حجنا هذا لنا خاصة أم للناس عامة ؟. قال: ((بل لكم خاصة)). أخرجه أبو داوود وابن ماجة). عمدة القاري ٢٩٤/٩ وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣٩٥/٨.

٤) انظر الحديث رقم (١٧٨٥) من صحيح الإمام البخاري ،والحديث رقم (١٢١٦) من صحيح الإمام مسلم .

حين أمر ابنته أن تتزين لزوجها ، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث طويل أن فاطمة رضي الله عنها كانت ممن حلّ ، ولبست ثياباً صبيغاً ـ أي مصبوغة ـ، واكتحلت فأنكر علي رضي الله عنه ذلك عليها، فقالت : إن أبي أمرني بهذا. (١)

٣- حماية الحاج من ارتكاب محظور الإحرام في حالة إحرامه ، فكونه يبقى حلالا بين الفترتين أرفق به. يدلل على ذلك ماورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها كانت ممن حلّ في حجة الوداع، وكان زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه ممن ساق الهدي فلم يحل . فلبست ثيابها فخرجت فجلست إليه فقال لها : قومي عني (٢). خشية أن يقع في المحظور.

الخامس ـ متابعة الرسول ﷺ ومماثلته في أفعاله حرصاً على اتباع السنة:

لما أنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾.(٣) لم يعلم الناس كيفية الحج حتى بينه الرسول ﷺ قولا وعملا وحرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة مناسك هذه الفريضة كانوا يتابعون الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله ومن شدة حرص علي رضي الله عنه على اتباع السنة أهل بما أهل به الرسول ﷺ قال : (أهْلَلْتُ بِما أهَلَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ). ذكر الإمام ابن أبي جمرة ــ رحمه الله ـ : (أن الصحابة رضي الله عنهم كان شأنهم اتباع رسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله).(٤)

---

١) صحيح الإمام مسلم :كتاب الحج /باب حجة النبي ﷺ ص ٥١٣ رقم (١٢١٨).

٢) انظر الحديث رقم (١٢٣٦) من صحيح الإمام مسلم .

٣) سورة آل عمران جزء من الآية رقم (٩٧).

٤) بهجة النفوس ١١٧/٤.

٦٥- باب ذَهاب جَرِيرٍ إِلَى الْيَمَنِ

٣٦-(٤٣٥٩). حدثني عَبْدُ الله بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْعَبْسِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ إِسْماعِيلَ بْنِ أَبِي خالِدٍ عَنْ قَيْسٍ عَنْ جَرِيرٍ[١]، قالَ: كُنْتُ بِالْبَحْرِ فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ذا كِلاعٍ، وَذا عَمْرٍو، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَقالَ لَهُ ذُو عَمْرٍو: لَئِنْ كانَ الَّذِي تَذْكُرُ مِنْ أَمْرِ صاحِبِكَ لَقَدْ مَرَّ عَلى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلاثٍ، وَأَقْبَلا مَعِي حَتَّى إِذا كُنَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ رُفِعَ لَنا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ الْمَدِينَةِ فَسَأَلْناهُمْ، فَقالُوا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَالنَّاسُ صالِحُونَ، فَقالا: أَخْبِرْ صاحِبَكَ أَنَّا قَدْ جِئْنا وَلَعَلَّنا سَنَعُودُ إِنْ شاءَ الله، وَرَجَعا إِلى الْيَمَنِ فَأَخْبَرْتُ أَبا بَكْرٍ بِحَدِيثِهِمْ قالَ: أَفَلا جِئْتَ بِهِمْ؟ فَلَمَّا كانَ بَعْدُ قالَ لِي ذُو عَمْرٍو: يا جَرِيرُ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ كَرامَةً وَإِنِّي مُخْبِرُكَ خَبَراً: إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَنْ تَزالُوا بِخَيْرٍ ما كُنْتُمْ إِذا هَلَكَ أَمِيرٌ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ فَإِذا كانَتْ بِالسَّيْفِ كانُوا مُلُوكاً يَغْضَبُونَ غَضَبَ الْمُلُوكِ وَيَرْضَوْنَ رِضا الْمُلُوكِ.[٢]

شرح غريب الحديث:

<< ذو كِلاعٍ، وَذوعَمْرٍو >>: ذو الكلاع بفتح الكاف وتخفيف اللام واسمه اسميفع بسكون المهملة وفتح الميم وسكون التحتانية وفتح الفاء وبعدها مهملة ويقال أيفع بن باكوراء ويقال ابن حوشب بن عمرو وأما ذوعمرو فكان أحد ملوك اليمن وهو من حمير أيضا.[٣]

١) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة .الأمير النبيل أبو عمرو وقيل أبوعبد الله البجلي القسري .من أعيان الصحابة ﷺ وبايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم .قال جرير:مارآني رسول الله ﷺ إلاتبسم في وجهي (مسلم ٢٤٧٥) ، وقال: ((يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن ، على وجهه مسحة ملك)) (صحيح ابن خزيمة ١٧٩٨). وعن عيسى بن يزيد:كان النبي ﷺ يعجب من عقل جرير وجماله. وقال عنه عمر ﷺ: يرحمك الله ، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد كنت في الإسلام . قدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أمر عظيم في فتح القادسية .توفي سنة إحدى وخمسين وقيل أربع وخمسين للهجرة.

(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ٢/٥٣٠ ،والإصابة /ابن حجر ١/٢٤٢).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافا.

٣) فتح الباري/ابن حجر ٨/٦٠،فتح المبدي /الشرقاوي ٣/١٤٨.

<< مَرَّ عَلَى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلاثٍ >>: أراد أنه مات منذ ثلاثة أيام، قاله ذو عمرو - على الراجح - عن اطلاع في الكتب القديمة لأن اليمن كان أقام به جماعة من اليهود فدخل كثير من أهل اليمن في دينهم وتعلموا منهم .(١)

<< تَأَمَّرْتُمْ >>: بمد الهمزة وتخفيف الميم أي تشاورتم أو بالقصر وتشديد الميم أي أقمتم أميراً منكم عن رضا منكم أوعهد من الأول.(٢)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من صفات الداعية: الحرص على الدعوة إلى الله في مختلف الميادين .

الثاني - من أصناف المدعوين: الملوك .

الثالث - من وسائل الدعوة: مراكب المواصلات.

الرابع - من تاريخ الدعوة : استخلاف أبي بكر ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ .

الخامس - من موضوعات الدعوة : بيان أهمية الخلافة الإسلامية في جمع كلمة المسلمين.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من صفات الداعية: الحرص على الدعوة إلى الله في مختلف الميادين:

كان الصحابة ﷺ يُبلِغون الدعوة التي حملوا أمانة تبليغها في كل مكان يكونون فيه في البرأو في البحر، اقتداءً بالرسول ﷺ حيث كان يدعو كل من رآه وفي أي مكان، وكان يغشى مجامع الناس ويحدثهم عن الإسلام رغم ما كان يناله به بعضهم من الأذى أمثال صناديد قريش وأهل الطائف. وفي هذا الحديث ظهر لنا هذا الاقتداء في الحرص على نشر الدعوة من جرير ﷺ حيث إنه لما جمعه البحر بأناس لم ينتظر في تبليغهم الدعوة أن يصل إلى البر بل بادرهم بالحديث عن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ قال: (كُنْتُ بِالْبَحْرِ فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ذا كِلاعٍ، وَذا عَمْرٍو، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ).

لذا ينبغي على الداعية إلى الله أن يستفيد من أي مكان يجمعه بغير المسلمين في دعوتهم

١) عمدة القاري /العيني ١٤/١٨ ، وانظر: فتح الباري / ابن حجر ٦٠/٨ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ٤٢٦/٦.

٢) فتح الباري/ابن حجر ٦١/٨.

إليه ببيان محاسنه وسماحته وأنه دين الحق الواجب الاتباع ، والمسلمين بتذكيرهم بواجباتهم الدينية وتعريفهم ببعض الأمور التي يجهلها كثير من الناس وتصحيح أخطائهم سواء في العبادات أو في المعاملات أو في السلوك .

الثاني ـ من أصناف المدعوين : الملوك :

لقد كانت دعوة محمد ﷺ موجهة إلى الناس كافة على اختلاف أصنافهم ، وقد بعث الرسل وأرسل الكتب إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام حيث أرسل إلى كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم .

كما أرسل ﷺ إلى اليمن عدداً من الدعاة منهم جرير بن عبدالله البجلي ﷺ حيث أسلم بدعوته اثنين من ملوك اليمن هما : ذو كلاع وذو عمرو. ذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ رواية أبي إسحاق عن جرير ﷺ عند ابن عساكر أن النبي ﷺ بعثه إلى ذي عمرو وذي الكلاع يدعوهما إلى الإسلام فأسلما .[١]

الثالث ـ من وسائل الدعوة : مراكب المواصلات :

إن من الوسائل الدعوية التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستغله ويقوم فيه بالدعوة إلى الله : مراكب المواصلات ، كما جاء في هذا الحديث : (كُنْتُ بِالْبَحْرِ فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ذا كِلاعٍ، وَذا عَمْرٍو، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ) فاستغل جرير ﷺ وجوده في البحر في الإخبار عن الإسلام وعن محمد ﷺ.

الرابع ـ من تاريخ الدعوة : استخلاف أبي بكر ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ :

بعد وفاة النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة بايع الناس أبابكر الصديق ﷺ في سقيفة بني ساعدة ثم في المسجد البيعة العامة، حيث خطب عمر بن الخطاب ﷺ في الناس خطبة بين فيها فضل أبي بكر وأحقيته لخلافة المسلمين ذكر منها : (... وأن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه)، فبايعه الناس بعد بيعة السقيفة.[٢]

---

١) فتح الباري ٨/٦٠.

٢) البداية والنهاية /ابن كثير ٦/٣٣٢.

الخامس - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الخلافة الإسلامية في جمع كلمة المسلمين:

نصب الإمام الأعظم واجب عند العلماء لأن به تجتمع الكلمة وتحقن الدماء ويحفظ الدين وتحفظ الأموال والأعراض. وخير وسيلة لاختيار الإمام كونه ينتخب من أهل الحل والعقد كما حصل لأبي بكر ﷺ في السقيفة أو يتولى بوصية من الإمام السابق كما حصل لعمرﷺ حين عهد إليه أبو بكر بالخلافة [١]، قال ﷺ: ((**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك أو ملكه، من يشاء**)).[٢] ومايزال الناس بخير ومجتمعين على خير ماداموا كذلك يؤمرون عليهم من يرونه أهلاً للإمامة ، وإذا تغالبوا وظهر عليهم من يسوقهم بقوته بغير رضى منهم واختيار وجبت طاعته اجتماعاً للكلمة وحقناً للدماء. قال القاضي عياض - رحمه الله -: (لا بد من إقامة خليفة، وهذا - أيضا - مما أجمع المسلمون عليه بعد النبي ﷺ وفي سائر الأعصار ... إذ صلاح الناس في رجوع أمرهم إلى واحد يقيم أمورهم، وأن في تركهم فوضى مختلفي الآراء فساد دينهم ودنياهم ؛ لاختلاف الآراء وتضاد المقاصد). [٣]

ولهذا قال ذو عمرو وهو من علماء اليمن وملوكها : (**إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ ما كُنْتُمْ إذا هَلَكَ أميرٌ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ فَإِذا كانَتْ بِالسَّيْفِ كانُوا مُلُوكاً يَغْضَبُونَ غَضَبَ الْمُلُوكِ وَيَرْضَوْنَ رِضَا الْمُلُوكِ**).

---

١) انظر إكمال المعلم /القاضي عياض ٦/٢٢٠-٢٢١.

٢) سنن أبي داود :كتاب السنة /باب في الخلفاء ٤/٢١١ رقم (٤٦٤٦) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/١٢٩ رقم (٤٦٤٦).

٣) إكمال المعلم ٦/٢٢٠.

٦٧- باب حَجّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ

٣٧-(٤٣٦٤)-حدثني عَبْدُالله بْنُ رَجاءٍ حَدَّثَنا إسْرائِيلُ عَنْ أَبِي إسْحاقَ، عَنِ الْبَراءِ ﷺ[١] قالَ: آخِرِ سُورَةٍ نَزَلَتْ كامِلَةً بَراءَةُ وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ خاتِمَةُ سُورَةِ النِّساءِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ [٢]. [٣]

شرح غريب الحديث :

<< يَسْتَفْتُونَكَ >> : أفتاه في الأمر: أبانه له. وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء. ويقال :أفتيت فلانا رؤيا رآها إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته إذا أجبته عنها.[٤]

<< الْكَلالَةِ >> : وهو أن يموت الرجل ولا يدع والداً ولا ولداً يرثانه. وأصله من تكلله النسب إذا أحاط به . وقيل الكلالة: الوارثون الذين ليس فيهم ولد ولا والد، فهو واقع على الميت وعلى الوارث بهذا الشرط.[٥]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأبناء العلم.

الثاني - حرص الصحابة ﷺ على بيان أول وآخر مانزل من كتاب الله.

الثالث - من موضوعات الدعوة:نزول القرآن منجماً .

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٥) ص٦٢.

٢) سورة النساء جزء من الآية (١٧٦).

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب التفسير / تفسير سورة النساء باب (٢٧) ٥/ ٢٢٠ رقم(٤٦٠٥)، وتفسير سورة براءة باب (١) رقم (٤٦٥٤).

وكتاب الفرائض /باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ...﴾ ٨ /١٠ رقم (٦٧٤٤).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الفرائض /باب آخر آية أنزلت في الكلالة ص٧٠٧ رقم (١٦١٨) .

٤) لسان العرب /ابن منظور ١٤٧/١٥ مادة فتا .

٥) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ١٩٧/٤، وعمدة القاري/العيني ١٧٢/٢١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣١٧/٨.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تعليم الأبناء العلم:

اهتم السلف بطلب العلم وسؤال الصحابة ﷺ عنـه ، وبلغـوه للنـاس وكـان أولى النـاس بتعليمه أبناؤهم لذا كانوا يولونهم اهتماماً كبيراً حتى استشعر الأبناء هذه الأهمية للعلم فـأخذوا يروونه عن آبائهم فهذا إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق يروي عن جده أبي إسحاق عمرو بـن عبد الله السبيعي ما أخبره به الصحابي الجليل البراء بن عازبﷺ من علوم القرآن. [١]

الثاني - حرص الصحابة ﷺ على بيان أول وآخر مانزل من كتاب الله :

كان الصحابة ﷺ حريصين على تلقي القرآن مـن رسـول الله ﷺ فـور نزولـه حتـى إن بعضهم كان يعرف ساعة نزول الآية ويومها ومكان نزولها مثل عبد الله بن مسعود ﷺ. [٢]

وفي هذا الحديث ذكر لنا البراء ﷺ آخر سورة نزلت كاملة وآخر آية نزلت، وقـد ذكر عن غيره من الصحابة ﷺ القول في أول ما نزل وآخر ما نـزل كـابن عبـاسﷺ. قـال الوزيـر العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: ((عن ابن عباس ﷺ قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آيـة الربا [٣]...وقد روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وسعيد بن جبير، وعطية ومقاتل: أن آخـر آيـة نزلت:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [٤]، وقد روي عن البراء بن عـازب ﷺ: أن آخـر آيـة نزلت:﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [٥]، وروي عن أبي بن كعب ﷺ قـال: آخـر آيـة نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [٦]). [٧]

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (٣) ص٥٧،والفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص٢١٠.

٢) قال عبدالله بن مسعود ﷺ:(والذي لاإله غيره! ماأنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت .ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه) .متفق عليه :صحيح الإمام البخاري :كتاب فضائل القرآن/باب القراء مـن أصحاب النبي ﷺ ١٢٤/٦(٥٠٠٢)، وصحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة /بـاب فضائل عبدالله بن مسعود ص١٠٨٢ رقم (٢٤٦٣).واللفظ للبخاري.

٣) انظر الحديث (٨٥) من البحث ص٤٢٧.

٤) سورة البقرة الآية رقم (٢٨١).

٥) سورة النساء الآية رقم (١٧٦).

٦) سورة التوبة الآية رقم (١٢٨).

٧) الإفصاح ١٧٥/٣.انظر الاختلاف في أول مانزل وآخر مانزل والترجيح في فتح الباري/ابن حجر ٦٦/٨،٢٣٨،٥٦٤.

الثالث ـ من موضوعات الدعوة:نزول القرآن منجماً :

إن مما يستفاد من هذا الحديث أن القرآن نزل منجماً وليس جملة واحدة حيث ذكر البراء أول ما نزل وآخر ما نزل. قال تعالى:﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ .[1] قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله ــ: (ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله).[2]

---

١) سورة الإسراء الآية رقم (١٠٦).

٢) الإتقان في علوم القرآن /للحافظ جلال الدين السيوطي ١/١١٩ ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

٦٩- باب قالَ ابْنُ إسْحاقَ غَزْوَةُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ بَنِي الْعَنْبَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَأَغارَ وَأَصابَ مِنْهُمْ ناساً وَسَبى مِنْهُمْ نِساءً

٣٨-(٤٣٦٧)- حدثني إبْراهِيمُ بْنُ مُوسى ، حَدَّثَنا هِشامُ بْنُ يُوسُفَ، أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ [١] أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ الْقَعْقاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرارَةَ، فَقالَ عُمَرُ:بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ، قالَ أَبُو بَكْرٍ: ما أَرَدْتَ إِلاَّ خِلافِي قالَ عُمَرُ: ما أَرَدْتُ خِلافَكَ فَتَمارَيا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْواتُهُما فَنَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ < سورة الحجرات الآيه ١ > حَتَّى انْقَضَتْ.[٢]

---

١) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة ، أبوبكر وأبو خبيب القرشي الأسدي المكي ثم المدني ، أحد الأعلام ، ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه. كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة سنة اثنين للهجرة وقيل سنة إحدى . وله صحبة ، ورواية أحاديث .عداده في صغار الصحابة وإن كان كبيراً في العلم ، والشرف ، والجهاد، والعبادة.وكان فارس قريش في زمانه ،وله مواقف مشهودة. كان ملازماً للولوج على الرسول ﷺ لكونه من آله ، فكان يتردد إلى بيت خالته عائشة.بويع بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين للهجرة ولم يستوسق له الأمر وقتله عبد الملك بن مروان واستقل بالخلافة عبد الملك وآله . ذكر ابن الزبير عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال:قارىء لكتاب الله ، عفيف في الاسلام ،... والله إني لأحاسب له نفسي محاسبة لم أحاسب بها أبا بكر وعمر (البخاري ٤٦٦٦).وقال عمرو بن دينار:ما رأيت مصلياً قط أحسن صلاة من عبد الله بن الزبير. قال ابن المنكدر:لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن تصفقه الريح، وحجر المنجنيق يقع هنا وهناك .وقال عثمان بن طلحة:كان ابن الزبير لاينازع في ثلاثة:شجاعة ، ولاعبادة ،ولابلاغة . قتل سنة ثلاث وسبعين للهجرة وله نيفاً وسبعين سنة رضي الله عنه .

(انظر:حلية الأولياء/أبونعيم ٣٢٩/١ ،وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٠٢/١، والإصابة /ابن حجر ٦٩/٤، وشذرات الذهب /ابن العماد ٧٩/١).

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب التفسير /باب ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ٥٤/٦ رقم (٤٨٤٥)، وباب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٥٥/٦ رقم (٤٨٤٧).

وكتاب الاعتصام بكتاب الله والسنة/باب ما يكره من التعمق ١٨٤/٨ رقم (٧٣٠٢).

وفي رواية: (عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ [١] قَالَ: كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ قَالَ نَافِعٌ لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الْآيَةَ[٢] قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ. يَعْنِي أَبَابَكْرٍ.[٣]

شرح غريب الحديث :

<< خِلَافِي >> : الخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافا. أي ليس قصدك إلا مخالفة قولي.[٤]

<< فَتَمَارَيَا >> : المراء: المماراة والجدل. وأصله في اللغة الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظره كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها. [٥]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: مجيء الوفود إلى النبي ﷺ .

الثاني - خيرية أبي بكر وعمر ﷺ .

الثالث - إمكانية حصول الخلاف بين الدعاة فيما يجوز فيه الخلاف.

---

١) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان ، الإمام الحجة الحافظ ، كان عالماً مفتياً صاحب حديث وإتقان، معدوداً في طبقة عطاء ، وقد ولي القضاء لابن الزبير ، وثّقه أبو زرعة ، وأبو حاتم. مات سنة سبع عشرة ومئة هجرية .
(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٧٥/١).

٢) سورة الحجرات جزء من الآية (٢).

٣) الطرف رقم (٤٨٤٥).

٤) لسان العرب /ابن منظور ٩٠/٩ مادة خلف، وفتح المبدي/ الشرقاوي ١٥٠/٣ .

٥) المصدر السابق ٢٧٨/١٥ مادة مرا ،وفتح المبدي/ الشرقاوي ١٥٠/٣ ، وانظر عمدة القاري/ العيني ١٩/١٨.

الرابع - من صفات الداعية: الحرص على مصالح المسلمين.

الخامس - تهذيب القرآن لأخلاق المسلمين .

السادس - وجوب احترام الرسول ﷺ قولاً وعملاً.

السابع - الحرص على صحة النقل والأمانة فيه .

الثامن - من واجبات المسلم: الالتزام مباشرة بأمر الله تعالى والحرص على عدم تجاوزه.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: مجيء الوفود إلى النبي ﷺ :

كانت القبائل تفد إلى النبي ﷺ في المدينة ليسلموا وليتعلموا أمور الدين وقد تكاثروا في السنة التاسعة من الهجرة بعد فتح مكة ومن هؤلاء وفد بني تميم كما ورد في هذا الحديث وهذا من تاريخ الدعوة .

(ذكر ابن إسحاق - رحمه الله -: ولما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه فدخلوا في دين الله أفواجاً).[١]

الثاني - خيرية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

مما يستفاد من هذا الحديث خيرية أبي بكر [٢] وعمر[٣] رضي الله عنهما حيث شهد بذلك أحد

---

١) البداية والنهاية /ابن كثير ٥/٤٨.

٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي أبوبكر الصديق بن أبي قحافة وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، صاحب رسول الله ﷺ في الغار وفي الهجرة والخليفة بعده، من سبق إلى الإسلام وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له .شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. من المبشرين بالجنة وأعتق سبعة كانوا يعذبون في الله تعالى منهم بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما وكان رسول الله ﷺ كثير الثقة إليه وبما عنده من الإيمان واليقين .بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ ، وقام في قتال أهل الردة مقاماً عظيماً.له من الفضائل ما لا يعد ول ايحصى. توفي يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب.وهو أول من حج أميراً في الإسلام وأول من جمع القرآن.

(انظر:أسد الغابة/ابن الأثير ٣/٢٠٥،والإصابة/ابن حجر ٤/١٠١).

٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح القرشي العدوي رضي الله عنه.أبوحفص ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وقيل بنت هشام بن المغيرة. ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة،كان من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية. أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة وقيل بل كمل الرجال به أربعين رجلاً وقيل غير ذلك، وكان إسلامه في السنة السادسة. يلقب بالفاروق فرق بين الحق والباطل.قال له النبي ﷺ: ((ايها يابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ، مالقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك)) (البخاري ٣٦٨٣) .قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :كان إسلام عمر رضي الله عنه فتحا وكانت هجرته نصراً وكانت إمارته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي في البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا

السلف وهو ابن أبي مليكة حيث قال (كاد الْخَيِّرانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبابَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما)، ولم يكن ذلك منه إلا لما علمه عنهما من الخير وثناء الصحابة رضي الله عنهم عليهما ولا أدل على ذلك من توليهما لأمر المسلمين تباعاً بعد وفاة النبي ﷺ. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا نُخيِّرُ في زمن النبيﷺ فنخيِّرُ أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه).[١]

الثالث - إمكانية حصول الخلاف بين الدعاة فيما يجوز فيه الخلاف:

الاختلاف في الرأي أمر فطري نظراً لاختلاف وجهات النظر بين الناس ، والداعية المخلص الذي يريد الخير والإصلاح لايألوا جهداً في بذل النصح والمشورة فيما يعلم أنه الأصلح وإن خالف من هو أفضل منه . فهذا عمر رضي الله عنه يخالف أبا بكر رضي الله عنه مع اعترافه له بالأفضلية (فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ لِعُمَرَ: ما أَرَدْتَ إِلاَّ خِلافِي قَالَ: ما أَرَدْتُ خِلافَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ) لكن خلافه ليس لمجرد هوى أو مصلحة شخصية أو غرض مادي، وإنما خالفه بما يرى فيه الخير للمسلمين.

لذا فلا يستبعد أن يقع خلاف بين الدعاة ولا عجب في ذلك وقد وقع بين أفضل صحابة رسول الله ﷺ ، وإنما الواجب على الدعاة أن يكون خلافهم لمصلحة المسلمين وأن يكون الفصل بينهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالرجوع إليهما وتحكيمهما كما قال تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.[٢] لأن فيهما فصل النزاع، والمسلم ملزم باتباع مافيهما والرضا به؛ بل هو من مستلزمات الإيمان كما أشارت إليه الآية، ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (أنه جعل - ﷺ - هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولاسيما التلازم بين هذين

فصلينا.وقال حذيفة رضي الله عنه: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لايزداد إلا قرباً فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لايزداد إلابعداً. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ماعلمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب... .شهد بدراً وأحداً وغيرها من المشاهد وكان أشد الناس على الكفار. قال ابن مسعود رضي الله عنه : لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ووضع علم الناس في كفة ميزان لرجح علم عمر. وقال قبيصة بن جابر: ولم أر أحداً أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله ولا أقوم بحدود الله ولا أهيب في صدور الرجال من عمر بن الخطاب رضي الله عنه. طعن عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحد وعشرين يوماً. (انظر: أسد الغابة/ابن الأثير٥٢/٣،والإصابة/ابن حجر ٢٧٩/٤).

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم / باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ٢٣١/٤ رقم (٣٦٥٥).

٢) سورة النساء جزء من الآية رقم (٥٩).

الأمرين فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر). [١]

الرابع - من صفات الداعية: الحرص على مصالح المسلمين:

فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما حينما أشارا بتأمير القعقاع والأقرع (فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ) لم يكن لصلة قرابة بينهما أو لغرض خاص إنما أشار كل واحد منهما بمن علم عنه صلاحه للإمارة حرصاً منه على مصالح المسلمين وكان من شدة حرصهما أن تنازعا عند رسول الله ﷺ كل يريد تأمير من يرى خيريته وصلاحه .قال العلامة العيني - رحمه الله - : (وإنما أشار أبوبكر بتأمير القعقاع لأنه كان أرق من الأقرع وأشار عمر بالأقرع لأنه كان أحرى من القعقاع وكل أراد الخير).[٢]

وهذا ماينبغي أن يكون عليه الداعية إلى الله حريصاً على مصالح المسلمين يختار الأنسب لكل مكان ويقدم المصلحة العامة دائما على غيرها .

الخامس - تهذيب القرآن لأخلاق المسلمين :

مما يستفاد من هذا الحديث تهذيب القرآن لأخلاق المسلمين حيث نزلت آية قرآنية بسبب اشتداد نزاع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ورفعهما أصواتهما عند رسول الله ﷺ (حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فَنَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾) وهذا غير لائق بمثلهما ولا بأحد من المسلمين. قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام فقال تبارك وتعالى:﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه: أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور) [٣] .

السادس - وجوب احترام الرسول ﷺ قولاً وعملاً :

احترام رسول الله ﷺ من تمام الإيمان لأن محبته واحترامه يحملان المسلم على تمام الطاعة لما جاء به من قول أو فعل، كما أن احترامه والأدب معه من أسباب حصول الثواب وقبول الأعمال، وفي المقابل فإن رفع الأصوات فوق صوته موجب لحبوط الأعمال كما قال تعالى في آخر الآية ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ، وإذا كان رفع الصوت استخفافاً وانضم إليه

١) إعلام الموقعين ١/ ٥٤.

٢) عمدة القاري ١٨/ ١٩.

٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٠٥.

قصد الإهانة وعدم المبالاة فإنه قد يؤدي إلى الكفر [١]. قال الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ في معنى قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ : (معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته).[٢]

ولا يختص هذا الأمر بالصحابة ﷺ لمجالستهم له بل هو عام وهو من مقتضيات الإيمان، وهو واجب المسلمين جميعا فحرمته ميتا كحرمته حيا، وتوقيره وتعظيمه لازم؛ كما كان حال حياته، وكذلك عند ذكره وذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه. قال القاضي ابن العربي ــ رحمه الله ــ: (حرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمته حياً وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه فإذا قريء كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولايعرض عنه، كما يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به).[٣] وقد ذكر عن السلف الصالح من هذه الأمة مواقف تدل على فهمهم لهذا الوجوب، عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: كان أصحاب النبي ﷺ يقرعون بابه بالأظافير[٤]. ومنها أن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه. فقيل له يوما في ذلك فقال: لو رأيتم مارأيت لما أنكرتم عليَّ ماترون، لقد كنت أرى محمد بن المنكدر ـ وكان سيد القراء ـ لانكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه. وكان عبدا لرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ﷺ[٥]. وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام).[٦]

السابع ـ الحرص على صحة النقل والأمانة فيه:

وهذا واضح من رواية ابن أبي مليكة حين سمى الرجل الأول ولم يسم الآخر لعدم علمه باسمه، وأيضا لم يجزم بأن عمر ﷺ هو الذي أشار بالأقرع بن حابس بل قال فأشار أحدهما بالأقرع وأشار الآخر برجل آخر، وكذلك نافع قال (**لا أَحْفَظُ اسْمَهُ**) فهذا دليل على

١) انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية /للعلامة القسطلاني مع شرح الزرقاني ٥٢٤/٨ ـ ضبطه وصححه محمد عبدالعزيز الخالدي ـ ط١ـ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٦/١٦، وانظر فتح القدير / الشوكاني ٥٩/٥.

٣) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣٠٧/١٦ وانظر:الفتاوى /ابن تيمية ٢٢٦/١.

٤) الآداب الشرعية/ابن مفلح ٢٢٦/١ .

٥) انظر:الفتاوى /ابن تيمية ٢٢٦/١، ٢٢٧،وذكر أمثلة كثيرة .

٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١٦.

حرصهما على الدقة في نقل الرواية والأمانة في ذلك.[١]

الثامن - من واجبات المسلم: الالتزام مباشرة بأمر الله تعالى والحرص على عدم تجاوزه:

إن من واجبات المسلم أن يمتثل مباشرة لأمر الله تعالى، ويقتدي في ذلك بصحابة رسول الله ﷺ حيث كانوا يستجيبون بمجرد الأمر دون نقاش، ويتجلى هذا بوضوح في قول ابن الزبير رضي الله عنهما: (فَما كانَ عُمَرُ يُسمِعُ رَسُولَ الله ﷺ بَعْدَ هذِهِ الآيَةَ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ) مع أن عمر رضي الله عنه جهوري الصوت فلما نزلت ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ خفض صوته فلم يكن يرفعه بعد بين يدي رسول الله ﷺ. ولم يذكر ابن الزبير رضي الله عنهما ذلك عن أبي بكر رضي الله عنه لأن من طبع أبي بكر أنه كان هادىء الصوت لكنه رفعه هذه المرة مشاكلة لصوت عمر الجهوري. وهذا مايجب أن يكون عليه المسلم من سرعة الإجابة والالتزام مباشرة عند العلم بحكم الله في الأمر الذي وقع فيه .

والمعروف أن عمر رضي الله عنه كان وقافاً عند كتاب الله[٢] فلما نزلت هذه الآية تعاتبهما في رفع أصواتهما بين يدي النبي ﷺ لم يعد يرفع صوته بل خفضه حتى لا يكاد يسمعه إلا بعد الاستفهام من شدة خوفه أن يؤذي النبي ﷺ أو يتجاوز حدود الأدب معه، حتى ذكر السائب بن يزيد أنه كان يشدد في النكير على من يرفع صوته في مسجد النبي ﷺ، روى الإمام البخاري في صحيحه عن السائب بن يزيد قال: (كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما. قال: من أنتما - أو من أين أنتما -؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!)[٣]. قال سيد قطب - رحمه الله - : (فهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب، وذلك التحذير الرعيب، وهكذا تأدبوا في حضرة رسول الله ﷺ خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون. ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم! ولكن هذا المنزلق الخافي عليهم

---

١) انظر الفائدة (٨) من الحديث رقم (١٨) ص١٢٧.

٢) انظر الحديث رقم (١٠٠) من البحث ص٤٦٢.

٣) صحيح الإمام البخاري:كتاب الصلاة /باب رفع الصوت في المساجد ١٣٨/١ رقم (٤٧٠).

كان أخوف عليهم ، فخافوه واتقوه).[١]

فينبغي للمسلم الاقتداء بهذا الصحابي الجليل في تقوى الله تعالى والخوف من معصيته أو مخالفة نبيه ﷺ أو التعرض له بالأذى قولاً وعملاً .

---

١) في ظلال القرآن/ سيد قطب ٦/ ٣٣٣٩ - ط٤ - طبعة جديدة مشروعة - ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م - دار الشروق - بيروت .

٧١ - باب وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ وَحَدِيثِ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ

٣٩-(٤٣٧٦)- حدثنا الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَهْدِيَّ بْنَ مَيْمُونٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَارَجَاءٍ العُطَارِدِيَّ [١] ، يَقُولُ: كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَراً هُوَ أَخْيَرُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَراً جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ، فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ طُفْنَابِهِ فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ، قُلْنَا: مُنَصِّلُ الأَسِنَّةِ فَلا نَدَعُ رُمْحاً فِيهِ حَدِيدَةٌ وَلا سَهْماً فِيهِ حَدِيدَةٌ إِلاَّ نَزَعْنَاهُ وَأَلْقَيْنَاهُ شَهْرَ رَجَبَ. [٢]

شرح غريب الحديث :

<< **أَخْيَرُ** >>:أخير لغة من خير، والمراد به الخيرية الحسية من كونه أشد بياضاً أو نعومة أونحو ذلك من صفات الحجارة المستحسنة.[٣]

<< **جُثْوَةً** >> : بضم الجيم وسكون المثلثة هو القطعة من التراب تجمع فتصير كوما وجمعها الجثا.[٤]

<< **مُنَصِّلُ الأَسِنَّةِ** >> : أي مخرج الأسنة من أماكنها ،كانوا إذا دخل رجب نزعوا أسنة الرماح ونصال السهام إبطالاً للقتال فيه وقطعاً لأسباب الفتن لحرمته . ويقال نصلت الرمح إذا جعلت له نصلا وأنصلته إذا نزعت منه النصل .[٥]

---

١) الإمام الكبير ، شيخ الإسلام ، عمران بن ملحان التميمي البصري ، من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ .وقيل إنه رأى أبابكر الصديق. وكان خيراً تلاءً – لكتاب الله. قال: أدركت النبي ﷺ وأنا شاب أمرد .وقال ابن الأعرابي:كان أبو رجاء عابداً ،كثير الصلاة وتلاوة القرآن. قال أبو الأشهب: كان أبو رجاء العطاردي يختم بنا في قيام لكل عشرة أيام . مات سنة خمس ومئة للهجرة.

(انظر: حلية الأولياء/أبو نعيم ٣٠٤/٢ ،الإصابة /ابن حجر ٧٢/٧ ،شذرات الذهب/ابن العماد ١٣٠/١).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) انظر فتح الباري/ابن حجر ٧١/٨.

٤) لسان العرب /ابن منظور ١٣٢/١٤ مادة جثا ،فتح الباري/ابن حجر ٨/ ٧١، الهادي إلى لغة العرب/ الكرمي ٣٠٢/١ .

٥) المصدر السابق ٦٦٣/١١ مادة نصل ، الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ١٣٣/٨، فتح الباري/ابن حجر ٧١/٨ .

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول - من واجبات الداعية : الحرص على بيان فضل الإسلام على الإنسانية .

الثاني - من تاريخ الدعوة: عبادة العرب للأصنام من دون الله .

الثالث - من أساليب الدعوة: القصص .

الرابع - من موضوعات الدعوة: ترك العرب القتال في الأشهر الحرم.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من واجبات الداعية: الحرص على بيان فضل الإسلام على الإنسانية :

حرص السلف على بيان فضل الإسلام في تصحيح المعتقد وتنقية العبادة من شوائب الشرك والإرتقاء بالإنسان من السفح الهابط إلى معارج القبول ، ويعرف هذا جيداً من عاش ظلام الجاهلية ثم رأى نور الإسلام. وقد كان أبورجاء العطاردي ممن عاش في الجاهلية و الإسلام[١] فتحدث عن فضل الإسلام في الارتقاء بالعقل البشري عماكان عليه في الجاهلية من عبادة آلهة تختار وفقا لماتميل إليه النفوس وتألفه العقول من الحجر والشجر وغيرها ثم لم تكن لهم عقائد ثابتة ولامستقرة فهم إذا وجدوا حجراً أحسن شكلاً من الذي كانوا يعبدونه أخذوه ونبذوا الأول وهكذا فلم يكن لهم مبدأ عقدي يطمئنون إليه . قال **أبو عثمان النهدي** - رحمه ا لله - يحكي واقعهم في الجاهلية ومدى الانحطاط الفكري والعقدي عندهم: (كنا في الجاهلية نعبد حجرا ، فسمعنا منادياً ينادي :ياأهل الرحال ، إن ربكم قد هلك ،فالتمسوا ربّا ،قال :فخرجنا على كل صعب وذلول ، فبينا نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمناد ينادي :إنا قد وجدنا ربكم ، أو شبهه ، فإذا حجر ، فنحرنا عليه الجزر) [٢]. وقال **عمرو بن عبسة** : (كنت امرأ ممن يعبد الحجارة، فينزل الحي ليس معهم إله ، فيخرج الرجل منهم ، فيأتي بأربعة أحجار ، فينصب ثلاثة لقدره ، ويجعل أحسنها إلهاً يعبده ، ثم لعله يجد ماهو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ،

---

١) انظر ترجمته في الصفحة السابقة .

٢) إغاثة اللهفان /ابن القيم ٢٣٦/٢ .

ويأخذ غيره) (١). لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يحرصوا علـى بيـان فضـل الإسـلام علـى الإنسانية؛ وأثر اتباعه في جمع الأمة بعد فرقة، ورفع شأنها وإخراجها من الظلمات إلى النور. قـال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢).

الثاني ـ من تاريخ الدعوة: عبادة العرب للأصنام من دون الله:

دل قول أبي رجاء العطاردي في هذا الحديث: (كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ) على عبادة العرب للأصنام من دون الله تعالى، حتى أكرمهم الله برسالة محمد ﷺ ،وكانوا يصنعون هذه الأصنام مـن الحجارة والعجوة ونحوها، وكان أول من أحضرها إلى جزيرة العـرب عمـرو بـن لحـي الخزاعـي، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحـي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب مـن أرض البلقـاء وبهـا يومئـذ العمـاليق وهم ولد عملاق ويقـال ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح؛ رآهم يعبدون الأصنام فقال لهـم: مـاهذه الأصنـام الـتي أراكـم تعبـدون ؟ قـالوا لـه: هـذه أصنـام نعبدهـا فنسـتمطرها فتمطرنـا ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهـم: ألا تعطونـي منهـا صنمـاً فأسـير بـه إلى أرض العـرب فيعبـدوه. فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه).(٣)

الثالث ـ من أساليب الدعوة : القصص :

في هذا الحديث أسلوب من أساليب الدعوة وهو القصص حيـث تحـدث أبـو رجـاء عـن أحوالهم في الجاهلية ،وقصة عبادة الحجر ، وتحريمهم القتال في الأشـهر الحـر م . وهـذا أسـلوب دعوي جيد يستعين به الداعية للتنويع في الدعوة خاصة أن أسلوب القصة مرغوب لدى كثير من الناس، ويحصل لهم الفهم من خلاله أكثر من غيره من الأسـاليب ،كمـا أن في ذكـر قصـص مـن سبقنا الكثير من الدروس والعبـر ، ولذلـك أمـر الله تعـالى نبيـه ﷺ باسـتخدام هـذا الأسـلوب في دعوته ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤) وقص عليه مـن أخبـار مـن سـبقه مـن الرسـل في قوله﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ

---

١) المصدر السابق نفس الصفحة .

٢) سورة المائدة الآية (١٥،١٦) .

٣) البداية والنهاية ٢٣٧/٨ ،وانظر اقتضاء الصراط المستقيم/ابن تيمية ٣١١/١.

٤) سورة الأعراف جزء من الآية (١٧٦).

وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[١] ، وكان الصحابة ﷺ أحيانا يجلسون مجالس يقصون فيها من أحداث العرب في الجاهلية ، وكانوا يفعلون ذلك أحيانا بوجود الرسول ﷺ ، عن جابر بن سمرة ﷺ قال : (جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ، فربما تبسم معهم).[٢] وكان من أيام ابن عباس ﷺ يوم يذكر فيه أيام العرب. [٣]

الرابع - من موضوعات الدعوة: ترك العرب القتال في الأشهر الحرم:

تحريم الأشهر الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان مما شرعه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[٤] قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (أنه ﷻ وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مارتبها عليه يوم خلق السوات والأرض ، وأنزل ذلك على أنبيائه في كتبه المنزلة).[٥]

وفي هذا الحديث بيّن لنا أبو رجاء العطاردي أنهم في الجاهلية كانوا يتركون القتال في الأشهر الحرم وهذا من بقايا ملة إبراهيم عليه السلام .ذكر الإمام القرطبي - رحمه الله -: (أن العرب كانت في غالب أحوالها ، ومعظم أوقاتها قبل مجيء الإسلام أهل غارة ، ونهب ،وقتال ، وحرب ، يأكل القوي الضعيف ، ويصول على المشروف الشريف ، لايرجعون لسلطان قاهر ، ولاأمر جامع ، وكانوا فوضى فضا [٦]، من غلب سلب ، ومن عز بز [٧]، لايأمن لهم سرب ، ولايستقر بهم حال ، فلطف الله بهم بأن جعل في نفوسهم احترام أمور يمتنعون فيها من الغارة ، والقتال ، والبغي ، والظلم ، فيأمن بعضهم من بعض ، ويتصرفون فيها في حوائجهم، ومصالحهم، فلايهيج فيها أحد أحدا ، ولايتعرض له ، حتى إن الرجل يلتقي فيها بقاتل أبيه وأخيه

---

١) سورة هود الآية (١٢٠).

٢) سنن الترمذي /كتاب الأدب /باب ماجاء في إنشاد الشعر ٢١٨/٤ رقم (٣٠٠٨) وقال حديث حسن صحيح. وقال ابن الأثير حديث حسن انظر جامع الأصول ١٦٩/٥ رقم (٣٢٢٦).

٣) انظر الطبقات الكبرى/ابن سعد ٣٦٨/٢، والبداية والنهاية/ابن كثير ٣٣٢/٨.

٤) سورة التوبة جزء من الآية (٣٦).

٥) الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/٨.

٦) يقال أمرهم فوضى فضا :أي سواء بينهم .وأمرهم فضا بينهم أي :لاأمير عليهم .المفهم/القرطبي ٤٥/٥ .

٧) أي :من غلب أخذ السلب . مصدر سابق نفس الصفحة.

فلايتعرض له بشيء ، ولايغدر ؛ بما جعل الله في قلوبهم من تعظيم تلك الأمور. ولايبعد أصل ذلك مشروعا لهم من دين إبراهيم ، وإسماعيل ، كالحج ، والعمرة ، وغيرهما مماكان عندهم من شرائعهما . وهذه الأمور من الزمان : الأشهر الحرم . ومن المكان: حرم مكة . ومن الأموال الهدي والقلائد [١]... فلما جاء الإسلام لم يزد تلك الأمور إلاتعظيما وتشريفا) [٢]. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (لأجل شهر رجب إشارة إلى تركهم القتال لأنهم كانوا ينزعون الحديد من السلاح في الأشهر الحرم).[٣]

١) القلائد: يعني به ما تُقلد به الهدايا ؛ وذلك بأن يجعل في عنق البعير حبل يُعلق به نعل، ويعني بذلك : أن الهدي إذا أشعر وقلد لم يجز لأحد أن يتملكه ، ولاأن يأخذه إن وجده ، بل يجب عليه أن يحمله إلى مكة إن أمكنه ذلك حتى ينحر هناك. المفهم/القرطبي ٤٦/٥.

٢) المفهم ٤٥/٥-٤٦.

٣) فتح الباري ٧١/٨.

٤٠-(٤٣٧٧)- وَسَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ [١] يَقُولُ: كُنْتُ يَوْمَ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ ، غُلاماً أَرْعَى الإِبِلَ عَلَى أَهْلِي فَلَمَّا سَمِعْنَا بِخُرُوجِهِ فَرَرْنَا إِلَى النَّارِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ.[٢]

شرح غريب الحديث:

<< **خُرُوجُه** >> : أي ظهوره على قومه من قريش بفتح مكة .[٣]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: تأثر الصغار بذويهم.

الثاني - من موضوعات الدعوة: هلاك من أعرض عن الإسلام.

الثالث - من أساليب الدعوة: استخدام الأساليب البلاغية لإيضاح حقيقة الأمر.

الرابع - من تاريخ الدعوة : بعثة النبي ﷺ وادعاء النبوة في عهده.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: تأثر الصغار بذويهم:

مما يستفاد من هذا الحديث أن الصغار يتأثرون بأهلهم في الخير والشر حيث ذكر أبو رجاء أنه كان صغيراً حين أظهر الله تعالى رسوله ﷺ على قومه بالنصر العظيم في مكة ، فلما سمع بظهوره قوم رجاء فروا إلى مسيلمة الكذاب فاتبعوه واقتدى الصغار بالكبار في ذلك.وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قال : ((**كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)).[٤] لذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يؤكدوا على أهمية الاهتمام بالنشء وتوجيههم إلى الخير وتعويدهم على فعل الطاعات والبعد عن ارتكاب المحرمات حتى ينشأوا

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣٩) ص٢٤٢.

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) فتح الباري / ابن حجر ٧١/٨ ،وإرشاد الساري / القسطلاني ٤٣٥/٦.

٤) صحيح الإمام البخاري :كتاب الجنائز /باب ماقيل في أولاد المشركين ١٢٧/٢ رقم (١٣٨٥).

صالحين وتنتفع بهم الأمة الإسلامية.

الثاني - من موضوعات الدعوة: هلاك من أعرض عن الإسلام:

في هذا الحديث يحكي أبو رجاء واقعه حين جاءهم خبر خروج النبي ﷺ فلاذوا بمسيلمة، ثم تبين لهم فساد المنهج الذي اتبعه هو وقومه ، وعبر عن ذلك بقوله فررنا إلى النار ، وقد عبر عن ملاذه إلى مسيلمة بالنار باعتبار أن اتباع مسيلمة على الكفر يوصل إلى النار . قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾.(١) قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (أدبر : أي أدبر عن الإيمان ، وتولى أي : أعرض عن اتباع الحق). (٢)

الثالث - من أساليب الدعوة : استخدام الأساليب البلاغية لإيضاح الأمر:

في هذا الحديث استخدم أبو رجاء أسلوباً دعوياً للتعبير عن واقعهم حينما فروا إلى مسيلمة فقال : (فَرَرْنَا إِلَى النَّار إلى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ) وهو من الأساليب البلاغية التي ينبغي أن يستعين بها الداعية إلى الله تعالى في دعوته تبعاً لنوعية الحديث حيث إن مثل هذه الأساليب إذا استخدمت في موضعها كانت أبلغ في التعبير عما أراده الداعية ، وأكثر إيضاحاً للأمر الذي جاء به . (٣)

الرابع - من تاريخ الدعوة :بعثة النبي ﷺ وادعاء النبوة في عهده:

مما يستفاد من هذا الحديث بعثة النبي ﷺ للناس ليهديهم إلى طريق الحق والصواب كما أن من تاريخ هذه الدعوة المحمدية ادعاء أشخاص للنبوة في عهده ﷺ ؛ منهم مسيلمة الكذاب الذي كان له محاورات مع النبي محمد ﷺ وقتله زيد بن الخطاب ووحشي يوم اليمامة في سنة اثنتي عشرة للهجرة (٤) . كما ادعى النبوة امرأة من بني تميم تدعى سجاحاً ولهذا لما تزوجها مسيلمة بايع قومها بنو تميم مسيلمة واتبعوه ومنهم أبورجاء العطاردي .(٥) كما ادعى النبوة في عهد النبيﷺ الأسود العنسي الذي خرج في اليمن وتبعه خلق كثير من أهلها وأرسل النبي ﷺ أمره

---

١) سورة المعارج الآية رقم (١٥-١٧).

٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة /شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ٢/٥٥ - حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه فواز أحمد زمرلي - ط٥ - ١٤١٧هـ/١٩٩٧م - دار الكتاب العربي - بيروت .

٣) انظر الفائدة (١١) في الحديث (٢٧) ص١٧٩.

٤) انظر البداية والنهاية ٦٢/٥.

٥) انظر فتح الباري /ابن حجر ٧١/٨.

للمسلمين بقتله فقتله فيروز الديلمي سنة إحدى عشرة للهجرة.[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي محمد ـ الأمر ـ من بعده تبعته وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لوسألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف عنه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: ((إنك أرى الذي أريت فيه ما رأيت)) فأخبرني أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما فأوحي إليّ في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة)).[٢]

---

١) انظر البداية والنهاية /ابن كثير ٦/٣٣٩.

٢) متفق عليه :صحيح الإمام البخاري:كتاب المغازي /باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ١٣٨/٥، ١٣٩ رقم (٤٣٧٣) و (٤٣٧٤).وصحيح الإمام مسلم:كتاب الرؤيا /باب رؤيا النبي ﷺ ص١٠٠٧ رقم (٢٢٧٣) و (٢٢٧٤). وما بين الشرطين في مسلم فقط ، وقوله ليعقرنك الله: أي إن أدبرت عن طاعتي ليقتلنك الله .شرح النووي علىصحيح مسلم ٣٨/٥.

٧٥ - باب قُدُومِ الأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ الْيَمَنِ

٤١ -(٤٣٩١)- حدثنا عَبْدانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إبْراهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ [١] قالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ فَجاءَ خَبَّابٌ فَقالَ: يا أَبا عَبْدِ الرَّحْمنِ، يَسْتَطِيعُ هؤُلاءِ الشَّبابُ أَنْ يَقْرَؤُوا كَما تَقْرَأُ؟ قالَ : أَما إنَّكَ لَوْ شِئْتَ أَمَرْتُ بَعْضَهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ قالَ: أَجَلْ. قالَ: اقْرَأْ يا عَلْقَمَةُ فَقالَ زَيْدُ بْنُ حُدَيْرٍ أَخُو زِيادِ بْنِ حُدَيْرٍ: أَتَأْمُرُ عَلْقَمَةَ أَنْ يَقْرَأَ وَلَيْسَ بِأَقْرَئِنا؟ قالَ: أَما إنَّكَ إنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِما قالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْمِكَ وَقَوْمِهِ فَقَرَأْتُ خَمْسِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ فَقالَ عَبْدُ الله: كَيْفَ تَرى ؟ قالَ: قَدْ أَحْسَنَ، قالَ عَبْدُ الله : ما أَقْرَأُ شَيْئاً إلاّ وَهْوَ يَقْرَؤُهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى خَبَّابٍ وَعَلَيْهِ خاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِهذا الْخاتَمِ أَنْ يُلْقى؟. قالَ: أَما إنَّكَ لَنْ تَراهُ عَلَيَّ بَعْدَ الْيَوْمِ فَأَلْقاهُ، رَواهُ غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ. [٢]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من وسائل الدعوة :التعليم.

الثاني - أهمية التزاور بين الدعاة.

الثالث - من أصناف المدعوين: الشباب.

---

١) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل النخعي الكوفي ، فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، الإمام الحافظ ، المجود ، المجتهد ، الكبير ، أبو شبل .ولد في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المخضرمين ، هاجر في طلب العلم والجهاد، ولازم ابن مسعود ﷺ ، حتى رأس في العلم والعمل ، وتفقه به العلماء ، وبعد صيته ،وجوَّدَ القرآن على ابن مسعود ﷺ ، وتصدى للإمامة والفتيا بعد علي وابن مسعود ﷺما. وكان يشبه بابن مسعود ﷺ في هديه ودله وسمته . وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون. قال الشعبي: إن كان أهل بيت خلقوا للجنة فهم أهل هذا البيت علقمة والأسود. توفي سنة اثنتين وسبعين للهجرة .

(انظر: حلية الأولياء/ أبونعيم ٩٨/٢ ،والإصابة /ابن حجر ١١٢/٥ ، وتهذيب التهذيب /ابن حجر العسقلاني ٢٧٦/٧ ـ ط١ ـ دار صادر ـ بيروت).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

الرابع - بيان فضيلة علقمة بن قيس ﷺ.

الخامس - من واجبات الداعية : تقديم أهل الفضل في العلم.

السادس - حرص الصحابة ﷺ على اختبار حفظ طلاب العلم وقراءتهم.

السابع - وجوب الإنكار على من خالف الشرع .

الثامن - الرفق في الموعظة وتعليم من لايعلم .

التاسع - استجابة المدعو للنهي وتنفيذه الأمر مباشرة .

العاشر - خفاء بعض الأحكام على الصحابة ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من وسائل الدعوة : التعليم:

إن مما يستفاد من هذا الحديث أن التعليم من وسائل نشر الدعوة ولذلك كان الصحابة يحرصون على إقامة حلق العلم ومدارسة كتاب الله. وعبدالله بن مسعود ﷺ [1] تربى في منزل النبوة وتلقى العلم من منبعه الأصلي وعرف من حرص الرسول ﷺ على التعليم أن العلم

---

١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم الهذلي حليف بني زهرة ، أمه أم عبد بنت ود بن سواء من هذيل.كان إسلامه قديماً أول الإسلام حين أسلم سعيد بن زيد، قال عبد الله:لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا. مسح على رأسه الرسول ﷺ وقال إنك غلام معلم ، قال: فلقد أخذت منه سبعين سورة مانازعني فيها بشر. وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ .قال حذيفة ﷺ: ماأعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد (البخاري ٣٧٦٢). هاجر الهجرتين جميعاً إلى الحبشة وإلى المدينة وصلى القبلتين وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ وهو الذي أجهز على أبي جهل وشهد له رسول الله ﷺ الجنة. عن حبة بن جوين عن علي ﷺ قال:كنا عنده جلوسا فقالوا:مارأينا رجلاً أحسن خلقاً ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعاً من ابن مسعود قال علي ﷺ: أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم ؟ قالوا: نعم.قال: اللهم اشهد أني أقول مثل ماقالوا وأفضل. ولما شق عثمان ﷺ المصاحف بلغ ذلك عبد الله فقال:لقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله وماأنا بخيرهم ولو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته (مسلم ٢٤٦٣) .قال عبد الله بن عمرو ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((استقرئوا القرآن من أربعة :من عبد الله بن مسعود فبدأ به ...)) (البخاري ٣٧٥٨). توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع وعمره بضعاً وستين سنة.

(انظر:طبقات ابن سعد ١٥٠/٣، أسد الغابة/ابن الأثير ٢٥٦/٣-٢٦٠، سير أعلام النبلاء/الذهبي ٤٦١/١، الإصابة/ابن حجر ١٢٩/٤، وشذرات الذهب/ابن العماد ٣٨/١)

متوارث وهو حق للجميع ، وأن التعليم وسيلة من وسائل نشر الإسلام وهو أمانة يجب أن تؤدى، لذا اعتنى بالتعليم وكانت له حلقات كثر فيها المتعلمون والمفتون الذين تتلمذوا على يده.قال الكوثري ـ رحمه ا لله ـ : (فابن مسعود هذا عني بتفقيه أهل الكوفة وتعليمهم القرآن من سنة بناء الكوفة إلى آواخر خلافة عثمان ﷺ عناية لامزيد عليها إلى أن امتلأت الكوفة بالقراء والفقهاء والمحدثين بحيث أبلغ بعض ثقات أهل العلم عدد من تفقه عليه وعلى أصحابه نحو أربعة آلاف عالم).[١]

فهذه الوسيلة التي عقل عبدا لله بن مسعود ﷺ أهميتها في الدعوة ينبغي ألا يغفل عنها الدعاة إلى ا لله لما لها من أثر عظيم في نشر العلم الشرعي وتبليغ سنة النبي ﷺ.

الثاني ـ أهمية التزاور بين الدعاة :

مما يستفاد من هذا الحديث أهمية التزاور بين الدعاة ومذاكرة العلم الذي يعود على الجميع بالنفع والخير العظيم ، حيث زار خباب ﷺ [٢] ابن مسعود ﷺ واستمع إلى تلامذته . قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه ا لله ـ : (في هذا الحديث من الفقه تزاور الصالحين وفيه تزاورهم للخير والتذكر).[٣]

لذا ينبغي للدعاة أن يكثروا من زيارة إخوانهم الصالحين وأن يتدارسوا معهم العلم وأحوال المسلمين حتى يعم النفع الجميع ويكون الإنتاج أوفر . [٤]

الثالث ـ من أصناف المدعوين: الشباب:

الدعوة ينبغي أن تكون موجهة للجميع على اختلاف أعمارهم وأفهامهم ومنهم الشباب فتوجه لهم الدعوة على اختلاف أساليبها . وفي هذا الحديث اهتم ابن مسعود ﷺ بتعليم الشباب فخرج عدد منهم ظهر فيما بعد تفوقهم العلمي كعلقمة الذي كان من أئمة الفقه في وقته حيث

---

١) مقدمة كتاب نصب الراية / الزيلعي ١/ ٣٠ .

٢) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، من تميم ، أبويحي التميمي . من نجباء السابقين، له عدة أحاديث. شهد بدراً والمشاهد . قال منصور عن مجاهد : أول من أظهر إسلامه رسول الله ﷺ، وأبوبكر، وخباب،وبلال ، وصهيب ، وعمار. مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين للهجرة ، وصلى عليه عليٌّ. (انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١/ ٦٦).

٣) الإفصاح ٢/ ٨٣.

٤) انظر الفائدة (٧) من الحديث (٣٠) ص٢٠٧.

لازم ابن مسعود ﷺ وتفقه على يده وجود عليه القرآن فكان أشبه الناس بابن مسعود ﷺ في هديه وسمته [١].

لذا ينبغي للداعية أن يهتم بهذا الصنف من المدعوين لأنهم إذا استجابوا قويت بهم الدعوة وزادت ثمارها لما وهبه الله لهذه المرحلة العمرية من القدرات العظيمة في مختلف النواحي.

الرابع ـ بيان فضيلة علقمة بن قيس ﷺ:

في هذا الحديث ذكر منقبة لعلقمة بن قيس ﷺ حيث اختاره ابن مسعود ﷺ ليقرأ بين يدي خباب ابن الأرت ﷺ ، وبرزت منقبته في حسن قراءته التي تشبه قراءة ابن مسعود ﷺ مما يدل على حرصه على تلقي العلم إلى درجة المشابهة في اللفظ وطريقة الإلقاء . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وهي منقبة عظيمة لعلقمة حيث شهد له ابن مسعود ﷺ أنه مثله في القراءة).[٢]

الخامس ـ من واجبات الداعية : تقديم أهل الفضل في العلم:

ففي الحديث قدم عبد الله بن مسعود ﷺ علقمة النخعي على غيره (قَالَ: اقْرَأْ يَا عَلْقَمَةُ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ حُدَيْرٍ أَخُو زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ: أَتَأْمُرُ عَلْقَمَةَ أَنْ يَقْرَأَ وَلَيْسَ بِأَقْرَئِنَا؟ قَالَ: أَمَا إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْمِكَ وَقَوْمِهِ) فاختاره للقراءة لما عرفه من ثناء الرسول ﷺ عليه وعلى قومه، ففي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (شهدت رسول الله ﷺ يدعو لهذا الحي من النخع أو قال: يثني عليهم حتى تمنيت أني رجل منهم).[٣] قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (وفيه أيضاً أن التفويض في تقديم من يرى العالم من المتعلمين إليه، فإن عبد الله أمر علقمة دون غيره، فالعالم أعلم بتقدير قدر التفاوت بين متعلميه، ألا ترى أنه لما اعترض عليه زيد بن حدير فقال: أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا ؟ احتج عليه عبدالله بمعنى آخر يستدعي التقديم لم يكن عند ابن

---

١) انظر ذلك في ترجمته ص ٢٥١.

٢) فتح الباري ٧٨/٨ ، وانظر عمدة القاري /العيني ٣٣/١٨.

٣) مسند الإمام أحمد : ٣٧٦/٦ رقم (٣٨٢٦) ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ـ إشراف د. عبد الله التركي ـ ط١ ـ١٤١٣هـ /١٩٩٣ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت. قال المحققون : إسناده حسن .

حدير منه ماعند علقمة).[١]

لذا ينبغي على العلماء أن يقدموا أهل الفضل والصلاح من تلاميذهم وأن يقدروا لهم تميزهم في العلم والدين مما له من أثر كبير في نفوسهم بطلب الزيادة في ذلك ، ولغيرهم باستنهاض هممهم رغبة في الحصول على ماحصلوا عليه من التقديم والفضل .

السادس - حرص الصحابة ﷺ على اختبار حفظ طلاب العلم وقراءتهم:

ففي هذا الحديث سأل خباب ﷺ عبدالله بن مسعود ﷺ عن قراءة تلاميذه (**يَسْتَطِيعُ هؤُلاءِ الشَّبَابُ أنْ يَقْرَؤُوا كَمَا تَقْرَأُ؟**) ولم تكن زيارة خباب ﷺ لهم وسؤاله عنهم إلا حرصاً منه على الاطمئنان على مستوى قراءتهم لكتاب الله . قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (وفيه أيضا أن خباباً لما رأى المتعلمين عند ابن مسعود أحب أن يختبر حفظهم وقراءتهم).[٢]

فينبغي على المسلمين اليوم الاقتداء بالصحابة ﷺ في هذا الحرص وخاصة المسؤولين عن التعليم في المدارس والحلقات والمراكز التعليمية داخل البلاد وخارجها حتى تؤتي ثمارها وتؤدي واجبها .

السابع - وجوب الإنكار على من خالف الشرع :

الإنكار على المخالف للشرع الإسلامي أمر واجب على كل مسلم بحسب استطاعته وقد كان الصحابة ﷺ ينكر بعضهم على بعض دون النظر إلى مكانته أو فضله بل هذه تراعى فقط في كيفية الإنكار أما أن يترك الإنكار فلا. وفي هذا الحديث لم يمنع ابن مسعود ﷺ جلالة خباب ﷺ وسبقه للإسلام وبلاؤه فيه أن ينكر عليه تختمه بالذهب فقال له : (**ألَمْ يَأْنِ لِهذا الْخَاتَمِ أنْ يُلْقَى**).[٣]

الثامن - الرفق في الموعظة وتعليم من لايعلم :

الرفق من صفات المؤمن وقد كان رسول الله ﷺ رفيقا يحب الرفق في الأمر كله داعيا إلى

١) الإفصاح ٨٣/٢.

٢) الإفصاح ٨٣/٢.

٣) انظر الفائدة (٦) من الحديث (٣) ص٦٠.

التحلي به. وابن مسعود ﷺ الذي تعلم على يد الرسول ﷺ لما رأى الخاتم في يد خباب وهو يعلم أن لبس الذهب محرم على الرجال وأن خباب لايعلم الحكم فلا يعقل من مثله ارتكاب محرم عمداً لم يغلظ القول له لعلمه أن أسلوب الرفق سيبلغ من المدعو مبلغه وهكذا يجب أن يكون الداعية في رفقه وشدته في توصيل الدعوة وإنكار المنكر فمتى كان المنكر يزول بالرفق فهو أولى من الغلظة والشدة . قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (وفيه الرفق في الموعظة وتعليم من لايعلم).[١]

التاسع ـ استجابة المدعو للنهي وتنفيذه الأمر مباشرة :

صحابة رسول الله ﷺ هم أهل الدعوة وأحرص الناس على تنفيذ تعاليم الإسلام بدقة ولم يكن منهم أحد يتعمد المخالفة ، لذا كان مجرد العلم بتحريم الأمر كافياً للابتعاد عنه .

وفي هذا الحديث لما عرف خباب ﷺ الحكم الشرعي في لبس الذهب لم يتردد في الاستجابة فألقى الخاتم وقال: **أَمَا إِنَّكَ لَنْ تَرَاهُ عَلَيَّ بَعْدَ الْيَوْمِ** .قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (ولعل خبابا كان يعتقد أن النهي عن لبس الرجال خاتم الذهب للتنزيه فنبهه ابن مسعود على تحريمه فرجع إليه مسرعاً).[٢]

وأين بعض المسلمين اليوم من خباب ﷺ الذين يسمعون التحريم فيبحثون عمن يفتي لهم بغير ذلك أو يتحايلون بمختلف الوسائل لتبرير تصرفهم واستمرارهم على المنكر هذا إذا لم يسيئوا إلى من ينكر عليهم .

العاشر ـ خفاء بعض الأحكام على الصحابة ﷺ :

العلم الذي جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ تلقاه الصحابة ﷺ فمنهم المقل ومنهم المكثر وهذا يعني أن كل فرد من الصحابة لم يكتمل له العلم، بل كانت تخفى عليه بعض الأحكام، وربما علم ونسي، فيُعلِم أحدهم الآخر ماخفي عليه؛ كما فعل ابن مسعود مع خباب ﷺ . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فوائد الحديث: (أن بعض الصحابة ﷺ كان يخفى عليه بعض الأحكام فإذا نبه عليها رجع).[٣]

---

١) عمدة القاري ٣٣/١٨ ، وانظر فتح الباري /ابن حجر ٧٨/٨ ، والإفصاح /ابن هبيرة ٨٣/٢.

٢) فتح الباري ٧٨/٨ ، وانظر الإفصاح/ابن هبيرة ٨٤/٢.

٣) المصدر السابق نفس الصفحة ، وعمدة القاري /العيني ٣٣/١٨.

وفي هذا درس عظيم لكثير من الناس الذين يسيئون إلى عالم من علماء المسلمين إذا جهل أمراً من أمور الدين ويتهمونه بالنقص وعدم استحقاقه تصدر مجالس العلم، فليعلم هؤلاء وأمثالهم أن الصحابة ﷺ الذين عاشوا مع رسول الله ﷺ خفيت عليهم بعض الأحكام وأن هذا لايعد نقصاً في العالم فالعلم أكثر من أن يحاط به. قال عبد الله بن عباس ﷺ: العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا منه أحسنه.[1]

١) جامع بيان العلم وفضله /ابن عبد البر ١/١٢٧.

٧٧ - باب قِصَّةِ وَفْدِ طَيِّءٍ وَحَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حاتِمٍ

٤٢ -(٤٣٩٤)- حدثنا مُوسَى بْنُ إسماعِيلَ، حَدَّثَنا أبُوعَوانَةَ، حَدَّثَنا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حاتِمٍ [١]، قالَ: أَتَيْنا عُمَرَ فِي وَفْدٍ فَجَعَلَ يَدْعُو رَجُلاً رَجُلاً و يُسَمِّيهِمْ فَقُلْتُ: أما تَعْرِفُنِي يا أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قالَ: بَلى، أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا ، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا، وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا، فَقالَ عَدِيٌّ: فَلا أُبالِي إِذاً . [٢]

شرح غريب الحديث:

<< أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا .. الخ >>: يشير بذلك إلى وفاء عدي بالإسلام والصدقة بعد موت النبي ﷺ وأنه منع من أطاعه من الردة وذلك مشهور عند أهل العلم بالفتوح.[٣]

<< فَلا أُبالِي إِذاً >>: أي إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي إذا قدمت عليَّ غيري.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: استمرار قدوم الوفود .

الثاني - من صفات الداعية: حسن المعاملة وتقدير ذوي الفضل.

الثالث - من صفات عدي رضي الله عنه : الوفاء.

الرابع - من تاريخ الدعوة: ثبات عدي رضي الله عنه ومن معه أيام الردة.

---

١) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امريء القيس بن عدي ، الأمير الشريف ، أبو وهب وأبو طريف الطائي، صاحب النبي ﷺ ، ولد حاتم طيء الذي يضرب بجوده المثل . وفد على النبي ﷺ في وسط سنة سبع للهجرة فأكرمه واحترمه ، قال عدي رضي الله عنه : ماأقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء .مات سنة سبع وستين وقيل ست وستين هجرية.
(انظر: سير أعلام النبلاء /الذهبي ١٦٢/٣ ، تهذيب التهذيب/ابن حجر ١٦٦/٧ ، وشذرات الذهب /ابن العماد ٧٤/١).

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) فتح الباري /ابن حجر ٧٩/٨.

٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة:استمرار قدوم الوفود :

ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - من أحداث السنة التاسعة : (وفيها كان قدوم عامة وفود أحياء العرب ولذلك تسمى سنة تسع سنة الوفود).[١]

وقد استمر قدوم الوفود على الخلفاء بعد وفاة النبي ﷺ يتضح ذلك من هذا الحديث حيث وفد عدي ﷺ مع بعض قومه إلى عمر بن الخطاب ﷺ وهو أمير المؤمنين في ذلك الوقت .

الثاني - من صفات الداعية:حسن المعاملة وتقدير ذوي الفضل:

عدي بن حاتم ﷺ كان سيد قومه قبل إسلامه وكان له فضل الوفاء في الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ حيث جاء بالزكاة ولم يمتنع عنها كما فعل غيره بل إنه منع من أطاعه من الردة .

ولهذه المكانة استحق من عمر ﷺ وهو أمير المؤمنين أن يقدر له هذه المنزلة وأن يتعامل معه بحسبها ولذلك لما سأله هل عرفه لم يذكر عمر ﷺ اسمه وإنما ثنا عليه بما عرفه عنه من المحاسن ومن باب إظهار ميزته وفضله ، وهذه من صفات الداعية المؤمن الذي عرف مباديء الدعوة وأسسها وعمل بها .عن عائشة ﷺ أنها قالت : (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم).[٢] قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (ومعنى هذا الحديث الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم فيعامل كل واحد منهم بما يليق بحاله، وبما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف والمرتبة).[٣]

الثالث - من صفات عدي ﷺ : الوفاء:

من عرف الإسلام حق المعرفة وماتفضل به على أتباعه من الخير العظيم والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة لايسعه إلا أن يتمسك بهذا الدين ولايخالف تعاليمه خاصة إذا كان لديه قناعة تامة ومعرفة كاملة بالإسلام كما هي عند عدي ﷺ، ولهذا لما توفي الرسول ﷺ بقي على الوفاء بمتطلبات هذا الدين في حين ارتد بعض الناس ومنع بعضهم الزكاة بحجة أنها كانت تدفع للرسولﷺ.قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (" أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا ، ... " الخ ، يشير

---

١) البداية والنهاية ٤٨/٥.

٢) مقدمة صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي ١٧٠/١ .

٣) المفهم ١٢٧/١.

بذلك إلى وفاء عدي بالإسلام).[١]

الرابع - من تاريخ الدعوة: ثبات عدي ﷺ ومن معه أيام الردة:

في هذا الحديث شيء من تاريخ الدعوة وهو ثبات عدي بن حاتم الطائي ﷺ أيام ارتداد بعض المسلمين عن دينهم بعد موت النبي ﷺ. قال الواقدي ـ رحمه الله ـ : (... ثم قدم على أبي بكر الصديق ﷺ بصدقات قومه في حين الردة ومنع قومه وطائفة معه من الردة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه).[٢]

١) فتح الباري ٧٩/٨.

٢) عمدة القاري /العيني ٣٥/١٨، وانظر فتح الباري /ابن حجر ٧٩/٨.

٧٨ - بابِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ

٤٣-(٤٣٩٦)- حدثني عَمْرُو بنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي عَطاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (١) إذا طافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلَّ فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ؟ قَالَ: هذَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: مِنْ قَوْلِ الله تَعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢) وَمِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحابَهُ أَنْ يَحِلُّوا فِي حَجَّةِ الْوَداعِ .فَقُلْتُ: إِنَّمَا كَانَ ذلِكَ بَعْدَ الْمُعَرَّفِ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَراهُ قَبْلُ وَبَعْدُ(٣). (٤)

شرح غريب الحديث :

<< مَحِلُّها >> : مأخوذة من إحلال المحرم ، والمعنى أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق.(٥)

<< الْمُعَرَّفِ >> : بتشديد الراء الوقوف بعرفة ، يقال عرف الناس إذا شهدوا عرفة.(٦)

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٢) سورة الحج جزء من الآية (٣٣).

٣) قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ :(هذا الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما هو مذهبه وهو خلاف مذهب الجمهور من السلف والخلف فإن الذي عليه العلماء كافة سوى ابن عباس رضي الله عنهما أن الحاج لايتحلل بمجرد طواف القدوم بل لايتحلل حتى يقف بعرفات ويرمي ويحلق ويطوف طواف الزيارة فحينئذ يحصل التحللان ويحصل الأول باثنين من هذه الثلاثة التي هي رمي جمرة العقبة والحلق والطواف وأما احتجاج ابن عباس رضي الله عنهما بالآية فلا دلالة له فيها لأن قوله تعالى :﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ معناه لاتنحر إلا في الحرم وليس فيه تعرض للتحلل من الإحرام لأنه لو كان المراد به التحلل من الإحرام لكان ينبغي أن يتحلل بمجرد وصول الهدي إلى الحرم قبل أن يطوف وأما احتجاجه بأن النبي ﷺ أمرهم في حجة الوداع بأن يحلوا فلا دلالة فيه لأن النبي ﷺ أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة في تلك السنة فلا يكون دليلا في تحلل من هو ملتبس بإحرام الحج والله أعلم). شرح صحيح الإمام مسلم ٨/ ٤٧٩- ٤٨٠.

٤) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الحج /باب إشعار الهدي وتقليده عند الإحرام ص٥٢٩ رقم (١٢٤٥).

٥) الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ١٢/٥٧.

٦) فتح الباري/ابن حجر ٨/٨١ ،وعمدة القاري/العيني ١٨/٣٧ ، وانظر لسان العرب/ابن منظور ٩/٢٤٢ مادة عرف .

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من واجبات الداعية :المبادرة بالتعليم .

الثاني - من أساليب الدعوة: الحوار والمناظرة .

الثالث - من موضوعات الدعوة:أهمية معرفة أحكام الحج وضرورته .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من واجبات الداعية: المبادرة بالتعليم:

كان السلف الصالح يحرصون على نشر العلم والمبادرة بتعليم ماعلموه ، وفي هذا الحديث نرى مبادرة عطاء بن أبي رباح [١] بإخبار ابن جريج عن رأي ابن عباس رضي الله عنهما في مسألة حل المحرم.وفي هذا درس عظيم للدعاة إلى الله تعالى بأن لاينتظروا أن يُسألوا بل عليهم غشيان المجالس واستغلال الأوقات في تعليم الناس أمور دينهم وأحكام شرعهم .قال أحمد الشافعي : كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس رضي الله عنهما ، وبعد ابن عباس لعطاء بن أبي رباح . [٢]

الثاني - من أساليب الدعوة: الحوار والمناظرة :

الحوار والمناظرة بين العلماء أسلوب علمي يصل به المتناظرون إلى حقيقة الأمر والحكم الشرعي فيه عن طريق ذكر الشواهد من الكتاب والسنة وآراء العلماء .

وفي هذا الحديث كان الحوار بين عطاء الذي قال عنه محمد بن علي بن حسين : مابقي أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء بن رباح [٣]، وبين ابن جريج في مسألة حل الإحرام حيث ذكر عطاء رأي ابن عباس رضي الله عنهما وأدلته في ذلك ، ورد ابن جريج بماعلمه في هذه المسألة

---

١) هو الإمام ، مفتي الحرم ، أبو محمد القرشي ،مولاهم المكي ، عطاء بن أبي رباح أسلم، ولد بالجَنَد ،كان صبيا نشأ بمكة وتعلم الكتاب بها وهو مولى لبني فهر ،سمع عائشة ، وأبا هريرة وابن عباس .وكان من أوعية العلم ، قال علي بن المديني:كان ثقة ، فقيهاً، عالماً ، كثير الحديث .وقال أبو حنيفة :مارأيت أفضل منه ، وقال ابن جريج كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة. وقال إسماعيل بن أمية :كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد ، انفرد بالفتوى بمكة هو ومجاهد .مات سنة أربع عشرة ومئة للهجرة. (انظر: الطبقات الكبرى /ابن سعد ٣٨٦/٢، وحلية الأولياء/أبو نعيم ٣١٠/٣، وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٧٥/١،وشذرات الذهب/ابن العماد ١٤٧/١) .

٢) حلية الأولياء/أبو نعيم ٣١١/٣ .

٣) الطبقات الكبرى/ابن سعد ٣٨٦/٢ ،وحلية الأولياء/أبو نعيم ٣١١/٣.

حيث كان رأي ابن عباس ﷺ مخالفاً لرأي الجمهور في ذلك. قال الإمام النووي ــ رحمه الله ـ : (فيه إشاعة العلم وإظهاره ومناظرة ولاة الأمور وغيرهم في تحقيقه).[١]

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: أهمية معرفة أحكام الحج وضرورته :

دل هذا الحديث على أهمية تعلم المسلم لأحكام فريضة الحج وإلا لم يكن لتعليم عطاء لابن جريج معنى ؛ فقد أخبره برأي ابن عباس ﷺ في متى يحل المحرم قال (**حَدَّثَنِي عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلَّ**). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ــ : (فإن الحج أحد أركان الدين ، ومن أعظم الطاعات لرب العالمين وهو شعار أنبياء الله وسائر عباد الله الصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فمن أهم الأمور بيان أحكامه وإيضاح مناسكه وأقسامه وذكر مصححاته ومفسداته وواجباته وآدابه ومسنوناته ...). [٢]

١) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٥٢/٨ .

٢) الإيضاح في مناسك الحج والعمرة /للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي الشافعي ص٢٦،٢٧ ــ ط٣ ــ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٨٣ - باب كِتاب النَّبِيِّ ﷺ إلى كِسْرى وَقَيْصَرَ

٤٤-(٤٤٢٥)- حدثنا عُثْمانُ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنا عَوْفٌ عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ[١] قالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي الله بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُها مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَما كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحابِ الْجَمَلِ فَأُقاتِلَ مَعَهُمْ، قالَ لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرى ، قالَ: ((لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً)) .[٢]

شرح غريب الحديث :

<< **أَصْحاب الْجَمَلِ** >> : يعني عائشة رضي الله عنها ومن معها.[٣]

<< **نَفَعَنِي الله بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُها مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ** >>:فيه تقديم وتأخير والتقدير نفعني الله أيام الجمل بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أي قبل ذلك فأيام يتعلق بنفعني لابسمعتها فإنه سمعها قبل قطعاً.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - الحث على التفقه في الدين .

الثاني - من تاريخ الدعوة : وقوع معركة الجمل .

الثالث - من تاريخ الدعوة: تولي بنت كسرى الملك.

الرابع - من موضوعات الدعوة: بيان أن المرأة لاتتولى الولاية العظمى .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٢٥) ص١٦٥.

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري :كتاب الفتن /باب ١٨ ١٢٤/٨ رقم (٧٠٩٩).

٣) فتح الباري/ابن حجر ٩٧/٨ .

٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

الأول - الحث على التفقه في الدين :

في هذا الحديث حث على التفقه في الدين لأن معرفة الأحكام يقي المسلم من الوقوع في الخطأ ويحميه من ارتكاب مانهى الله عباده عنه . وقدكان الصحابة ﷺ يلازمون الرسول ﷺ ويستمعون له ويحفظون عنه فانتفعوا ونفعوا غيرهم لأن مايصدر عن الرسول ﷺ ماهو إلا الحق والهدى لجميع الناس . وفي هذا الحديث ذكر لنا أبو بكرة ﷺ انتفاعه بكلمة سمعها من رسول الله ﷺ واهتدى بها في وقعة الجمل فلم يقاتل معهم فكان في عمله بها على حق وصواب قال (لَقَدْ نَفَعَنِي الله بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُها مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَمَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ). ذكر الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ موقف أبي بكرة ﷺ في موقعة الجمل قال: (مذهب أبي بكرة ﷺ أنه كان على رأي عائشة ﷺ في طلب الإصلاح بين الناس ولم يكن قصدهم القتال لكن لما انتشبت الحرب لم يكن لمن معها بد من المقاتلة ولم يرجع أبو بكرة ﷺ عن رأي عائشة ﷺ وإنما تفرس بأنهم يغلبون لما رأى الذين مع عائشة ﷺ تحت أمرها لما سمع في أمر فارس ... فلما انتصر علي ﷺ عليهم حمد أبوبكرة ﷺ رأيه في ترك القتال معهم).[1]

الثاني - من تاريخ الدعوة : وقوع معركة الجمل:

إن من تاريخ الدعوة كما هو ظاهر في هذا الحديث وقوع معركة الجمل حيث قال أبو بكرة ﷺ: (نَفَعَنِي الله بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُها مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ)، وقد كانت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة ﷺ. ذكر الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ: (أن عثمان ﷺ لما قتل وبويع علي ﷺ بالخلافة خرج طلحة والزبير ﷺ إلى مكة فوجدا عائشة ﷺ وكانت قد حجت فاجتمع رأيهم على التوجه إلى البصرة يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان ﷺ فبلغ ذلك عليا ﷺ فخرج إليهم فكانت وقعة الجمل ونسبت إلى الجمل الذي كانت عائشة ﷺ قد ركبته وهي في هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح).[2] وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين للهجرة .[3]

١) فتح الباري ١٣/٤٧ .

٢) المصدر السابق ٨/٩٧، وانظر إرشاد الساري /القسطلاني ٦/٤٦٠.

٣) البداية والنهاية/ابن كثير ٧/٢٦١ ، وقد ذكر تفاصيل هذه المعركة في ج٧/من ص٢٥٧إلى ٢٦١.

الثالث - من تاريخ الدعوة: تولي بنت كسرى الملك:

في هذا الحديث من تاريخ الدعوة تولي بنت كسرى الملك بعد أبيها حيث ذكر أبو بكرةﷺ : (أَنَّ أَهْلَ فارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرى)؛ فبعد قتل شيرويه أباه كسرى لم يعش بعده إلا ستة أشهر فلما مات لم يخلف أخاً لأنه كان قتل إخوته حرصاً على الملك ولم يخلف ذكراً وكرهوا خروج الملك عن بيت كسرى فملكوا عليهم بنت كسرى واسمها بوران.[1]

الرابع - من موضوعات الدعوة:بيان أن المرأة لاتتولى الولاية العظمى :

في هذا الحديث دليل على أن المرأة لاتتولى الولاية العظمى، فإن الولاية العظمى قيادة للأمة والرجال هم أحق بهذه الولاية؛ لأن الكمال فيهم متوفر أكثر من المرأة، والمرأة عرضة لأن يتطرق إليها النقص أكثر فتقود الناس إلى مالاينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة. ولهذا نفى النبيﷺ الفلاح للأمة التي تتولى قيادتها امرأة بقوله كما في الحديث: ((لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً)). قال الإمام الخطابي ــ رحمه الله ــ : (في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء).[2]

---

١) انظر فتح الباري ٩٧/٨ ، وعمدة القاري /العيني ٥٩/١٨.

٢) المصادر السابقة نفس الصفحات.

٨٤ - باب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ

وَقَوْلِ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[١]

٤٥ -(٤٤٢٨)- وَقَالَ يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂[٢]: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: ((يَاعَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ)).[٣]

شرح غريب الحديث :

<< **ما أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ** >>: أي أحس الألم في جوفي بسبب الطعام.[٤]

<< **أَوَانُ** >> : الأوان : الحين والزمان . تقول جاء أوان البرد .[٥]

<< **أَبْهَرِي** >> : بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء وهو عرق مستبطن الصلب والقلب متصل به، فإذا انقطع لم يكن معه حياة.[٦]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - الاهتمام بتعليم الأقارب.

الثاني - بشرية الرسل عليهم السلام.

---

١) سورة الزمر الآيتان (٣٠-٣١).

٢) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) فتح الباري/ابن حجر ١٠٠/٨.

٥) لسان العرب/ابن منظور ٣٩/١٣ مادة أوان.

٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين /أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ٣٨٥/٤ - تحقيق د. علي حسين البواب - ط١ - ١٤١٨هـ/١٩٩٧م - دار الوطن - الرياض ، وانظر :مصدر سابق ٨٣/٤ مادة بهر ، وعمدة القاري/العيني ٦١/١٨ .

الثالث - أن التشكي والتألم لايتنافى مع الإيمان بالقضاء والقدر مالم يتجاوز الحد في ذلك.

الرابع - من تاريخ الدعوة: وقوع غزوة خيبر في عهد النبي ﷺ.

الخامس - من معجزات النبي ﷺ إخباره ببعض الغيب .

السادس - من أساليب الدعوة مع الكفار:قبول هداياهم .

السابع - من موضوعات الدعوة: أن الآجال مقدرة عند الله تعالى.

الثامن - كيد اليهود للنبي ﷺ وكراهيتهم للإسلام والمسلمين.

التاسع - دور المرأة في الصد عن سبيل الله.

العاشر - من أساليب الدعوة:عدم التشهير بصاحب الإساءة.

الحادي عشر - من تاريخ الدعوة:استشهاد رسول الله ﷺ.

الثاني عشر - فضل عائشة ﵂ حيث مات رسول الله ﷺ عندها.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - الاهتمام بتعليم الأقارب:

كان الصحابة ﷺ يحرصون على تعليم أقاربهم ماعلموه من سيرة النبي ﷺ وأحواله؛ وقد نقلت أم المؤمنين عائشة عن رسول الله ﷺ العلم الكثير وحرصت على تعليمه، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (لاريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة من غيرها وأدت إلى الأمة من العلم مالم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامها) [1]، وممن نال نصيباً وافراً من هذا العلم أقاربها، وفي هذا الحديث ظهر حرص أم المؤمنين عائشة ﵂ على تعليم ابن أختها عروة بن الزبير﵁[2] عن تأثير السم الذي وضعته اليهودية للرسول ﷺ وأنه سبب لوفاته حتى يعلم شدة حقد اليهود على الإسلام والمسلمين، وقد كان عروة ﵁ يلازمها ويأخذ عنها، قال قبيصة بن

١) بدائع الفوائد/لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ١٦١/٣ - دار الكتاب العربي.

٢) هو عروة بن حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية، الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، الإمام ، عالم المدينة ، أبوعبد الله القرشي الأسدي ، المدني ، الفقيه .حدَّث عن أبيه ، وعن أمه أسماء بنت أبي بكر ، وعن خالته أم المؤمنين عائشة ﵂، ولازمها وتفقه بها .ولد سنة ثلاث وعشرين هجرية. وقيل بعد ذلك .قال ابن خراش :ثقة ، وقال العجلي تابعي ثقة، رجل صالح ، لم يدخل في شيء من الفتن. مات سنة ثلاث وتسعين هجرية. (انظر : سير أعلام النبلاء /الذهبي ٤٢١/٤).

ذؤيب:كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة وكانت عائشة أعلم الناس . وقال عروة ﷺ: لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج أو خمس حجج وأنا أقول لو ماتت اليوم ماندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته. [١]

لذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يقتدوا بأم المؤمنين ﷺ في الاهتمام بتعليم العلم، وخاصة للأقارب ، فالله تعالى لما أمر نبيه ﷺ بالجهر بالدعوة أمره بإنذار قرابته ،فقال تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.[٢]

الثاني - بشرية الرسل عليهم السلام:

الرسل بشر اختارهم الله لحمل رسالته وتبليغها للناس والسعي إلى هدايتهم إلى طريق الحق والصواب . وقد ثبتت بشريتهم في الكتاب والسنة حيث قال تعالى في كتابه : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.[٣] وقال ﷺ: ((إنما أنا بشر)).[٤]

وفي هذا الحديث دليل واضح على بشرية محمد ﷺ حيث تأثر بالسم الذي أكله في خيبر ولايزال يعاني منه حتى كانت وفاته بسببه فهذا يدل على أنه ﷺ كان يقاسي الآلام كغيره من البشر، كذلك يعتريه الموت كسائر البشر .

الثالث - أن التشكي والتألم لايتنافى مع الإيمان بالقضاء والقدر مالم يتجاوز الحد في ذلك :

التشكي والتألم لايتنافى مع الإيمان إذا لم يتجاوز فيه الإنسان الحد كأن يرفع الصوت بالتأوه وإظهار مدى مايعانيه بحيث يسمعه الناس لأنه بهذا التصرف يعترض على ماكتبه الله عليه وهذا لايجوز . وفي هذا الحديث قال ﷺ : ((ياعائِشَةُ ما أَزالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ)) ، فقد اشتكى لزوجته مايشعر به من ألم ، ولو كان في شكواه هذه ما يتنافي مع الإيمان بقضاء الله وقدره لما فعله رسول الله ﷺ . قال الشيخ حمزة قاسم - حفظه الله -: (يجوز للإنسان أن يشكو لزوجته أو لصديقه أو طبيبه مايعانيه من شدة أو ألم أو مرض.... وهو لا ينافي الرضا

---

١) سير أعلام النبلاء/الذهبي ٤/٤٢٤، تهذيب التهذيب/ابن حجر ١٨٢/٧.

٢) سورة الشعراء الآية رقم (٢١٤).

٣) سورة الأنبياء الآية رقم (٣٤).

٤) وردت في بداية عدد من الأحاديث في صحيح الإمام البخاري وهي (٢٤٥٨) ، (٦٩٦٧) ، (٧١٦٩) ، (٧١٨١) ، (٧١٨٥) .

بقضاء الله وقدره، فكم من شاك وهو راض، وكم من ساكت وهو ساخط، والمعول في ذلك على عمل القلب اتفاقا).[١]

الرابع - من تاريخ الدعوة: وقوع غزوة خيبرفي عهد النبي ﷺ:

دل هذا الحديث على وقوع غزوة خيبر في عهد النبي ﷺ[٢]، حيث قدمت له فيها زينب بنت الحارث شاة مسمومة أثرت فيه، وظل يعاوده الألم بسببها إلى أن توفاه الله تعالى. قال ابن إسحاق - رحمه الله -: (لما اطمأن رسول الله ﷺ - أي بعد أن فتح خيبر وقتل منهم من قتل - أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها الذراع فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: ((إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم)) ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ((ماحملك على ذلك؟)) قالت: بلغت من قومي مالم يخف عليك، فقلت: إن كان كذاباً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر. قال فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل).[٣]

الخامس - من معجزات النبي ﷺ إخباره ببعض الغيب:

في هذا الحديث ظهرت إحدى معجزات النبي ﷺ وهي إخباره ببعض الأمور الغيبية فقد قال ﷺ : ((فَهذا أوانُ وَجَدْتُ انقِطاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذلِكَ السمِّ)) حيث علم أنه سيموت في ذلك الوقت بسبب السم الذي أكله قبل ثلاث سنوات، ولم يكن هذا من علمه المجرد بل هو مما أطلعه الله عليه من الغيب، لإن علم الغيب مختص بالله تعالى لكنهﷻ أطلع رسله على شيء منه ليكون معجزة دالة على صدقه فيما جاء به، قال تعالى:﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٤]. قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (إن أصل البشرية عدم العلم بالغيب، وبما يخفى من البواطن إلا من أطلعه الله تعالى على شيء من

١) منار القاري ٥/٢٥.

٢) انظر الفائدة (٢) من الحديث (٣) ص٥٧.

٣) البداية والنهاية /ابن كثير ٤/٢٤٠، وانظر زاد المعاد/ابن القيم ٣/٣٣٥.

٤) سورة الجن الآيات من (٢٦) إلى (٢٨).

ذلك ... لكن إنما كان ذلك للأنبياء من جملة كراماتهم ومعجزاتهم).[١]

السادس ـ من أساليب الدعوة مع الكفار: قبول هداياهم:

من أساليب دعوة الكفار قبول هداياهم وحسن معاملتهم اقتداءً بالرسول ﷺ حيث كان يعود مريضهم ويتعامل معهم في أمور المال ويقبل هداياهم. قال تعالى :﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[٢]وفي هذا الحديث دليل على قبول النبي ﷺ هدايا المشركين حيث قبل هدية اليهودية التي قدمت له شاة وأكل منها. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (إنه ﷺ قبل هدية تلك اليهودية، وأكله منها يدل على قبوله إياها).[٣] وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ : (والقبول في حق من يرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام).[٤]

السابع ـ من موضوعات الدعوة: أن الآجال مقدرة عند الله تعالى:

إن من الموضوعات الدعوية الهامة التي ينبغي للداعية أن يتطرق لها أن آجال البشر مقدرة في اللوح المحفوظ عند الخالق ﷻ ، وكل إنسان قد كتب زمن موته ومكانه ولو أصابه ما أصابه. وفي هذا الحديث ذكر النبي ﷺ تأثير السم عليه مما أكله في خيبر، وأنه رغم معاناته منه تلك السنوات إلا أن الله ﷻ قد شاء أن يؤخر موته حتى يحين الأجل الذي قدره الله له، قال : ((فَهذا أوانُ وَجَدْتُ انْقِطاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذلِكَ السُّمِّ)). قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (فلم يضر ذلك السم رسول الله ﷺ طول حياته غير ماأثر بلهواته وغير ماكان يعاوده منه في أوقات، فلما حضر وقت وفاته أحدث الله تعالى ضرر ذلك السم في النبي ﷺ فتوفي بسببه).[٥]

الثامن ـ كيد اليهود للنبي ﷺ وكراهيتهم للإسلام والمسلمين:

ففي هذا الحديث إشارة إلى حقد اليهود على الإسلام وكراهيتهم للرسول ﷺ وأتباعه

---

١) المفهم ١٥٣/٥-١٥٤.

٢) سورة الممتحنة الآية رقم (٨).

٣) عمدة القاري ١٧١/١٣ ، وانظر زاد المعاد/ابن القيم ٣٥١/٣.

٤) المصدر السابق ١٦٩/١٣.

٥) المفهم ٥٧٥/٥ ـ ٥٧٦.

قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾ (١)، وما ورد في كتب السنة والسيرة النبوية الشريفة عن عداوتهم للرسول ﷺ وإغـراء السـفهاء بـه وتحريض الكفـار عليـه ونقضهـم للعهود حتى طردهم من المدينة خير شاهد على هذا العداء والـذي لا يـزال إلى عصرنـا الحـاضر.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وقد كانوا يتنوعون في عهد رسول الله ﷺ بـأنواع الحيـل والكيد والمكر عليه، وعلى أصحابه ويرد الله ﷺ ذلـك كلـه عليهـم. فتحيلـوا عليـه وأرادوا قتلـه مراراً والله تعالى ينجيه من كيدهم ...ولم يزالوا موضعين مجتهدين في المكر والخبث إلى أن أخزاهم الله بيد رسوله وأتباعه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنهم ــ أعظـم الخـزي، ومزقهـم كـل ممزق، وشتت شملهم كل مشتت). (٢)

لذا ينبغي على الدعاة تنبيه الناس إلى خطرهم والتحذير من الثقة بهم أوالتعامل معهـم في غير مجال الدعوة أو مايوصل إليها.

التاسع ـ دور المرأة في الصد عن سبيل الله :

ساندت المرأة الرجل في المجتمعات الكافرة في معركة الصد عن سبيل الله تعالى، وماثلتـه في الأساليب والمكائد للدين الإسلامي، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه مقرونة به في الأمـر بـالمنكر والنهي عن المعروف، قال تعالى: ﴿الْمُنَـافِقُونَ وَالْمُنَافِقَـاتُ بَعْضُهُـمْ مِـنْ بَعْـضٍ يَـأْمُرُونَ بِـالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (٣). وقد ذاق المسلمون منها وبخاصة الدعاة إلى الله تعالى أنواعـاً متعـددة من الإيذاء، ولم يسلم حتى صاحب الرسالة، وهادي البشرية المصطفى ﷺ ؛ فقد شاركت أم جميل زوجها أبا لهب عم رسول الله ﷺ في إيذاء رسول الله ﷺ بشتى أنواع الأذى، وهما اللـذان أنـزل الله ﷺ فيهما سورة كاملة وهـي: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْـهُ مَالُـهُ وَمَـا كَسَـبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَـةَ الْحَطَـبِ * فِـي جِيدِهَـا حَبْـلٌ مِـنْ مَسَـدٍ﴾(٤)، وعـذب مصعب بن عمير ﷺ على يد أمه، وجاهدت أم سعد بن أبي وقاص ﷺ في سـبيل ثـني ابنهـا عـن الإسلام، والعودة إلى الكفر، وامتنعت عن الطعـام، حتى قـال لهـا: والله يـا أمـه تعلمـين والله لـو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت فكلـي وإن شـئت

---

١) سورة المائدة جزء من الآية (٨٢).

٢) إغاثة اللهفان ٢/٣٦٤.

٣) سورة التوبة جزء من الآية رقم (٦٧).

٤) سورة المسد.

لا تأكلي. فأكلت [١]. فأنزل الله تعالى فيها:﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [٢]. ولا تزال المرأة تساهم وتقود حملات ضد الإسلام إلى وقتنا الحاضر، حتى إن بعضهن قد وقفن أنفسهن وجندن جهودهن للصد عن سبيل الله [٣]، وفي حديث الدراسة ذكر رسول الله ﷺ دور المرأة اليهودية في الصد عن سبيل الله عندما أخبر بتأثره بالطعام الذي وضعته له اليهودية، فدل على مشاركتها في الكيد للإسلام والمسلمين. قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (ولما سلب الله تعالى هذه الأمة ملكها وعزها، وأذلها، وقطعهم في الأرض، انتقلوا من التدبير بالقدرة والسلطان، إلى التدبير بالمكر والدهاء. والخيانة والخداع. وكذلك كل عاجز جبان سلطانه في مكره وخداعه. وبهته وكذبه، ولذلك كان النساء بيت المكر والخداع والكذب والخيانة.كما قال الله تعالى عن شاهد يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [٤]).[٥]

العاشر ـ من أساليب الدعوة: عدم التشهير بصاحب الإساءة:

ففي الحديث قال ﷺ: ((ياعائشةُ ما أزالُ أجِدُ ألَمَ الطَّعامِ الَّذِي أكلْتُ بِخَيْبَرَ))
فلم يذكر الرسول ﷺ اسم المرأة التي أهدت إليه الشاة المسمومة بل ذكر فقط أن الطعام الذي أكله هو سبب تألمه وقرب وفاته. قال الإمام ابن أبي جمرة ــ رحمه الله ــ : (ويترتب على ذلك من الفقه أنه إذا علمت من أحد فعل شراً أن تخبر عن ذلك الفعل ولاتسمي صاحبه).[٦]
وهذا أسلوب دعوي عظيم ينبغي أن يستعين به الدعاة إلى الله تعالى لأن مثل هذا الأسلوب يكون غالباً سبباً لهداية المدعوين، ولهم في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في تعامله وحسن أخلاقه مع الناس جميعاً مسلمهم وكافرهم .

---

١) تفسير ابن كثير ٣/٤٤٥.

٢) سورة لقمان جزء من الآية (١٥).

٣) أمثال أمينة السعيد إحدى تلميذات طه حسين ، انظر كتاب عودة الحجاب/جمع وترتيب محمد أحمد إسماعيل المقدم ١/١٢٥ ـ ط٩ـ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ـ دار طيبة ـ الرياض . وذكر أمثلة كثيرة لنساء ساهمن في الصد عن سبيل الله ، والنيل من الشريعة الإسلامية .

٤) سورة يوسف جزء من الآية (٢٨).

٥) إغاثة اللهفان ٢/٣٦٥.

٦) بهجة النفوس ٤/٤٦.

الحادي عشر ـ من تاريخ الدعوة: استشهاد رسول الله ﷺ:

في هذا الحديث دليل على أن الرسول ﷺ مات شهيداً مقتولاً من أثر السم الذي وضع له في الشاة يوم خيبر، ولكن الله ﷻ أخّر وفاته إلى تمام الرسالة وكمالها.

وقد روى أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (لأن أحلف بالله تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة. وذلك بأن الله ﷻ اتخذه نبياً، وجعله شهيداً).[١] وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (فجمع الله لنبيه ﷺ النبوة والشهادة مبالغة في الترفيع والكرامة).[٢] فكانت شهادته إكمالاً للفضل له من الله سبحانه وتعالى .

الثاني عشر ـ فضل عائشة ﵂ حيث مات رسول الله ﷺ عندها:

ظهر في هذا الحديث فضيلة لأم المؤمنين عائشة ﵂ حيث مات رسول الله ﷺ في بيتها، فكانت لها أمور تفردت بها في هذه الحادثة حيث سمعت منه آخر ماتحدث به، ومـاأوصى به قبل موته ، وجمع الله بين ريقها وريقه عندما طيبت له السواك وغير ذلك من أمور وميزات عظيمة . فعن عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: ((أين أنا غداً؟ أين أنا غداً ؟)) يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها ، قالت عائشة ﵂: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي فقبضه الله، وإن رأسه لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي. [٣]

---

١) مسند الإمام أحمد ٤٧٧/١ رقم (٣٦١٦). تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ـ إشراف د. عبد الله التركي . قال المحققون : إسناده صحيح على شرط مسلم ورجاله ثقات.

٢) المفهم ٥٧٦/٥،وانظر زاد المعاد/ابن القيم ٣٣٧/٣، والبداية والنهاية /ابن كثير ٢٤٠/٤.

٣) صحيح الإمام البخاري:كتاب المغازي/باب مرض النبي ﷺ ووفاته ١٦٤/٥ رقم الحديث (٤٤٥٠).

٤٦-(٤٤٣٥)- حدثني مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنا غُنْدَرٌ حَدَّثَنا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدٍ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عائِشَةَ[١] قالَتْ:كُنْتُ أَسمَعُ أَنَّهُ لايَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي ماتَ فِيهِ وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ : ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآيَةَ[٢] فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ.[٣]

وفي رواية:(...قالت :كانَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: ((إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ)) فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قالَ : ((اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى)) فَقُلْتُ: إِذاً لايُجاوِرُنا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كانَ يُحَدِّثُنا وَهُوَ صَحِيحٌ).[٤]

وفي رواية زاد: (قالَتْ: فَكانَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِها ((اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى))).[٥]

شرح غريب الحديث :

« بُحَّةٌ » : بضم الموحدة وتشديد المهملة شيء يعرض في الحلق فيتغير له الصوت فيغلظ تقول بححت بالكسر بحا ورجل أبح إذا كان ذلك فيه خلقة .[٦]

« شَخَصَ بَصَرُهُ »: شخوص البصر ارتفاع الأجفان إلى فوق، وتحديد النظر وانزعاجه.[٧]

---

١) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٢) سورة النساء جزء من الآية (٦٩).

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري :كتاب المغازي / باب مرض النبي ﷺ ووفاته ١٦٠/٥ رقم (٤٤٣٦) و (٤٤٣٧) ،وباب آخر ماتكلم به النبي ﷺ ١٦٧/٥ رقم (٤٤٦٣).

كتاب التفسير / باب ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ ٢١٤/٥ رقم (٤٥٨٦).

كتاب الدعوات /باب دعاء النبي ﷺ ((اللهم الرفيق الأعلى)) ٢٠٠/٧ رقم (٦٣٤٨).

وكتاب الرقاق /باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٢٤٥/٧ رقم (٦٥٠٩).

وأخرجه الإمام مسلم :كتاب الفضائل / باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ص١٠٧٣ رقم (٢٤٤٤) .

٤) الطرف رقم (٤٤٣٧).

٥) الطرف رقم (٤٤٦٣).

٦) فتح الباري/ ابن حجر ١٠١/٨ ، عمدة القاري / العيني ٦٤/١٨ ، وفتح المبدي /الشرقاوي ١٦٣/٣ .

٧) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٤٥٠/٢.

<< **الرَّفِيق الأَعْلى** >> : قيل الرفيق الأعلى الجماعة من الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وهو اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق والخليل وقيل المعنى ألحقني بالرفيق الأعلى أي بالله تعالى . يقال الله تعالى رفيق بعباده من الرفق والرأفة فهو فعيل بمعنى فاعل .(١)

<< **وَهُوَ صَحِيحٌ** >> : أي في حال صحته وسلامة جسمه .(٢)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأقارب .

الثاني - اختصاص الأنبياء بالتخيير.

الثالث - من سنن الله تعالى بشرية الرسل.

الرابع - من موضوعات الدعوة : عدم اشتراط النطق بالشهادتين عند الموت .

الخامس - من صفات الداعية : تفضيل الدار الآخرة والعمل لها.

السادس - من موضوعات الدعوة : قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة.

السابع - قوة فهم عائشة رضي الله عنها .

الثامن - أهلية المرأة المسلمة للقيام بالمسؤوليات الجسام.

التاسع - من تاريخ الدعوة : وفاة النبي ﷺ.

العاشر - من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها .

الحادي عشر - من موضوعات الدعوة: إثبات وجود الجنة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) فتح المبدي /الشرقاوي ١٦٤/٣ .

٢) منار القاري / حمزة قاسم ٢٧/٥.

الأول - تعليم الأقارب :

اهتمام الصحابة ﷺ بتعليم العلم لم يقتصر على أبنائهم بل شمل الأقارب أيضا وفي هذا الحديث دليل على الاهتمام بالأقارب تمثل ذلك في تعليم عائشة ﷺا لابن أختها عروة بن الزبيرﷺ لحال الرسول ﷺ في مرض موته ومااختاره من منزلة عظيمة عند ربهﷻ . قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (وأما عائشة فكانت مقدمة في العلم والفرائض والأحكام والحلال والحرام، وكان من الآخذين عنها ـ الذين لايكادون يتجاوزون قولها، المتفقهين بها ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر ابن أخيها، وعروة بن الزبير ابن أختها أسماء).(١)

الثاني - اختصاص الأنبياء بالتخيير:

التخيير بين الحياة الدنيا أو الموت من خصائص الأنبياء عليهم السلام تكريماً لهم ورفعاً لشأنهم ، وإظهاراً لمحبتهم وشوقهم للخالق عزوجل حيث أفنوا حياتهم في الدعوة إلى توحيده وإخلاص العمل له. قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (وتخيير الله للأنبياء عند الموت مبالغة في إكرامهم ، وفي رفع مراتبهم عند الله تعالى ، وليستخرج منهم شدة شوقهم ، ومحبتهم له تعالى ، ولما عنده).(٢) وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (إن هذه الحالة من خصائص الأنبياء أنه لايقبض نبي حتى يخير بين البقاء في الدنيا وبين الموت).(٣)

وفي هذا الحديث بيان أن محمداً ﷺ خيره الله كما خير غيره من الأنبياء. قال رسول اللهﷺ فيما ذكره عبد الرزاق من مرسل طاوس مرفوعا: ((**خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل**)).(٤) فينبغي للداعية أن يجعل هذا الموضوع من موضوعات دعوته وأن يوضح للمدعوين أن اختيار النبي ﷺ للموت لايتنافى مع نهي النبي ﷺ عن تمني الموت فلا علاقة لهذا بذاك لأنه من خصوصيات الأنبياء كما أن النهي مختص بالحالة التي قبل نزول الموت.(٥)

---

١) إعلام الموقعين ٢٩/١ .

٢) المفهم ٦ /٣٢٨.

٣) فتح الباري ١١١/١٠.

٤) البداية والنهاية /ابن كثير ٢٤٤/٥ ،وفتح الباري/ابن حجر ١٠٥/٨،وعمدة القاري /العيني ٦٤/١٨.

٥) انظر: فتح الباري /ابن حجر ١١٠/١٠-١١١، وعمدة القاري/العيني ٢٢٧/٢١.

الثالث ـ من سنن الله تعالى بشرية الرسل:

الرسل بشر خصهم الله تعالى برسالته يصيبهم مايصيب غيرهم من البشر فيمرضون ويبتلون ويموتون بل هم أشد بلاءً من غيرهم من البشر كما قال ﷺ : ((أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ...)).[١] وفي هذه الأحاديث السابقة ثبتت لنا بشرية محمد ﷺ حيث مرض وأخذته بحة ثم غشي عليه ثم أفاق ثم شخص ببصره كما يفعل الموتى ثم كانت وفاته.[٢]

الرابع ـ من موضوعات الدعوة: عدم اشتراط النطق بالشهادتين عند الموت:

في هذا الحديث دليل على أنه لا يشترط أن ينطق الإنسان بالشهادتين عند موته مادام قلبه عامراً بالذكر، لأن النبي ﷺ كان آخر كلمة قالها ((مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ))، وفي رواية: ((اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى))، فلم ينطق بالشهادتين. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (قال السهيلي: يستفاد منه الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره إذا كان قلبه عامراً بالذكر).[٣]

الخامس ـ من صفات الداعية: تفضيل الدارالآخرة والعمل لها:

المؤمن هو الذي يعلم الحكمة من خلق الله له فيعمل بطاعته، وهو يعلم أن هذه الدار إلى فناء وأن البقاء في الدار الآخرة فيعمل لها حياته كلها حتى إذا قبضه الله كان في شوق إلى لقائه ليجزيه أجر ماعمل ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه [٤]، ولهذا لما خير محمد ﷺ اختار الدار الآخرة لشوقه إلى لقاء ربه فقال: ((مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم)). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (اختيار النبي ﷺ للقاء الله بعد أن خير بين الموت والحياة فاختار الموت فينبغي الاستنان به).[٥] والاستنان به المقصود هو في تفضيل الدار الآخرة والرغبة في لقاء الله وهذا لايكون إلا ممن عمل لها. فينبغي للمسلم أن يقتدي بالرسول ﷺ في الرغبة عن الحياة الدنيا

---

١) المستدرك على الصحيحين /الحاكم : كتاب الإيمان ٤١/١ ، وقال الذهبي هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢) انظر: الفائدة (٢) من الحديث (٤٥) ص٢٦٨.

٣) فتح الباري ١٠٥/٨، وفي شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٨٢/٢.

٤) انظر فتح الباري /ابن حجر ٣١٠/١١-٣١١.

٥) المصدر السابق ٣١٢/١١.

والعمل لليوم الآخر رغبة فيما عند الله تعالى.

السادس - من موضوعات الدعوة:قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة:

دل هذا الحديث على قبول خبر الواحد الصدوق، حيث قبل قول أم المؤمنين عائشةﷺا فيما أخبرت به من أقوال النبي ﷺ عند وفاته وما كان من تخييره بين الحياة الدنيا وبين لقاء ربه ، وقد اتفقت الأمة على أن الصحابي قوله مقبول ، ومن يكتب له شرف الصحبة لايتطلب له شروط تعديل فكفى بشرف الصحبة تعديلاً . وعائشة ﷺا زوج النبي ﷺ فما نقلته عنه فهو الحق، ووصفها بالعدالة أولى وأحق ، قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياؤه ، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله ، هذا مذهب أهل السنة ، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة).[١] وقال لأحاديث في فضل الصحابة ومنهم عقبة بن عامرﷺ: (... فمن نسبه - يعني الصحابي عقبة بن عامر - أو واحدا من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة ،مبطل للقرآن ، طاعن على رسول الله ﷺ. ومتى ألحق واحد منهم تكذيبا فقد سُب ؛ لأنه لاعار ولاعيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب ، وقد لعن رسول الله ﷺ من سب أصحابه ؛فالمكذب لأصغرهم - ولاصغير فيهم ـ داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول اللهﷺ ، وألزمها كل من سب واحدا من أصحابه أو طعن عليه).[٢]

السابع - قوة فهم عائشة ﷺا :

في هذا الحديث ظهر لنا ماتتصف به أم المؤمنين عائشة ﷺا من شدة الذكاء ودقة النظر وقوة الفهم حيث علمت من حال النبي ﷺ وقوله : ((اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى)) أنه يخير وعلمت أنه لايختار البقاء في الدنيا (فَقُلْتُ: إذاً لايُجاوِرُنا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنا وَهُوَ صَحِيحٌ). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (فهم عائشة ﷺا من قولهﷺ: ((فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى)) أنه خير نظير فهم أبيها ﷺ من قوله ﷺ : ((أن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ماعنده)) أن العبد المراد هو النبي ﷺ حتى بكى).[٣]

---

١) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٦.

٢) المصدر السابق ٢٩٨/١٦.

٣) فتح الباري ١٠٥/٨.

الثامن - أهلية المرأة المسلمة للقيام بالمسؤوليات الجسام:

المرأة المسلمة إذا عرفت الله حق المعرفة وآمنت به اكتسبت قوة في مواجهة الصعاب بصبر وتحمل ، وأمهات المؤمنين هن أقرب إلى رسول الله ﷺ وأعظم تأثراً به ولذلك كن أهلاً لتحمل المسؤوليات الجسام فلم يستقبل النبي ﷺ لما أتاه الوحي إلا زوجته خديجة رضي الله عنها ووجد عندها ما يثبته ويطمئنه ، وعندما حضرته الوفاة كان في حجر عائشة رضي الله عنها وحدث ما حدث له من سكرات الموت وشدته حتى قالت رضي الله عنها: (مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ).[1] وقبضه الله وهو مسند إليها فلم تجزع ولم يذهب عقلها لهذا الخطب العظيم بل كانت تعي مايقول وتصغي إليه حتى سمعت آخر كلمة تكلم بها. وفي هذا درس عظيم للمسلمات .

التاسع - من تاريخ الدعوة : وفاة النبي ﷺ:

من تاريخ الدعوة المستفاد من هذا الحديث أن النبي ﷺ توفي والتحق بالرفيق الأعلى في مرضه ذاك ،وكانت وفاته في يوم الاثنين لثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن يوم الأربعاء. قال الشيخ حمزة قاسم - حفظه الله -: (إن آخر كلمة قالها وهو على فراش الموت ((اللهم الرفيق الأعلى)) .. وعلى هذه الكلمة فاضت روحه وودع الحياة الدنيا والتحق بالرفيق الأعلى).[2]

العاشر - من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها :

ظهر في هذا الحديث فضيلة لعائشة رضي الله عنها حيث مات رسول الله ﷺ على فخذها (فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ) ، وسمعته وهو يختار درجته في الجنة وهذا شرف عظيم لها خاصة أن له زوجات غيرها ؛فهي فضيلة لها على زوجاته ، وفضيلة لها على المسلمين عامة . قال الشيخ القنوجي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث : أن النبي ﷺ قبض في بيت عائشة ، ورأسه على فخذها وهذه فضيلة ظاهرة لها وخصيصة كاملة ،لم يشاركها فيها غيرها : من الأزواج المطهرات). [3]

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب المغازي / باب مرض النبي ﷺ ووفاته ١٦٣/٥ رقم (٤٤٤٦).

٢) منار القاري ٢٥/٥.

٣) السراج الوهاج ٣٩٨/٩ .

الحادي عشر ـ من موضوعات الدعوة: إثبات وجود الجنة:

إن مما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وثبت لهم بالأدلة : أن الجنة والنار موجودتان الآن، ويؤكد صحة ماذهبوا إليه ما جاء في هذا الحديث حيث اختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى وهو من درجات الجنة . قال الداودي ـ رحمه الله ـ : (الرفيق الأعلى الجنة).[1] فاختياره ﷺ هذه المنزلة هو دليل على وجود الجنة التي وعد الله بها عباده الصالحين وأنها قد أعدت لمن أطاع الله تعالى، كما أعدت النار لمن عصاه .

---

١) عمدة القاري / العيني ٢٢/٣٠٤.

٤٧ -(٤٤٣٩)- حدثني حِبَّانُ: أَخْبَرَنا عَبْدُاللـه أَخْبَرَنـا يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ أنَّ عائِشَةَ رضي الله عنها[١] أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللـه ﷺ كـانَ إذَا اشْتَكى نَفَثَ عَلى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا اشْتَكى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفُثُ عَلى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذاتِ الَّتِي كانَ يَنْفِثُ وَامْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ .[٢]

وفي رواية: (...فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجاءَ بَرَكَتِها).[٣]

وفي رواية: (... فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ كَيْفَ يَنْفِثُ؟ قالَ:كانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِما وَجْهَهُ).[٤]

شرح غريب الحديث :

<< وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ >>:لتصل بركة القرآن واسم الله تعالى إلى بشرته .[٥]

<< طَفِقْتُ >> : بمعنى أخذت أوشرعت .[٦]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول - اهتمام عائشة رضي الله عنها بتعليم الأقارب .

الثاني - بيان فضل المعوذات في الاستعاذة من كل المكروهات .

الثالث - المسح باليد لتصل بركة القرآن للجسم .

الرابع - من واجبات المسلم : الاقتداء بالنبي ﷺ .

---

١) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب فضائل القرآن /باب فضل المعوذات ١٢٨/٦ رقم (٥٠١٦).
وكتاب الطب/باب الرقى بالقرآن والمعوذات ٢٩/٧ رقم (٥٧٣٥) ، وباب المرأة ترقي الرجل ٣٣/٧ رقم (٥٧٥١).
وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب السلام /باب رقية المريض بالمعوذات والنفث ص٩٧٣ رقم (٢١٩٢) .

٣) الطرف رقم (٥٠١٦).

٤) الطرف رقم (٥٧٣٥).

٥) فتح المبدي /الشرقاوي ١٦٤/٣.

٦) عمدة القاري/العيني ٦٦/١٨ .

الخامس - مشروعية العلاج بالرقية وأن ذلك لاينافي التوكل.

السادس - خاصية البركة في يد رسول الله ﷺ .

السابع - من موضوعات الدعوة :قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة.

الثامن - من أساليب الدعوة :السؤال والجواب.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - اهتمام عائشة ﵂ بتعليم الأقارب :

في هذا الحديث دليل على اهتمام أم المؤمنين عائشة ﵂ بتعليم العلم للأقارب حيث علمت عروة بن الزبير﵁ ابن أختها أسماء ﵂ هدي الرسول ﷺ في حال المرض و استخدامه للرقية وكيفيتها.ولم يكن هذا من عائشة ﵂ إلا ليقينها بأهمية تبليغ العلم وهدي النبي ﷺ في كل أمر للاقتداء به والاستنان بسنته .[١]

الثاني - بيان فضل المعوذات في الاستعاذة من كل المكروهات :

كان رسول الله ﷺ يرقي نفسه وغيره بسائر القرآن ويكتفي أحياناً بالمعوذات[٢] لشمولها على جوامع الدعاء وأنواع الاستعاذة التي يحتاجها المريض ، وفي هذا الحديث ذكرت عائشة ﵂ : (**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ**). قال الإمام النووي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث استحباب الرقية بالقرآن وبالأذكار وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً ففيها الاستعاذة من شر ماخلق فيدخل فيه كل شيء ومن شر النفاثات في العقد ومن السواحر ومن شر الحاسدين ومن شر الوسواس الخناس).[٣]

---

١) انظر: الفائدة (١) من الحديث (٤٦) ص٢٧٥.

٢) قال الحافظ ابن حجر والإمام العيني - رحمهما الله - :(المعوذات :أي الإخلاص والفلق والناس). فتح الباري ٩/٥٦ وعمدة القاري ٢٠/٣٤.

٣) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٤/٤٣٣ ،وانظر: الكواكب الدراري / الكرماني ٢١/٢٠ ،وفتح الباري /ابن حجر ١٠/١٦٦ ،وإرشاد الساري /القسطلاني ٨/٣٨٨.

الثالث ـ المسح باليد لتصل بركة القرآن للجسم :

في هذا الحديث بينت عائشة رضي الله عنها صفة رقية النبي ﷺ لنفسه حيث كان يقرأ المعوذات ثم ينفث في يده ويمسح بها على جسده الشريف لتصل بركة القرآن إليه قالت (كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ)، وفي هذا دليل على أن المسح تحصل به البركة بتلك الرطوبة التي نفثها وقرأ فيها بجوامع الدعاء والاستعاذة ومافي ذلك من تفاؤل بالشفاء بالقرآن الكريم خاصة إذا كانت هذه اليد لرجل صالح [1] . قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (فيه المسح باليد عند الرقية وفي معناه المسح على مايرجى بركته وشفاؤه وخيره مثل المسح على رأس اليتيم وشبهه).[2]

الرابع ـ من واجبات المسلم: الاقتداء بالنبي ﷺ :

الاقتداء بالرسول ﷺ واجب على كل من اتبعه وعمل بشرع الله تعالى لأن أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته ماهي إلا تشريع للمسلمين ، ولذلك قال تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.[3]، فكل مايصدر عن النبي ﷺ يجب الأخذ به والاقتداء به ﷺ فيه إلا ماكان الأمر فيه للإباحة أو ماكان خاصاً به ﷺ. وفي هذا الحديث دليل على وجوب الاقتداء به تمثل في فعل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث ذكرت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المعوذات وينفث على نفسه ولما مرض قامت برقيته اقتداءً به ﷺ تقول : (فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ وَامْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ).

لذا ينبغي على المسلم أن يطلع على سنة النبي ﷺ ويتخذه قدوة له في جميع أحواله لما في ذلك من الخير والفلاح في الدنيا والآخرة .

---

١) انظر :بهجة النفوس /ابن أبي جمرة ٢/٢٢٩،وفتح الباري / ابن حجر ١٠/١٦٨، وعمدة القاري /العيني ٢١/٢٦٢، وإرشاد الساري /القسطلاني ٨/٣٨٨ .

٢) عمدة القاري ٢١/٣٦٣، وانظر المفهم / القرطبي ٥/٥٩٠.

٣) سورة الحشر جزء من الآية رقم (٧).

الخامس ـ مشروعية العلاج بالرقية وأن ذلك لاينافي التوكل:

في هذا الحديث دليل على مشروعية العلاج بالرقية وأنه لاينافي التوكل بل لاتتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً ، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ماينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع مايضره ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب.(١) قال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ : (وفيه جواز الرقية لكن بشروط : أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره وأن يعتقد أن الرقية غير مؤثرة بنفسها بل بتقدير الله ﷻ).(٢)

السادس ـ خاصية البركة في يد رسول الله ﷺ :

في هذا الحديث دليل على بركة رسول الله ﷺ حيث قالت عائشة ﵂ في الحديث (وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجاءَ بَرَكَتِها) . قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (ظهور بركة رسول الله ﷺ فيما باشره أولمسه وكم له منها وكم؟!).(٣)

السابع ـ من موضوعات الدعوة:قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة:

دل هذا الحديث على جواز قبول خبر الواحد الثقة ولو كان امرأة ، فقد أخذ بقول أم المؤمنين عائشة ﵂ فيما روته عن النبي ﷺ في الرقية والنفث على موضع الألم ، وقد أصبح فعله هذا سنة متبعة لجميع المسلمين . قال الإمام ابن العربي ـ رحمه الله ـ : (إن القرآن لايثبت إلا بنقل التواتر ، بخلاف السنة فإنها تثبت بنقل الآحاد...فإن الأحكام يعمل فيها على خبر الواحد إذ ليس فيها معنى أكثر من التعبد . وقدكان النبي ﷺ يرسل كتبه مع الواحد ، ويأمر الواحد أيضا بتبليغ كلامه ، ويبعث الأمراء إلى البلاد وعلى السرايا ، وذلك لأن الأمر لو وقف فيها على التواتر لما حصل علم ، ولاتم حكم). (٤)

---

١) انظر :المفهم /القرطبي ٥٦٣/٥، والطب النبوي / ابن القيم ص١٥ ـ ط٣ ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.

٢) إرشاد الساري ٣٨٨/٨ ، وانظر بهجة النفوس /ابن أبي جمرة ٢٢٧/٢، وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٣٣/١٤ والمفهم / القرطبي ٥٧٩/٥، و عمدة القاري / العيني ٢٦٢/٢١.

٣) المفهم ٥٧٠/٤.

٤) أحكام القرآن/لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ١٠٢٣/٢ ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ ط١ـ ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ـ دار إحياء الكتب العربية.

الثامن ـ من أساليب الدعوة :السؤال والجواب:

من أساليب الدعوة في نشر العلم والدقة في أخذه وتبليغه سؤال العالم أو الراوي عن تفاصيل ماذكره والكيفية للفعل الذي تحدث عنه حتى يكون نقله والعمل به على وجهه الصحيح .قال ميمون بن مهران: (حسن المسألة نصف الفقه) [1]. وفي هذا الحديث نرى معمر بن راشد يسأل الزهري [2] عن تفصيل فعل الرسول ﷺ للرقية (فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ كَيْفَ يَنْفِثُ) وفي هذا السؤال منه والإجابة من الزهري فائدة عظيمة لم تقتصر على معمر بل شملت من سمع الحديث وعمل به .

لذا ينبغي على الداعية أن يستخدم هذا الأسلوب ويوجه المدعوين لاستخدامه لما له من أهمية بالغة في تحصيل العلم وأخذه على الوجه المطلوب.

---

١) الجامع لأخلاق الراوي والسامع/للخطيب البغدادي ٢١٣/١ ـ تحقيق د.محمود الطحان ـ مكتبة المعارف ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ـ الرياض.

٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري ، الإمام العلم ، حافظ زمانه أبوبكر القرشي المدني نزيل الشام .كان أول من دون العلم وكتبه ، وكان أعلم أهل المدينة . قال عمر بن عبد العزيز :ماساق الحديث أحد مثل الزهري .توفي سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومئة للهجرة .(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٩٨/١).

٤٨ -(٤٤٤٠)- حدثنا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُخْتَارٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ [١] أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهْوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْلِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ)) . [٢]

شرح غريب الحديث :

<< أَصْغَتْ إِلَيْهِ >> : من الإصغاء يقال أصغيت إليه إذا أملت سمعك نحوه .[٣]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأقارب .

الثاني - اهتمام عائشة رضي الله عنها بكل مايقوله الرسول ﷺ.

الثالث - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الدعاء .

الرابع - من واجبات المسلم:الاقتداء بالرسول ﷺ في طلبه للرحمة والمغفرة من الله تعالى.

الخامس - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الزوجة الصالحة في الساعات الحرجة.

السادس - من موضوعات الدعوة : قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب المرضى /باب تمني المريض الموت ١٣/٧ رقم (٥٦٧٤).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم / باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ص١٠٧٢ رقم(٢٤٤٤).

٣) عمدة القاري/ العيني ٦٦/١٨ ،وفتح المبدي / الشرقاوي ١٦٤/٣ ، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٨٢/٢.

الأول - تعليم الأقارب:

مما يستفاد من هذا الحديث اهتمام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتعليم أقاربها حيث علمت ابن ابن أختها أسماء رضي الله عنها عباد [١] بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ماتحدث به رسول الله ﷺ قبيل وفاته ودعائه لنفسه بطلب الرحمة والمغفرة من خالقه . ولأهمية الأمر تحدث به عباد لابن عمه هشام بن عروة بن الزبير رضي الله عنه. [٢]

الثاني - اهتمام عائشة رضي الله عنها بكل مايقوله الرسول ﷺ:

كانت عائشة رضي الله عنها تستمع لكل ما يقوله زوجها رسول الله ﷺ وتهتم بفهمه وإتقانه، والاستفهام عما غاب عنه فهمها، وسؤاله عما تجهله من أمور الدين، لفطنتها واستشعارها بوظيفتها كزوجة لمعلم الأمة الأول، والمبلغ لها عن ربه، وأن كل ما يقوله ويفعله هو منهج تعليمي للأمة لتعرف الخالق وتعبده عن علم ومعرفة. ويدل على اهتمامها هذا رضي الله عنها ما حملته كتب السنة عنها من أحاديث روتها عن رسول الله ﷺ حتى عدها العلماء (٢٢١٠) حديثا، ونعتها الكثير منهم بالعلم والفقه، فقال الإمام الذهبي - رحمه الله -: ولا أعلم في أمة محمد، بل ولا في النساء مطلقا، امرأة أعلم منها. وكان أكابر الصحابة يسألونها عما أشكل عليهم فكانوا يجدون عندها علمه مما تعلمته من رسول الله ﷺ. قال عنها أبوموسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا أمراً فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما[٣]. وفي قول عائشة رضي الله عنها في حديث الدراسة (أَنَّها سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصغَتْ إِلَيْهِ) تأكيد على ذلك الاهتمام منها بما يقوله النبي ﷺ حتى في أشد الأوقات وأكثرها تأثيراً على النفس .

لذا ينبغي على جميع المسلمين أن يستمعوا إلى ما يذكر لهم عن النبي ﷺ وأن يمتثلوه قولاً وعملاً فهو منهج حياتهم وطريقهم إلى النجاة في الدنيا والآخرة .

---

١) هو عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام، الإمام الكبير القاضي، أبو يحي القرشي الأسدي،كان عظيم المنزلة عند والده أمير المؤمنين، فاستعمله على القضاء وغير ذلك.حدَّث عن أبيه وجدته أسماء، وخالة أبيه عائشة.حدَّث عنه ابنه يحي وابن عمه هشام بن عروة، وآخرون. (انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٤٣/١).

٢) انظر: الفائدة (١) من الحديث (٤٥) ص ٢٦٧.

٣) انظر ترجمتها في الحديث (١٠) من البحث ص٨٥ .

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الدعاء :

الدعاء هو سلاح المؤمن، وقد حث الله ﷻ عباده على دعائه واللجوء إليه في جميع أحوالهم خاصة في مثل هذه الأوقات العصيبة. قال تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.[١] قال العلامة العيني ــ رحمه الله ـ: (وقد تواترت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه).[٢]

فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحث المسلمين على ملازمة دعاء الخالق ﷻ والالحاح فيه وعدم تعجل الإجابة لأن الاستعجال من موانع إجابته، وأن يستحضر المسلم قلبه ويتحرى أوقات وساعات الإجابة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر. وأن يكون على طهارة ويستقبل القبلة ويخشع قلبه، ويكون فيه انكسار بين يدي الله، وذلاً له وتضرعاً ورقة، وأن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وأن يدعوه رغبة ورهبة، لأن الدعاء في مثل هذه الحالة لايكاد يرد أبداً[٣].

وقد ورد في السنة وكتب السلف أخبارا كثيرة عن رفع الله تعالى الكرب عن عبده حين دعاه مخلصا له الدين؛ كقصة الغلام الذي أرسل الملك معه من يقتله من جنوده فكان يدعو الله (اللهم اكفنيهم بما شئت) فينفذ الله في العقوبة التي جاءوا بالغلام لها[٤]، وذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ قصة رجل أتاه قاطع طريق يريد قتله، فطلب منه أن يمهله حتى يصلي أربع ركعات. فقال: صل ما بدالك. فتوضأ ثم صلى أربع ركعات. فكان من دعائه في آخر سجوده أن قال: ياودود، ياودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وبملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك: أن تكفيني شر هذا اللص. يامغيث أغثني. ثلاث مرات. فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة قد وضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله. ثم أقبل إليه فقال: قم. فقال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم. فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء

١) سورة غافر الآية رقم (٦٠).

٢) عمدة القاري ٢٢/ ٢٧٦ .

٣) انظر الداء والدواء/ابن قيم الجوزية ص١٠ ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ـ دار اليوسف.

٤) القصة ذكرها الإمام مسلم في صحيحه ص١٢٩٧رقم (٣٠٠٥) .

قعقعة. ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة. ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي: دعاء مكروب.[١]

الرابع - من واجبات المسلم: الاقتداء بالرسول ﷺ في طلبه للرحمة والمغفة من الله تعالى:

في هذا الحديث درس عظيم للمسلمين وهو لزوم الدعاء وطلب الرحمة والمغفرة من الخالق ﷻ اقتداءً بالنبي ﷺ حيث لجأ إلى ربه طالباً عفوه ومغفرته فقال: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْلِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ)) لأنه وحده سبحانه الذي يرجى، وذنوب العبد وإن عظمت؛ فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها وأعظم.[٢] قال الإمام الزرقاني - رحمه الله -: (فيه ندب الدعاء بهما عند الموت وإذا دعا بذلك المصطفى فأين غيره منه).[٣]

الخامس - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الزوجة الصالحة في الساعات الحرجة:

في هذا الحديث دليل على دور المرأة المسلمة وما ينبغي أن تكون عليه في الساعات الأخيرة من حياة زوجها تمثل في موقف عائشة رضي الله عنها عندما حضرت النبي ﷺ الوفاة فلم تتصرف تصرف الجاهلات من النساء من الجزع والصراخ بل ثبتت وضمت زوجها رسول الله ﷺ واستمعت لما يقوله ونقلته فكانت مثالاً للمرأة المؤمنة الصابرة.

السادس - من موضوعات الدعوة: قبول خبر الواحد الصدوق وإن كان امرأة:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث قبول خبر الواحد ولو كان امرأة إذا كان ممن يتصف بالصدق ، وخبره موثوق، وأولى الناس بهذه الصفة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لذا فقد قبل قول عائشة رضي الله عنها فيما أخبرت به في هذا الحديث من دعاء النبي ﷺ أثناء قبضه وهو قوله: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْلِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ)). قال البيهقي - رحمه الله -: (وإذا لزم اتباع رسول الله فيما سن، وكان لزومه فرضا باقيا، ولا سبيل إلى اتباع سنته إلا بعد معرفتها، ولاسبيل

---

١) انظر الداء والدواء/ابن قيم الجوزية ص١٤ .

٢) انظر جامع العلوم والحكم / ابن رجب ص٣٧٠.

٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٨٢/٢.

لنا إلى معرفتها إلا بقبول خبر الصادق عنه لزم قبوله ليمكننا متابعته، ولذلك أمر بتعليمها والدعاء إليها). [١]

١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد /للإمام أبي بكر البيهقي ص١٥٤ ـ تصحيح كمال يوسف الحوت ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت.

٤٩ -(٤٤٤٧)- حدثني إسْحاقُ أَخْبَرَنا بِشْرُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الزُّهْرِيِّ قالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الله بْنُ كَعْبِ بْنِ مالِكٍ الأَنْصارِيُّ، وَكانَ كَعْبُ بْنُ مالِكٍ أَحَدَ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ [١] أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقالَ النَّاسُ: يا أَبا الْحَسَنِ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ؟ فَقالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ الله بارِئاً، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقالَ لَهُ: أَنْتَ وَالله بَعْدَ ثَلاثٍ، عَبْدُ الْعَصا وَإِنِّي وَالله لأَرى رَسُولَ الله ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هذا، إِنِّي لأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ، إِذْهَبْ بِنا إِلى رَسُولِ الله ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هذا الأَمْرُ إِنْ كانَ فِينا عَلِمْنا ذَلِكَ ، وَإِنْ كانَ فِي غَيْرِنا عَلِمْناهُ، فَأَوْصى بِنا . فَقالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَالله لَئِنْ سَأَلْناها رَسُولَ الله ﷺ فَمَنَعَناها لا يُعْطِينَاها النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَالله لاأَسْأَلُها رَسُولَ الله ﷺ . [٢]

شرح غريب الحديث :

<< **بارِئاً** >> : أي معافى .يقال: برأت من المرض أبرأ برءا بالفتح، فأنا بارىء. وفي الحديث: بارئا اسم فاعل بمعنى أفاق من المرض.[٣]

<< **بَعْدَ ثَلاثٍ، عَبْدُالْعَصا** >> : هو كناية عمن يصير تابعاً لغيره والمعنى أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأموراً عليك .[٤]

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب الاستئذان / باب المعانقة وقول الرجل كيف أصبحت ؟ ١٧٦/٧ رقم (٦٢٦٦) .

٣) لسان العرب /ابن منظور ٣١/١ مادة برأ،وفتح الباري/ابن حجر ١٠٩/٨،وعمدة القاري/العيني ٦٩/١٨، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٦٤/٣.

٤) فتح الباري/ابن حجر ١٠٩/٨،وعمدة القاري/العيني ٦٩/١٨.

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأبناء .

الثاني - بيان سند الحديث من الصحابة ﷺ لتأكيد صحته.

الثالث - حب الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ وسؤالهم عنه .

الرابع - مشروعية التقليل من زيارة من حضره الموت والاقتصار على أهله .

الخامس - من صفات الداعية : التفاؤل .

السادس - من أساليب الدعوة: القسم .

السابع - من صفات الداعية: الفطنة والفراسة .

الثامن - التعلق بالرئاسة والزعامة أمر فطري .

التاسع - مشروعية الوصية .

العاشر - فقه علي ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تعليم الأبناء :

في هذا الحديث ظهر لنا اهتمام السلف الصالح بتعليم العلم وأخبار الرسول ﷺ مع صحابته وما فيها من دروس وعبر ومعالم يستنير بها المسلم في حياته، فهذا شعيب بن أبي حمزة – رحمه الله - يعلم ابنه هذا الحديث وما فيه من مظاهر شدة حب الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ وما ورد من أحكام الإمارة والوصية وغيرها. [١]

الثاني - بيان سند الحديث من الصحابة ﷺ لتأكيد صحته:

هذا الحديث في إسناده يروي تابعي عن تابعي وهما الزهري وعبد الله بن كعب، وصحابي عن صحابي وهما كعب بن مالك وابن عباس ﷺ [٢]. وذكرت منقبة الراوي كعب بن

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (٣) ص٥٧ ، والفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص ٢١٠.

٢) عمدة القاري /العيني ٦٩/١٨ ، وانظر: فتح الباري /ابن حجر ١٠٩/٨ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٤٦٨/٦.

مالكﷺ لتأكيد الثقة في روايته حيث قال : (وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ).[١]

الثالث ـ حب الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ وسؤالهم عنه:

محبة رسول الله ﷺ من علامات الإيمان فلايكون الإنسان كامل الإيمان إلا إذا فاقت محبته لرسول الله ﷺ محبة النفس والوالد والولد ، ولاشك أن حظ الصحابة ﷺ من هذا المعنى أتم لأن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره ومنزلته أعلم .[٢] قال أبو سفيان : مارأيت من الناس أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا [٣]. وحديث الدراسة من دلائل هذه المحبة فقد كثر سؤالهم عن حاله في وجعه ، فكانوا يسألون كل من خرج من عنده كما في هذا الحديث (فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ) للاطمئنان عليه.

الرابع ـ مشروعية التقليل من زيارة من حضره الموت والاقتصار على أهله :

الإنسان إذا كان يحتضر فإنه يكون مشغولاً بنفسه عن استقبال الزائرين بل ويتعبه كثرة الدخول عليه ، أما أهله فلابد من وجودهم لتلبية احتياجاته الخاصة ، أو قد يحتاج إلى أن يعهد بشيء إلى بعض خاصته أو الوصية لأحد . ولذلك كان علي ﷺ يدخل على النبي ﷺ وهو يحتضر لأنه من أهله وكان الناس بالخارج يسألونه عنه كلما خرج من عنده .

الخامس ـ من صفات الداعية: التفاؤل :

إن مما يستفاد من هذا الحديث تفاؤل المسلم بالإخبار عن الأمر بأحسن ما يخبر به رجاءً للخير، فقد أخبر علي ﷺ عن رسول الله ﷺ بقوله: (أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً) رغم أن مرضه كان شديداً، وقد عرف العباس ﷺ منه وفاته فيه. قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ : (فيه من الفقه جواز الإخبار عن حال المريض بأحسن ما يخبر به رجاءً للبرء، فإنه قال: (أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً)، وبارئاً اسم فاعل، واسم الفاعل فعله لما يستقبل من الزمان، فهو يعني: إن شاء الله بارئاً).[٤]

لذا ينبغي للمسلم الاقتداء بعلي ﷺ في تفاؤله وحسن ظنه بربه لأن هذا خير له سواءً

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (٢٥) ص١٦٦.

٢) انظر عمدة القاري / العيني ١/١٤٤.

٣) البداية والنهاية / ابن كثير ٤/٧٥.

٤) الإفصاح ١/٢٦٤.

حصل له الخير أو كتب له أجر تفاؤله ورغبته فيما عند ربه.

السادس ـ من أساليب الدعوة: القسم:

القسم من أساليب الدعوة في نفي الشيء وإثباته ، ويجوز للداعية القسم ليؤكد للمدعوين صحة مايقوله ، ولايجوز له ذلك إلا إذا كان على ثقة ويقين من أن ما أقسم عليه هو الحقيقة .

وفي هذا الحديث تكرر القسم من العباس وعلي رضي الله عنهما ولم يكن إلا لفقههما في الأمر ، وتحققهما مما يقولان بالعلم أو بغلبة الظن ؛ فالعباس رضي الله عنه لحذقه في أمور الفراسة غلب على ظنه أن الرسول ﷺ سيتوفى في مرضه ذاك فأقسم على ذلك بقوله (**أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلاثٍ، عَبْدُ الْعَصا وَإِنِّي وَاللهِ لأَرى رَسُولَ اللهِ ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هذا**). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفيه جواز اليمين على غلبة الظن).[١] كما أقسم علي رضي الله عنه ألا يسأل الإمارة (**إِنّا وَاللهِ لَئِنْ سَأَلْناها رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَنَعَناها لا يُعْطِيناها النّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللهِ لاأَسْأَلُها رَسُولَ اللهِ ﷺ**) لعلمه أن رسول الله ﷺ لا يعطيها من سأها .

السابع ـ من صفات الداعية: الفطنة والفراسة:

هاتان الصفتان من الصفات التي يحسن للداعية أن يتصف بها ، فالمؤمن كيس فطن ، وهو بها يستطيع أن يعرف أحوال الناس وقدرهم والأساليب التي تناسب كلاً منهم .[٢]

وفي هذا الحديث ظهرت لنا صورة من فراسة العرب تمثلت في العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ الذي استطاع بما أوتي من علم الفراسة أن يعرف قرب وفاة النبي ﷺ فطلب من علي أن يسأله الإمارة حتى لاتكون في غيرهم فيكونوا عبيداً لهؤلاء وهم سادة القوم في الجاهلية والإسلام .قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه أيضا مايدل على حسن فطنة العباس رضي الله عنه بما ذكر من العلاقة التي رآها لبني عبد المطلب عند الموت لصدق نسب رسول الله ﷺ).[٣] وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: ("**أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلاثٍ، عَبْدُ الْعَصا**" المعنى أنه يموت بعد

---

١) فتح الباري ٥١/١١.

٢) انظر فقه إنكار المنكر/بدرية البشر رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ.

٣) الإفصاح ٢٦٤/١ .

ثلاث وتصير أنت مأموراً عليك وهذا من قوة فراسة العباس ﷺ).[١]

الثامن ـ التعلق بالرئاسة والزعامة أمر فطري:

فطر الله الإنسان على حب التملك والقيادة وعدم الخضوع لأحد، وولاية المؤمنين شرف لمن يتولاها، وبنو عبد المطلب أهل سيادة وقيادة في الجاهلية ولم يزدهم الإسلام إلا قوة وتأهلا للزعامة وإنهم لكذلك ولكن النبي ﷺ لم يشأ أن يجعل الخلافة في أحد من أهله، والعباس ﷺ إنما رغب في الولاية خشية أن يستعبدهم السلطان بقوته فينال منه ذلة وهذا ما عبر به لعلي ﷺ: (أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ، عَبْدُ الْعَصا). وقد ورد عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة)).[٢] فقوله ﷺ: ((إنكم)) بأسلوب التأكيد دليل على أن حب الرئاسة فطرة بشرية.

التاسع ـ مشروعية الوصية:

الوصية مشروعة لكل مسلم ويدل على مشروعيتها قول النبي ﷺ: ((ما حق امريء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)).[٣]

وفي الحديث دليل على مشروعية الوصية حيث طلب العباس ﷺ من علي ﷺ أن يسأل النبي ﷺ الوصية بهم فقال: (وَإِنْ كانَ فِي غَيْرِنا عَلِمْناهُ، فَأَوْصى بِنا). قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (لما ترك رسول الله ﷺ الأمر من غير وصية، وانعقد إجماع المسلمين على خلافة أبي بكر عُرف من ذلك الحكمة في إمساك رسول الله ﷺ عن الوصية، فلما استخلف أبو بكر عمر فهم من فعل أبي بكر جواز الوصية والاستخلاف).[٤]

---

١) فتح الباري ١٠٩/٨ ،وعمدة القاري /العيني ٦٩/١٨.

٢) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأحكام /باب مايكره من الحرص على الإمارة ١٣٦/٨ رقم (٧١٤٨).

٣) صحيح الإمام البخاري :كتاب الوصايا /باب الوصايا وقول النبي ﷺ ((وصية الرجل مكتوبة عنده)) ٢٤٥/٣ رقم (٢٧٣٨).

٤) الإفصاح ١/ ٢٦٥.

العاشر ـ فقه علي ﷺ :

كان رسول الله ﷺ يمتنع عن تولية الإمارة لمن يسألها لأن من سألها مع علمه بكثرة آفاتها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا أوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك.[١]

ولهذا لما طلب العباس ﷺ من علي ﷺ أن يسأل النبي ﷺ أن يوصي بالخلافة لهم رفض علي ذلك لعلمه أنه سيمتنع وإذا امتنع لن يحصلوا عليها أبدا وحينها سيكونون تحت سلطان غيرهم وهذا من فقهه. قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (وقول علي ﷺ " لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَنَعَنَاهَا " دليل على فقهه، فإنه كان يرى من فقهه أن لايسأل العمل فإن من سأله وكل إليه، ومن لم يسأله أعين عليه، ألا ترى إلى قوله:"وَإِنِّي وَاللهِ لا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ " فإنه لما رأى إمساك رسول الله ﷺ عن مثل هذا الأمر المهم علم أنه لم يكن إمساكه إلا بأمر محتوم، وأنه لو فَجَأَهُ أحدٌ بالسؤال عن ذلك لرده عنه، فكان يستمر على علي ﷺ وآله من رد رسول الله ﷺ وصمة لا تزول).[٢]

١) انظر المفهم /القرطبي ٤/١٦.

٢) الإفصاح ١/ ٢٦٦.

٥٠-(٤٤٥٦)- حدثني عَبْدُ الله بْنُ أَبِـي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنـا يَحْـيَ بْـنُ سَـعِيدٍ ، عَـنْ سُفْيانَ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عائِشَةَ، عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ اللـه بْـنِ عُتْبَـةَ ، عَـنْ عائِشَةَ [١] وَابْنِ عَبَّاسٍ[٢] ﷺ أَنَّ أَبابَكْرٍ ﷺ قَبَّلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ . [٣]

الدراسة الدعوية للحديث

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - ذكر تعدد الرواة لتأكيد الخبر.

الثاني - محبة أبي بكر ﷺ للرسول ﷺ وتقبيله بعد موته.

الثالث - من موضوعات الدعوة: مشروعية كشف وجه الميت وتوديعه.

الرابع - ثبات عائشة ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - ذكر تعدد الرواة لتأكيد الخبر:

إن ذكر تعدد الرواة للخبر من أساليب تأكيده والأخذ بما ورد في هذا الخبر عنهم ، وإذا كان الرواة من الصحابة ومن المقربين إلى رسول الله ﷺ كما في هذا الحديث (**عَنْ عائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ** ﷺ)حيث روته زوجته وابن عمه ﷺ فإن في هذا زيادة تأكيد وثقة لدى المدعو بصحة ماذكر لحرصهما على نقل العلم على وجهه الصحيح.لذا ينبغي على الداعية أن يحرص على هذا الأسلوب في دعوته وحديثه للناس فإذا استشهد بحديث يبذل جهده في أن يكون من الصحيحين أو يذكر الحكم على الحديث إذا كان في غيرهما ، وكذلك إذا أورد حكماً قياسياً ليس له نص في الكتاب والسنة أن يذكر من قاله من العلماء المشهورين ليعطي لحديثه قوة ويزرع في نفوس المدعوين الثقة فيما يقول.

---

١) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٢) سبقت ترجمته في الحديث (٣) ص٥٤.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الطب/باب اللدود ٢٢/٧ رقم (٥٧٠٩).

الثاني - محبة أبي بكر ﷺ للرسول ﷺ وتقبيله بعد موته:

أبو بكر الصديق ﷺ هو صاحب الرسول ﷺ وأول من آمن به من الرجال في وقت سفهه الناس فيه وآذوه، وله مكانة عظيمة عند رسول الله ﷺ وللنبي ﷺ في نفس أبي بكر ﷺ الحب العظيم الذي لا يضاهيه حب ما خلا حب الخالق ﷻ. وقد ورد أنه بكى كثيراً لمجرد إخبار النبي ﷺ لهم أنه سيموت. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ : أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: ((إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده))، فبكى أبوبكر ﷺ وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا ...).[١] قال الإمام النووي - رحمه الله - : (فبكى أبوبكر، وبكى معناه بكى كثيراً ثم بكى وكان أبو بكر علم أن النبي ﷺ هو العبد المخير فبكى حزناً على فراقه وانقطاع الوحي وغيره).[٢]

وفي هذا الحديث لما دخل على النبي ﷺ ورآه مسجى ومغطى بثوبه لم يملك نفسه فكشف عن وجهه وقبله.ولنا في أبي بكر ﷺ نعم القدوة في محبته للنبي ﷺ وإخلاصه له ولاتكون هذه المحبة إلا باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

الثالث - من موضوعات الدعوة: مشروعية كشف وجه الميت وتوديعه:

حيث دخل أبوبكر ﷺ حجرة ابنته عائشة ﷺ ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه ، وقد فاضت روحه الطاهرة والتحق بالرفيق الأعلى فكشف عن وجهه [٣] وقبله مودعاً له الوداع الأخير.قال العلامة العيني - رحمه الله - : (وفيه جواز تقبيل الميت لفعل أبي بكر ﷺ وكان أبوبكر في تقبيله النبي ﷺ لم يفعله إلا قدوة به عليه السلام لما روى الترمذي مصححاً : أن رسول الله ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت فأكب عليه وقبله ثم بكى حتى رأيت الدموع تسيل على وجنتيه، وفي التمهيد لما توفي عثمان كشف النبي ﷺ الثوب عن وجهه وبكى بكاءً طويلاً وقبّل بين عينيه فلما رفع السرير قال : ((طوبى لك ياعثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها))).[٤]

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب مناقب الأنصار/ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٣٠٦/٤ رقم (٣٩٠٤).

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٦٠/١٥.

٣) انظر الحديث رقم (١٢٤١) من صحيح الإمام البخاري.

٤) عمدة القاري ١٤/٨ ،وانظر :الإفصاح / ابن هبيرة ٩٣/١ ،ومنار القاري/حمزة قاسم ٢٦/٥.

الرابع ـ ثبات عائشة ﵂ بعد وفاة النبي ﷺ :

عائشة ﵂ نشأت في بيت النبوة وتلقت التعليم مباشرة من النبي ﷺ وكانت لاتدع أمراً لاتفهمه إلا سألت عنه النبي ﷺ وعلمته للمسلمين. وفي هذا الحديث لم تنشغل بموت النبي ﷺ وهو أمر عظيم هز الأمة الإسلامية جمعاء فكيف بها وهي زوجته وحبيبته . لم تنشغل عن نقل الأحداث التي جرت للناس ولأبيها ولم يكن هذا منها إلا لقوة إيمانها وعظيم صبرها كيف لا وقد تشربت تعاليم الإسلام من صاحب الرسالة ﷺ .

لذا ينبغي على المسلمين الاقتداءَ بأم المؤمنين ﵂ في الصبر والثبات عند المصائب وأي مصيبة أعظم من مصيبتها.

٥١-(٤٤٥٨)- حدثنا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا يَحْيَى ، وَزَادَ قَالَتْ عائِشَةُ [١]: لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ ((لا تَلُدُّونِي)) فَقُلْنَا كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : ((أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي)) قُلْنَا كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ فَقَالَ: ((لايَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلاَّ الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ)). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . [٢]

شرح غريب الحديث :

<< لَدَدْنَاهُ >> : اللدود مايصب بالمسعط من السقي والدواء في أحد شقي الفم فيمر على اللديد. ولديدا الفم جانباه. ولددت الرجل ألده لداً إذا سقيته من جانب فمه دواء بغير اختياره. وأما مايصب في الحلق فهو الوجور .[٣]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - مشروعية العلاج من المرض .

الثاني - وجوب الامتثال لأمر النبي ﷺ .

الثالث - استخدام وسيلة الإشارة باليد في الاحتساب.

الرابع- استخدام أسلوب الاستفهام الإنكاري .

الخامس - استعمال الشدة مع من خالف أمر الرسول ﷺ .

السادس - مشروعية القصاص من المعتدي .

---

١) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٢) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الطب /باب اللدود ٢٣/٧ رقم (٥٧١٢).

وكتاب الديات / باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ ٥١/٨ رقم (٦٨٨٦)، وباب إذا أصاب قوم من رجل ٥٣/٨ رقم(٦٨٩٧).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب السلام /باب كراهة التداوي باللدود ٤٥٠/١٤ رقم (٢٢١٣).

٣) لسان العرب /ابن منظور ٣٩٠/٣ مادة لدد، وفتح الباري/ابن حجر ١١٢/٨.

السابع ـ شمول العقاب لتارك الإنكار على فاعل المنكر.

الثامن ـ تعليم الأقارب العلم.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ مشروعية العلاج من المرض:

التداوي والعلاج من المرض أمر مشروع في الشريعة الإسلامية وقد كان النبي ﷺ يطلب الدواء ويداوي غيره ويأمر به على اختلاف أنواعه مجتنباً في ذلك ماحرمه الله كالتداوي بالخمر ونحوه. قال رسول الله ﷺ: ((**ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**)).[١] **قال العلامة العيني** ـ رحمه الله ـ: (وفيه إباحة التداوي وجواز الطب).[٢] أما رفض النبي ﷺ للدواء الوارد في الحديث ((لاتَلُدُّونِي)) فقد ذكر العلماء له عدة أسباب: **قال الحافظ بن حجر والإمام الشرقاوي** ـ رحمهما الله ـ: (إنما أنكر التداوي لأنه كان غير ملائم لدائه لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها ولم يكن به ذلك).[٣] **وقال العلامتان العيني والقسطلاني** ـ رحمهما الله ـ: (يعني لم ينهنا نهي تحريم بل نهي تنزيه لأنه كرهه كراهية المريض للدواء).[٤] والحاصل من هذه الأقوال أن التداوي جائز في الشرع الإسلامي ولهذا ينبغي للداعية الحديث عنه وبيان حكم الشرع فيه وشروطه خاصة مع وجود مذهب يخالف ذلك وهم الصوفية. **قال العلامة العيني** ـ رحمه الله ـ: (وهو رد على الصوفية أن الولاية لاتتم إلا إذا رضي بجميع مانزل به من البلاء ولايجوز له مداواته وهو خلاف ما أباحه الشارع).[٥] مما يؤكد أهمية طرق الموضوع وتعريف الناس به.

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب الطب / باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ١٥/٧ رقم (٥٦٧٨).

٢) عمدة القاري ٢٣٠/٢١ وانظر: الإفصاح /ابن هبيرة ٢٣٩/١ ، والمفهم /القرطبي ٥٨٤/٥، وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٤١/١٤.

٣) فتح الباري ١١٢/٨ وفتح المبدي ١٦٥/٣.

٤) عمدة القاري ٤٨/٢٤ وإرشاد الساري ٥٥/١٠.

٥) عمدة القاري ٢٣٠/٢١، وانظر شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٤١/١٤.

الثاني - وجوب الامتثال لأمر النبي ﷺ :

النبي محمد ﷺ نبي رحمة لأمته قد جاء بالأحكام من عند ربه بما يتناسب مع طبيعة الإنسان وقدراته ثم جاء الأمر من الله تعالى بطاعته في كل ما أمر به واجتناب مانهى عنه .قال تعالى :﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.(١) وفي هذا الحديث نهى ﷺ أهله عن مداواته من مرضه بالإشارة إلى ذلك لعدم استطاعته الكلام فلما لم يمتثلوا لأمره للتأويل الذي تأولوه اقتص منهم جميعاً ، ولم يكن هذا القصاص انتقاماً لنفسه فلم يعهد عنه ﷺ ذلك بل لتعليمهم وجوب الامتثال لأمره في جميع الأحوال. قال الإمام الكرماني - رحمه الله - : (وإنما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عن ذلك).(٢)

الثالث - استخدام وسيلة الإشارة باليد في الاحتساب:

ففي هذا الحديث استخدم النبي ﷺ وسيلة الإشارة في المنع لعدم استطاعته الكلام قالت عائشة ؓ : (**فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا**)، وإشارته كانت كافية في الإنكار ووجوب الامتناع عن الفعل.قال الإمام النووي - رحمه الله -: (ففيه الإشارة المفهمة لصريح العبارة في نحو هذه المسألة).(٣)

ومن هذا الحديث يستفيد الداعية تعدد وسائل الاحتساب ، وتنوع استخداماتها تبعاً لتنوع الأحوال ، حرصاً على إزالة المنكر ، فلم يترك النبي ﷺ النهي حتى في شدة المرض فاستخدم منها أقصى مايستطيعه وهو الإشارة .

الرابع - استخدام أسلوب الاستفهام الإنكاري :

الاستفهام الإنكاري من أساليب الاحتساب على فاعلي المنكر أو تاركي المعروف. وفي هذا الحديث استعمل الرسول ﷺ أسلوب الاستفهام الإنكاري على من قاموا بلدِّه في حين نهاهم عن ذلك بقوله: ((**أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي ؟**)) لتأكيد مخالفتهم لأمره ومايترتب على ذلك من الوقوع في إثم عظيم. (٤)

---

١) سورة الحشر جزء من الآية رقم (٧).

٢) الكواكب الدراري ٢٤٧/١٦ ، وفتح الباري/ ابن حجر ١١٢/٨ ، وعمدة القاري/العيني ٧٣/١٨ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٤٧١/٦ ، و فتح المبدي/الشرقاوي ١٦٥/٣ ، وانظر: شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٥٠/١٤ والمفهم / القرطبي ٦٠١/٥- ٦٠٢.

٣) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٥٠/١٤، وانظر: المفهم /القرطبي ٤٢٩/٤ ، وعمدة القاري/العيني ١٥/٥.

٤) انظر الفائدة (٥) من الحديث (١٦) ص ١١٦.

الخامس - استعمال الشدة مع من خالف أمر الرسول ﷺ :

هناك أحوال يعدل فيها المحتسب عن الرفق إلى الشدة ومنها مخالفة أمر رسول الله ﷺ، فالرسول ﷺ كان رفيقاً بأهله وأصحابه لكنه لما أمرهم بألا يلدّوه ولم يمتثلوا لأمره شدد معهم في العقاب حتى أمر أن يلدوا جميعاً من فعل ومن حضر ، فقال: ((لايَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلاّ لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ)). قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (قوله ((لاتَلُدُّونِي)) نهي ظاهر في المنع، فكان ينبغي لهم أن ينتهوا عن ذلك ، غير أنهم تأولوا : أن ذلك من باب ماعلم من أحوال المرضى ؛ من كراهتهم الدواء، فخالفوه فعاقبهم ؛ بأن اقتص منهم). [١]

السادس - مشروعية القصاص من المعتدي :

فقد شرع الله تعالى القصاص من المعتدي في كل شيء يتأتى فيه القصاص [٢] حفظاً للحقوق والدماء والأعراض، ولايتعدى المقتص في قصاصه بل له القصاص بقدر مافعل به وما ينزجر به المعتدي. قال تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ .[٣]
وفي هذا الحديث دليل على هذه المشروعية ثبت بأمر النبي ﷺ في القصاص من الفاعلين والشاهدين عقاباً لهم على فعلهم فكان القصاص منه بنفس الفعل فالجزاء من جنس العمل مالم يكن العمل محرماً. قال الإمام النووي - رحمه الله - : (وفيه تعزير المتعدي بنحو من فعله الذي تعدى به إلا أن يكون فعلاً محرماً).[٤]

السابع - شمول العقاب لتارك الإنكار على فاعل المنكر:

أمر الله ﷻ جميع المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل بحسب قدرته وعلمه ، وقضى أن من حضر المعصية ولم ينكرها أنه مشارك للفاعل في إثم هذه المعصية لأن عدم إنكاره دليل على رضاه بها فشمله العقاب عليها . قال تعالى :﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾.[٥] قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (أي الرضا بالمعصية معصية، ولهذا يؤاخذ

---

١) المفهم ٥/٦٠١،٦٠٢.

٢) انظر: المفهم / القرطبي ٥/٦٠٢ ، وفتح الباري/ابن حجر ٨/١١٢ ، وإرشاد الساري /القسطلاني ١٠/٥٥.

٣) سورة البقرة جزء من الآية (١٩٤).

٤) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ١٤/٤٥٠.

٥) سورة النساء جزء من الآية رقم (١٤٠).

الفاعل والراضي بعقوبة العاصي).[١] وفي هذا الحديث بيَّن لنا تصرف رسول الله ﷺ وحكمه بالقصاص على الجميع شمولية العقاب لفاعل المنكر وتارك الإنكار عليه ممن حضره واستثنى من لم يشهد تأكيداً على مشاركة الشاهد في الإثم: ((لايَبْقَى أحَدٌ فِي الْبَيْتِ إلاّ لُدَّ وَأنَا أنْظُرُ إلاَّ الْعَبَّاسَ فَإنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ)). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (أما من باشر فظاهر وأما من لم يباشر فلكونهم تركوا نهيهم عما نهاهم هو عنه).[٢]

وهذا موضوع مهم للداعية خاصة في وقتنا الحاضر حيث كثرت المنكرات وقل من ينكرها فينبغي أن ينبه المدعوين إلى خطورة هذا الأمر، وأن رِضى المسلم بأن يعصى الله أمامه ولا ينهى عن ذلك يعد منكراً عظيماً .

الثامن ـ تعليم الأقارب العلم:

في هذا الحديث نرى اهتمام عائشة ﵂ بتعليم ابن أختها عروة بن الزبير ﵁ ماحدث بينها وبعض الصحابة مع الرسول ﷺ ومافيها من أمر هام وهو وجوب امتثال أمر الرسول ﷺ في كل الأحوال [٣]، كما اهتم عروة ﵁ بتعليم ابنه هشام هذا الحديث لمعرفته بأهمية نشر العلم وتعليم الأبناء أمور دينهم ، وقد كان يجمع أبناءه ويحدثهم ، قال هشام: وكان أبي يدعوني وعبد الله بن عروة وعثمان وإسماعيل وإخوتي وآخر قد سماه هشام ، فيقول لاتغشوني مع الناس وإذا خلوت فسلوني ، فكان يحدثنا يأخذ في الطلاق ثم الخلع ثم الحج ثم الهدى ثم كذا ثم يقول: كروا عليَّ فكان يعجب من حفظي [٤] ، وقد كان عروة ﵁ حريصاً على العلم وتعليمه وكان يتمنى أن يؤخذ منه [٥] ، فلا غرابة أن يكون أهل بيته من أوائل المتلقين لهذا العلم ، فكان منهم ابنه هشام الذي سمع من والده ونقل عنه .

---

١) الجامع لأحكام القرآن ٤١٨/٦.

٢) فتح الباري ١١٢/٨ ، وعمدة القاري/ العيني ٧٣/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ٤٧١/٦، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٦٥/٣.

٣) انظر: الفائدة (١) من الحديث (٤٥) ص ٢٦٧.

٤) جامع بيان العلم وفضله /ابن عبد البر ١٤١/١،وكروا عليَّ : الكرُّ هو الرجوع على الشيء ومنه التكرار .تاج العروس/الزبيدي ٣٣/١٤

٥) عن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنوا الزبير ،وعبد الله بن عمر. فقالوا : تمنوا .فقال عبد الله بن الزبير:أما أنا فأتمنى الخلافة ؛ وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم ... قال فنالوا كلهم ماتمنوا .حلية الأولياء/أبو نعيم ٣٠٩/١ ، وسير أعلام النبلاء/الذهبي ٤٣١/٤ .

٥٢-(٤٤٦٢)- حدثنا سُلَيْمانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنا حَمَّادٌ، عَنْ ثابِتٍ عَنْ أَنَسٍ ﷺ [١] قالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ فَقالَتْ فاطِمَةُ (عليها السلام) وَاكَرْبَ أَباهُ فَقالَ لَها: ((لَيْسَ عَلى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ)). فَلَمَّا ماتَ قالَتْ: يا أَبَتاهُ أَجابَ رَبًّا دَعاهُ يا أَبَتاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْواهْ يا أَبَتاهْ إِلى جِبْرِيلَ نَنْعاهْ فَلَمَّا دُفِنَ قالَتْ فاطِمَةُ (عليها السلام): ياأَنَسُ أَطابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرابَ . [٢]

شرح غريب الحديث :

<< لَمَّا ثَقُلَ >> : أي لما اشتد به المرض . والمراد بالثقل الكرب .[٣]

<< يَتَغَشَّاهُ >> : أي من شدة مايصيبه ؛ جعل يُغْشَى عليه من الكرب .[٤]

<< وَاكَرْبَ أَباهُ >> : الكرب الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس ، وجمعه كروب . وكربه الأمر والغم يكربه كربا: اشتد عليه ، فهو مكروب وكريب . وقال العيني: ولايقال أنه نوع من النياحة لأن هذا ندبة مباحة ليس فيها مايشبه نوح الجاهلية. [٥]

<< نَنْعاه >> : مضارع نعى ،نعى الميت ينعاه نعيا ونعيّا بتشديد الياء إذا أذاع موته وأخبر به وإذا ندبه .[٦]

<< تَحْثُوا >> : حثا عليه التراب حثواً هاله وحثى التراب على وجهه حيثا : رماه.[٧]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: بشرية النبي ﷺ .

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم(٢) ص٥٠.

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) عمدة القاري/العيني ٧٤/١٨.

٤) شرح رياض الصالحين /ابن عثيمين ١٤٦/١.

٥) لسان العرب /ابن منظور ٧١١/١ مادة كرب، عمدة القاري/العيني ٧٥/١٨.

٦) عمدة القاري/العيني ٧٥/١٨.

٧) لسان العرب /ابن منظور ١٦٤/١٤ مادة حثا.

الثاني - جواز التوجع اليسير الذي ليس فيه تسخط.

الثالث - شدة محبة الصحابة ﷺ للرسول ﷺ .

الرابع - تمسك الصحابة ﷺ بما أمرهم به نبيهم ﷺ حتى بعد وفاته.

الخامس - اطلاعه على زمن وفاته ﷺ بتعليم الله له.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: بشرية النبي ﷺ :

في هذا الحديث دليل على بشرية النبي محمد ﷺ حيث تغشاه الموت واشتد به المرض حتى قالت ابنته ﷺ (**وَاكَرْبَ أَبَاهُ**) من شدة ماتراه مما أصابه . **قال الإمام الكرماني - رحمه الله** -: (المراد بالكرب ماكان يجده من كرب الموت وكان ﷺ بشراً يناله الوصب فيجد له من الألم مثل مايجد الناس أو أكثر وإن كان صبره عليه واحتماله أحسن كما أن أجره أكثر).[1] وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : (في هذا الحديث بيان أن رسول الله ﷺ كغيره من البشر يمرض ويجوع ويعطش ويبرد ويحتر . وجميع الأمور البشرية تعتري النبي ﷺ ... وفيه رد على هؤلاء القوم الذين يشركون بالرسول ﷺ .يدعون الرسول ويستغيثون به وهو في قبره ، بل إن بعضهم والعياذ بالله لايسأل الله ويسأل الرسول .كأن الذي يجيب هو الرسول ولقد ضلوا في دينهم وسفهوا في عقولهم. فإن الرسول ﷺ لايملك لنفسه ضراً ولانفعاً فكيف يملك لغيره).[2]

الثاني - جواز التوجع اليسير الذي ليس فيه تسخط:

نهى النبي ﷺ عن النياحة على الميت ، وكان يشترط على النساء في مبايعتهن على الإسلام أن لا ينحن وكان يخص النساء بذلك لجزعهن وقلة صبرهن وقلة احتمالهن.

ولا يشمل هذا النهي الحزن بالقلب أودمع العين لأن هذه إنما هي رحمة وضعها الله في قلوب عباده كما قال رسول الله ﷺ. وقد بكى رسول الله ﷺ على سعد بن عبادة ﷺ لما تغشاه المرض، وبيّن مايعذب الله به من هذا الأمر ألا وهو النوح باللسان والتسخط من قضاء الله

---

١) الكواكب الدراري ٢٤٩/١٦ ، وانظر: فتح الباري / ابن حجر ١١٣/٨ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ٤٧٢/٦ ،وفتح المبدي / الشرقاوي ١٦٦/٣.

٢) شرح رياض الصالحين ١٤٩/١.

وقدره.

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : (اشتكى سعد بن عبادة ﷺ شكوى له ، فأتاه النبيﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ﷺ ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: ((قد قضى؟)) قالوا لا يارسول الله، فبكى النبيﷺ. فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا. فقال : ((ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم. وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)). وكان عمر يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحثي بالتراب).[1]

ولهذا لما ندبته ابنته بقولها :(وَاكَرْبَ أباهُ) لم ينهها ﷺ عن ذلك لأنه توجع يسير وليس مما يشبه نوح الجاهلية. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (ويستفاد من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة عليها السلام واكرب أباه وأنه ليس من النياحة لأنه ﷺ أقرها على ذلك).[2]

الثالث - شدة محبة الصحابة ﷺ للرسول ﷺ :

مما يستفاد من هذا الحديث شدة محبة الصحابة ﷺ للرسول ﷺ ولذلك قالت لهم فاطمةﷺ لما دفنوه (أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وأشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ماعرفته منهم من رقة قلوبهم عليه ﷺ لشدة محبتهم له).[3]

الرابع - تمسك الصحابة ﷺ بما أمرهم به نبيهم ﷺ حتى بعد وفاته:

مما يستفاد من هذا الحديث حرص الصحابة ﷺ على التمسك بما أمرهم به رسول اللهﷺ وامتثالهم لأمره حتى بعد وفاته، فلم يكن لديهم أعز منه ولم تطب أنفسهم أن يدفنوه ويحثو على وجهه التراب ولكنها سنة الله في خلقه وواجب المسلمين تجاه ميتهم حتى ولو كان ذلك الميت هو رسول الله ﷺ ، ولهذا لما عاتبت فاطمة ﷺ أنساً ﷺ لدفنهم رسول الله ﷺ قال: إنه امتثالاً

---

١) صحيح الإمام البخاري :كتاب الجنائز /باب البكاء عند المريض ١٠٥/٢ رقم (١٣٠٤).

٢) فتح الباري ١١٤/٨، وانظر: عمدة القاري/ العيني ٧٤/١٨، وإرشاد الساري/ القسطلاني ٤٧٢/٦، وفتح المبدي/ الشرقاوي ١٦٦/٣، وشرح رياض الصالحين /ابن عثيمين ١٥٠/١.

٣) المصدر السابق نفس الصفحة وانظر عمدة القاري / العيني ٧٥/١٨.

لأمره. ولم يكن عتابها اعتراض ولكنه من باب مواساتها لنفسها لفقده. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرنا على فعله امتثالاً لأمره).(١)

الخامس ـ اطلاعه على زمن وفاته ﷺ بتعليم الله له:

في هذا الحديث ظهرت إحدى معجزاته ﷺ وهي اطلاعه على بعض الغيب مما علمه الله تعالى حيث علم أنه سيتوفى في مرضه ذاك حيث قال ﷺ لابنته : ((لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ)). قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (أنه قال ذلك بعد أن علم أنه ميت في يومه ذلك ورأى الملائكة المبشرين له عن ربه بالسرور الكامل ولهذا قال لفاطمة ﵂ لاكرب على أبيك بعد اليوم وكانت نفسه مفرغة في اللحاق بكرامة الله له وسعادة الأبد).(٢)

---

١) فتح الباري ١١٤/٨ ، وانظر عمدة القاري /العيني ٧٥/١٨.

٢) عمدة القاري ٢٢٧/٢١.

٨٦ - بابُ وَفاةِ النَّبِيِّ ﷺ

٥٣-(٤٤٦٤)- حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عائِشَةَ [١] وَابْنِ عَبَّاسٍ [٢] ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْراً.[٣]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من أساليب الدعوة: ذكر تعدد الرواة لتأكيد الخبر.

الثاني - من موضوعات الدعوة: تعدد مواطن نزول القرآن.

الثالث - من موضوعات الدعوة: انقطاع الوحي.

الرابع - من موضوعات الدعوة: نزول القرآن منجماً.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من أساليب الدعوة: ذكر تعدد الرواة لتأكيد الخبر:

إن تعدد الرواة من الصحابة ﷺ للحديث الواحد مما يقوي الرواية ويؤكد صحتها وخاصة إذا كان فيها تأريخ لجانب من جوانب حياة الرسول ﷺ . لذا ينبغي للداعية إذا روي الحديث من عدد من الرواة أن يذكرهم لتقوية الحديث الذي ذكره وزيادة الثقة فيه ، وأن يحرص على ذكر الرواية التي عن أحد من الصحابة ﷺ لأنهم أوثق من غيرهم فهم جميعاً عدول ،وعن المقربين منهم للرسولﷺ خاصة كما في هذا الحديث (عَنْ عائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ).

---

١) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب فضائل القرآن /باب كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل ١١٨/٦ رقم(٤٩٧٨).

الثاني ـ من موضوعات الدعوة: تعدد مواطن نزول القرآن:

مما يستفاد من هذا الحديث تعدد مواطن نزول القرآن الكريم حيث ذكر ابن عباس وعائشة ﷺ أن القرآن نزل في مكة والمدينة. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (ويستفاد من حديث الباب أن القرآن نزل كله بمكة والمدينة خاصة وهو كذلك لكن نزل كثير منه في غير الحرمين حيث كان النبي ﷺ في سفر حج أو عمرة أو غزاة؛ ولكن الاصطلاح أن كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي ومانزل بعد الهجرة فهو مدني سواء نزل في البلد حال الإقامة أو في غيرها حال السفر).[1]

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: انقطاع الوحي:

ففي قول عائشة وابن عباس ﷺ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْراً) يدلنا على أن الوحي بعد هذه السنوات انقطع عن رسول الله ﷺ، وفي هذا درس عظيم للمسلمين بأن من ادعى النبوة فهو مفتري كاذب يجب محاربته والقضاء على دعوته فالوحي قد انقطع والدين قد كمل ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل. ومما يؤكد انقطاع الوحي ماورد عن أبي بكر الصديق ﷺ لما ارتد الناس ومنعوا الزكاة وأشكل على عمر بن الخطاب ﷺ قتالهم ، قال أبوبكر لعمر: (إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أفينقص وأنا حي؟ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة).[2] وقول عمر بن الخطاب ﷺ : (إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ...). [3]

الرابع ـ من موضوعات الدعوة: نزول القرآن منجماً:

في هذا الحديث دليل على أن القرآن نزل منجماً حيث ذكرت عائشة وابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ : (لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْراً). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (ويؤخذ من هذا الحديث مما يتعلق بالترجمة أنه نزل مفرقاً ولم

---

١) فتح الباري ٩/٤.

٢) مشكاة المصابيح/محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي :كتاب المناقب /باب مناقب أبي بكر ﷺ ٣/١٧٠١ رقم الحديث (٦٠٢٥) ـ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ ط٢ ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت،و حياة الصحابة/محمد يوسف الكاندهلوي ١/٤٣٤ـ ط٢ ـ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ـ دار القلم ـ دمشق.

٣) صحيح الإمام البخاري/كتاب الشهادات /باب الشهداء العدول ٣/٢٠٠ رقم (٢٦٤١).

ينزل جملة واحدة).[1] ونزول القرآن متفرقاً موضوع ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستفيد منه في إثبات نزول القرآن لتنظيم حياة المسلم ، والأحكام الشرعية في كل الأحوال حيث نزل في مكة في بدء الدعوة وأحوال السابقين إلى الإسلام وماحصل لهم من أذى قريش والهجرة فراراً بالدين ، ثم في المدينة ومناصرة أهلها لهم وخروجهم منها للجهاد في سبيل الله والأحكام التي نزلت في السفر والغزوات تبعاً لما وقع المسلمين فيه من أمور احتاجوا إلى حكم الله فيها.

١) فتح الباري ٣/٩ .

٨٩ - باب

٥٤-(٤٤٧٠)- حدثنا أصبَغُ قالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، قالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرٌو، عَنِ ابْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ [١]، أَنَّهُ قَالَ لَهُ: مَتَى هَاجَرْتَ؟ قَالَ: خَرَجْنَا مِنَ الْيَمَنِ مُهاجِرِينَ فَقَدِمْنَا الْجُحْفَةَ فَأَقْبَلَ راكِبٌ فَقُلْتُ لَهُ ، الْخَبَرَ؟ فَقالَ: دَفَنَّا النَّبِيَّ ﷺ مُنْذُ خَمْسٍ، قُلْتُ هَلْ سَمِعْتَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ ، أَخْبَرَنِي بِلالٌ [٢] مُؤَذِّنُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فِي السَّبْعِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ.[٣]

شرح غريب الحديث:

<< الْجُحْفَة >> : بضم الجيم وسكون الحاء موضع بين مكة والمدينة من الجانب الشامي ، قريب من رابغ بين بدر وخليص، وكان اسمها مهيعة فاجحف السيل بأهلها أي أذهب بهم فسميت جحفة ، وهي على بعد اثنين وثمانين ميلاً من مكة (مئة وثلاثون كيلومتر تقريباً)، وهي ميقات المتوجهين من الشام ومصر والمغرب.[٤]

---

١) هو الفقيه أبو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة المرادي ثم الصنابحي نزيل دمشق. قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ بليال وصلى خلف الصديق. قال عنه أبو بكر: وعبد الله الصنابحي يشبه أن يكون له صحبه. وقال ابن سعد:كان عبد الرحمن الصنابحي ثقه قليل الحديث. قال عبادة بن الصامت: من سره أن ينظر إلى رجل كأنما رقي به فوق سبع سماوات فعمل على ما رأى، فلينظر إلى هذا .

(انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي ٣/٥٠٥ ،والإصابة /ابن حجر ٥/٩٨).

٢) هو بلال بن رباح الحبشي ﷺ ، مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه وهو أول من أذن له في الإسلام، أمه حمامة ، من السابقين إلى الإسلام، اشتراه أبوبكر الصديق ﷺ من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد ، فأعتقه ، فلزم النبي ﷺ وشهد معه المشاهد، وآخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح .قال فيه النبي ﷺ : ((رأيتني دخلت الجنة ،فإذا بالرميصاء امرأة أبي طلحة ، وسمعت خشفة ، فقلت :من هذا ؟ فقال :هذا بلال)) (البخاري ٣٦٧٩). خرج بلال مجاهداً إلى أن مات بالشام سنة عشرين للهجرة وهو ابن بضع وستين سنة، وقيل : مات سنة سبع أو ثماني عشرة للهجرة.

(انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي ٣٤٧/١،و، والإصابة /ابن حجر ١/ ١٧٠، وتهذيب التهذيب/ابن حجر ٥٠٢/١).

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) انظر:لسان العرب/ابن منظور ٢١/٩ مادة جحف، فتح الباري/ابن حجر ٣٠٥/٣، وعمدة القاري/العيني ٢١٨/٢، والهادي إلى لغة العرب/الكرمي ٣٠٥/١.

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة : هجرة الناس من بلادهم إلى رسول الله ﷺ .

الثاني - اهتمام السلف بالسؤال عن ليلة القدر وتحري وقتها طلباً للأجر.

الثالث - من واجبات المدعو : سؤال أهل العلم عن أمور الدين.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: هجرة الناس من بلادهم إلى رسول الله ﷺ :

هاجر كثير من المسلمين من بلادهم إلى المدينة بغية لقاء النبي ﷺ ورؤيته وأخذ العلم عنه مباشرة والحصول على فضل صحبته . وقد ورد في عدد من الأحاديث دليل على هذه الهجرة ومنها هذا الحديث الذي أخبرنا فيه الصنابحي عن هجرته وفي سؤال أبي الخير للصنابحي (**مَتَى هاجَرْتَ**) دليل على وجود من هاجر إلى النبي ﷺ ، وفي جواب الصنابحي أيضاً (**خَرَجْنَا مِنَ الْيَمَنِ مُهاجِرِينَ**) دليل على أنه لم يكن بمفرده بل كان معه جماعة . قال العلامة العيني - رحمه الله - في الصنابحي : (وأصله من اليمن ...رحل إلى النبي ﷺ فقبض - أي النبي ﷺ - وهو بالجحفة ثم نزل الشام ومات بدمشق). [١]

الثاني - اهتمام السلف بالسؤال عن ليلة القدر وتحري وقتها طلباً للأجر:

كان السلف الصالح من التابعين يكثرون من سؤال الصحابة ﷺ عن أمور الدين ، ويحرصون على معرفة الأحكام الشرعية وأفضل الأعمال طلباً لأجرها والثواب عليها من الله تعالى ومنها ليلة القدر ووقتها لما فيها من الثواب العظيم فهي ليلة عظيمة تغفر فيها الذنوب وقد جعلها الله لأمة محمد ليلة خيراً من ألف شهر كانوا يعبدون الله فيها.[٢]

ولهذا ينبغي على جميع المسلمين سؤال أهل العلم عن الأعمال الفاضلة والعمل بها والحرص عليها حتى يحصل لهم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

١) عمدة القاري ٧٨/١٨.

٢) انظر المفهم /القرطبي ٢٥٠/٣ ،عمدة القاري /العيني ١٣٠/١١.

الثالث - من واجبات المدعو: سؤال أهل العلم عن أمور الدين:

إن من واجبات المدعو إذا أراد معرفة أمر من الأمور أن يسأل عنه أهل العلم لأنهم أعلم به من غيرهم من الناس وأولى، قال تعالى:﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[١] قال العلامة ابن سعدي - رحمه الله - : (وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة).[٢]

فينبغي على الداعية أن يوجه المدعوين إلى سؤال أهل العلم إذا أرادوا معرفة الحكم الشرعي في أي أمر من أمور حياتهم، لأن الإنسان إذا رجع إليهم وأخذ الحكم منهم يبريء ذمته أمام الله ﷻ حيث اجتهد في المعرفة.

---

١) سورة النحل جزء من الآية (٤٣).

٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤/٢٠٦ .

٩٠ - باب كَمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ

٥٥-(٤٤٧٢)- حدثنا عَبْدُ الله بْنُ رَجاءٍ، حَدَّثَنا إسْرائِيلُ، عَنْ أَبِي إسْحاقَ، حَدَّثَنا الْبَراءُ ﷺ [١]، قالَ: غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ. [٢]

٥٦-(٤٤٧٣)- حدثني أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ، حَدَّثَنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلِ بْنِ هِلالٍ، حَدَّثَنا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمانَ، عَنْ كَهْمَسٍ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ [٣] قالَ: غَزا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سِتَّ عَشْرَةَ غَزْوَةً. [٤]

الدراسة الدعوية للحديثين:

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - حرص السلف على العلم.

الثاني - من أساليب الدعوة: ذكر العدد.

الثالث - من تاريخ الدعوة: تعدد غزوات النبي ﷺ.

الرابع - اهتمام الداعية بتعليم أبنائه ماقام به في سبيل نشر الإسلام ليقتدوا به.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - حرص السلف على العلم:

كان السلف الصالح من أمة محمد ﷺ يحرصون أشد الحرص على تعلم العلم وتتبع أخبار الرسول ﷺ وسؤال صحابته ﷺ عنه، ومن لم يدرك صحابياً كان يسأل من أدركه عما أخذه من العلم عنه. وفي هذا الحديث ظهر لنا هذا الحرص من التابعي أبي إسحاق السبيعي حيث سأل

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٥) ص٦٢.

٢) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٣) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣٣) ص٢١٨.

٤) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير/باب عدد غزوات النبي ﷺ ص٨١٤ رقم (١٨١٤).

البراء بن عازب ﷺ و سأل زيد بن أرقم ﷺ[١] أيضاً كما سأل غيره لشدة حرصه على معرفة عدد غزوات رسول الله ﷺ. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وكأن أبا إسحاق كان حريصاً على معرفة عدد غزوات النبي ﷺ فسأل زيد بن أرقم والبراء وغيرهما).[٢]

الثاني ـ من أساليب الدعوة: ذكر العدد:

ذكر العدد أسلوب دعوي يستعين به الداعية لبيان أمر مهم في الدعوة ويظهر العدد ميزة معينة في الموضوع المذكور كما في هذين الحديثين حيث ذكر كلٌ من البراء وبريدة ﷺما عدد الغزوات التي شاركوا فيها مع النبي ﷺ لنشر الدين الإسلامي والعدد الذي ذكره كلٌ منهما يدل على ميزة معينة لهما وهو شدة الحرص والاهتمام بنشر الإسلام وبذلهما أنفسهما في سبيل ذلك.

الثالث ـ من تاريخ الدعوة: تعدد غزوات النبي ﷺ :

ويعد من تاريخ الدعوة ما يستفاد من هذا الحديث من تعدد الغزوات التي خرج فيها رسول الله ﷺ ؛ حيث ذكر البراء أنه غزا معه خمس عشرة غزوة ، وذكر بريدة ست عشرة غزوة. وقد عدَّ أصحاب المغازي والسير غزوات النبي ﷺ التي شارك فيها سبعاً وعشرين وقيل غير ذلك. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وقد توسع ابن سعد فبلغ عدة المغازي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين وتبع في ذلك الواقدي وهو مطابق لما عده ابن إسحاق).[٣]

الرابع ـ اهتمام الداعية بتعليم أبنائه ماقام به في سبيل نشر الإسلام ليقتدوا به:

ففي هذا الحديث نجد الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب ﷺ يعلم ابنه عبدالله بغزوه مع رسول الله ﷺ ومحاربة أعداء الإسلام ست عشرة غزوة ، وهذا الإخبار منه ليس للمباهاة والتفاخر وإنما ليقتدى به في جهاد أعداء الإسلام ونصرة دين الله .

---

١) انظر الحديث رقم (٤٤٧١) من صحيح الإمام البخاري.

٢) فتح الباري ١١٦/٨.

٣) المصدر السابق ٢١٩/٧ ، وانظر شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٨٦/٨ ،وعمدة القاري /العيني ٧٤/١٧.

وهذا واجب المسلم تجاه من هم تحت يده أن يعلمهم أمور دينهم ومقتضيات الانتماء إليه ومنها الجهاد في سبيله بشتى الوسائل. قال زين العابدين بن الحسين بن علي ﷺ : كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن .[1]

١) محمد رسول الله ﷺ /محمد رضا ص١٩٨ ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

الفصل الثاني

كتاب التفسير

٦٥ ـ كتاب تفسير القرآن

باب ما جاء في فاتحة الكتاب

٥٧-(٤٤٧٤) - حدثنا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنا يحى ، عَنْ شُعْبَةَ قالَ :- حَدَّثَنِي خُبَيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عاصِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى [١] قالَ :- كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعانِي رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ :- يارَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقالَ :- ((أَلَمْ يَقُلِ الله ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾)) [٢]"؟ ثُمَّ قالَ لِي: ((لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ))، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمّا أَرادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ : أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟قالَ: ((﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)). [٣]

وفي رواية : " قال :((أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ)) ". [٤]

شرح غريب الحديث:

<< السَّبْعُ الْمَثانِي >> : المراد بالسبع الآي ؛ لأن الفاتحة سبع آيات ، واختلف في تسميتها "مثاني" فقيل : لأنها تثنى في كل ركعة : أي تعاد ، وقيل: لأنها يثنى بها على الله تعالى ، وقيل

١) هو أبو سعيد الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان الأنصاري الزرقي اختلف في اسمه فقيل : رافع بن المعلى وقيل الحارث بن المعلى وقيل ابن عبدالبر ، وقيل اسمه أوس قيل بل أوس اسم أبيه والمعلى جده. أمه أميمة بنت قرظ بن خنساء من بني سلمة. له صحبة ، يعد من أهل الحجاز ، قال أبو عمر :لا يعرف إلا بحديثين أحدهما : كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ... ، والثاني قال: كنا نغدو إلى السوق على عهد رسول الله ﷺ. (انظر:أسد الغابة/ابن الأثير ٥/٢١١، والإصابة /ابن حجر ٧/٨٤).

٢) سورة الأنفال جزء من الآية رقم (٢٤).

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري : كتاب التفسير/ باب قوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ - ٥/٢٣٧- رقم (٤٦٤٧). و باب قوله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ ٥/٢٦٥ رقم (٤٧٠٣)، وفي كتاب فضائل القرآن / باب فاتحة الكتاب ٦/١٢٥رقم (٥٠٠٦) .

٤) الطرف رقم (٤٧٠٣).

لأنها استثنيت هذه الأمة على من قبلها. [١]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من صفات المسلم : الحرص على ملازمة المسجد .

الثاني - من موضوعات الدعوة: استعمال النبي ﷺ صيغة العموم في أحوال خاصة .

الثالث - من واجبات المسلم: المبادرة لإجابة أمر النبي ﷺ.

الرابع - من أساليب الدعوة: استعمال أسلوب الحض والتأكيد لأهمية الأمر .

الخامس - من صفات النبي ﷺ : الحرص على تعليم أمته ماينفعهم .

السادس - من ميادين الدعوة: المسجد .

السابع - من موضوعات الدعوة: تفضيل بعض السور على بعض .

الثامن - من موضوعات الدعوة: بيان فضل سورة الفاتحة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من صفات المسلم : الحرص على ملازمة المسجد :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم الحرص على ملازمة بيوت الله والذكر والعبادة لما في ذلك من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، وفي حديث أبي سعيد ﷺ تجلت هذه الصفة فيه حيث قال: (**كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ**) فدل قوله على أنه كان في المسجد، وقد ذكر الإمام القرطبي - رحمه الله - أنه أول من صلى إلى القبلة حين حولت، ممايؤكد ملازمته للمسجد حتى حاز على هذه الفضيلة.[٢] وهذا كان ديدن صحابة رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم من سلف الأمة، من التابعين وغيرهم فقد ورد عن سعيد

---

١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز /لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ٩٧/١ - تحقيق نخبة من العلماء - ط١ - ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م - مؤسسة دار العلوم - الدوحة ، والجامع لأحكام القرآن /القرطبي١١٢/١، وفتح الباري/ابن حجر ١٢١/٨، وعمدة القاري/العيني ٨١/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ٥/٧ ، وفتح المبدي/الشرقاوي١٦٧/٣ .

٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن /القرطبي١٠٩/١ .

بن المسيب ـ رحمه الله ـ أنه قال : (ماأذّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسـجد)[١]. وقال (مافاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، ومانظرت في قفا رجـل في الصـلاة منـذ خمسين سنة)[٢] . فينبغي للمسلم أن يقتدي بالصحابة والتابعين، ويتصف بهذه الصفـة الفاضلـة التي منها يتحصل على خير الدنيا والآخرة بفضل الله تعالى .

الثاني ـ من موضوعات الدعوة: استعمال النبي ﷺ صيغة العموم في أحوال خاصة:

دل هذا الحديث على استعمال النبي ﷺ لصيغة العموم في أحوال خاصـة فقـد قـال لأبـي سعيد ((أَلَمْ يَقُلِ الله ﴿اسْـتَجِيبُوا لِلَّـهِ وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَـاكُمْ﴾)) فالمسـلم مـأمور بالاسـتجابة للنبيﷺ في جميع مايأمر به ، وينهى عنه ، وهومأمور أيضاً بعدم الكلام في الصـلاة ؛ واسـتثني منـه أن يأمره النبي ﷺ بـأمر وهـو في صلاتـه ففـي هـذه الحالـة يقطـع الصـلاة ويمتثـل لأمـره ، وهـذه خصوصية للنبي ﷺ فهو أدرى بما يقوله ويفعله ؛ ومايصدر عنه إنما هـو لغايـة لايبلغهـا غـيره مـن الدعاة فهو رسول الله الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَـى﴾ [٣] لهـذا كـانت لـه هذه الخصوصية. قال الحافظ ابن حجـر ــ رحمـه الله ــ : (وفيـه اسـتعمال صيغـة العمـوم في الأحوال كلها. قال الخطابي فيه أن حكم لفظ العموم أن يجري علـى جميـع مقتضـاه وأن الخـاص والعام إذا تقابلا كان العام منزلاً على الخاص لأن الشارع حرم الكلام في الصلاة على العموم ثـم استثنى منه إجابة دعاء النبي ﷺ في الصلاة). [٤]

الثالث ـ من واجبات المسلم: المبادرة لإجابة أمر النبي ﷺ:

إن من أهم واجبات المسلم المبادرة إلى الالتزام بأمر النبي ﷺ عندما يعلمه، لأن أوامرهﷺ ونواهيه هي تشريع لأمته، والنبي ﷺ لم يأت إلا بخيرها، ومايُنجيها من عذاب ربها يـوم الحسـاب، ولهذا قال الله تعالى :﴿مَاءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْـهُ فَـانْتَهُوا﴾ [٥]. وفي هـذا الحديـث عاتب النبي ﷺ أباسعيد ﷺ لتأخره في إجابته فقال له ((أَلَمْ يَقُلِ الله﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّـهِ وَلِلرَّسُـولِ

---

١) حلية الأولياء /لأبي نعيم ١٦٢/٢.

٢) المصدر السابق ١٦٣/٢.

٣) سورة النجم الآيتان (٣،٤) .

٤) فتح الباري ١٢١/٨ ، وانظر عون الباري /القنوجي ٣٨٧/٥.

٥) سورة الحشر الآية رقم (٧).

إِذَا دَعَاكُمْ﴾)) رغم أنه كان في أمر حكم الشرع فيه ألاّ يتكلم، وهو الصلاة، وإنما كان هذا العتاب منه ليعلم أمته وجوب الالتزام مباشرة لأمره ، وأن دعاءه لهم ليس كدعاء بعضهم لبعض إن شاء أجاب وإن شاء ترك ، بل إذا دعاهم لم يكن لهم بد من إجابته ، ولم يسعهم التخلف عنه البتة ، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة [١]. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وفيه أن الأمر يقتضي الفور لأنه عاتب الصحابي على تأخير إجابته). [٢]

فينبغي على كل مسلم أن يمتثل أمر رسول الله ﷺ فور علمه به وليعلم أنه لن يفوز بخيري الدنيا والآخرة إلا بهذا الامتثال.

الرابع ـ من أساليب الدعوة: استعمال أسلوب الحض والتأكيد لأهمية الأمر :

في هذا الحديث أسلوب دعوي هام وهو أسلوب الحض على الشيء والتأكيد عليه لأهميته حيث قال النبي ﷺ لأبي سعيد ((ألا أعلّمك)). قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ: (كلمة ألا للحث والتحضيض على مايقوله القائل في مثل هذا الموضع) [٣]. ولهذا فهم أبو سعيد قوله واستشعر أهمية ماحثه عليه ، فلما أراد النبي ﷺ الخروج لحقه فذكره ماقاله له وماوعده به. لذا ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته ويحث الناس على معرفة الشرع والالتزام به. وهذا الأسلوب فيه جذب وتشويق للسامع وشد لانتباهه لما سيقوله الداعية، فيكون أدعى لقبوله.

الخامس ـ من صفات النبي ﷺ : الحرص على تعليم أمته ماينفعهم:

كان النبي ﷺ يتعهد أمته بالتعليم والتوجيه، ويحرص أشد الحرص على تعليمهم ماينفعهم من أمور دينهم، ومن أهم العلوم التي حرص عليها تعليم كتاب الله، ومعرفة فضائل السور،كما ورد في هذا الحديث في قوله ﷺ لأبي سعيد ((لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ)). فقد علمه فضيلة سورة الفاتحة وحثه على تعلمها وفقه ما فيها لما تضمنته من الخير العظيم. قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (فمن تحقق بمعاني الفاتحة علماً ومعرفة وعملاً وحالاً، فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته

---

١) انظر المواهب اللدنية للقسطلاني مع شرح الزرقاني ٥٢٧/٨.

٢) فتح الباري ١٢١/٨ .

٣) عمدة القاري٨١/١٨ ، وانظر عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي/للإمام الحافظ ابن العربي المالكي ٥/١١ ـ دار الكتاب العربي .

عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين).[١]

السادس ـ من ميادين الدعوة: المسجد :

المسجد من الميادين الدعوية التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستفيد منها في نشر الدين وتعليم علوم الشرع الإسلامي ، حيث تلقى الخطب والدروس وتعقد فيه حلقات العلم ، وقد كان في عهد رسول الله ﷺ يقوم بمهام جليلة ، وكان ولايزال بيئة تربوية مفتوحة غنية بكل أنواع الخبرات والمعارف [٢] ، لهذا اهتم النبي ﷺ ببنائه منذ وطئت قدماه أرض المدينة ، فكان أول الأسس الإسلامية في نواة الإسلام "المدينة النبوية ". يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (وكانت المساجد مجامع الأمة ومواضع الأئمة. وقد أسس مسجده ﷺ المبارك على التقوى، فكانت فيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب ، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء ، وفيه يجتمع المسلمون كلما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم)[٣]. وفي هذا الحديث دليل على هذه الأهمية حيث علم فيه رسول الله ﷺ أباسعيد وجوب الامتثال لأمره مباشرة ، كما علمه فضل سورة الفاتحة.

السابع ـ من موضوعات الدعوة: تفضيل بعض السور على بعض :

في هذا الحديث دليل على تفضيل بعض سور القرآن على بعض حيث قال النبيﷺ عن الفاتحة ((هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ))، قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها، لا من حيث الصفة؛ وهذا هو الحق... كما صارت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] تعدل ثلث القرآن، إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها التوحيد كله، وبهذا المعنى وقع البيان في قوله عليه السلام لأُبيّ ﷺ لما سأله: (أيُّ آية في القرآن أعظم؟). قال: ((﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾)) [٥] . وإنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها كما

---

١) الفوائد/شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ص٤٠ ـ تقديم وتحقيق وتعليق محمد عثمان الخشت ـ ط١ ـ١٤٠٥هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢) انظر كتاب المسجد ودوره في التربية والتوجيه/د.صالح بن غانم السدلان ص٢٢ ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ـ دار بلنسية ـ الرياض.

٣) المصدر السابق ص٢٠ .

٤) سورة الإخلاص الآية رقم (١) .

٥) سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥) .

صارت قوله : ((أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لاشريك له)) أفضل الذكر ؛ لأنها كلمات حوت جميع العلوم في التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير). [١]

الثامن ـ من موضوعات الدعوة: فضل سورة الفاتحة :

في هذا الحديث دليل على فضل سورة الفاتحة حيث حرص النبي ﷺ على تعليمها لأبي سعيد بن المعلى ﷺ، وقال عنها ((هِيَ أعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ)) وقال عنها: ((هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ))، قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (وفي الفاتحة من الصفات ماليس لغيرها ؛ حتى قيل: إن جميع القرآن فيها. وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن. ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده ، ولا تصح القربة إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها ، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم). [٢]

---

١)الجامع لأحكام القرآن ١/١١١ .

٢) المصدر السابق ١/١١٠وانظر المفهم /القرطبي ٥/٥٨٥.

٣- باب وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١]

٥٨-(٤٤٧٧). حدثني عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلٍ، عَنْ عَبْدِ الله [٢] قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله؟ قالَ: ((أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ)) قُلْتُ إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ((وَأَنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ)) قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ)). [٣]

وفي رواية زاد: (...قالَ: وَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [٤]). [٥]

شرح غريب الحديث:

<< نِدًّا >> : بكسر النون وتشديد الدال يقال له النديد أيضا وهو نظير الشيء الذي يعارضه في أموره وقيل ند الشيء الذي يشاركه في جوهره وهو ضرب من المثل. [٦]

<< حَلِيلَةَ جارِكَ >> : بفتح الحاء المهملة وكسر اللام الأولى أي زوجته. سميت بذلك لكونها

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٢).

٢) سبقت ترجمته ص ٢٥١.

٣) أطراف الحديث في صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ ...﴾ ١٦/٦ رقم (٤٧٦١).

وكتاب الأدب /باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ١٠٠/٧ رقم (٦٠٠١)، وكتاب المحاربين من أهل الكفر والردة /باب إثم الزناة ٢٧/٨ رقم (٦٨١١).

وكتاب الديات/باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ ٤٤/٨ رقم (٦٨٦١).

وكتاب التوحيد/ باب (٤٠) ٢٦٠/٨ رقم (٧٥٢٠) وباب قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ ٢٦٤/٨ رقم (٧٥٣٢).

وأخرجه الإمام مسلم: كتاب الإيمان /باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ص٥٣ رقم (٨٦).

٤) سورة الفرقان جزء من الآية (٦٨،٦٩).

٥) الطرف رقم (٤٧٦١).

٦) فتح الباري/ابن حجر ٤٠٩/١٣.

تحل له فهي حليلة بمعنى محلة لكونها تحل معه بضم الحاء.[١]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - حرص عبدالله بن مسعود ﷺ على العلم .

الثاني - تقديم الأهم فالمهم في جانب الدعوة .

الثالث - من صفات الداعية : مراعاة أحوال المخاطبين .

الرابع - تفاوت إثم القتل والزنا مع عظمهما فبعضه أعظم من بعض.

الخامس - من موضوعات الدعوة : ذم البخل .

السادس - من موضوعات الدعوة : جواز تكرار السؤال .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - حرص عبد الله بن مسعود ﷺ على العلم :

كان الصحابة يسألون النبي ﷺ عن أكبر الكبائر وأعظم الذنوب لئلا يقعوا فيها ، ولعل تعدد أحاديث أكبر الكبائر دليل على كثرة سؤال الصحابة ﷺ عنها [٢]. وعبد الله بن مسعود ﷺ كان حريصاً على العلم ، وكان يقول ﷺ: ويل لمن لايعلم، ولوشاء الله لعلمه، وويل لمن يعلم ثم لايعمل [٣] . وقد جعل له رسول الله ﷺ أذن بالدخول عليه متى شاء [٤] لمعرفته بهذا الحرص منه. وفي هذا الحديث دلالة واضحة على هذا الحرص حيث إنه لم يقف عند الجواب الأول بل قال : (ثُمَّ أيٌّ؟) طلباً للاستزادة من العلم. لذا ينبغي للمسلم الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في هذا الحرص ، لما في العلم مع العمل به من خير عظيم للمسلم ، ورفع درجته في الدنيا والآخرة.

---

١) عمدة القاري/العيني ٨٧/١٨ ،وإرشاد الساري/القسطلاني ١٠/٧ ، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٦٨/٣.

٢) انظر الأحاديث الواردة في صحيح الإمام مسلم :كتاب الإيمان / باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ، وباب بيان الكبائر وأكبرها.

٣) حلية الأولياء/أبو نعيم ١٣١/١.

٤) روى الإمام مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ ((إذنك عليَّ أن يرفع الحجاب وأن تستمع سوادي حتى أنهاك)) . صحيح الإمام مسلم: كتاب السلام /باب جواز جعل الإذن رفع الحجاب أو غيره من العلامات ص٩٦٤ رقم (٢١٦٩).

الثاني ـ تقديم الأهم فالمهم في جانب الدعوة :

أسلوب الاهتمام بأعلى الأمور ثم التدرج إلى أدناها أسلوب جاءت به الدعوة الإسلامية منذ بدء الرسالة حيث نزلت التشريعات بالأهم وهو توحيد ا لله ثم تدرجت في متطلبات الإسلام.

وفي هذا الحديث تدرج النبي ﷺ في ذكر عظائم الذنوب بذكر أعظمها إثماً ثم الذي يليه. قال العلامة العيني ـ رحمه ا لله ـ : (((أنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا)) قدمه لأنه أعظم الذنوب قال ا لله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١] ثم ثنّاه بالقتل لأن عند الشافعية أكبر الكبائر بعد الشرك القتل ، ثم ثلّثه بالزنا لأنه سبب لاختلاط الأنساب لاسيما مع حليلة الجار ، لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه فإذا قابل هذا بالذب عنه كان من أقبح الأشياء).[٢]

الثالث ـ من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين :

مراعاة أحوال المخاطبين أمر مهم في الدعوة حتى يصل الداعية إلى غايته من مخاطبتهم وينفذ إلى قلوبهم بالأسلوب الذي يفهمونه . ولهذا كان النبي ﷺ إذا سئل عن أمر ينظر حال السائل ثم يجيبه بما يناسبه ، ولهذا اختلفت إجاباته للسائلين عن أكبر الكبائر. قال الإمام الكرماني ـ رحمه الله ـ : (فإن قلت تقدم أن أكبر الكبائر قول الزور قلت لاخلاف في أن أكبر الكل الإشراك با لله ثم اعتبر في كل مقام مايقتضي حال السامعين زجراً لما كانوا يسهلون الأمر فيه).[٣] وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (وأما ماسواهما من الزنا واللواط وعقوق الوالدين والسحر وقذف المحصنات والفرار يوم الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الأحوال والمفاسد المرتبة عليها وعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر وإن جاء في موضع أنها أكبر الكبائر كان المراد من أكبر الكبائر كما تقدم في أفضل الأعمال وا لله أعلم).[٤]

---

١) سورة لقمان جزء من الآية (١٣).

٢) عمدة القاري ٨٧/١٨،وانظر الإفصاح /ابن هبيرة ٥٢/٢.

٣) الكواكب الدراري ١٦٦/٢١ ، وانظر فتح الباري /ابن حجر ١٠٣/١٢.

٤) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٤١/٢.

الرابع - تفاوت إثم القتل والزنا مع عظمهما فبعضه أعظم من بعض:

حفظ الله سبحانه وتعالى الضرورات الخمس فحرم قتل النفس بغير حق ولو كانت نفس الإنسان كما حرم الزنا وجعل العقوبة عليه مشددة في الدنيا والأخرة ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ وقد ذكر عبد الله بن مسعود ﷺ أنها نزلت تصديقاً لقول رسول الله ﷺ الوارد في الحديث(١). ومع عظم أمر القتل والزنا وشدة الوعيد عليهما فكل منهما يتضمن مراتب بعضها أعظم من بعض؛ فالقتل مع عظمه فإنه يتفاوت وأعظمه أن يقتل المرء ولده الذي هو أحب الأشياء إليه عادة وإذا كان الباعث على القتل البخل وهو في نفسه من أخس الأشياء فإذا قارن القتل سيما قتل الولد زاد قبحاً على قبح.(٢)

والزنا وإن كان من أكبر الكبائر فإنه يتفاوت أيضا فالزنا بحليلة الجار أقبح لأن الجار ينتظر من جاره الحماية والذب عنه لا التعدي عليه وانتهاك حرماته، ولهذا ذكره النبي ﷺ لتأكيد عظمه قال : ((أنْ تزَانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ)). قال الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ : (والزنى وإن كان من أكبر الكبائر والفواحش لكنه بحليلة الجار أفحش وأقبح؛ لما ينضم إليه من خيانة الجار، وهتك ماعظم الله ورسوله من حرمته، وشدة قبح ذلك شرعاً وعادة).(٣)

الخامس - من موضوعات الدعوة: ذم البخل:

البخل من الصفات السيئة التي ذمها الإ سلام وحذر منها لأن الدين الإسلامي دين بذل وعطاء وشعور بالآخرين وقد قال عنه رسول الله ﷺ: ((وأي داء أدوى من البخل)) ومنع صاحبه من تولي أمر المسلمين (٤). وفي هذا الحديث جعل رسول الله ﷺ قتل الإنسان ولده مخافة

---

١) الطرف رقم (٤٧٦١).

٢) انظر :المفهم /القرطبي ٢٨٠/١ ، وفتح الباري/ابن حجر ٤٢٣/١٣، و حاشية السندي على سنن النسائي ٩٠/٧ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري / تأليف الدكتور عبدالله بن محمد الغنيمان ٥٠٠/٢ ـ ط١ ـ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ـ مكتبة لينة للنشر والتوزيع ـ دمنهور .

٣) المفهم ٢٨١/١ ،وانظر الإفصاح / ابن هبيرة ٥٣/٢، وإكمال المعلم/القاضي عياض ٣٥٢/١، وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٤٤٠/٢.

٤) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ : ولمانزلت قال النبي ﷺ لبني سلمة ـ وكان الجد بن قيس منهم : ((من سيدكم يابني سلمة ؟)) قالوا جد بن قيس ، غير أنه بخيل جبان .فقال النبي ﷺ : ((وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم الفتى الأبيض بشر بن البراء بن معرور)) ١٥٩/٨، وذكر القصة شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الحسبة في الإسلام ص ٥٨ .

أن يطعم معه كبيرة ((وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ)) وعُـدَّ بخلاً . قـال العلامـة العيني ـ رحمـه الله ـ : (فيـه ذم شـديد للبخيـل لأن بخلـه أداه إلى قتـل ولـده مخافـة أن يـأكل معه).(١)

السادس ـ من موضوعات الدعوة : جواز تكرار السؤال:

دل هذا الحديث على جواز السؤال عن أمور شتى في وقت واحد وتكرار السؤال حيث كرر عبدالله السؤال (ثُمَّ أيٌّ؟) على أن يراعي السائل في ذلك حال العالم خشـية إملالـه (٢). وأن يكون الغرض من ذلك التوصل للعلم وليس تعجيز العالم أو إظهـار عـدم قدرتـه . ولهـذا لم ينكـر عليه النبي ﷺ لعلمه بحرصه على العلم.

---

١) عمدة القاري ٨٧/١٨.

٢) انظر : المصدر السابق ١٤/٥.

٤- باب قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١) وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَنُّ صَمْغَةٌ، وَالسَّلْوَى الطَّيْرُ.

٥٩-(٤٤٧٨). حدثنا أَبُو نُعَيمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ (٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)).(٣)

شرح غريب الحديث :

<< الْكَمْأَةُ >> : بفتح الكاف وسكون الميم والهمزة المفتوحة شيء ينبت بنفسه من غير استنبات وتكلف مؤنة.(٤) والكمأة للواحد ، والكمء للكثرة ، وسميت كمأة لاستتارها ، ولاتزرع، بل تنميه أمطار الربيع فيتولد ، ولهذا يقال لها جدري الأرض تشبيها بالجدري في صورته ومادته ، وتؤكل شيا ومطبوخا . تكثر بأرض العرب . (٥)

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (٥٧).

٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي وهو ابن عم عمر بن الخطاب يجتمعان في نفيل أمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية وكان صهر عمر زوج أخته فاطمة بنت الخطاب.وكان سعيد يكنى أبا الأعور وقيل أبا ثور أسلم قديماً قبل عمر بن الخطاب وكان من المهاجرين الأولين وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بن كعب، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان مجاب الدعوة، شهد المشاهد كلها عدا بدر حيث أرسله رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار، توفي سنة خمسين أوإحدى وخمسين للهجرة وهو ابن بضع وسبعين سنة وقيل توفي سنة ثمان وخمسين للهجرة بالعقيق من نواحي المدينة، وقيل توفي بالمدينة والأول أصح.

(انظر: الطبقات الكبرى/ابن سعد ٣٧٩/٣، وأسد الغابة/ابن الأثير ٣٠٦/٢، الإصابة/ابن حجر ٩٦/٣).

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب التفسير/باب ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا...﴾ ٥/ ٢٣٤ رقم (٤٦٣٩)، وكتاب الطب /باب المن شفاء للعين٢٢/٧ رقم(٥٧٠٨).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة / باب فضل الكمأة ومداواة العين بها ص٩١٤ رقم (٢٠٤٩).

٤) إرشاد الساري/القسطلاني ١٠/٧، فتح المبدي /الشرقاوي١٦٨/٣.

٥) الآداب الشرعية/ابن مفلح ٨/٣.

<< الْمَنّ >> : جملة المن في اللغة مايمن ا لله ﷻ به مما لاتعب فيه ولانصب . وقال الخطابي: ليس المراد أنها نوع من المن المنزل على بني إسرائيل فإن ذلك شيء كالترنجبين وإنما معناه أنها تنبت بنفسها من غير استنبات ولامؤنة.(١)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من واجبات الداعية :توجيه أنظار المدعوين إلى نعم ا لله عليهم.

الثاني - وجوب العمل بما أمربه الرسول ﷺ مع الاعتقاد الكامل بصحته ونفعه.

الثالث - من خصائص الإسلام: الشمول.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من واجبات الداعية: توجيه أنظار المدعوين إلى نعم الله عليهم:

إن في هذا الحديث لفتاً لأنظار المدعوين للتفكر في نعم ا لله عليهم حيث ذكر رسول ا لله ﷺ أن الكمأة من النعم التي امتن ا لله بها على عباده أكلاً وعلاجاً . قال العلامة العيني ــ رحمه ا لله ـ: ((الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنّ)): أي مما منَّ ا لله على عباده بها بإنعامه ذلك عليهم)(٢).

فينبغي على الدعاة إلى ا لله تعالى أن يحرصوا على الاقتداء بالرسول ﷺ في توجيه أنظار العباد إلى عظم نعمة ا لله عليهم ، واستحقاقه الشكر عليها.

الثاني - وجوب الاعتقاد الكامل بصحة ونفع ما أمر رسول الله ﷺ التداوي به:

أمر ا لله ﷻ عباده بطاعة نبيه ﷺ فيما أمر به ومانهى عنه فإنه ﷺ لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر. قال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ .(٣)

ومن الأمور التي أمرنا بها رسول ا لله ﷺ التداوي ببعض المباحات مثل الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول ا لله ﷺ أنه قال: ((إذا وقع الذباب في شراب أحدكم

---

١) لسان العرب/ابن منظور١٣/٤١٨مادة منن ، عمدة القاري/العيني ١٨/٨٨، إرشاد الساري/القسطلاني٧/١٠.وانظر الآداب الشرعية/ابن مفلح ٣/٩.

٢) عمدة القاري ١١٨/٨٩ ، وانظر منار القاري / حمزة قاسم ٥/٣٣

٣) سورة الحشر جزء من الآية (٧).

فليغمسه ثم لينزعه ، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء)). (١) وكالذي ورد في هذا الحديث وهو استعمال الكمأة في مداواة العين ، فقال ﷺ: ((وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)) فإن من تداوى بها معتقداً صدقه في ذلك شفي بإذن الله . قال الإمام النـووي ــ رحمـه الله ــ: (رأيت أنا وغيري في زمننا من كان عمي وذهب بصره حقيقـة فكحـل عينـه بماء الكمأة مجـرداً فشفي وعاد إليه بصره وهو الشيخ العدل الأمين : الكمال بن عبدالله الدمشـقي صـاحب صـلاح ورواية للحديث وكان استعماله لماء الكمأة اعتقاداً في الحديث وتبركاً به). (٢)

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (واستعمال كل ماوردت به السنة بصدق ينتفـع بـه مـن يستعمله ويدفع الله عنه الضرر بنيته والعكس بالعكس والله أعلم). (٣)

الثالث ـ من خصائص الإسلام: الشمول:

إن من خصائص الدين الإسـلامي شمولـه لجميـع جوانـب الحيـاة ، فقـد وردت أحـاديث لكيفية العلاج من الأمراض التي تصيب الإنسان إلى جانب أحاديث أخرى تأمره بالصلاة والزكاة وغيرها من أصول الدين ، كما ذكرت أحاديث في آداب الأكل والشرب وحتـى كيفيـة اللبـاس ونوعيته مما يدلنا على أن الشريعة الإسلامية قد وضعت نظاماً شاملاً لحياة البشر ، من سـار عليـه صلحت حاله في الدنيا والآخرة، قال تعـالى:﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٤)، وفي هـذا الحديث ذكر رسول الله ﷺ فضل الكمأة وقال عنها: ((وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)) مما يؤكد علـى هذا الشمول. قال الإمام ابن مفلح المقدسي ـ رحمه الله ـ عن شـريعة الإسـلام بعـد أن تحـدث عن أمور كثـيرة في الطـب ومـا يتطبب بـه كالعسـل وخـواص بعـض النباتـات واستخدامها في العلاج: (...وأنها تضمنت جميع الطب المحتاج إليه نصاً أو ظاهراً أو إيماء أوقياسا. وكيف لايكون الأمر كذلك وهي شريعة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه الذي أرسـله الله سـبحانه رحمـة للعالمين، وبعثه إلى الناس عامة والإنس والجن بمصالح الدنيا والآخرة، فاشـتملت شـريعته الطـاهرة على مصالح الأبدان كما اشتملت على مصالح القلوب). (٥)

---

١) صحيح الإمام البخاري:كتاب بدء الخلق /باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ١٢٠/٤ رقم (٣٣٢٠) .

٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٢٤٨/١٤ ، وانظر فتح الباري /ابن حجر ١٣٩/١٠.

٣) فتح الباري /ابن حجر ١٣٩/١٠.

٤) سورة الأنعام جزء من الآية (٣٨).

٥) الآداب الشرعية ١٣٩/٣.

٧- باب قَوْلِهِ :﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾[١]

٦٠-(٤٤٨١). حدثنا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنا يَحْيَى ، حَدَّثَنا سُفْيانُ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قالَ: قالَ عُمَرُ ﷺ[٢] أَقْرَؤُنا أُبَيٌّ، وَأَقْضانا عَلِيٌّ، وَإِنّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ وذاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ: لا أَدَعُ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ قالَ الله تَعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾.[٣]

وفي رواية:(...وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ لَحْنِ أُبَيٍّ وَأُبَيٌّ يَقُولُ : أَخَذْتُهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلا أَتْرُكُهُ لِشَيْءٍ، قالَ الله تَعالى :﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.[٤]

شرح غريب الحديث :

<< إِنَّا لَنَدَعُ مِنْ لَحْنِ أُبَيٍّ >>: أي نترك .كان لايقول بنسخ تلاوة شيء من القرآن لكونه لم يبلغه النسخ في البعض.[٥]

<< نَنْسَخْ >> : بفتح نون ننسخ الأولى وسينها مضارع نسخ والنسخ لغة الإزالة أوالنقل من غير إزالة ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بتلاوتها أوالحكم المستفاد منها أو بهما جميعا.[٦]

<<نَنْسَأْها >> : النسأة بالضم، مثل الكلأة: وتعني التأخير. وننسأها: نؤخرها ولاننزلها.[٧]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول- مشروعية التخصص في العلوم.

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (١٠٦).

٢) سبقت ترجمته ص٢٣٦.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب فضائل القرآن/باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ١٢٥/٦ رقم (٥٠٠٥).

٤) الطرف رقم (٥٠٠٥).

٥) إرشاد الساري/القسطلاني ١٣/٧ ، فتح المبدي/الشرقاوي ١٦٩/٣.

٦) إرشاد الساري/القسطلاني ١٢/٧، و فتح المبدي/الشرقاوي ١٦٩/٣، وانظر إعلام الموقعين /ابن القيم ٤٢/١.

٧) لسان العرب/ابن منظور ١٦٧/١ مادة نسأ.

الثاني - من موضوعات الدعوة: ثبوت النسخ في القرآن الكريم.

الثالث - من محاسن الإسلام: مراعاة مصالح المسلمين.

الرابع - حسن الأدب مع ذوي الشأن في بيان الخطأ.

الخامس - أهمية ذكر الدليل في الدعوة إلى الله.

السادس - خفاء بعض أمور الشريعة على الصحابة ﷺ.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - مشروعية التخصص في العلوم:

دل هذا الحديث على مشروعية التخصص في العلوم حيث قال عمر بن الخطاب ﷺ في هذا الحديث : (**أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ**) فذكر تخصص أبي بن كعب ﷺ [1] في قراءة القرآن الكريم ولا شك أن غيره من الصحابة ﷺ يقرأونه على وجهه الصحيح لكن قد يكون المقصود معرفة قراءته بجميع وجوهه ولغاته وحروفه وقرآءته التي أنزلها الله ﷻ وأذن للأمة فيها[2]، وعلي بن أبي طالب ﷺ في القضاء ، وقد قال رسول الله ﷺ: ((**أرحم أمتي بأمتي أبوبكر. وأشدهم في دين الله عمر. وأصدقهم حياء عثمان. وأقضاهم علي بن أبي طالب وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل. وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة**

---

١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار واسمه تيم اللات وقيل تيم ا لله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي.وأمه سهيلة بنت الأسود بن حرام ، له كنيتان أبو المنذر كناه بها النبي ﷺ وأبو الطفيل كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل وشهد العقبة وبدراً وكان عمر يقول أبي سيد المسلمين .جمع القرآن في حياة النبي ﷺ ،وعرض على النبي ﷺ ،وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل ﷺ. قال ابن عباس ﷺما: قال أبي لعمر بن الخطاب: إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب. وخطب عمر ﷺ فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبي بن كعب.وقال عمر لأبي ﷺما : إنا لنعلم أن ا لله قد جعل عندك علماً فعلم الناس. وقال أبو العالية: كان أبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه، ترك العبادة، وجلس للقوم. أمر ا لله نبيه ﷺ أن يقرأ عليه سورة لم يكن وسماه له وناهيك بها وقال له ((ليهنك العلم يأبا المنذر)). توفي في خلافة عمر على الأرجح عام اثنين وعشرين للهجرة بالمدينة.

(انظر:الطبقات الكبرى/ابن سعد ٤٩٨/٣، حلية الأولياء/أبو نعيم٢٥٠/١، سير أعلام النبلاء/الذهبي٣٨٩/١، والإصابة/ابن حجر١٦/١).

٢) عمدة القاري/العيني ٢٦/٢٠ .

بن الجراح)) [١]. فقول النبي ﷺ هذا دليل على مشروعية تخصص المسلم في علم من العلوم .

الثاني ـ من موضوعات الدعوة: ثبوت النسخ في القرآن الكريم:

في هذا الحديث دليل على وجود آيات نسخت بأخرى في القرآن الكريم سواء كان نسخ حكم أو تخفيف أوإزالة كاملة أوغير ذلك من أنواع النسخ [٢]. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ : (وَقَدْ قَالَ الله تَعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ فإنه يدل على ثبوت النسخ في البعض).[٣]

الثالث ـ من محاسن الإسلام: مراعاة مصالح المسلمين:

إن مما يستفاد من هذا الحديث وجود آيات نسخت بأخرى في القرآن وهذا النسخ جاء تبعاً لمصالح العباد حيث أمرهم الله ﷻ بأمر ثم نسخه بأخف منه أو أزاله عنهم بالكلية ولا شك أن في ذلك عظيم المنفعة لأن شرائع الله جاءت لخير البشرية وصلاحها. قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ عن الحكمة من النسخ: (هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم؛ لضرب من المصلحة، إظهاراً لحكمته وكمال مملكته.ولا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية؛ وإنما يلزم البداء لو لم يكن عالماً بمآل الأمور ؛ وأما العالم بذلك فإنما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح ؛ كالطبيب المراعي أحوال العليل؛ فراعى ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته).[٤]

---

١) سنن ابن ماجة : باب فضائل أصحاب النبي ﷺ /باب فضائل خباب ؓ ص٢٣ رقم (١٥٤) وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ انظر صحيح سنن ابن ماجة ٣٢/١ رقم (١٢٥) . ورواه الترمذي أيضا في كتاب المناقب رقم (٣٨٧٩).

٢) انظر أنواع النسخ في: المحرور الوجيز / ابن عطية ٤٣١/١، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي ٦٥/٢ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٥٩/٧ ، وتفسيرأبي السعود " المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ١٤٣/١ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، وصفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم /للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ٢٩٣/٢ ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م ـ نشر وتوزيع مكتبة دار الأرقم ـ الكويت.

٣) عمدة القاري ٩١/١٨ ، و إرشاد الساري/ القسطلاني ١٣/٧ ، و فتح المبدي/ الشرقاوي ١٦٩/٣، وانظر تفسير ابن كثير ١٥١/١ ، وتيسير الكريم الرحمن /السعدي ١٢٢/١، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / أبي بكر جابر الجزائري ٨٠/١ ـ ط٢ ـ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ـ راسم للدعاية والإعلام ـ جدة.

٤) الجامع لأحكام القرآن ٦٤/٢، وانظر تفسير ابن كثير ١٥٠/١، وتفسير أبي السعود ١٤٣/١، وتيسير الكريم الرحمن /السعدي ١٢٢/١، وصفوة الآثار والمفاهيم/ للشيخ عبد الرحمن الدوسري ٢٩٥/٢، وظلال القرآن /سيد قطب ١٠٢/١، وأيسر التفاسير/الجزائري ٨٠/١ .

الرابع- حسن الأدب مع ذوي الشأن في بيان الخطأ:

إن من آداب المؤمن حسن الأدب في التعامل مع الناس وخاصة إذا كان من يتعامل معه ذا مكانة بين الناس ؛وفي هذا الحديث لما قرأ أبي بن كعب ﷺ آيات منسوخة في القرآن ذكر عمر بن الخطاب ﷺ مكانة أُبيٍّ ﷺ بقوله : (أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ) ثم بين سبب عدم أخذه منه مع بيان سبب تمسك أبي بقراءته . وفي ذلك درس عظيم للدعاة خاصة وللمسلمين عامة بأن يحسنوا التعامل مع الناس وينزلوهم المنزلة التي يستحقونها ويذكروا محاسنهم التي يمتازون بها عن غيرهم.

الخامس - أهمية ذكر الدليل في الدعوة إلى الله:

إن من أساليب الدعوة إلى الله تعالى الواردة في هذا الحديث ذكر الداعية الدليل على ماذكره لتأكيد صحة ماجاء به؛ فقد ذكر أُبي ﷺ دليله على ماذهب إليه وهو دليل حسي حيث قال : (لا أَدَعُ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ)، وفي الرواية الأخرى: (أَخَذْتُهُ مِنْ فِي رَسُولِ الله ﷺ) وسماعه من فيّ رسول الله ﷺ مباشرة من أكبر الأدلة ولهذا استدل به، وإن كان ماسمعه قد نسخ ولم يبلغه النسخ. كما ذكر عمر بن الخطاب ﷺ قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ لأُبيٍّ ﷺ للاستدلال على صحة قوله في وقوع النسخ في القرآن الكريم. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (قوله وقد قال الله تعالى ..الخ هو مقول عمر محتجا على أُبي بن كعب).(١)

السادس - خفاء بعض أمور الشريعة على الصحابة ﷺ :

في هذا الحديث دليل على أن من الصحابة ﷺ من فاته العلم بأمر من أمور الشريعة الإسلامية ؛ فهذا أُبي ﷺ لم يبلغه النسخ فلم يترك تلاوة آيات سمعها من رسول الله ﷺ فأخبره عمرﷺ بأنها نسخت. قال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ: (فكان لايقول بنسخ شيء من القرآن لكونه لم يبلغه النسخ فرد عليه عمرﷺ بقوله وقد قال الله تعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾).(٢)

---

١) فتح الباري ١٢٧/٨ ، وانظر عمدة القاري /العيني ٢٨/٢٠.

٢) إرشاد الساري ١٣/٧ ، وفي فتح المبدي /الشرقاوي ١٦٩/٣، وانظر فتح الباري /ابن حجر ١٢٧/٨.

٨ - باب ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [1]

٦١-(٤٤٨٢). حدثنا أَبُو الْيَمانِ، أَخْبَرَنا شُعَيْبٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، حَدَّثَنا نافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما [2] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((قَالَ اللهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذلِكَ، وشَتَمَنِي ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ فَسُبْحانِي أَنْ أَتَّخِذَ صاحِبَةً أَوْ وَلَدًا)). [3]

شرح غريب الحديث:

<< كَذَّبَنِي >>: من التكذيب وهو نسبة المتكلم إلى أن خبره خلاف الواقع. [4]

<< شَتَمَنِي >>: من الشتم وهو توصيف الشخص بما هو أزرأ وأنقص فيه. [5]

<< سُبْحانِي >>: لفظ سبحان مضاف إلى ياء المتكلم يعني أنزه نفسي أن أتخذ صاحبة أو ولدا. وأن مصدرية أي من اتخاذ الصاحبة أي الزوجة والولد. [6]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: وجود كلام لله تعالى ليس من القرآن وهو الأحاديث القدسية.

الثاني - من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله تعالى على الصفة التي تليق بجلاله.

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (١١٦).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) عمدة القاري/العيني ٩١/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ١٣/٧، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٦٩/٣.

٥) المصادر السابقة نفس الصفحات.

٦) عمدة القاري/العيني ٩١/١٨، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ١٣/٧، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٧٠/٣.

الثالث - من أساليب الدعوة: استعمال الحجج القوية والآيات الداحضة للرد على الشبهات.

الرابع - من موضوعات الدعوة: بيان وقوع البشرية في الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

الخامس - من واجبات المسلم: تنزيه الله ﷻ عما لا يليق به من الصاحبة والولد.

السادس - من موضوعات الدعوة: إثبات البعث.

السابع - من صفات المدعو : التكذيب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - وجود كلام لله تعالى ليس من القرآن وهو الأحاديث القدسية:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث والتي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن ينبه المدعوين إليها وجود أحاديث ليست من كلام الرسول ﷺ المحض وإنما نقله عن ربه بإلهام منه وصاغه بعبارة نفسه فهو ليس حديثاً نبوياً ، وليس من القرآن الكريم بل يسمى "حديث قدسي " يختلف عن القرآن في نظمه وإعجازه وهو إلى الحديث النبوي أقرب منه إلى آي المصحف الشريف ، كهذا الحديث الذي بين أيدينا ، حيث رواه ﷺ عن ربه بصيغة : ((قَالَ اللَّهُ)) .

والفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي ذكره ابن حجر الهيتمي - رحمه الله - في شرح الأربعين النووية فقال: ("فائدة " يعم نفعها، ويعظم وقعها، في الفرق بين الوحي المتلو وهو " القرآن" والوحي المروي عنه ﷺ عن ربه ﷻ ، وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية، وتسمى " القدسية " ؛ وهي أكثر من مئة ،... اعلم: أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة: أولها: وهو أشرفها "القرآن" لتميزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب وروايته بالمعنى، وبتعيينه في الصلاة، وبتسميته قرآناً وبأن كل حرف منه بعشر حسنات، وبامتناع بيعه في رواية عند أحمد، وكراهته عندنا، وبتسمية الجملة منه آية وسورة وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لايثبت لها شيء من ذلك ... .ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل تغييرها وتبديلها. ثالثها: بقية الأحاديث القدسية وهي ما نقل إلينا آحادا عنه ﷺ مع إسناده لها عن ربه فهي من كلامه تعالى فتضاف إليه، وهو الأغلب. ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولاً، وقد تضاف إلى النبي ﷺ لأنه المخبر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى فيقال فيه قال الله تعالى، وفيها قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه ... ولا تنحصر تلك

الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته كرؤيا النوم والإلقاء في الروع، وعلى لسان الملك).[١]

الثاني- من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله تعالى على الصفة التي تليق بجلاله:

في هذا الحديث إثبات لصفة من صفات الخالق ﷻ على مايليق بجلاله وعظمته وهي صفة الكلام ، حيث قال رسول الله ﷺ: ((قَالَ اللَّه)) مما يدل على صدور كلام للخالق ﷻ ، ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك وفي جميع الصفات إثباته على حقيقته ولا يقال كيف، فلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، فالله لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته على مايليق به سبحانه، والله ﷻ نادى موسى عليه السلام بصوت، ونادى آدم وحواء عليهما السلام بصوت . وقد جاءت الدلائل في كتاب الله تعالى على وجود هذه الصفة ؛ منها قوله تعالى : ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[٢]، وقوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[٣]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (من قال إن الله لم يكلم موسى تكليما، فهذا إن كان لم يسمع القرآن، فإنه يعّرف أن هذا نص القرآن ، فإن أنكره بعد ذلك استتيب، فإن تاب وإلا قتل، ولا يقبل منه إن كان كلامه بعد أن يجحد نص القرآن، بل لو قال إن معنى كلامي إنه خلق صوتا في الهواء فأسمعه موسى كان كلامه أيضا كفراً، وهو قول الجهمية الذين كفرهم السلف).[٤]

الثالث- من أساليب الدعوة: استعمال الحجج القوية والآيات الداحضة للرد على الشبهات:

تكثر الشبهات حول أي دعوة من قبل المعادين لها ومن هذه الشبهات دعوى اليهود والنصارى والمشركين البنوة لله ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ودعوى كفار قريش وغيرهم بعدم وجود بعث بعد الموت ؛ وقد استعمل الرسول ﷺ في الرد على أصحاب الشبهات حول دعوته أقوى الحجج وليس هناك أشد دحضا لها من أقوال الله تعالى وآياته التي تضمنت أقوى

---

١) فتح المبين لشرح الأربعين/لأحمد بن حجر الهيتمي مع حاشية الشيخ حسن المدابغي ص٢٠٠-٢٠١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه).

٢) سورة مريم الآية رقم (٥٢).

٣) سورة النساء جزء من الآية (١٦٤).

٤) الفتاوى ٥٢٣/١٢.

البراهين على نقص عقول هؤلاء فكان الرد منه تعالى عليهم بذكر أحوالهم وأصل منشئهم.[١]

قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ : (في هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى لما أغضبه إنكار من أنكر البعث بعد الموت فقال سبحانه: ((كَذَّبَنِي)) فزعم أني لاأقدر على إعادته ((وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ)) يعني ﷻ: أن إيجادي لقائل هذا القول هو دليلي عليه ، فنسي نفسه وشده عن حاله وأذهله باطله حتى جحد ماهو بعينه البينة فيه).[٢]

الرابع ـ من موضوعات الدعوة: بيان وقوع البشرية في الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

إن في قوله ﷻ: ((وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا)) دليلاً على وقوع البشرية في الإلحاد في أسمائه وصفاته حيث نسبوا له الزوجة والولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فعدلوا بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت، ونسبوا له ما لا يليق بجلاله، وماهو غني عنه. فقد قالت النصارى أن المسيح هو ابن الله، وقالت اليهود عزير ابن الله، كما أخبر بذلك ﷻ عنهم في قوله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٣] ، كما شاركهم المشركون في هذا الإلحاد حين زعموا أن الملائكة بنات الله [٤]، فجعلوا لله البنات ولهم البنين، قال تعالى :﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [٥]. فأبطل الله مزاعمهم كلها ورد عليهم في آيات كثيرة في كتابه منها قولهﷻ : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦] ، وقوله تعالى :﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ

---

١) للاستزادة في الموضوع انظر :الإفصاح /لابن هبيرة ٣/ ١١٠ـ١١٢ ،وصفوة الآثار والمفاهيم/الشيخ عبدالرحمن الدوسري١/ ٣٢٢-٣٢٣.

٢) الإفصاح ٣/ ١٠٩.

٣) سورة التوبة الآية (٣٠).

٤) انظر الفتاوى/ابن تيمية ٤/ ١٢٧.

٥) سورة الإسراء الآية (٤٠).

٦) سورة الأنعام الآيتان (١٠٠-١٠١).

يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[١]. فرد عليهم بالحجج الداحضة ورد كيدهم في نحورهم.

الخامس ـ من واجبات المسلم: تنزيه الله ﷻ عما لا يليق به من الصاحبة والولد:

إن من واجبات المسلم تقريراً للعقيدة الصحيحة تنزيه الله ﷻ عما يقوله المبطلون من اتخاذه جل وعلا للصاحبة والولد لأن هذه من خصائص العباد أهل النقص والحاجة للخلف وأما الحق سبحانه فلان قص عنده ولاخلف منه. قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (قال ﷺ: ((وشَتَمَنِي ولَمْ يكُنْ لَهُ ذلِكَ)) زعم أن لي ولداً ((فَسُبْحاني)) أي تنزهت ((أنْ اتَّخِذَ صاحِبَةً أوْ ولَدًا))، لأن اتخاذ الصاحبة يكون لأهل النقص لمن يموت فيكون خلفاً منه وأما الحق سبحانه فلا نقص عنده ولا خلف منه. فهذا القول هو الذي:﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾[٢]).[٣]

السادس ـ إثبات البعث:

في هذا الحديث دليل على ثبوت بعث الناس بعد الموت يوم القيامة فقد أنكر الله تعالى على من جحد به بقوله ﷺ: ((فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إيَّايَ فَزَعَمَ أنِّي لا أقْدِرُ أنْ أُعِيدَهُ كَمَا كانَ)). قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ: (من أنكر البعث فقد أعظم الفرية).[٤]

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يهتموا بمثل هذا الموضوع، وأن يؤكدوا للناس أن هناك بعثاً وحساباً يجب الاستعداد له، وذكر مايدل عليه من الكتاب والسنة،كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.[٥]

---

١) سورة مريم الآيات من (٨٨) إلى (٩٥).

٢) سورة مريم الآيتان (٩٠-٩١).

٣) الإفصاح ٣/١١٢، وانظر تفسير القرآن العظيم/ابن كثير ١/١٦٠، عمدة القاري/العيني ١٨/٩٢، وإرشاد الساري /القسطلاني ٧/١٣، وتفسير أبي السعود ١/١٥٠، فتح المبدي/الشرقاوي ٣/١٧٠، و فتح القدير /الشوكاني ١/١٣٤، وصفوة الآثار والمفاهيم /الشيخ عبد الرحمن الدوسري ١/ ٣١٩،ومنار القاري/حمزة قاسم ٤/١٤٨.

٤) الإفصاح٣/١١١،وانظر منار القاري/حمزة قاسم ٤/١٤٨.

٥) سورة التغابن الآية رقم (٧).

السابع - من صفات المدعو: التكذيب:

إن مما يستفاد من الحديث أن من صفات المدعو التكذيب حيث كذب النصارى نبيهم عيسى عليه السلام وزادوا على تكذيبهم إنكار البعث وادعاء البنوة لله ﷻ ؛كما شابههم في ذلك اليهود والمشركين . قال تعالى :﴿ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ .[1]

---

١) سورة ص الآية رقم (١٤).

١١- باب ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ (١)

٦٢-(٤٤٨٥). حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ (٢)، قَالَ : كانَ أَهْلُ الْكِتابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْراةَ بِالْعِبْرانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَها بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ ((لاتُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتابِ، وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾)). (٣)

وفي رواية :((وَقُولُوا: آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنا وما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ)). (٤)

شرح غريب الحديث:

<< الْعِبْرانِيَّة >>: هي لغة اليهود.(٥)

<< لاتُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتابِ، وَلا تُكَذِّبُوهُمْ >>: يعني إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج.(٦)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من أصناف المدعوين: أهل الكتاب.

الثاني - من تاريخ الدعوة: قيام اليهود بالدعوة إلى دينهم في عهد الرسول ﷺ.

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (١٣٦).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٩) ص٧٧.

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب قول النبي ﷺ : ((لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)) ٨/٢٠٢رقم (٧٣٦٢).

وكتاب التوحيد/باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٨/٢٦٧ رقم (٧٥٤٢).

٤) الطرف رقم (٧٣٦٢).

٥) لسان العرب/ابن منظور ٤/٥٣٣ مادة عبر.

٦) عمدة القاري /العيني ١٨/٩٤، وإرشاد الساري/القسطلاني٧/١٥، وفتح المبدي/الشرقاوي٣/١٧٠.

الثالث - من موضوعات الدعوة: وجود التحريف في الكتب السابقة وموقف المسلم منها.

الرابع - من واجبات المسلم: التوقف عما يشكل من الأمور.

الخامس - وجوب الإيمان بالله وبما أنزل من الكتب بدون استثناء.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من أصناف المدعوين: أهل الكتاب:

أهل الكتاب (وهم اليهود والنصارى) من أصناف المدعوين الذين يجب دعوتهم إلى الدخول في دين الإسلام ؛ قال تعالى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ .[1] وقال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي و لا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))[2] ، وأصل اليهودية : هي ديانة العبرانيين المتحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً. ومن معتقداتهم :

١- اليهود كتابيون موحدون وهذا هو الأصل.

٢- كانوا يتجهون إلى التعدد والتجسيم والنفعية مما أدى إلى كثرة الأنبياء فيهم لردهم إلى جادة التوحيد.

٣- الإله لديهم اسمه يهوه وهو ليس إلهاً معصوما بل يخطيء ويثور.

٤- عزرا هو الذي أوجد توراة موسى بعد أن ضاعت ، فبسبب ذلك وبسبب إعادته بناء الهيكل سمي عزرا ابن الله ، وهو الذي يسميه القرآن العزير.

٤- يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وأن أرواح اليهود جزء من الله ، وإذا ضرب أمي إسرائيليا فكأنما ضرب العزة الإلهية ، وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق اليهودي وغير اليهودي.

٥- إن ديانتهم خاصة بهم، مقفلة على الشعب اليهودي.

٦- لهم أعياد خاصة كعيد الفصح، ويوم التكفير، ويوم السبت الذي لا يجوز لهم الاشتغال فيه

---

١) سورة آل عمران الآية رقم (٢٠).

٢) صحيح الإمام مسلم :كتاب الإيمان /باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ص٧٧ رقم (١٥٣).

فهم يعتقدون أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا إحدى رجليه على الأخرى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا. [١]

وقد وجه إليهم رسول الله ﷺ الدعوة وقد آمن به في حياته كثير من اليهود والنصارى. وقد كان اليهود على عهد النبي ﷺ ثلاثة قبائل وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وكان بنو قينقاع والنضير حلفاء الخزرج، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس، فلما قدم النبي ﷺ المدينة عاهد من لم يؤمن، وهادنهم ووادعهم، مع إقراره لهم ولمن كان حول المدينة من المشركين من حلفاء الأنصار على حلفهم وعهدهم الذي كانوا عليه، ثم نقض العهد بنو قينقاع، ثم النضير، ثم قريظة، فأجلى بعضهم وقتل بعضهم لمحاربتهم لله ورسوله [٢]. ومنهم السبئيون وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي دخل الإسلام ليدمره من الداخل، فهو الذي نقل الثورة ضد عثمان بن عفان رضي الله عنه من القول إلى العمل مشعلا الفتنة، وهو الذي دس الأحاديث الموضوعة ليدعم بها رأيه، فهو بحق رائد الفتن السياسية الدينية في الإسلام. وفي المقابل كان من هذه القبائل الثلاث من آمن بمحمدﷺ، وكان له جهود عظيمة في الدعوة إلى الإسلام؛كأم المؤمنين صفية بنت حيي، وعبدالله بن سلام ومن أسلم من أهل بيته على يده ، وزيد بن سعنه، وثعلبة وأسيد ابني سعية، وغيرهم كثير بلغوا قرابة الأربعين - رضي الله عنهم أجمعين - . [٣]

وأما النصرانية: فهي الديانة المسيحية التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، ولكنها حرفت فابتعدت عن صورتها السماوية. من أهم معتقداتهم:

١- الألوهية والتثليث: يعتقدون بوجود إله خالق عظيم لأنهم كتابيون أصلاً لكنهم يشركون معه الابن (عيسى)، والروح القدس (جبريل) .

٢- المسيح في نظرهم مصلوب، مات مصلوبا فداء عن الخليقة، ذلك أن الله لشدة حبه للبشر من ناحية ولعدالته من ناحية أخرى فقد أرسل وحيده ليخلص العالم من خطيئة آدم حينما أكل

---

١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٦٩ - ٥٧١ ، أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي - ط١ - ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٢) انظر الصارم المسلول/ابن تيمية ص٦٢.

٣) للاستزادة في الموضوع؛ انظر الجهود الدعوية لمسلمي اليهود من الصحابة /أحمد بن حسان علي حسان - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام /بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١٧هـ .

من الشجرة المحرمة.

٣- تقديس الصليب: يعتبر الصليب شعارا لهم، وهو موضع تقديس الأكثرين.

٤- التعميد: وهو يعني الارتماس في الماء أو الرش به باسم الأب والابن والروح القدس، تعبيرا عن تطهير النفس من الخطايا والذنوب.

٥- الاعتراف: وهو الإفضاء إلى رجل الدين بكل ما يقترفه المرء من آثام وذنوب وهذا الاعتراف يسقط عن الإنسان العقوبة بل يطهره من الذنب.

٦- صكوك الغفران: وهو صك يغفر لمشتريه جميع ذنوبه ما تقدم منها وماتأخر، وهو يباع كأسهم الشركات، وقد يمنح الشخص بناء على هذا الصك أمتارا في الجنة على حسب مقدار المبلغ الذي يقدمه للكنيسة. (١)

وقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وأرسل كتابه مع دحية الكلبي ﷺ إلى حاكم أقوى دولة نصرانية وهو " هرقل " زعيم الروم وصدر كتابه بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٢)، ودعاه إلى الدخول في الإسلام وحمله إثم رعيته إن لم يسلم لأنه بكفره يكون قد صدهم عن الدخول في الإسلام، ومع اعترافه بنبوة محمدﷺ إلا أنه لم يسلم لفساد بطانته وتأثيرهم عليه. وقد انقسم النصارى تجاه دعوة محمد إلى قسمين: قسم آمن به وصدقه، واعترف أن ما جاء به هو الحق من ربهم، وهو ما بشرت به كتبهم، وما أخبرهم به نبيهم عيسى عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٣). وعلى رأسهم ملك الحبشة " النجاشي " الذي نزل من كرسيه إلى الأرض تعظيما لكتاب رسول الله ﷺ، وآوى المهاجرين إليه من المسلمين ونصرهم ورد الظلم عنهم، ومنهم الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﷺ، ومنهم فيروز الديلمي الذي أسلم وحسن إسلامه، وكان رجلا صالحا، له آثار جميلة، منها قتل الأسود العنسي مدعي النبوة في اليمن، وقد نزلت آيات كثيرة في مدح هؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب، والثناء عليهم، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤)،

---

١) الموسوعة الميسرة ص٤٩٩،٥٠٤،٥٠٥.

٢) سورة آل عمران الآية رقم (٦٤).

٣) سورة الصف جزء من الآية رقم (٦).

٤) سورة آل عمران الآية رقم (١٩٩).

أما القسم الثاني من النصارى فهم الذين لم يؤمنوا به وهم على صنفين: أما الأول فقد رضي بمصالحة المسلمين ودفع الجزية لهم فكانوا من أهل الذمة ومن هؤلاء: نصارى نجران، ونصارى دومة الجندل.

وأما الصنف الثاني فهم الذين لم يخضعوا للمسلمين ورفضوا دفع الجزية فقاتلهم رسول الله ﷺ وأخضعهم بالقوة لسلطان الإسلام، ومن هؤلاء: نصارى تبوك ونصارى مؤتة. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيهاً على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاب فغيرهم ممن لاكتاب له أولى).[١]

الثاني ـ من تاريخ الدعوة:قيام اليهود بالدعوة إلى دينهم في عهد الرسول ﷺ:

إن من تاريخ الدعوة المستفاد من هذا الحديث قيام علماء اليهود بالدعوة إلى اليهودية في عهد رسول الله ﷺ حيث كانوا يقرأون التوراة على الناس ويترجمونها لهم بلغتهم العربية حتى يفهموها. قال الشيخ حمزة قاسم ـ حفظه الله ـ: (أن بعض علماء اليهود بالمدينة كانوا يقرؤون على المسلمين بعض نصوص التوراة ، ويترجمونها لهم إلى العربية ، ولعل ذلك أسلوب من أساليب التبشير بالدين اليهودي).[٢]

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: وجود التحريف في الكتب السابقة وموقف المسلم منها:

يستفاد من هذا الحديث وقوع التحريف في الكتب السابقة والعبث فيها تبعاً للأهواء فلم تعد على صورتها التي أنزلها الله عليها حيث (كَانَ أَهْلُ الْكِتابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْراةَ بِالْعِبْرانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَها بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإسْلامِ) ولاشك أن الترجمة والنقل يختلف باختلاف قدراتهم وفهومهم وهذا تأكيد على تحريفها. قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ: ((وَقُولُوا﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ومَاأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾)) يعني به التوراة والانجيل كأنه قد صح بأخبار القرآن إن الكتابين التوراة والانجيل أنزلا عليهم وأنهم قد غيروا فيهما وبدلوا فإذا قرأوا فيها شيئا وادعوا أنه من التوراة أو الانجيل احتمل أن يكون ذلك حقا لأنهم لم يبدلوا

---

١) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٥٤٧/٢.

٢) منار القاري ٣٤/٥.

الكتاب كله وإنما بدلوا بعضه واحتمل أن يكون ذلك مما بدلوه وغيروه فلما أن احتمل الوجهين معا منع عليه السلام التصديق لهم حذرا من أن ينسب لله تعالى من أن يقله ومنع التكذيب حذرا من أن يكذب بكلام الله تعالى إذا كان ما قالوه حقا).(١)

أما موقف المسلم فعليه أن يتوقف فلا يصدقهم فيكون شريكاً معهم فيما حرفوه، ولا يكذبهم فيكون ما يقولونه صحيحاً فينكر ما أُمِرَ أن يؤمن به. قال الإمام الخطابي - رحمه الله -: (وقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام إلا أنه لاسبيل لنا إلى أن نعلم صحيح ما يحكونه عن تلك الكتب من سقيمه فنتوقف فلا نصدقهم لئلا نكون شركاء معهم فيما حرفوه منه ولا نكذبهم فلعله يكون صحيحا فنكون منكرين لما أُمرنا أن نؤمن به).(٢)

الرابع - من واجبات المسلم: التوقف عمايشكل من الأمور:

مما يستفاد من هذا الحديث أن المسلم ينبغي أن لا يخوض فيما أشكل من الأمور ولا يحكم فيها بما لا يعلم فقد قال رسول الله ﷺ : ((لا تُصَدِّقُوا أهْلَ الكِتَابِ، وَلا تُكَذِّبُوهُم)).

قال الإمام الخطابي - رحمه الله -: (هذا الحديث أصل في وجوب التوقف عمايشكل من الأمور فلايقضي عليه بصحة أوبطلان ولا بتحليل وتحريم).(٣)

الخامس - وجوب الإيمان بالله وبما أنزله من الكتب بدون استثناء:

في هذا الحديث دليل على وجوب الإيمان بالله تعالى وما أنزل من الكتب علينا وعلى من سبقنا من الأمم دون استثناء ((وَقُولُوا﴿ آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إلَيْنَا ومَاأُنْزِلَ إلَيْكُمْ ﴾))

وهذه من خصائص أمة محمد ﷺ حيث إنهم آمنوا بالرسل والكتب المنزلة جميعها، قال تعالى ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٤)؛ بخلاف الأمم السابقة فإنهم يفرقون بين الرسل والكتب بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم

---

١) بهجة النفوس٣/٧٦، وانظر صفوة الآثار /الشيخ عبد الرحمن الدوسري ٢/٣٦٨، ومنار القاري/ حمزة قاسم ٣٥/٥ .

٢) الكواكب الدراري/الكرماني ١٣/١٧، وعمدة القاري/العيني ٩٤/١٨ ، وانظر جامع بيان العلم وفضله/ابن عبدالبر٢/٥١، وفتح الباري/ابن حجر٨/ ١٢٩ ، وإرشاد الساري / القسطلاني ١٥/٧ ، وفتح المبدي/الشرقاوي٣/١٧٠.

٣) الكواكب الدراري/الكرماني ١٣/١٧، وعمدة القاري/العيني ٩٤/١٨، ومنار القاري/حمزة قاسم ٣٥/٥، وانظر المفهم/القرطبي ٥٨٧/٥،وفتح الباري/ابن حجر ١٢٩/٨.

٤) سورة البقرة الآية رقم (٢٨٥).

تصديقهم.[١] قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا).[٢]

١) انظر المحرر الوجيز /ابن عطية ٥٠٣/١ ، و الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ١٤١/٢، وتفسير أبي السعود ١٦٦/١،وتيسير الكريم الرحمن/السعدي١٤٦/١.

٢) تفسير القرآن العظيم ١٨٧/١، وانظرالمحرر الوجيز/ابن عطية١ /٥٠٣، والكواكب الدراري/الكرماني ١٣/١٧،وعمدة القاري/العيني٩٤/١٨ ، تيسير الكريم الرحمن /السعدي ١٤٦/١، وصفوة الآثار/الشيخ عبدالرحمن الدوسري٣٦٨/٢،وأيسر التفاسير/الجزائري ٩٩/١-١٠٠.

١٥- باب ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (١)

٦٣-(٤٤٨٩). حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِالله، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَنَسٍ ﷺ (٢) قَالَ: لَمْ يَبْقَ مِمَّنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ غَيْرِي. (٣)

شرح غريب الحديث :

<< **الْقِبْلَتَانِ** >>: يعني الصلاة إلى بيت المقدس وإلى الكعبة .(٤)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأبناء العلم.

الثاني - من موضوعات الدعوة: تحول القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

الثالث - تأكيد الخبر بشهود المخبر له.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تعليم الأبناء العلم:

في هذا الحديث دليل على حرص السلف من هذه الأمة على تعليم أبنائهم ما تعلموه من العلم من صحابة رسول الله ﷺ (٥)؛ فقد حدث سليمان بن طرخان حديث أنس بن مالك ﷺ لابنه معتمر والذي أخبر فيه أنس ﷺ أنه آخر من شهد الصلاة للقبلتين ولم يبق منهم على قيد الحياة في ذلك الوقت إلا هو ﷺ.

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (١٤٤).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٢) ص٥٠.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) عمدة القاري/العيني ٩٦/١٨.

٥) انظر الفائدة (١) من الحديث (٣) ص ٥٧،و الفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص ٢١٠.

الثاني - تحول القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام:

كانت القبلة في أول عهد الرسالة المحمدية ومبدأ الأمر بالصلاة إلى قبلة اليهود وهي المسجد الأقصى ثم تحولت إلى المسجد الحرام حيث نزل قوله تعالى:﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...الآية﴾[١] في الأمر بهذا التحول.قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: (قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله ﷺ ، لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾).[٢]

الثالث - تأكيد الخبر بشهود المخبر له:

من أساليب الدعوة في تأكيد الخبر ذكر المخبر شهوده له؛ وفي هذا الحديث ذكر أنس رضي الله عنه أنه (لَمْ يَبْقَ مِمَّنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ غَيْرِي) أي من الصحابة رضي الله عنهم فهذا يعني أنه آخر من مات منهم [٣]، فحديثه عن نفسه يدل على صحة قوله. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وفي هذا إشارة إلى أن أنسا آخر من مات ممن صلى إلى القبلتين).[٤]

---

١) سورة البقرة الآية رقم (١٤٤).

٢) تفسير القرآن العظيم ١٩٢/١، وانظر الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ١٥٨/٢، و تفسير أبي السعود ١٧٤/١.

٣) انظر: عمدة القاري/العيني٩٦/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ١٧/٧.

٤) فتح الباري ١٣١/٨.

٢٣- باب ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ - إلى قَوْلِهِ - عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١]

٦٤-(٤٤٩٨). حدثنا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما [٢] يَقُولُ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِمْ الدِّيَةُ. فَقَالَ الله تَعَالَى لِهَذِهِ الأُمَّةِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ **فَالْعَفْوُ أَنْ يَقْبَلَ الدِّيَةَ فِي الْعَمْدِ.** ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ **يَتَّبِعُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُؤَدِّي بِإِحْسَانٍ.** ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ **مِمَّا كُتِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَ قَبُولِ الدِّيَةِ.** [٣]

شرح غريب الحديث :

<< **الْقِصَاصُ** >>: القِصاصُ والقِصاصاءُ والقُصاصاءُ : القود وهو القتل بالقتل أو الجرح بالجرح.[٤]

<< **الدِّيَةُ** >>: الدية حق القتيل ، وقد وديته ودياً . [٥]

<< **ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ** >>: أي الحكم المذكور من العفو والدية لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم عليهم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخُيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا.[٦]

---

١) سورة البقرة الآية (١٧٨).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص ٥٤.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الديات/باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ٤٩/٨ رقم(٦٨٨١).

٤) لسان العرب /ابن منظور ٧ /٧٦ مادة قصص.

٥) المصدر السابق ٣٨٣/١٥ مادة ودى .

٦) عمدة القاري/العيني ١٠١/١٨ ،وإرشاد الساري /القسطلاني ٢١/٧.

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من خصائص الشريعة الإسلامية: الوسطية .

الثاني - من مبادىء الإسلام: المساواة .

الثالث - من موضوعات الدعوة: فرضية القصاص والتخيير بينه وبين الدية.

الرابع - من أساليب الدعوة: التذكير برابط الأخوة.

الخامس - من خصائص الشريعة الإسلامية: التيسير.

السادس - من أساليب الدعوة: الترهيب.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من خصائص الشريعة الإسلامية: الوسطية:

إن مما يدل عليه هذا الحديث وسطية الشريعة الإسلامية بين الأديان الأخرى حيث كان في بني إسرائيل القصاص ولم يكن فيهم دية وفي دين عيسى عليه السلام الدية وليس فيه قصاص فجاءت الشريعة الإسلامية وسطاً بينهما حيث جمعت الأمرين. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (محصل كلام ابن عباس رضي الله عنهما يدل على أن قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ﴾ أي على بني إسرائيل في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ مطلقا فخفف عن هذه الأمة بمشروعية الدية بدلا عن القتل لمن عفا من الأولياء عن القصاص ... وقد قيل أن شريعة عيسى لم يكن فيها قصاص وأنه كان فيها الدية فقط فإن ثبت ذلك امتازت شريعة الإسلام بأنها جمعت الأمرين فكانت وسطى لاإفراط ولاتفريط).[1]

الثاني - من مبادىء الإسلام: المساواة :

إن من مبادىء الإسلام الظاهرة في هذا الحديث المساواة بين الناس في القصاص من المعتدي حيث قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾.[2] قال الإمام ابن العربي - رحمه الله -: (أن الله سبحانه قال: كتب عليكم

---

١) فتح الباري ١٨٤/١٢، وانظر الكواكب الدراري/الكرماني ١٤/٢٤، وإرشاد الساري/القسطلاني ٥٢/١٠.

٢) سورة البقرة الآية رقم (١٧٨).

القصاص، فشرط المساواة في المجازاة).[١]

الثالث - من موضوعات الدعوة: فرضية القصاص والتخيير بينه وبين الدية:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث والتي ينبغي للداعية أن يذكر بها المدعوين فرضية القصاص على الأمة الإسلامية حفظاً للأنفس والحقوق لما في ذلك من حياة للبشرية جمعاء. كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[٢] على أن في الأمر رخصة في عدمه إذا رضي ولي الحق قبول الدية أو العفو عن الجاني فله ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِمْ الدِّيَةُ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الأُمَّةِ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾) مع التحذير من عدم العود والاعتداء بعد قبول الدية. قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لايتهيأ للمؤمنين جميعا أن يجتمعوا على القصاص؛ فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود. وليس القصاص بلازم إنما اللازم ألاّ يتجاوز القصاص وغيره من الحدود إلى الاعتداء؛ فأما إذا وقع الرضا بدون القصاص من دية أو عفو فذلك مباح).[٣]

الرابع - من أساليب الدعوة: التذكير برابط الأخوة :

من أساليب الدعوة المستفادة من الحديث التذكير برابط الأخوة الإسلامية عند حدوث خلاف بين المسلمين لإثارة العاطفة والرقة بينهم فيكون الإصلاح أو التخفيف في المطالبة بالحق كما في مسألة القصاص الواردة في الحديث ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ بالعدول مثلاً عن القصاص إلى الدية أو غيره .قال العلامة القسطلاني - رحمه الله -: (ذكره بلفظ الأخوة الثابتة بينهما من الجنسية والإسلام ليرق له ويعطف عليه).[٤]

---

١) أحكام القرآن ٦١/١،وانظر :الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ٢٥١/٢،وإرشاد الساري /القسطلاني ٥١/١٠،وتيسير الكريم الرحمن/السعدي ٢١٤/١،وأيسر التفاسير /الجزائري ١٣٠/١.

٢) سورة البقرة الآية رقم (١٧٩).

٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٢،وانظر الكواكب الدراري/الكرماني ٢٠/١٧،وفتح الباري/ابن حجر ١٨٢/١٢،وتيسير الكريم الرحمن/السعدي ٢١٤/١.

٤) إرشاد الساري ٢١/٧،وانظر تفسيرأبي السعود١٩٥/١،وعمدة القاري/العيني١٠١/١٨ ،وتيسير الكريم الرحمن /السعدي ٢١٥/١.

الخامس - من خصائص الشريعة الإسلامية: التيسير:

إن من خصائص التشريع الإسلامي المستفادة من الحديث تيسير الإسلام على أتباعه بالتخيير بين القصاص أو الدية أو العفو حيث كان لأهل التوراة القتل ولم يكن هم غير ذلك،وأهل الإنجيل كان لهم العفو ولم يكن لهم قود ولادية؛ فجعل الله تعالى ذلك تخفيفاً لهذه الأمة؛ فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا.[1] قال العلامة العيني ـــ رحمه الله ـ: (لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم عليهم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا).[2]

السادس - من أساليب الدعوة: الترهيب:

من أساليب الدعوة التي نأخذها من هذا الحديث الترهيب من الاعتداء على المسلمين وما أعده الله ﷻ من العذاب الشديد لمن يفعل ذلك؛ وفي هذا الحديث حذر الله ﷻ من اعتدى بعد القضاء في الأمر واستكمال الحقوق بين الطرفين بقوله تعالى:﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .[3] والمعنى أن الله ﷻ قد بين له وحد الحدود، وبين الحقوق، فمن تجاوزها بعد بيانها فله عذاب أليم في الدنيا أوفي الآخرة أو فيهما معا.[4]

---

١) انظر الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ٢/٢٥٥.

٢) عمدة القاري ١٨/١٠١، وإرشاد الساري/ القسطلاني ٧/٢١، وانظر الإفصاح/ابن هبيرة ٣/١٢٨، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير١/٢١٠،وتفسير أبي السعود١/١٩٦،وأيسر التفاسير/الجزائري ١/١٣٠.

٣) سورة البقرة الآية رقم (١٧٨)، قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (قال الحسن :كان الرجل في الجاهلية إذا قتل قتيلا فر إلى قومه فيصالحون بالدية فيقول ولي المقتول: إني أقبل الدية؛ حتى يأمن القاتل ويخرج، فيقتله ثم يرمي إليهم بالدية). الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٥٥.

٤) انظر الجامع لأحكام القرآن /القرطبي٢/٢٥٦،وعمدة القاري/العيني١٨/١٠١.

٢٤- باب ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)

٦٥-(٤٥٠٣). حدثني مَحْمُودٌ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ الله، عَنْ إِسْرائِيلَ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْراهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الله (٢) قالَ: دَخَلَ عَلَيْهِ الأَشْعَثُ وَهْوَ يَطْعَمُ فَقالَ: الْيَوْمُ عاشُوراءُ فَقالَ: كانَ يُصامُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ رَمَضانُ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضانُ تُرِكَ فَادْنُ فَكُلْ. (٣)

شرح غريب الحديث :

<< **عاشُوراءُ** >>: هو اليوم العاشر من المحرم. وهو اسم إسلامي وليس في كلامهم فاعولاء بالمد غيره. وقد ألحق به تاسوعا وهو تاسع محرم.(٤)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - أهمية التزاور بين المسلمين.

الثاني - حرص الداعية على رفع اللبس عن المدعو وتجلية الحقيقة.

الثالث - من موضوعات الدعوة: نسخ فرضية صيام عاشوراء .

الرابع - من صفات المسلم: كرم الضيافة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سورة البقرة الآية (١٨٣).

٢) سبقت ترجمته ص٢٥١.

٣) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب الصوم/باب صوم يوم عاشوراء ص٤٦١ رقم (١١٢٧).

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٣/٢٤٠.

الأول ـ أهمية التزاور بين المسلمين:

إن مما يستفاد من هذا الحديث أهمية تزاور المسلمين فيما بينهم حيث ذكر فيه أن الأشعث بن قيس الكندي زار عبد الله بن مسعود ﷺ في بيته وهذه الزيارة تزيد من ترابط المسلمين بعضهم ببعض وتفقد أحوالهم وقضاء حاجياتهم إضافة إلى الفوائد الأخرى كالفائدة العلمية التي تحصل عليها الأشعث من زيارته لعبد الله بن مسعود ﷺ.[١]

الثاني ـ حرص الداعية على رفع اللبس عن المدعو وتجلية الحقيقة:

إن من صفات الداعية حرصه على إجلاء اللبس الذي يحدث للمدعو وبيان حقيقة الأمر حتى لايبقى في ذهن المدعو شيء من اللبس، كما فعل عبد الله بن مسعود ﷺ مع الأشعث لمادخل عليه وتعجب من أكله في نهار يوم عاشوراء؛ فأخبره عبد الله بما أزال عنه ما أشكل عليه، (**فَقَالَ: كَانَ يُصامُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ رَمَضَانُ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ تُرِكَ**).

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: نسخ فرضية صيام عاشوراء:

إن من موضوعات الدعوة التي ينبغي للداعية أن يذكرها هو صيام يوم عاشوراء وفضله وأن رسول الله ﷺ كان يصومه ويأمر بصومه حتى أمرهم الله بصوم شهر رمضان فجعل صوم عاشوراء على الندب فمن شاء صامه ومن شاء تركه.[٢] قال الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ : (أوجب ـ الرسول ﷺ ــ صيامه، وأكد أمره حتى كانوا يُصوِّمون الصغار، فالتزمه، وألزمه أصحابه إلى أن فرض شهر رمضان، ونسخ وجوب صوم يوم عاشوراء).[٣]

الرابع ـ من صفات المسلم: كرم الضيافة:

في هذا الحديث دليل على أن من صفات المسلم حسن ضيافته لإخوانه استجابة لأمر رسول الله ﷺ: ((**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**))[٤]؛ حيث إن عبد الله بن مسعود ﷺ طلب من الأشعث أن يجلس ليشاركه غداءه بقوله (**فَادْنُ فَكُلْ**). قال الإمام

---

١) انظر الفائدة (٧) من الحديث (٣٠) ص ٢٠٧.

٢) اختلف العلماء على حكم صيام عاشوراء قبل فرضية صيام شهر رمضان انظر الاختلاف في:شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٨/٢٥١،وبهجة النفوس/ابن أبي جمرة ٤/٢٦٨.

٣) المفهم ٣/١٩١ ،وانظر الإفصاح/ابن هبيرة ٢/ ١٨،وإكمال المعلم/القاضي عياض ٤/٨١،وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٨/٢٥٣ ،وفتح الباري/ابن حجر ٨/١٣٤.

٤) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأدب /باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ٧/١٣٦ رقم (٦١٣٨).

ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ : (والضيافة من الإسلام وخلق النبيين والصالحين . وقد أوجبها بعض العلماء، وأكثرهم على أنها من مكارم الأخلاق. وقال صاحب الإفصاح: في هذا الحديث من الفقه أن يعتقد الإنسان أن إكرام الضيف عبادة لا ينقصها أن يضيف غنيا، ولا يغيرها أن يقدم إلى ضيفه اليسير مما عنده ، فإكرامه أن يسارع إلى البشاشة في وجهه، ويطيب الحديث له، وعماد أمر الضيافة إطعام الطعام، فينبغي أن يبادر بما فتح الله من غير كلفة). [(١)]

١) شرح الأربعين حديثا النووية /لابن دقيق العيد ص٤٩- مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ـ جدة .

٢- باب قَوْلِهِ: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ - إلى قوله - إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وقال عطاء: يفطر من المرض كله كما قال الله تعالى وقال الحسن وإبراهيم في المرضع والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما تفطران ثم تقضيان وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعدما كبر عاما أو عامين كل يوم مسكينا خبزا ولحما وأفطر. قراءة العامة يطيقونه وهو أكثر.

٦٦-(٤٥٠٥). حدثني إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا رَوْحٌ ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ عَطَاءٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ،يَقْرَأُ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (٢): لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ، لا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَلْيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِيناً﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٣). (٤)

شرح غريب الحديث:

<< **يُطَوَّقُونَهُ** >> : بضم الياء وتخفيف الطاء وتشديد الواو على البناء للمجهول بمعنى يتكلفونه.(٥)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

---

١) سورة البقرة الآية (١٨٤).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) سورة البقرة جزء من الآية (١٨٥).

٤) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٥) عمدة القاري/العيني ١٨/١٠٥.

الأول - من خصائص التشريع الإسلامي: رفع الحرج.

الثاني - من أساليب الدعوة: بيان الرخص للترغيب في الإسلام.

الثالث - ابتداء الداعية التلميذ بالتعليم قبل سؤاله.

الرابع - من موضوعات الدعوة: وجوب الصيام.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من خصائص التشريع الإسلامي: رفع الحرج:

إن مما يستفاد من هذا الحديث أن من خصائص الإسلام رفع الحرج عن المسلمين وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، لأن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالمشاق والاعنات فيه والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [١]، وقوله ﷺ: ((فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)) [٢]، وكذلك ما ثبت من مشروعية الرخص وهو أمر مقطوع به ومما علم من دين الأمة ضرورة كرخص القصر والفطر والجمع وتناول المحرمات في الاضطرار فإن هذا نمط يدل قطعا على مطلق رفع الحرج والمشقة[٣]. وفي هذا الحديث ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى:﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ في (الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ ، لا يَسْتَطِيعانِ أَنْ يَصُوما فَلْيُطْعِمانِ مكانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِيناً). قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (هذه الترجمة معضودة بالقاعدة الشرعية المقررة في رفع ما لا يطاق).[٤]

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٨٦).

٢) متفق عليه ، في صحيح الإمام البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة /باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٨٠/٨ رقم (٧٢٨٨) واللفظ له، وصحيح الإمام مسلم :كتاب الفضائل /باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لاضرورة إليه ... ص١٠٣٥ رقم (١٣٣٧).

٣) الموافقات في أصول الأحكام/للحافظ أبي إسحاق إبراهيم اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي ٨١/٢، ٨٢ بتصرف يسير - علق عليه الأستاذ الشيخ محمدحسنين مخلوف - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، وانظر فتح المبين لشرح الأربعين/ابن حجر الهيتمي ص١٣٢.

٤) المفهم ٣/ ١٨٠،وانظر: الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ٢٧٦/٢، وتفسير القرآن العظيم/ابن كثير ٢١٤/١،وعمدة القاري/العيني ١٠٥/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ٢٤/٧، وعون المعبود/محمد العظيم آبادي ٤٣٢/٦،وفي ظلال القرآن/سيد قطب ١٦٨/١.

الثاني ـ من أساليب الدعوة: بيان الرخص للترغيب في الاسلام:

إن من أساليب الترغيب في الإسلام الحديث عن الرخص التي وضعها الله ﷻ لعباده حيث أمرهم بتكاليف لا تتعدى قدراتهم ومن يحصل له الضرر بشيء منها يعفى مع البديل إن استطاع أيضا. وفي هذا الحديث إحدى الرخص التي أزال الله ﷻ المشقة عن عباده وهي الرخصة لمن لم يستطع الصوم بأن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكين (لا يَسْتَطِيعانِ أنْ يَصُوما فَلْيُطْعِمانِ مَكانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِيناً). قال الإمام العيني ـ رحمه الله ـ : (إن الشيخ الكبير والعجوز إذا كان الصوم يجهدهما ويشق عليهما مشقة شديدة فلهما أن يفطرا ويطعما لكل يوم مسكينا). [(١)]

الثالث ـ ابتداء الداعية التلميذ بالتعليم قبل سؤاله:

مما يستفاد من هذا الحديث أن الداعية ينبغي أن يبادر المدعوين بالتعليم ولا ينتظر حتى يسأل لأن المدعوين يختلفون من حيث الثقافة والقدرة على طرح السؤال أو الاهتمام به؛ فمبادرته بتعليمهم يتيح لهم التعرف على أمور قد لايكون لديهم علم سابق بها ليسألوا عنها، أو يوضح لهم قضية أشكلت عليهم [(٢)]. وفي هذا الحديث نرى مبادرة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالتعليم حيث إنه لما قرأ قوله تعالى:﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾أوضح المقصود منه دون سؤال من السامع فقال (لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ).

الرابع ـ من موضوعات الدعوة: وجوب الصيام :

من موضوعات الدعوة المستفادة من الحديث؛ وجوب الصيام وفرضيته على الأمة المحمدية حيث ذكر ابن عباس رضي الله عنهما بعد الرخصة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ليبين فرضية صوم شهر رمضان على من كان مقيما قادرا. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ: (أي فمن كان شاهداً أي حاضراً مقيما غير مسافر في الشهر فليصمه ولا يفطر).[(٣)]

---

١) عمدة القاري ١١/٥١ ، عون المعبود/محمد العظيم آبادي ٦/٤٣٢.

٢) انظر:عمدة القاري/العيني ٩/٣٠٢.

٣) المصدر السابق ١٨/١٠٥، وانظر تفسير القرآن العظيم/ابن كثير ١/٢١٤،وفتح الباري/ابن حجر ٨/٢٤،وإرشاد الساري/القسطلاني٧/٢٤.

باب(٢٦)

٦٧-(٤٥٠٧). حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ عَمْرو بْنِ الْحارِثِ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِالله عَنْ يَزِيدَ مَوْلى سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ، عَنْ سَلَمَةَ[١] قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [٢]كانَ مَنْ أرادَ أنْ يُفْطِرَ وَيَفْتَدِي حَتَّى نَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي بَعْدَها[٣] فَنَسَخَتْها.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول ـ الاهتمام بتعليم الموالي.

الثاني ـ من خصائص الإسلام: التيسير.

الثالث ـ نسخ الآيات في القرآن الكريم.

الرابع ـ قبول قول الواحد من الصحابة ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ الاهتمام بتعليم الموالي:

مما يستفاد من هذا الحديث اهتمام الصحابة ﷺ بتعليم مواليهم فهذا سلمة بن الأكوع ﷺ يعلم يزيد بن أبي عبيد [٥] أمراً من أمور الدين الإسلامي مما يؤكد أهمية تعليم المسلم

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١) من البحث ص٤٥.

٢) سورة البقرة جزء من الآية (١٨٤).

٣) الآية التي نسختها هي قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ .الآية (١٨٥).

٤) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الصوم/باب بيان نسخ قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ...﴾ ص٤٦٦ رقم (١١٤٥).

٥) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١) من البحث ص٤٥ .

لمن تحت يده؛ كالخدم في البيوت والعمال في المصانع وغيرهم ولا تقتصر العلاقة بينهم على العمل فقط.

الثاني ـ من خصائص الإسلام : التيسير:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث تيسير الإسلام وسماحته حيث إنه لما نزل فرض الصيام وشق على بعض المسلمين صيامه رخص لهم في الفطر مع الإطعام عن كل يوم مسكين. قال الإمام السندي ـ رحمه الله ـ: (سببها أنه شق عليهم رمضان فرخص لهم في الإفطار مع القدرة على الصوم ،فكان يصوم بعض ويفتدي بعض حتى نزل قوله تعالى﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وهذه الآية هي المرادة بقوله حتى نزلت الآية بعدها). [1] وهذا التيسير في الإسلام جاء في كثير من الأحكام حيث يتدرج معهم حتى يتمكن الأمر في نفوسهم ثم يكون الأمر الناسخ والحكم الثابت في المسألة .

الثالث ـ نسخ الآيات في القرآن الكريم:

إن في قول سلمة بن الأكوع في هذا الحديث: (**حَتَّى نَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَنَسَخَتْهَا**) دليل على ثبوت النسخ في القرآن الكريم لبعض الآيات. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: ("قوله في حديث سلمة بن الأكوع لما نزلت ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... إلخ"﴾ هو أيضا صريح في دعوى النسخ). [2] وهذا موضوع مهم من موضوعات الدعوة التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى ألاّ يغفل الحديث عنها حتى لا يقع المدعوون في الخطأ بالعمل بآيات نسخ الحكم فيها.

---

١) فتح الباري٨/١٣٥.

٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٤/١٩٠، وانظر المفهم /القرطبي٣/٢٠٤، فتح الباري/ابن حجر ٨/١٣٦،وعمدة القاري/العيني١٨/١٠٦، والمنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود /محمود محمد خطاب السبكي ١٠/٢٧ ـ تصحيح وتنقيح أمين محمود خطاب ـ ط١ـ ١٣٥٣هـ ـ مطبعة الاستقامة ـ مصر.

الرابع ـ قبول قول الواحد من الصحابة ﷺ:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث أن الواحد من الصحابة ﷺ يؤخذ قوله في النسخ كما يؤخذ في الأمر والنهي لأن الصحابة ﷺ كلهم عدول وهم أدرى بالحال والمقال. قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : (وقول سلمة بن الأكوع: إن ذلك نسخ بقوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [١] هذا مقبول من قول الصحابي ؛ لأنه أعلم بالمقال ، وأقعد بالحال، كما إذا قال: أمر ونهي). [٢]

---

١) سورة البقرة الآية رقم (١٨٥).

٢) المفهم ٣/٢٠٤.

٣١ - باب قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١] التهلكة والهلاك واحد.

٦٨ -(٤٥١٦)- حدثنا إسْحاقُ حَدَّثَنَا النَّضْرُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبا وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ[٢] ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ.[٣]

شرح غريب الحديث:

<< التَّهْلُكَة >>: الهلاك والهلك يعني بفتح الهاء وبضمها واللام ساكنة فيهما وكل هذه مصادر هلك بلفظ الفعل الماضي وقيل التهلكة ما أمكن التحرز منه والهلاك بخلافه وقيل التهلكة نفس الشيء المهلك وقيل ما تضر عاقبته والمشهور الأول.[٤]

---

١) سورة البقرة الآية (١٩٥).

٢) هو حذيفة بن حسل ويقال حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان واليمان لقب حسل بن جابر ، هاجر إلى النبي ﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة وشهد مع النبي ﷺ أحداً وقتل أبوه بها، وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحد إلا حذيفة أعلمه بهم رسول الله ﷺ ، وكان عمر رضي الله عنه إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وإن لم يحضر حذيفة رضي الله عنه الصلاة عليه لم يحضر عمر . قال أبوإدريس:سمعت حذيفة يقول:والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة.وقال أبو عاصم الغطفاني:كان حذيفة لايزال يحدث الحديث،يستفظعونه، فقيل له يوشك أن تحدثنا:أنه يكون فينا مسخ ! قال:نعم ليكونن فيكم مسخ : قردة وخنازير.وكان يسأل النبي ﷺ عن الشر ليتجنبه وأرسله النبي ﷺ ليلة الأحزاب سرية ليأتيه بخبر الكفار ولم يشهد بدراً لأن المشركين أخذوا عليه الميثاق لايقاتلهم.قال عنه علي رضي الله عنه :علم المنافقين وسأل عن المعضلات فإن تسألوه تجدوه بها عالما.وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة ست وثلاثين هجرية .

(انظر:أسد الغابة/ابن الأثير ٣٩١/١،الإصابة/ابن حجر ٣٣٢/١،شذرات الذهب/ابن العماد٤٤/١).

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) فتح الباري/ابن حجر ١٣٨/٨.

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بدرسين دعويين هما:

الأول - وجوب الإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات.

الثاني - اهتمام حذيفة ﷺ بالتعليم .

أما الحديث عنهما بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - وجوب الإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات:

من موضوعات الدعوة المستفاد من هذا الحديث وجوب الإنفاق في سبيل الله تعالى في جميع وجوه الخير والنفع للمسلمين خاصة في مجال الجهاد في سبيل الله لما في ذلك من تقوية شوكة المسلمين وإرهاب عدوهم بكثرة العدة قال تعالى ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والاخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده).[1]

الثاني - اهتمام حذيفة ﷺ بالتعليم:

في هذا الحديث دليل على اهتمام حذيفة ﷺ بتعليم علوم القرآن وذكر أسباب نزول الآيات ومعانيها فقال : (نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ) مما يدل على أهمية نشر هذا العلم ووجوب اقتداء الدعاة إلى الله تعالى به لما في ذلك من عموم النفع للمسلمين ، وماتتضمنه هذه الآيات من تشريع لحياة المسلم ؛ فقد أخبر حذيفة ﷺ أن سبب نزول الآية الأمر بالنفقة عدم إهلاك النفس بتركها. وقد ذكر غيره من الصحابة ﷺ أسباباً أخرى للنزول تقرب من هذا الذي ذكره حذيفة ﷺ.[2]

---

١) تفسير القرآن العظيم ٢٢٩/١، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٢٩/٧ ، وتفسير أبي السعود ٢٠٥/١، وتيسير الكريم الرحمن/السعدي ٢٣٦/١، وفي ظلال القرآن /سيد قطب ١٩٢/١.

٢) فتح الباري/ابن حجر ١٣٨/٨،وتفسير القرآن العظيم /ابن كثير ٢٢٨/١-٢٢٩، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٢٩/٧، وتفسير أبي السعود ٢٠٥/١ .

٣٥- باب ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [١]

٦٩-(٤٥٢١)- حدثني مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمانَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، أَخْبَرَنِي كُرَيْبٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [٢] قالَ: تَطَوَّفُ الرَّجُلِ بِالْبَيْتِ ما كانَ حَلالاً حَتَّى يُهِلَّ بِالْحَجِّ فَإذا رَكِبَ إلى عَرَفَةَ فَمَنْ تَيَسَّرَ لَهُ هَدِيَّةٌ مِنَ الإبِلِ أوِ الْبَقَرِ أوِ الْغَنَمِ ماتَيَسَّرَ لَهُ مِنْ ذلِكَ أيَّ ذلِكَ شاءَ غَيْرَ أنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ فَعَلَيْهِ ثَلاثَةُ أيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَذلِكَ قَبْلَ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَإنْ كانَ آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ الثَّلاثَةِ يَوْمُ عَرَفَةَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَنْطَلِقْ حَتَّى يَقِفَ بِعَرَفاتٍ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إلى أنْ يَكُونَ الظَّلامُ، ثُمَّ لَيَدْفَعُوا مِنْ عَرَفاتٍ إذا أفاضُوا مِنْها حَتَّى يَبْلُغُوا جَمْعاً الَّذِي يَبِيتُونَ بِهِ ثُمَّ لِيَذْكُرِ الله كَثِيراً، وَأَكْثِرُوا التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ قَبْلَ أنْ تُصْبِحُوا، ثُمَّ أَفِيضُوا فَإنَّ النَّاسَ كانُوا يُفِيضُونَ وَقالَ الله تَعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حَتَّى تَرْمُوا الْجَمْرَةَ . [٣]

شرح غريب الحديث :

<< تَطَوَّفُ الرَّجُلِ بِالْبَيْتِ ماكانَ حَلالاً >>: أي المقيم بمكة والذي دخل بعمرة وتحلل منها.[٤]

<< أَفاضُوا >> : الإفاضة:الزحف والدفع في السيربكثرة، ولايكون إلا عن تفرق وجمع.وأصل الإفاضة الصب فاستعيرت للدفع في السير.[٥]

<< جَمْعا >> : بفتح الجيم وسكون الميم وهو المزدلفة .[٦]

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (١٩٩).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) فتح الباري/ابن حجر ١٣٩/٨.

٥) لسان العرب /ابن منظور٢١٣/٧ مادة فيض.

٦) فتح الباري/ابن حجر ١٣٩/٨.

<< **الْجَمْرَةَ** >> : الجَمَراتُ والجِمارُ: الحصيات التي يرمى بها في مكة ،واحدتها جمرة ، وهي ثلاث جمرات يرمين بالجمار. (١)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الموالي.

الثاني - من موضوعات الدعوة:بيان بعض مناسك الحج .

الثالث - اتباع السنة وتقديمها على الرخصة.

الرابع - من خصائص الدعوة: التيسير.

الخامس - من موضوعات الدعوة: بيان التخطيط والتنظيم في الحج.

السادس - من موضوعات الدعوة:بيان أهمية الدعاء وملازمته .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تعليم الموالي :

في هذا الحديث دليل على أهمية تعليم الموالي، حيث حدّث ابن عباس رضي الله عنهما مولاه كريباً(٢) بهذا الحديث، وماتضمنه من أحكام الحج ومناسكه، وكان من ثمار هذا التعليم تحديث كريب غيره به نشراً لسنة رسول الله ﷺ .

الثاني - من موضوعات الدعوة: بيان بعض مناسك الحج :

في هذا الحديث من موضوعات الدعوة بيان بعض المناسك التي يقوم بها الحاج أثناء أدائه فريضته، فذكر ابن عباس رضي الله عنهما من يحل له الطواف بالبيت وهو الذي حل من إحرامه للعمرة أو المقيم في مكة فهذان يحل لهما الطواف بالبيت، ثم ذكر الهدي وحكم من كان قارناً أو متمتعاً ولم يكن معه هدي، ثم ذكر وقت الوقوف في عرفات والخروج منها إلى مزدلفة، ومتى

١) لسان العرب /ابن منظور١٤٧/٤ مادة جمر.

٢) هو كريب بن أبي مسلم ، الإمام ، الحجة ،أبو رشدين ، الهاشمي العباسي ، الحجازي.حدّث عن ابن عباس رضي الله عنهما ،وأم الفضل أمه ،وأخته ميمونة ، وأسامة بن زيد ، وطائفة قال ابن سعد :كان ثقة ، حسن الحديث وقال يحي بن معين والنسائي: ثقة .وقال موسى بن عقبة: وضع كريب عندنا عدل بعير من كتب ابن عباس رضي الله عنهما. مات سنة ثمان وتسعين للهجرة. (انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي١٥٩/١ ، وشذرات الذهب/ابن العماد١١٥/١)

يخرج الحاج من مزدلفة وماذا ينبغي له أثناء المبيت، ثم الإفاضة إلى منى لرمـي الجمـرات. وذكـر عبدالله ﷺ للمناسك استجابة لأمر النبي ﷺ حيث أمر من خرج معـه في حجـة الـوداع أن يـأخذ عنه المناسك، ويبلغها لغيره ممن لم يحضر الحج ((وليبلـغ الشـاهد الغـائب))[1]. وهـذه الأمـور التي ذكرها ابن عباس ﷺ في حديثه مـن دقـائق التشـريع الـتي يجهلهـا كـثير مـن النـاس فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يكثر من الحديث عنها وذكر تفصيلاتهـا، خاصـة قبيـل أيـام الحـج حتى يذهب الحاج إلى المشاعر المقدسة وقد علم ما له وما عليه، وتطيب نفسه بأداء حجته كاملة. [2]

الثالث ـ اتباع السنة وتقديمها على الرخصة:

إن في قول ابن عباس ﷺ : (وَأَكْثِرُوا التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا، ثُمَّ أَفِيضُوا) إشارة إلى سنة النبي ﷺ في الخروج من مزدلفة أن يخرج صباحاً بعد أداء صلاة الفجـر، وقد رخص النبي ﷺ لمن شق عليه ذلك أن يخـرج في منتصف الليل كما رخص لأم المؤمنين سودة بنت زمعة ﷺ وكانت امرأة ثقيلة [3]، فقول ابن عباس ﷺ هذا يشـير إلى فضيلـة اتبـاع السـنة وتقديمها على الرخصة.

الرابع ـ من خصائص الدعوة: التيسير:

تجلت لنا في هذا الحديث واحدة من خصائص الدعوة الإسلامية السمحة؛ وهـي التيسـير على أتباعها، ورفع الحرج عنهـم في حـال عـدم الاسـتطاعة، فقـد ذكـر ابـن عبـاس ﷺ تيسـير الإسلام في نوعية الهدي فلم يحدد نوعا واحداً بعينه بل قال: (فَمَنْ تَيَسَّرَ لَهُ هَدِيَّةٌ مِنَ الإِبِـلِ أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الْغَنَمِ ماتَيَسَّرَ لَهُ مِنْ ذلِكَ أَيَّ ذلِكَ شاءَ) ثم أخبر الذي لا يستطيع أنه يصـوم عوضاً عن ذلك قال: (غَيْرَ أَنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ فَعَلَيْهِ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فِـي الْحَـجِّ) فيصـوم عشـرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله حيث قال تعالى : ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَـجِّ فَمَـا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَـرَةٌ كَامِلَـةٌ

---

١) انظر حديث رقم (١٠٤) من صحيح الإمام البخاري.

٢) لمعرفة صفة الحج كاملة وكيفيته انظر كتب الفقه ، كتاب الحج /باب في صفة الحج والعمرة .

٣) عن عائشة ﷺ قالت : (نزلنا المزدلفة ، فاستأذنت النبي ﷺ سودة ﷺ أن تدفع قبل حطمة الناس ـ وكانت امرأة بطيئـة ـ فأذن لها ، فدفعت قبل حطمة الناس ، وأقمنا حتى أصبحنا نحن ، ثم دفعنا بدفعه ، فلأن أكـون اسـتأذنت رسـول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إليَّ من مفروح به) صحيح الإمام البخـاري:كتـاب الحـج /بـاب مـن قـدَّم ضعفـة أهلـه بليـل ٢/٢١٦ رقـم الحديث (١٦٨١)وقال الشارح لهذه النسخة ـ وهي النسخة المعتمدة في الموسوعة ـ حطمة الناس :أي زحمتهم ،لأن بعضهـم يحطـم بعضاً من الزحام .وقولها مفروح به:أي من كل شيء يفرح به ويسر .

ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [١] وصيام الثلاثة التي في الحج يكون قبل عرفة لأن الحاج لا يجوز له صيام يوم عرفة فإن صادف الثالث من أيام الصيام يوم عرفة فلا حرج عليه في صيامه قال ابن عباس رضي الله عنهما : (فَإِنْ كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ الثَّلاثَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ). وهذا كله تيسيراً على الحاج في أداء مناسكه، وهذا التيسير هو جزء من منهج الدين الإسلامي في التعامل مع أتباعه.

الخامس ـ من موضوعات الدعوة: بيان التخطيط والتنظيم في الحج:

في هذا الحديث جاء بيان مناسك الحج والكيفية التي تؤدى عليها، يظهر فيها التخطيط الدقيق للأفعال، والتنظيم لها حيث ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن الحاج إذا أهل بقران أو تمتع ولم يكن معه هدي يصوم (غَيْرَ أَنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ فَعَلَيْهِ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَذَلِكَ قَبْلَ يَوْمِ عَرَفَةَ فَإِنْ كَانَ آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ الثَّلاثَةِ يَوْمُ عَرَفَةَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ) والأصل أن يصوم عشرة أيام: ثلاثة قبل عرفة وسبعة إذا رجع لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [٢]، ثم ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن الحاج يتجه إلى عرفات ويقف فيها إلى غروب الشمس قال (ثُمَّ لِيَنْطَلِقْ حَتَّى يَقِفَ بِعَرَفَاتٍ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ يَكُونَ الظَّلامُ) ثم يدفع الحاج إلى مزدلفة فيبيت فيها ويكثروا من الذكر والدعاء والتكبير والتهليل ثم الإفاضة منها إلى منى : (ثُمَّ لِيَدْفَعُوا مِنْ عَرَفَاتٍ إِذَا أَفَاضُوا مِنْهَا حَتَّى يَبْلُغُوا جَمْعاً الَّذِي يَبِيتُونَ بِهِ ثُمَّ لِيَذْكُرِ اللهَ كَثِيراً، وَأَكْثِرُوا التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا، ثُمَّ أَفِيضُوا فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا يُفِيضُونَ) وفي منى يرمي الحاج الجمرات قال: (حَتَّى تَرْمُوا الْجَمْرَةَ) وهذا تنظيم دقيق أمر به الله ﷻ، وحرص النبي ﷺ على تعليمه لأمته عندما حج حجة الوداع فكان يقول: ((خذوا عني مناسككم)) فخرج معه جمع من المسلمين كلهم يريد أن يأتم به.

---

١) سورة البقرة جزء من الآية رقم (١٩٦).

٢) سورة البقرة جزء من الآية رقم (١٩٦).

السادس ـ من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الدعاء وملازمته :

إن في أمر ابن عباس ﷺ لحجاج بيت الله الحرام أن يكثروا من التهليل والتكبير ، وحثهم على ملازمته بقوله : (ثُمَّ لْيَذْكُرِ الله كَثِيراً، وَأَكْثِرُوا التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا) دليلاً على أهمية الدعاء [1] وما ينبغي للمسلم من الحرص عليه خاصة في أوقات الاستجابة ومواطن العبادة المخصصة لها كالمساجد والمشاعر المقدسة لما لها من الفضل العظيم، ومافيها من مضاعفة الأجر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [2] . ولا يقتصر الذكر والدعاء على فترة المبيت بمزدلفة فقط ؛ بل يشمل جميع المشاعر وحتى بعد قضاء المناسك، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[3].

---

١) انظر الفائدة (٣) من الحديث (٤٨) ص٢٨٨.

٢) سورة البقرة جزء من الآية رقم (١٩٨).

٣) سورة البقرة جزء من الآية رقم (٢٠٠).

٣٦ - باب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١)

٧٠-(٤٥٢٢). حدثنا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَارِثِ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ(٢) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) .(٣)

وفي رواية :(كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ...). (٤)

شرح غريب الحديث :

<< قِنَا >>: وقيت الشيء وأقيه إذا صنته وسترته عن الأذى.(٥)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - حرص أنس بن مالك ﷺ على تبليغ العلم .

الثاني - من موضوعات الدعوة: بيان فضل دعاء (اللهم آتنا في الدنيا حسنة ...).

الثالث - من أساليب الدعوة: الترغيب.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سورة البقرة الآية (٢٠١).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٢) ص٥٠.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الدعوات/ باب الدعاء إذا أراد سفرا ،أورجع ٧/٢١٠ رقم (٦٣٨٩).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة ص١١٧١ رقم (٢٦٩٠).

٤) الطرف رقم (٦٣٨٩).

٥) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٥/٢١٧.

الأول - حرص أنس بن مالك ﷺ على تبليغ العلم :

إن مما يستفاد من هذا الحديث حرص أنس بن مالك ﷺ على تبليغ ماشاهده من عمل رسول اللهﷺ ؛ ذلك أن مايصدر منه ﷺ من قول وعمل هو تشريع لأمته. وأنس ﷺ خادم رسول اللهﷺ ؛ وقد لازمه في معظم الأوقات وكان مما شاهده من هذه الملازمة إكثاره من هذا الدعاء ولهذا فقد التزمه [١] وبلغه لغيره حيث قال: (كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ...) حرصاً منه على عموم الخير أمة الإسلام. وهذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن ينهجوا نهج صحابة رسول الله ﷺ في تبليغ العلم ونشر سنة نبيه ﷺ فهذا هو أصل الدعوة وتركه هو من كتمان العلم الذي نهى الله عنه جميع عباده فهو في حق الدعاة إلى الله آكد، وقد ورد عن أبي هريرة ﷺ وهو ممن لازم النبي ﷺ أيضا ما يؤكد هذا الحرص من الصحابة فقد قال: (لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم ثم تلا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [٢]). [٣]

الثاني - من موضوعات الدعوة: بيان فضل دعاء (اللهم آتنا في الدنيا حسنة...):

من موضوعات الدعوة التي ينبغي للداعية أن يعرف به المدعوين فضل الذكر والدعاء ومنه الدعاء ب ((اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) حيث كان الرسول ﷺ يكثر من الدعاء به ويأمر بذلك لما في هذا الدعاء من الخير العظيم.[٤] قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولامنافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير

---

١) روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبدالعزيز بن صهيب قال سأل قتادة أنساً أي دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر قال : كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: ((اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) قال وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه .صحيح الإمام مسلم:كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/باب فضل الدعاء با للهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ص١١٧١ رقم (٢٦٩٠) .

٢) سورة البقرة جزء من الآية رقم (١٥٩).

٣) أحكام القرآن /الجصاص ١/١٠٠،وجامع بيان العلم وفضله/ابن عبدالبر ١/١١٦.

٤) انظر الحديث رقم (٢٦٨٨) من صحيح الإمام مسلم.

الحساب وغيرذلك من أمور الآخرة الصالحة وأما النجاة من النار فيقتضي تيسير أسـبابه في الدنيـا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام).(١)

الثالث ـ من أساليب الدعوة : الترغيب:

من أساليب الدعوة الترغيب في الخير بذكر ملازمة الرسول ﷺ له والإكثار منه ،وفي هذا الحديث ذكر لنا أنس ﷺ ماكان الرسول ﷺ يدعو به بل ويكثر منه كما جـاء في الروايـة الثانيـة (كانَ أَكْثَرُ دُعاءِ النَّبِيِّ ﷺ ...) ترغيباً في متابعته والاقتداء به لما يتضمنه هذا الدعاء من الخـير العظيم في الدنيا والآخرة .قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (قـال القاسـم أبـو عبدالرحمـن: من أعطي قلبا شاكراً ولساناً ذاكراً وجسداً صابراً فقد أوتي في الدنيا حسـنة وفي الآخـرة حسـنة ووقي عذاب النار . ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء).(٢)

---

١) تفسير القرآن العظيم ٢٤٣/١، وانظر: المفهم/القرطبي ٣٠/٧، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٤٣٣/٢، وشـرح النـووي على صحيح الإمام مسلم ١٩/١٧، وفتح البـاري/ابـن حجـر١٦٢/١١، وإرشـاد السـاري/القسـطلاني ٣٢/٧،وتيسـير الكريـم الرحمن/السعدي ٢٤٨/١.

٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤٤/١.

٣٨- باب ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ - إلى - قَرِيبٌ﴾ (١)

٧١-(٤٥٢٤)- حدثنا إبْراهِيمُ بْنُ مُوسى، أَخْبَرَنا هِشامٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قالَ:سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (٢) ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ (٣) خَفِيفَةً ذَهَبَ بِها هُناكَ وتَلا: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٤). فَلَقِيتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِفَذَكَرْتُ لَهُ ذلِكَ. (٥)

شرح غريب الحديث :

<< اسْتَيْئَسَ >> : اسْتَيْئَسَ بمعنى يئس واليأس: ضد الرجاء. (٦)

<< خَفِيفَةً ذَهَبَ بِها هُناكَ >>: خفيفة أي خفيفة الذال في قوله ﴿قَدْ كُذِبُوا﴾ ، قوله ذهب أي ذهب ابن عباس بهذه الآية أي قوله ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾ الآية التي في سورة يوسف إلى الآية التي في البقرة ؛يعني فهم من هذه الآية مافهم من تلك الآية . (٧)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - دقة السلف في النقل والأمانة فيه .

الثاني - وعد الله ﷻ للدعاة إليه بالنصر.

---

١) سورة البقرة الآية (٢١٤).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص ٥٤.

٣) سورة يوسف جزء من الآية رقم (١١٠).

٤) سورة البقرة جزء من الآية (٢١٤).

٥) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٦) لسان العرب/ابن منظور ٢٦٠/٦ مادة يأس.

٧) عمدة القاري/العيني ١١٥/١٨،وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٢٣/٧.

الثالث ـ من صفات الإنسان:العجلة واليأس .

الرابع ـ حرص السلف على التبليغ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ دقة السلف في النقل والأمانة فيه:

في هذا الحديث دليل على اهتمام السلف الصالح بنقل الحديث على الوجه الذي ورد به بدقة وتفصيل حيث ذكر ابن أبي مليكة [1] قراءة ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ نقلها عن ابن عباس رضي الله عنهما بدون تشديد، ولم يكتف بمجرد القراءة بل ذكر تأكيد ذلك بقوله: (خَفِيفَةً) مما يؤكد اهتمامه بالدقة في النقل. فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يحرصوا على الدقة في نقل العلم والتأكد من صحة ما سيقولونه قبل التحدث به لئلا يقعوا في الخطأ في ذكر معاني كتاب الله .

الثاني ـ وعد الله سبحانه وتعالى للدعاة إليه بالنصر :

في هذا الحديث موضوع هام من موضوعات الدعوة ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعيه ويبلغه للناس وهو نصر الله ﷻ لعباده المؤمنين حتى لو طالت مدة الجهد والبلاء فإنهم لابد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك، ولا ييأسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلمون أنه قد ابتلي به من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير، و النصر من عنده ﷻ لا بد أن يأتي، ولذا قال عز من قائل: ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. مصدرة بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها وتقريره[2]. قال الإمام أبو السعود ـ رحمه الله ـ : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خوطب به رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين حثاً لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم إثر بيان اختلاف الأمم على الأنبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم ومالقي الأنبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وأن عاقبة أمرهم النصر).[3]

---

١) سبقت ترجمته في الحديث (٣٨) ص٢٣٥.

٢) انظر تفسير أبي السعود١/٢١٥.

٣) تفسير أبي السعود ١/٢١٥، وانظر الإفصاح/ ابن هبيرة ٣/١١٩، وتفسير القرآن العظيم /ابن كثير١/٢٥١، والكواكب الدراري/الكرماني ١٧/٣٤، وعمدة القاري/العيني ١٨/١١٥، وإرشاد الساري/القسطلاني٧/٣٣، وتيسير الكريم الرحمن/السعدي١/٢٦٣، وفي ظلال القرآن/ سيد قطب ١/٢١٩.

الثالث ـ من صفات الإنسان: العجلة واليأس:

مما يستفاد من هذا الحديث أن من صفات الانسان العجلة واليأس من وصول الفرج حيث قال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ أي استطالوا المدة واستعجلوا الفرج حتى ظنوا أنهم قد اعتقدوا النصر ولا نصر. (١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كانوا بشرا ضعفوا وأيسوا وظنوا أنهم كذبوا). (٢) قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ: (لا شك أن ابن عباس رضي الله عنهما لا يجيز على الرسل أنها تكذب بالوحي، ولا يشك في صدق المخبر فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم وإبطاء النصر وشدة استنجاز من وعدوه به توهموا أن الذي جاءهم من الوحي كان حسباناً من أنفسهم وظنوا عليها الغلط في تلقي ماورد عليهم من ذلك فيكون الذي بنى له الفعل: أنفسهم لا الآتي بالوحي؛ والمراد بالكذب الغلط لاحقيقة الكذب). (٣)

الرابع ـ حرص السلف على التبليغ :

كان السلف حريصين على تبليغ العلم وإيصاله للناس (٤)، وفي هذا الحديث أخبر ابن أبي مليكة عروة بن الزبير رضي الله عنهما بما سمعه من ابن عباس رضي الله عنهما حول معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ وكيفية قراءته لها . لذا ينبغي على عموم المسلمين والدعاة خاصة أن يبلغوا ماعلموه وأن يقتدوا بسلفنا الصالح في الحرص على نقله وإيصاله للمدعوين.

---

١) انظر الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣٥/٣، وفتح الباري/ابن حجر ٢٧٨/٨، وعمدة القاري/العيني ،وتفسير أبي السعود٢١٥/١ ،وفتح القدير/الشوكاني٢١٥/١ ،وتيسير الكريم الرحمن/السعدي٢٦٢/١.

٢) فتح الباري/ابن حجر ٢٧٨/٨.

٣) المصدر السابق ٢٧٨/٨،وانظرعمدة القاري/العيني ١١٦/١٨ .

٤) انظر حياة الصحابة /الكاندهلوي ٢٣٧،٢٣٦/٣.

٣٩ - باب ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ ﴾(١)

٧٢-(٤٥٢٦). حدثنا إسحاقُ ، أَخْبَرَنا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، أَخْبَرَنا ابْنُ عَوْنٍ ، عَنْ نافعٍ قالَ: كانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما (٢) إذا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ يَوْماً، فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ حتَّى انْتَهى إلى مكانٍ قالَ: تَدْرِي فِيما أُنْزِلَتْ؟ قُلْتُ:لا . قالَ: أُنْزِلَتْ فِي كَذا وكَذا ثُمَّ مَضى.(٣)

وفي رواية :(عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي أَيُّوبُ عَنْ نافعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ قالَ: يَأْتِيها فِي).(٤)

شرح غريب الحديث:

<< أَخَذْتُ عَلَيْهِ يَوْماً >>: أي أمسكت المصحف وهو يقرأ عن ظهر قلب.(٥)

<< ثُمَّ مَضى >>: أي واصل قراءته .(٦)

<< حَرْثَكُم >>: الحَرْثُ والحِراثَةُ: العمل في الأرض زرعاً كان أو غرساً. والمرأة حَرْث الرجل أي يكون ولده منها، كأنه يحرث ليزرع.(٧)

<< يَأْتِيها فِي >> : أي في الفرج. (٨)

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٢٣).

٢) سبقت الترجمة له في الحديث رقم(١١) ص٨٥.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب تفسير القرآن /باب ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ ... الآية ﴾ ١٨٨/٥ رقم (٤٥٢٧).

٤) الطرف رقم (٤٥٢٧).

٥) فتح الباري/ابن حجر ١٤٠/٨،إرشاد الساري/القسطلاني ٣٥/٧.

٦) انظر عمدة القاري/العيني ١١٦/١٨.

٧) لسان العرب/ابن منظور ١٣٤/٢ مادة حرث، والمفهم/القرطبي ١٥٨/٤،انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٥٧/١٠،وتفسير أبي السعود ٢٢٣/١،وفتح القدير/الشوكاني٢٢٦/١.

٨) الإفصاح/ابن هبيرة ٢٢٢/٤.

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من صفات ابن عمر رضي الله عنهما: الحرص على ملازمة القرآن وتدبره.

الثاني - تعليم الأبناء والموالي .

الثالث - من أساليب الدعوة في التعليم: طرح السؤال على المستمع .

الرابع - من واجبات الداعية: المبادرة إلى إيضاح العلم وعدم انتظار السؤال.

الخامس - من آداب الداعية: عدم التصريح بالألفاظ التي يستحى من ذكرها .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من صفات ابن عمر رضي الله عنهما : الحرص على ملازمة القرآن وتدبره:

في هذا الحديث ظهر لنا حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على ملازمة القرآن الكريم وتدبره وفهم معانيه، حيث قال عنه مولاه نافع: (كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ)، وقال: (فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ يَوْماً) فقوله يوماً يدل على إكثاره من ذل. قيل لنافع : ماكان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال نافع: لا تطيقونه، الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما. [1]

لذا ينبغي على الداعية إلى الله تعالى الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في ملازمتهم كتاب الله، وحرصهم على تدبره.

الثاني - تعليم الأبناء والموالي :

في هذا الحديث ظهر اهتمام السلف الصالح بتعليم أبنائهم العلم حيث حدث عبدالوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري ابنه عبدالصمد حديث ابن عمر رضي الله عنهما[2]. وكذلك اهتمام عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بتعليم مولاه نافع القرآن الكريم، حيث كان يطلب منه أن يمسك له المصحف عند قراءته له عن ظهر قلب، وبهذا ينتفع نافع بالاستماع للقراءة، ومافي ذلك من ثواب عظيم، ولم يكن عبد الله رضي الله عنه يكتفي بذلك بل كان يعلمه أهمية احترام القرآن ومداومة النظر فيه فكان نافع يقول : (كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ)، إضافة إلى ذلك

---

١) سير أعلام النبلاء/الذهبي ٣/٢١٥.

٢) انظر: الفائدة (١) من الحديث (٣) ص٥٧، والفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص٢١٠.

فإنه كان يطرح عليه أسئلة تتعلق بالآيات ويبين له معانيها كما في قوله : (قَالَ: تَدْرِي فِيمَا أُنْزِلَتْ؟).

الثالث - من أساليب الدعوة في التعليم: طرح السؤال على المستمع :

إن من أساليب تعليم المدعوين العلم ؛ طرح الأسئلة عليهم لمعرفة ماعندهم من العلم عن تلك المسألة، وتعليمهم ما جهلوا منها، ففي هذا الحديث سأل عبد الله بن عمر ﷺ نافعاً لما بلغ قوله تعالى : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ في سورة البقرة (قَالَ: تَدْرِي فِيمَا أُنْزِلَتْ؟). لذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستعين بهذا الأسلوب في تعليمه لأنه طريق العلم ، وفي طرح السؤال على السامع جذب لانتباهه للمسألة المطروحة ، وتحفيز له على معرفتها. [1]

الرابع - من واجبات الداعية: المبادرة إلى إيضاح العلم وعدم انتظار السؤال:

دل هذا الحديث على أن من واجبات الداعية المبادرة إلى إيضاح المسائل الشرعية وعدم انتظار السؤال من المدعو، لأن هذا من سبل نشر علوم الدين، وتبليغ ما أمر الله به من العلم. فقد جاء في هذا الحديث توقف ابن عمر ﷺ عند آية من كتاب الله وسؤال مولاه نافعاً إن كان عنده علم بسبب نزولها (قَالَ: تَدْرِي فِيمَا أُنْزِلَتْ؟). فينبغي على المسلمين بصفة عامة والداعية إلى الله بصفة خاصة أن يقتدي بابن عمر ﷺ في ذلك، وأن يسعى دائما إلى نشر العلم بشتى الوسائل والأساليب.

الخامس - من آداب الداعية :عدم التصريح بالألفاظ التي يستحى من ذكرها :

إن من أدب الداعية أن يترفع عن التلفظ بالألفاظ التي يستحى من ذكرها عادة إذا لم يكن هناك حاجة لذكرها،كما جاء عن ابن عمر ﷺ في هذا الحديث حيث قال ابن عمر ﷺ : (يَأْتِيهَا فِي) ولم يصرح بالموضع.

---

١) انظر بهجة النفوس/ابن أبي جمرة ١١٩/٣ .

٧٣-(٤٥٢٨).حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ،حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ،سَمِعْتُ جَابِراً ﷺ [١] قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[٢] .[٣]

شرح غريب الحديث :

<< أَحْوَل >>: الحَوَل في العين أن يظهر البياض في مؤخرها ويكون السواد من قبل الماق[٤]، والماق هو طرف العين مما يلي الأنف .[٥]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - اهتمام الصحابة ﷺ ببيان أسباب النزول.

الثاني - تصحيح القرآن للمفاهيم الخاطئة التي رسخت في أذهان الناس .

الثالث - تأثير أحبار اليهود ورهبانهم في عقول العامة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - اهتمام الصحابة ﷺ ببيان أسباب النزول:

في هذا الحديث دليل على اهتمام الصحابة ﷺ بعلوم القرآن الكريم ومنه أسباب نزول الآيات ؛ حيث ذكر جابر بن عبد الله ﷺ سبب نزول قوله تعالى :﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ .

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٤) ص٥٥.

٢) سورة البقرة جزء من الآية (٢٢٣).

٣) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب النكاح/باب جواز جماع الرجل امرأته في قبلها من ورائها ص٦٠٨ رقم (١٤٣٥).

٤) لسان العرب /ابن منظور ١٩١/١١ مادة حول.

٥) انظر مختار الصحاح/محمد الرازي ص٦١٢ .

الثاني - تصحيح القرآن للمفاهيم الخاطئة التي رسخت في أذهان الناس :

مما يستفاد من هذا الحديث تصحيح القرآن للمفاهيم الخاطئة التي ترسبت في عقول الناس في الجاهلية نتيجة لتأثير كبار اليهود وعلمائهم عليهم، والافتراءات التي يطلقونها فيصدقها جهال العرب من ذلك قولهم (إذا جامَعَها مِنْ وَرائِها جاءَ الْوَلَدُ أحْوَلَ) . قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وقد أكذب الله اليهود في زعمهم وأباح للرجال أن يتمتعوا بنسائهم كيف شاؤوا).[1]

الثالث - تأثير أحبار اليهود ورهبانهم في عقول العامة :

كان لأحبار اليهود ورهبانهم تأثير كبير في عقول عامة الناس لأن العرب في الجاهلية ليس لهم ما يرجعون له بل يعتمدون على عقولهم في الحكم على الأمور أما اليهود فكانوا أهل كتاب فكانوا يطلقون الادعاءات تبعا لأهوائهم ويصدقها الجاهليون فأصبح لديهم الكثير من الاعتقادات الفاسدة بسبب ذلك. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إنما كان هذا الحي من الأنصار، وهم أهل وثن، مع هذا الحي من يهود، وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم ...).[2]

---

١) فتح الباري ٨/١٤٣.

٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٣/٩٢، وفتح الباري /ابن حجر ٨/١٤٢.

٤٠ - باب ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ (١)

٧٤-(٤٥٢٩). حدثنا عُبَيْدُ الله بنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنا أبُو عامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنا عَبَّادُ بْنُ راشِدٍ، حَدَّثَنا الْحَسَنُ قالَ: حَدَّثَني مَعْقِلُ بْنُ يَسارٍ (٢) قالَ: كانَتْ لِي أُخْتٌ تُخْطَبُ إِلَيَّ. وَقالَ إِبْراهِيمُ عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ حَدَّثَني مَعْقِلُ بْنُ يَسارٍ ح .

حَدَّثَنا أبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنا عَبْدُ الْوارِثِ، حَدَّثَنا يُونُسُ عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسارٍ طَلَّقَها زَوْجُها فَتَرَكَها حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُها فَخَطَبَها فَأَبى مَعْقِلٌ فَنَزَلَتْ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾. (٣)

وفي رواية:(...فَقُلْتُ لَهُ زَوَّجْتُكَ وَأَفْرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ فَطَلَّقْتَها ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُها، لا وَالله لا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَداً، وكانَ رَجُلاً لابَأْسَ بِهِ، وكانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ الله هذِهِ الآيَةَ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فَقُلْتُ الآنَ أَفْعَلُ يارَسُولَ الله، فَزَوَّجَها إِيَّاهُ). (٤)

وفي رواية:(... فَدَعاهُ رَسُولُ الله ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ، وَاسْتَقادَ لِأَمْرِ

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٣٢).

٢) هو معقل بن يسار بن عبدالله بن معبر بن حراق بن لاي بن كعب بن عبد بن ثور المزني يكنى أبا عبد الله وقيل أبو يسار وأبوعلي صحب رسول الله ﷺ وشهد بيعة الرضوان وإليه ينسب نهر معقل الذي بالبصرة و توفي بها آخر خلافة معاوية وقد قيل إنه توفي أيام يزيد بن معاوية ،له أحاديث.

(انظر:أسد الغابة/ابن الأثير ٣٩٨/٤ ،سيرأعلام النبلاء/ الذهبي ٥٧٦/٢ ،الإصابة/ابن حجر١٢٦/٦).

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب النكاح/باب من قال لانكاح إلا بولي ١٦٢/٦ رقم (٥١٣٠). وكتاب الطلاق/باب ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ في العدة وكيف يراجع المرأة إذا طلقها واحدة أواثنتين وقوله ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ٢٢٥/٦ رقم (٥٣٣٠) و (٥٣٣١).

٤) الطرف رقم (٥١٣٠).

الله). [١]

شرح غريب الحديث :

<< فَلا تَعْضُلُوهُنَّ >>: عَضَلَ المرأة عن زوجها : حَبَسها. وعَضَلَ الرجل أيمه يَعْضُلها ويَعْضِلُها عَضْلاً وعضَّلها: منعهاالزوج ظلما. وعضَّل عليه في أمره تعضيلاً: ضيَّق من ذلك وحال بينه وبين مايريد ظلما.[٢]

<< تَرِكَ الْحَمِيَّةَ >>: الحمية هي الأنفة والغيرة.[٣]

<< استَقَاد >>: الانقياد الخضوع . تقول قدته فانقاد واستقاد لي إذا أعطاك مقادته .[٤]

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: تكريم الإسلام للمرأة ورفع مكانتها.

الثاني - من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده.

الثالث - من واجبات المسلم: التنفيذ المباشر لأمر الداعية الأول ﷺ .

الرابع - من أساليب الدعوة: ذكر الداعية للدليل ليكون أدعى للاستجابة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: تكريم الإسلام للمرأة ورفع مكانتها:

في هذا الحديث موضوع هام من موضوعات الدعوة ألا وهو تكريم الإسلام للمرأة ورفع مكانتها بمنحها الحق في الرجوع إلى زوجها بعد طلاقها منه طلاقاً رجعياً ، إذا رغبت في العودة إليه ، وتحريم عضلها وحرمانها منه ، وقد [كان الضرار والعضل من عادات الجاهلية فلما جاء الإسلام قضى على هذه العادة (كما قضى على سائر العادات الظالمة) بالحكمة والموعظة

---

١) الطرف رقم (٥٣٣١).

٢) لسان العرب/ابن منظور ٤٥١/١١ مادة عضل.

٣) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٤٤٧/١.

٤) لسان العرب/ابن منظور ٣٧٠/٣ مادة قود ، وانظر الكواكب الدراري/الكرماني ٢٣٦/١٩، وفتح الباري/ابن حجر ٤٢٦/٩، وعمدة القاري/العيني ٣١٤/٢٠.

الحسنة تارة ، وبالتهديد والوعيد الشديد تارة أخرى ، وبهذا قام الإسلام بحماية حق المطلقة كما هو الحال في حماية سائر حقوق المرأة المسلمة][1] . فنزل النهي عن العضل من فوق سبع سماوات في قوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾.

الثاني ـ من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث رحمة الله تعالى بعباده بمراعاة رغباتهم وإصلاح شؤونهم والنهي عن إضرار بعضهم لبعض ؛ حيث إنه تعالى لما علم من رغبة المرأة العودة إلى زوجها ورغبته فيها نهى وليها أن يقف في طريقهما ويمنعهما من تحقيق هذه الرغبة فأنزل أمره للولي قال ﷻ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ .[2] قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: (وهذه الاستجابة الحانية من الله سبحانه لحاجات القلوب التي علم من صدقها ما علم، تكشف عن جانب من رحمة الله بعباده).[3]

الثالث ـ من واجبات المسلم: التنفيذ المباشر لأمر الداعية الأول ﷺ :

إن من أهم واجبات المسلم الانقياد مباشرة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، وعدم التراخي في ذلك، لأن هذا من كمال الإيمان وتمام التصديق، وقد نبه الله ﷻ عباده إلى هذا الوجوب في آيات عدة في كتابه الكريم ،فقال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5]. وقد فهم الصحابة ﷺ هذا الوجوب، والتزموا بالأمر في شأنهم كله حتى وإن خالف هواهم، دل على ذلك ماجاء في هذا الحديث؛ حيث إن معقل ﷺ لما دعاه الرسول ﷺ ونهاه عن منع أخته من العودة إلى زوجها استجاب فوراً (فَقُلْتُ الآنَ أَفْعَلُ يارَسُولَ الله)، وأكد الراوي ذلك بقوله: (فَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ، وَاسْتَقَادَ لِأَمْرِ الله) ولم يجادل رغم حنقه الشديد على زوجها بسبب تركه لها ثم

---

١) المرأة وحقوقها في الإسلام /تأليف العلامة أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني ص٩٣ ـ ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ـ القاهرة. وانظر تفسير ابن كثير١/٢٨٢، وفتح القدير/الشوكاني١/٢٤٤، وتيسير الكريم الرحمن/السعدي١/٢٩١.

٢) انظر: تفسير ابن كثير١/٢٨٢، وفتح القدير/ الشوكاني١/٢٤٤.

٣) في ظلال القرآن ١/٢٥٣.

٤) سورة الأحزاب الآية رقم (٣٦).

٥) سورة النور الآية رقم (٦٣).

خطبته لها مرة أخرى. قال الإمام الكرماني ـ رحمه الله ـ: (استقاد: بالقاف يقال استقاد لي إذا أعطى مقادته يعني طاوعه وامتثل أمره). [1]

لذا فإن من الواجب على جميع المسلمين الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في التنفيذ المباشر لأمر الله ورسوله، وكل من دعا إلى ما جاء به رسول الله ﷺ.

الرابع ـ من أساليب الدعوة: ذكر الداعية للدليل ليكون أدعى للاستجابة:

من أساليب الدعوة ذكر الداعية دليل من كتاب الله ﷻ أوسنة رسوله الكريم ﷺ عند الحديث عن موضوع ديني أو الأمر بالمعروف أوالنهي عن المنكر حتى يكون أوقع في النفس وأدعى للاستجابة ؛ كما في هذا الحديث حين دعا الرسول ﷺ معقل وتلا عليه أمر الله تعالى فما كان منه إلا أن انقاد لهذا الأمر، (فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ، وَاسْتَقَادَ لِأَمْرِ اللهِ)، فهذه النتيجة تؤكد على أهمية أسلوب ذكر الدليل في العمل الدعوي.

---

١) الكواكب الدراري ١٩/٢٣٦، وانظر فتح الباري/ابن حجر ٩/٤٢٦، وعمدة القاري/العيني ٢٠/٣١٤،وإرشاد الساري/القسطلاني ٨/١٨٦.

٤١ - باب: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١)

٧٥-(٤٥٣٠). حدثني أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطامٍ ، حَدَّثَنا يَزِيدُبْنُ زُرَيْعٍ ، عَنْ حَبِيبٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: قُلْتُ لِعُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ(٢): ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قالَ: قَدْ نَسَخَتْها الآيَةُ الأُخْرى ، فَلِمَ تَكْتُبُها - أوتَدَعُها - قالَ يا ابْنَ أَخِي: لا أُغَيِّرُ شَيْئاً مِنْهُ مِنْ مَكانِهِ. (٣)

شرح غريب الحديث:

<<يَذَرُون >>: أي يتركون أزواجا . (٤)

---

١) سورة البقرة الآية (٢٣٤).

٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أبوعمرو وأبو عبد الله ويقال أبوليلى ، أمير المؤمنين ذوالنورين رضي الله عنه ويقال أمه أروى بنت كريز .يجتمع هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف. أسلم قديما وكان يقول إني لرابع أربعة في الإسلام، وهاجر الهجرتين وتزوج ابنتي رسول الله ﷺ واحدة بعد الأخرى. ولد بعد الفيل لست سنين ، وهو أول من هاجر إلى أرض الحبشة ولم يشهد بدراً بسبب مرض زوجته بنت رسول الله ﷺ وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى.كان يحي الليل بالصلاة. قالت عائشة رضي الله عنها: لقد قتلوه وإنه لمن أوصلهم للرحم وأتقاهم لربه.مناقبه وفضائله كثيرة شهيرة، أنفق في جيش العسرة ثلاثمائة بعير بأحلاسها فقال رسول الله ﷺ : ((ما على عثمان ما عمل بعد هذا)) . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرجموا بالحجارة من السماء. قتل بالمدينة لثمان عشرة أوسبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

(انظر:حلية الأولياء/أبو نعيم ٥٥/١، وأسد الغابة/ابن الأثير ٣٧٦/٣، والإصابة/ابن حجر ٢٢٣/٤ ، وتهذيب التهذيب/ابن حجر ١٤٢/٧).

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب التفسير/باب ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ ١٩٢/٥ رقم (٤٥٣٦).

٤) الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ١٧٤/٣.

<< لِمَ تَكْتُبُها >>: استفهام على سبيل الإنكار بمعنى لم تكتب هذه الآية وقد نسختها الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (١) والمنسوخة هي قوله ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ (٢). (٣)

<< أوتَدَعُها >>: أي فلم تدعها أي تتركها مكتوبة . (٤)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: إثبات النسخ في القرآن.

الثاني - من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري .

الثالث - حرص السلف على الدقة في النقل والأمانة فيه.

الرابع - من واجبات الداعية : مخاطبة المدعوين بما يشعرهم برابط الإيمان.

الخامس - من موضوعات الداعية: حفظ الله تعالى للقرآن.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة:إثبات النسخ في القرآن:

في هذا الحديث موضوع دعوي هام وهو نسخ بعض الآيات في القرآن بأخرى ومنها آية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾.(٥) **ذكر الإمام ابن العربي - رحمه الله ـ** :(أنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، وكانت عدة الوفاة في صدر الإسلام حولاً، كما كانت في الجاهلية، ثم نسخ الله تعالى ذلك بأربعة أشهر وعشر. قاله الأكثر) .(٦)

---

١) سورة البقرة الآية (٢٣٤).

٢) سورة البقرة جزء من الآية (٢٤٠).

٣) عمدة القاري/العيني ١٨/١٢١، وانظر فتح الباري /ابن حجر ٨/١٤٤.

٤) المصدر السابق نفس الصفحة ، وانظر فتح الباري/ابن حجر ٨/١٤٤، وإرشاد الساري/ القسطلاني ٧/٣٧.

٥) سورة البقرة جزء من الآية (٢٤٠).

٦) الجامع لأحكام القرآن١/٢٠٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ١/٢٨٥.

وقد ذكر العلامة العيني ـ رحمه الله ـ فوائد بقاء المنسوخ في القرآن فقال : (وكان عبد الله ظن أن ما نسخ لا يكتب وليس كما ظنه بل له فوائد: الأولى أن الله تعالى لو أراد نسخ لفظه لرفعه كما فعل في آيات عديدة ومن صدور الحافظين أيضا. الثانية أن في تلاوته ثوابا كما في تلاوة غيره[١]. الثالثة إن كان تثقيلا ونسخ بتخفيف عرف بتذكره قدر اللطف وإن كان تخفيفا ونسخ بتثقيل؛ عُلِمَ أن المراد انقياد النفس للأصعب لأنه يظهر فيها عند ذلك التسليم والانقياد).[٢]

الثاني ـ من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري :

إن في قول عبدالله لعثمان رضي الله عنهما: (فَلِمَ تَكْتُبُهَا) في هذا الحديث أسلوباً من أساليب الدعوة وهو الاستفهام الإنكاري حيث أنكر عليه كتابته للآية وقد عرف أنها منسوخة. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: ("فَلِمَ تَكْتُبُهَا ـ أوتَدَعُهَا ـ " كذا في الأصول بصيغة الاستفهام الإنكاري كأنه قال لم تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة أو قال لم تدعها أي تتركها مكتوبة). [٣]

الثالث ـ حرص السلف على الدقة في النقل والأمانة فيه:

في هذا الحديث دليل على حرص السلف على الدقة في النقل والأمانة في ذلك حيث قال ابن أبي مليكة عندما شك فيما قاله عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : (فَلِمَ تَكْتُبُهَا ـ أوتَدَعُهَا ـ) فلم يجزم بواحدة منهما بل قال "أو" لاحتمال إحداهما . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: ("فَلِمَ تَكْتُبُهَا ـ أوتَدَعُهَا ـ " ... وهو شك من الراوي أي اللفظين قال).[٤]

الرابع ـ من واجبات الداعية: مخاطبة المدعوين بما يشعرهم برابط الإيمان:

مما يستفاد من هذا الحديث أن من واجبات الداعية لتقريب النفوس والتودد للمدعوين مخاطبتهم بما يشعرهم برابط الإيمان الذي يربطه بهم مما يترك أكبر الأثر في نفوسهم ، ويؤلف قلوبهم، ويجعلهم أكثر تقبلا لما يقول . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وقول عثمان

---

١) هذه الفائدة ذكرها أيضا ابن حجر في فتح الباري ١٤٤/٨.

٢) عمدة القاري ١٢١/١٨.

٣) فتح الباري ١٤٤/٨،وفي عمدة القاري/العيني ١٢١/١٨وانظر إرشاد الساري/القسطلاني٣٨/٧.

٤) فتح الباري ١٤٤/٨،وفي إرشاد الساري/القسطلاني ٣٧/٧.

لعبد الله " يا ابْنَ أَخِي " يريد في الإيمان أو بالنسبة إلى السن). [1]

الخامس - من موضوعات الدعوة: حفظ الله تعالى للقرآن :

إن في هذا الحديث إثباتاً لحفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التبديل والتغييرحيث إن عثمان ﷺ لما جمع القرآن أثبته كما هو ولم يتعرض لشيء منه بالإزالة أو التغيير. وهذا ماأخبر به الله ﷻ في قوله جل وعلا : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]. فقد تكفل سبحانه بحفظه إلى أن تقوم الساعة ،وهذا فيه تأكيد أيضا على بقاء الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ : (في هذا الحديث من الفقه معرفة أن مافي المصاحف من القرآن هو على ما انتهى إلينا لم يجر في شيء منه تبديل ولا تغيير، لأن الله ﷻ تولى حفظه كما وعد سبحانه).[3]

---

١) فتح الباري ١٤٤/٨، وانظر عمدة القاري/العيني ١٢١/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني٣٨/٧.

٢) سورة الحجر الآية رقم (٩).

٣) الإفصاح ٢٣٢/١-٢٣٣، وانظر تفسير ابن كثير٢٩٦/١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٨/٧.

٧٦-(٤٥٣١). حدثنا إسحاقُ حَدَّثَنا رَوْحٌ، حَدَّثَنا شِبْلٌ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجاهِدٍ(١): ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾(٢) قالَ: كانَتْ هذِهِ الْعِدَّةُ، تَعْتَدُّ عِنْدَ أَهْلِ زَوْجِها واجِبٌ فَأَنْزَلَ الله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾(٣) قالَ: جَعَلَ الله لَها تَمامَ السَّنَةِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً وَصِيَّةً إنْ شاءَتْ سَكَنَتْ فِي وَصِيَّتِها وَإِنْ شاءَتْ خَرَجَتْ وَهْوَ قَوْلُ الله تَعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فالْعِدَّةُ كَما هِيَ(٤)، واجِبٌ عَلَيْها زَعَمَ ذلِكَ عَنْ مُجاهِدٍ وَقالَ عَطاءٌ: قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(٥) نَسَخَتْ هذِهِ الآيَةُ عِدَّتَها عِنْدَ أَهْلِها فَتَعْتَدُّ حَيْثُ شاءَتْ وَهْوَ قَوْلُ الله تَعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ . قالَ عَطاءٌ: إنْ شاءَتِ اعْتَدَّتْ عِنْدَ أَهْلِهِ وَسَكَنَتْ فِي وَصِيَّتِها وَإِنْ شاءَتْ خَرَجَتْ لِقَوْلِ الله تَعالى: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي

---

١) هو مجاهد بن جبر ، الإمام ، شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج المكي ، الأسود ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، ويقال مولى عبد الله بن السائب القاريء ،روى عن ابن عباس ، فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن ، والتفسير وعرضه عليه ثلاثين مرة، والفقه ، وعن أبي هريرة ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عمر ، وعدة قال يحي بن معين: كان مجاهد ثقة .وقال ابن تيمية في إجابته لإحدى المسائل: القول الصواب هو قول أئمة السلف ـ قول مجاهد ونحوه ـ فإنهم أعلم بمعاني القرآن . لاسيما مجاهد فإنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها .وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . والأئمة كالشافعي ، وأحمد ، والبخاري ونحوهم يعتمدون على تفسيره .(الفتاوى ٢٠١/١٥) .مات وهو ساجد سنة ثنتين ومئة للهجرة .(انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي /إعداد الحمصي ١٥٨/١،وشذرات الذهب/ابن العماد ١٢٥/١).

٢) المقصود هنا قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة (٢٣٤).

٣) سورة البقرة جزء من الآية (٢٤٠).

٤) (قال ابن بطال :ذهب مجاهد إلى أن الآية وهي قوله تعالى ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ نزلت قبل الآية التي فيها وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج كماهي قبلها في التلاوة وكان الحامل له على ذلك استشكال أن يكون الناسخ قبل المنسوخ فرأى أن استعمالهما ممكن بحكم غير متدافع لجواز أن يوجب الله على المعتدة تربص أربعة أشهر وعشر ، ويوجب على أهلها أن تبقى عندهم سبعة أشهر وعشرين ليلة تمام الحول إن أقامت عندهم .أ.هـ ملخصا .قال وهو قول لم يقله أحد من المفسرين غيره ولاتابعه عليه من الفقهاء أحد بل أطبقوا على أن آية الحول منسوخة وأن السكنى تبع للعدة فلما نسخ الحول في العدة بالأربعة أشهر وعشر نسخت السكنى أيضا). فتح الباري/ابن حجر ٤٣٤/٩،وانظر عمدة القاري/العيني ٨/٢١.

٥) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

أَنْفُسِهِنَّ﴾ قالَ عَطاءٌ: ثُمَّ جاءَ الْمِيراثُ فَنَسَخَ السُّكْنى فَتَعْتَدُّ حَيْثُ شاءَتْ وَلا سُكْنى لَها، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ حَدَّثَنا وَرْقاءُ عَنِ ابْنِ نَجِيحٍ عَنْ مُجاهِدٍ بِهذا. وَعَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَطاءٍ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قالَ: نَسَخَتْ هذِهِ الآيَةُ عِدَّتَها فِي أَهْلِها فَتَعْتَدُّ حَيْثُ شاءَتْ لِقَوْلِ اللهِ تَعالى :﴿غَيْرَ إِخْراجٍ﴾ نَحْوَهُ.[1]

شرح غريب الحديث:

<< وَصِيَّةً لأَزْواجِهِمْ >>: وصية منصوب بتقدير والذين يتوفون يوصون وصية أو ألزم الذين يتوفون وصية .[2]

<< مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ >>: أي متعوهن متاعاً وهو نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكناها وما تحتاج إليه .[3]

<< غَيْرَ إِخْراجٍ >>: حال من الأزواج أي غير مخرجات .[4]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة : بيان وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها.

الثاني - من وسائل الدعوة مع النساء: الاهتمام بحقوقهن ومنحهن الحق في الاختيار من غير تجاوز للحد.

الثالث - من موضوعات الدعوة: ثبوت النسخ في القرآن الكريم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الطلاق/باب : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا... الآيــة ﴾ ٢٣٠/٦ رقم(٥٣٤٤).

٢) عمدة القاري/العيني ١٢٢/١٨.

٣) عون المعبود/ محمد العظيم آبادي٣٩٩/٦–٤٠٠.

٤) عمدة القاري/العيني ١٢٢/١٨،وانظر: عون المعبود/محمد العظيم آبادي ٤٠٠/٦، وتفسيرأبي السعود٢٣٦/١، وصفوة المفاهيم والآثار/للشيخ عبد الرحمن الدوسري ٤٢٥/٣.

الأول ـ :من موضوعات الدعوة: بيان وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها:

في هذا الحديث من موضوعات الدعوة بيان وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها، والأصل في وجوبها الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، ومن السنة قوله ﷺ: ((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج، أربعة أشهر وعشرا)) [١]. قال مجاهد: (فَالْعِدَةُ كَمَا هِيَ، واجِبٌ عَلَيْها). فأجمعت الأمة على وجوبها في الجملة [٢]، وذكر العلماء الغاية منها، وهي: براءة رحم المرأة من الحمل، لئلا يطأها غير المفارق لها قبل براءة رحمها فيحصل الاشتباه، وتضيع الأنساب، وتعظيم خطر هذا العقد، وتطويل زمن الرجعة، وقضاء حق الزوج، وإظهار تأثير فقده في المنع، من التزين والاحتياط.[٣]

الثاني ـ من وسائل الدعوة مع النساء: الاهتمام بحقوقهن ومنحهن الحق في الاختيار من غير تجاوز للحد:

إن من وسائل الدعوة مع النساء الاهتمام بحقوقهن والالتزام بما شرعه الله لهن، وبيانها للناس، وحثهم عليها، فقد جاء الإسلام بأحكام كثيرة تتعلق بالمرأة تظهر مكانة المرأة المسلمة، وأن لها حقوقاً كما عليها واجبات، وفي هذا الحديث أحكام تتعلق بعدة المرأة المتوفى عنها زوجها وكيف نقصت المدة إلى أربعة أشهر وعشرا بعد أن كانت حولاً كاملاً مما يؤكد اهتمام الإسلام بها، كما منحها حق الاختيار في البقاء وقت العدة في بيت زوجها أو الخروج إلى أهلها فتعتد عندهم، (قَالَ عَطَاءٌ: إِنْ شَاءَتِ اعْتَدَّتْ عِنْدَ أَهْلِهِ وَسَكَنَتْ فِي وَصِيَّتِهَا وَإِنْ شَاءَتْ خَرَجَتْ لِقَوْلِ الله تَعالَى: ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾).

---

١) متفق عليه:صحيح الإمام البخاري:كتاب الحيض / باب حد المرأة على غير زوجها ٢٢٧/٦ رقم (٥٣٣٤) .صحيح الإمام مسلم :كتاب الطلاق /باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام ص٦٤٥ رقم (١٤٨٧).

٢) انظر المغني /لموفق الدين ابن قدامة المقدسي ١٩٣/١١، ١٩٤ ـ تحقيق الدكتور عبدالله التركي والدكتور عبدالفتاح الحلو ـ ط٢ ـ ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ـ هجر للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٣) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ٤٦/٧ ـ جمع عبدالرحمن القاسم ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ بيروت.

الثالث - : من موضوعات الدعوة: ثبوت النسخ في القرآن الكريم:

إن في قول ابن عباس رضي الله عنهما : (نَسَخَتْ هذِهِ الآيَةُ عِدَّتَها عِنْدَ أَهْلِها)، وقول عطاء: (ثُمَّ جاءَ الْمِيراثُ فَنَسَخَ السُّكْنى فَتَعْتَدُّ حَيْثُ شاءَتْ وَلا سُكْنى لَها) دليلاً على وجود النسخ في القرآن الكريم حيث كانت الآية :﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ تتضمن أن تعتد المرأة المتوفى عنها زوجها في بيت زوجها سنة كاملة ويُنْفَقُ عليها من ماله ، ثم أنزل الله ﷻ آية أخرى تنسخ حكم الأولى وهي قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ فأصبحت العدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وحل الإرث محل النفقة. قال العلامة العيني - رحمه الله -: (وحاصل المعنى وحق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تتمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملاً أي ينفق عليهن من تركته ولايخرجن من مساكنهن. وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا ، ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع أو الثمن وهذا عند الجمهور). (١)

---

١) عمدة القاري ١٢٢/١٨،وانظر:فتح الباري/ابن حجر ٤٣٤/٩.

٧٧-(٤٥٣٢). حدثنا حِبَّانُ حَدَّثَنا عَبْدُ الله، أَخْبَرَنا عَبْدُ الله بْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: جَلَسْتُ إِلى مَجْلِسٍ فِيهِ عُظْمٌ مِنْ الأَنْصارِ وَفِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ أَبِي لَيْلى فَذَكَرْتُ حَدِيثَ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ فِي شَأْنِ سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ فَقالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ: وَلَكِنْ عَمُّهُ كانَ لا يَقُولُ ذلِكَ فَقُلْتُ إِنِّي لَجَرِيءٌ إِنْ كَذَبْتُ عَلَى رَجُلٍ فِي جانِبِ الْكُوفَةِ وَرَفَعَ صَوْتَهُ ، قالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ فَلَقِيتُ مالِكَ بْنَ عامِرٍ أَوْ مالِكَ بْنَ عَوْفٍ قُلْتُ:كَيْفَ كانَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الْمُتَوَفى عَنْها زَوْجُها وَهْيَ حامِلٌ؟ فَقالَ: قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ[1] أَتَجْعَلُونَ عَلَيْها التَّغْلِيظ وَلاتَجْعَلُونَ لَهَا الرُّخْصَةَ؟ فَنزَلَتْ سُورَةُ النِّساءِ الْقُصْرى بَعْدَ الطُّولى وَقالَ أَيُّوبُ : عَنْ مُحَمَّدٍ لِقِيتُ أَبا عَطِيَّةَ مالِكَ بْنَ عامِرٍ. [2]

وفي رواية :(قالَ: كُنْتُ في حَلْقَةٍ فيها عَبْدُالرَّحْمنِ بْنُ أَبي لَيْلى وَكانَ أَصْحابُهُ يُعَظِّمُونَهُ فَذَكَرَ آخِرَ الأَجَلَيْنِ ، فَحَدَّثْتُ بِحَديثِ سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحارِثِ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ ، قالَ: فَضَمَّزَ لي بَعْضُ أَصْحابِهِ، قالَ مُحَمَّدٌ فَفَطِنْتُ لَهُ فَقُلْتُ إِنِّي إِذاً لَجَرِيءٌ، إِنْ كَذَبْتُ على عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ وَهُوَ في ناحِيَةِ الْكُوفَةِ فَاسْتَحْيَى وَقالَ: لكِنَّ عَمَّهُ لَمْ يَقُلْ ذاكَ، فَلَقِيتُ أَباعَطِيَّةَ مالِكَ بْنَ عامِرٍ فَسَأَلْتُهُ فَذَهَبَ يُحَدِّثُني حَديثَ سُبَيْعَةَ ، فَقُلْتُ هَلْ سَمِعْتَ عَنْ عَبْدِ الله فِيها شَيْئاً؟ فَقالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله، فَقالَ: أَتَجْعَلُونَ عَلَيْها التَّغْلِيظَ وَلاتَجْعَلُونَ عَلَيْها الرُّخْصَةَ؟ لَنَزَلَتْ سُورَةُ النِّساءِ الْقُصْرى بَعْدَ الطُّولى﴿وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[3]).[4]

شرح غريب الحديث:

<< عُظْمٌ >>: بضم العين وسكون الظاء وهو جمع عظيم وأراد به عظماء الأنصار.[5]

---

١) سبقت ترجمته ص٢٥١.

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب التفسير/باب ﴿وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ...﴾ ٨٠/٦ رقم (٤٩١٠).

٣) سورة الطلاق جزء من الآية (٤).

٤) الطرف رقم (٤٩١٠).

٥) عمدة القاري /العيني ١٢٣/١٨.

<< **التَّغْلِيظ** >>: أي طول العدة بالحمل إذا زادت مدته على الأشهر وقد يمتد ذلك حتى تجاوز تسعة أشهر إلى أربع سنين أي إذا جعلتم التغليظ عليها فاجعلوا لها الرخصة إذا وضعت أقل من أربعة أشهر.(١)

<< **القُصْرى بَعْدَ الطُّوْلى** >>: القصرى هي سورة الطلاق ، والطولى: ليس المراد منها سورة النساء وإنما المراد السورة التي هي أطول جميع سور القرآن يعني سورة البقرة وفيها :﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (٢).(٣)

<< **ضَمَّز** >>: ضمز إذا سكت ، وضمز غيره إذا أسكته. وروي بدل اللام نونا أي أسكتني.(٤)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من ميادين الدعوة: مجالس العلم.

الثاني - من واجبات الداعية: مذاكرة العلم والعناية بالأدلة.

الثالث - حرص السلف على النقل الصحيح للعلم والأمانة في ذلك.

الرابع - الإنكار على من أخذ التغليظ في الأحكام وترك الرخص الشرعية.

الخامس - استعمال أسلوب التنبيه الفردي للشخص في حال خطئه.

السادس - الفطنة صفة ينبغي أن يتحلى بها الداعية.

السابع - الرجوع إلى أهل العلم عند الاختلاف.

الثامن - من أساليب الدعوة :أسلوب القسم لتأكيد الأمر.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) عمدة القاري /العيني ١٨/١٢٣.

٢) سورة البقرة جزء من الآية (٢٣٤).

٣) عمدة القاري /العيني ١٨/١٢٣.

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٣/١٠٠.

الأول - من ميادين الدعوة: مجالس العلم :

إن من ميادين الدعوة التي ينبغي أن يستفيد منها الداعية في الدعوة ونشر العلم مجالس العلم وحلقاته لما لها من أهمية في مدارسة العلم ومناظرة العلماء والبحث في آراء العلماء في المسائل الشرعية فينتشر العلم ، ويستفيد عظم من الناس به سواء بالحضور أو تناقله فيما بينهم.وفي هذا الحديث ذكر ابن سيرين : (جَلَسْتُ إلى مَجْلِسٍ فِيهِ عُظْمٌ مِنْ الأَنْصارِ) وفي رواية: (كُنْتُ في حَلْقَةٍ فيها عَبْدُالرَّحْمنِ بْنُ أَبي لَيْلى). مما يدل على اهتمام السلف بالعلم والجلوس والتحلق له.

عن أنس ﷺ قال: كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقا يقرءون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون ا لله تعالى .(١)

الثاني - من واجبات الداعية: مذاكرة العلم والعناية بالأدلة :

إن من واجبات الداعية إلى ا لله تعالى الحرص على مذاكرة العلم والعناية بالأدلة ومواضع الاستشهاد اقتداءً بسلفنا الصالح لما في ذلك من تبحر في أمور الدين والإلمام بأحكام الشرع الكريم وما يترتب عليه من حفظ للعلم ونفع المسلمين ، قال معاذ بن جبل ﷺ : (تعلموا العلم فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح) (٢). وقال الحسن البصري - رحمه ا لله -: (كان أصحاب رسول ا لله إذا جلسوا كان حديثهم يعني الفقه إلا أن يقرأ رجل سورة أو يأمروا أحدهم أن يقرأ سورة) (٣). وفي هذا الحديث ذكر محمد بن سيرين (٤) مذاكرته لبعض الأحاديث التي تتضمن أحكام عدة الحامل المتوفى عنها زوجها مع عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه، قال: (فَذَكَرْتُ حَدِيثَ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ فِي شَأْنِ سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمنِ: ولَكِنْ عَمُّهُ كانَ لايَقُولُ ذلِكَ). مما يدل على اهتمام سلفنا

---

١) جامع العلوم والحكم /ابن رجب ص٣٢٤.

٢) حلية الأولياء/أبو نعيم ٢٣٩/١،وانظر اقتضاء الصراط المستقيم/ابن تيمية ٩٤/١.

٣) الآداب الشرعية/ابن مفلح ١١٩/٢.

٤) هو شيخ البصرة ، وإمام المعبرين محمد بن سيرين ، أبو بكر الأنصاري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، كان غاية في العلم ، نهاية في العبادة ، روى عن كثير من الصحابة ، وروى عن الجم الغفير من التابعين ، كان فقيهاً ، عالماً ، ورعاً ، أديبا ،كثير الحديث، صدوقاً ، حجة ، شهد له أهل العلم والفضل بذلك ، وأريد على القضاء فهرب إلى الشام ثم أتى المدينة ، قال ابن عون لم أر مثله ، وقال هشام بن حسان :حدثني أصدق من رأيت من البشر ، مات سنة عشر ومئة هجرية. (انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي١٧٠/١، وشذرات الذهب/ابن العماد ١٣٩/١).

الصالح بمذاكرة أحكام الشرع وأحاديث النبي ﷺ، ومـاينبغي على المسلم من الاقتداء بهم في ذلك.

الثالث ـ حرص السلف على النقل الصحيح للعلم والأمانة في ذلك:

من هذا الحديث يظهر لنا حرص السلف على الدقة في نقل العلم والأمانة فيه حيث إن عبدا لله بن عون المزني الراوي لهذا الحديث عن محمد بن سيرين حين شك في اسم من لقيه ابن سيرين ذكر الاسمين الذين اعتقد أحدهما ولم يجزم بواحد منهما بل قال: (مالِكَ بْنَ عـامِرٍ أوْ مالِكَ بْنَ عَوْفٍ) مما يدل على ورع السلف وحرصهم على الدقة والأمانة في نقل العلم .قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ: (قوله " أوْ مالِكَ بْنَ عَوْفٍ " شك من الراوي). [١]

الرابع ـ الإنكار على من أخذ التغليظ في الأحكام وترك الرخص الشرعية :

إن من واجبات الداعية المستفاد من هذا الحديث أن ينكر على من تشدد في أمور الدين وأخذ الأحكام الشرعية بأسلوب فيه تغليظ وتجاهل الرخص الشرعية لأن مثل هذا يؤدي إلى تنفير المدعوين من الإسلام. وفي هذا الحديث أنكر عبد ا لله بن مسعود ﷺ على من قال أن عدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً مدة الحمل وإن طالت أما إذا وضعت في أقل من أربعة أشهر وعشرا وهي عدة غير الحامل فيجب أن تكمل الأربعة أشهر وعشرة أيام؛ فقال بأسلوب الاستفهام الإنكاري: (أتَجْعَلُونَ عَلَيْها التَّغْلِيظ ولاتَجْعَلُونَ لَهَا الرُّخْصَةَ؟) أي إذا جعلتم عدتها بوضع الحمل وإن طالت المدة فينغي أن تجعلوا لها الرخصة إذا وضعت لأقل من ذلك.[٢] قال الإمام السندي ـ رحمه الله ـ: (" أتَجْعَلُونَ عَلَيْها التَّغْلِيظ " أي أبعد الأجلين وهذا من ابن مسعود إنكار لما نقل عنه ابن أبي ليلى فعلم أن مانقل عنه ابن أبي ليلى غير ثابت). [٣]

الخامس ـ استعمال أسلوب التنبيه الفردي للشخص في حال خطئه :

مما يستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا أخطأ فلا يلام علنا لأن هذا الأسلوب يورث الضغينة والحقد في نفسه، بل ينبغي أن ينبه إلى خطئه بشكل فردي، لأن هذا الأسلوب أدعى للاستجابة لما نبه إليه، والقبول بالرأي السليم، والعمل به. وقد عد بعض العلماء التوجيه علانية

---

١) عمدة القاري ١٨/ ١٢٣،وانظر فتح الباري/ابن حجر ٨/٥٠٢،وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٩/٧.

٢) انظر فتح الباري /ابن حجر ٨/٥٠٢،وعمدة القاري/العيني ١٨/ ١٢٣.

٣) حاشية السندي على سنن النسائي٦/١٩٧.

من باب التوبيخ . قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ــ: (وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه) [١]، وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ــ : (المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير) [٢]. وفي هذا الحديث دليل على استمرار السلف بالتوجيه، وتنبيه المخطيء على خطئه؛ حيث قام أصحاب عبد الرحمن بن أبي ليلى بالضمز لمحمد بن سيرين لتنبيهه على مخالفته الرأي، وما ينبغي عليه من التراجع أو التزام الصمت، وهذا جاء في هذا الحديث. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (الذي يفهم من سياق الكلام أنه أنكر عليه مقالته من غير أن يواجهه بذلك بدليل قوله " فَضَمَّزَ لي " وقوله "فَاسْتَحْيَا ").[٣]

السادس ـ الفطنة صفة ينبغي أن يتحلى بها الداعية :

من هذا الحديث نخرج بأن من الصفات المطلوبة في الداعية أن يكون فطنا يفهم المراد ويتصرف في الحال حتى لاتسقط مكانته أمام المدعوين وتقل هيبتهم له . [٤]

وفي هذا الحديث فطن محمد بن سيرين إلى إشارة من ضمز له بأنه أراد منه الصمت فعالج الموقف في وقته وأوضح لهم صحة ماجاء به (قَالَ: فَضَمَّزَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ، قَالَ مُحَمَّدٌ فَفَطِنْتُ لَهُ فَقُلْتُ إِنِّي إِذاً لَجَرِيءٌ، إِنْ كَذَبْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ).

السابع ـ الرجوع إلى أهل العلم عند الاختلاف :

مما يستفاد من هذا الحديث أن المسلم إذا عرض له اختلاف في مسألة من مسائل الشرع أن يرجع فيها إلى العلماء لأنهم أعلم من غيرهم بهذه المسائل؛ وحتى في العلوم العامة يرجع إلى أهل الاختصاص ليصل إلى الحقائق [٥]. قال تعالى :﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[٦]

وفي هذا الحديث لما اختلف عبد الرحمن بن أبي ليلى مع محمد بن سيرين في عدة المتوفى

---

١) جامع العلوم والحكم ص٧٧.

٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

٣) فتح الباري ٥٠١/٨-٥٠٢ .

٤) انظر رسالة الماجستير فقه إنكار المنكر/بدرية البشر .

٥) انظر عمدة القاري/العيني ٢٠٢/١٠، وانظرالفائدة (٣) من الحديث (٥٩) ص٣٣٢.

٦) سورة النحل الآية رقم (٤٣) .

عنها زوجها سأل ابن سيرين عبد ا لله بن مسعود ﷺ العالم بعلوم القرآن ومعانيه ، ولاشك أن صحابة رسول ا لله أعلم من غيرهم بالشريعة فهم ورثة محمد ﷺ وخلفائه ، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت،فقبلت الماء فأنبتت الكلأ ، فزكت في نفسها وزكى الناس بها.فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر والتأويل؛ ففجرت من النصوص أنهار العلوم ،واستنبطت منها كنوزها ، ورزقت فيها فهما خاصا ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وقد سئل:هل خصكم رسول ا لله ﷺ بشيء دون الناس ؟. فقال: لا؛ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ؛ إلا فهما يؤتيه ا لله عبدا في كتابه. (١)

الثامن ـ من أساليب الدعوة: أسلوب القسم لتأكيد الأمر :

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب القسم حيث إن عبد ا لله بن مسعود ﷺ أقسم أن سورة الطلاق قد نزلت بعد البقرة وهي تتضمن قوله تعالى : ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ يؤكد ماذكره عبد ا لله من أن عدة الحامل تكون بوضع الحمل كما نصت عليه الآية السابقة . قال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـــ: ("لَنَزَلَتْ" بلام التأكيد لقسم محذوف أي وا لله لنزلت). (٢)

---

١) انظر الفتاوى/ابن تيمية ٤/٩٣.

٢) إرشاد الساري ٧/٣٩، وانظر فتح الباري /ابن حجر ٨/ ٥٠٢.

٤٧- باب قَوْلِهِ :﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[١]

٧٨-(٤٥٣٨). حدثنا إبْراهِيمُ أخْبَرَنا هِشامٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ سَمِعْتُ: عَبْدَ الله بْنَ أَبي مُلَيْكَةَ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: وَسَمِعْتُ أخاهُ أبا بَكْرِ بْنَ أَبي مُلَيْكَةَ يُحَدِّثُ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قالَ: قالَ عُمَرُ ﷺ [٢] يَوْماً لِأَصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَ تَرَوْنَ هذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ ؟ قالُوا: اللهُ أعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقالَ: قُولُوا نَعْلَمُ أوْلا نَعْلَمُ، فَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْها شَيْءٌ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قالَ عُمَرُ: يا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلا تَحْقِرْ نَفْسَكَ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلاً لِعَمَلٍ. قالَ عُمَرُ:أيُّ عَمَلٍ؟ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ قالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطاعَةِ اللهِ ﷻ ثُمَّ بَعَثَ الله لَهُ الشَّيْطانَ فَعَمِلَ بِالْمَعاصِي حَتَّى أغْرَقَ أعْمالَهُ. [٣]

شرح غريب الحديث:

<< لاتَحْقِرْ نَفْسَكَ >>: الحَقْرُ: الذِّلَّة، والحقير: الصغير الذليل. وحقَّره: استصغره ورآه حقيرا.[٤]

<< أغْرَقَ أعْمالَهُ >>: بالغين المعجمة أي أضاع أعماله بما ارتكب من المعاصي.[٥]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٦٦).

٢) سبقت ترجمته ص٢٣٦.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) لسان العرب/ابن منظور ٢٠٧/٤ مادة حقر.

٥) المصدر السابق ٢٨٦/١٠ مادة غرق،وعمدة القاري /العيني١٢٩/١٨.

الأول - من أساليب الدعوة : المذاكرة و السؤال.

الثاني - من واجبات المدعو : إذا سئل عن شيء يخبر بما يعلمه ثم يكل العلم إلى الله .

الثالث - من أساليب الدعوة في الترغيب في العلم : تحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه.

الرابع - من موضوعات الدعوة: قوة فهم ابن عباس رضي الله عنهما .

الخامس - من واجبات المسلم: التأدب في مجالس العلم وعرضه إن تفرد به.

السادس - من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال لتقريب المعنى.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من أساليب الدعوة: المذاكرة والسؤال:

من أساليب الدعوة في نشر العلم وتعليمه مذاكرة الآيات وطرح السؤال على المستمع للتعرف على ماعنده وتقريب المعنى له ليكون أوقع في نفسه وأسرع في تعلمه وفهمه ، وفي هذا الحديث سأل عمر رضي الله عنه أصحابه : ﴿فِيمَ تَرَوْنَ هذِهِ الآيَـةَ نَزَلَتْ﴾. قال الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله -: (وفيه أيضا دليل على أن يفتح الرجل طريقا في المسألة فيدل بذلك الفتح على باقي المسألة ؛ ألا ترى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في نفسي منها شيء ، ثم قال : ضربت مثلا لعمل ،فقال عمر:أي عمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل رجل غني يعمل بطاعة الله تعالى ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله ؛ وإنما أعاد ابن عباس ذكر العمل ليستنهض فطنة عمر فيسبق عمر إلى فهم مقصوده ، وكذلك كان ؛ فإن عمر رضي الله عنه شرح المسألة فاقر ابن عباس على ذلك ، وهو الذي أراد ابن عباس أن يذكره).[1]

الثاني - من واجبات المسلم: إذا سئل عن شيء يخبر بمايعلمه ثم يكل العلم إلى الله :

إن من واجبات المسلم أن يخبر بما عنده من العلم عند سؤاله ولا يقتصر على قول: " الله أعلم " لأن إحاطة الله ﷻ بكل شيء أمر معروف، ولكن علمه عن الأمر لا ينبغي أن يكتمه فمن الأفضل أن يتحدث بما عنده في المسألة ثم إذا وكل العلم بعد ذلك إلى الله فهو حسن ولهذا

---

١) الإفصاح ١/١٦٦.

غضب عمر ﷺ على أصحابه بسبب قولهم (اللهُ أَعْلَمُ). قال الوزير العالم ابن هبيره ـ رحمه الله ـ: (فيه من الفقه أن قول الرجل: الله أعلم؛ في مثل هذا المقام لا يصلح؛ لأن الله أعلم أبداً؛ ولأنه إذا سئل الرجل عما يعلمه فواجب عليه أن يذكره، وإن كان لا يعلمه فواجب عليه أن يقول: لا أعلمه. فلو قال فيه مايعلمه ثم أتبع ذلك بقوله: الله أعلم لكان حسناً). (١)

الثالث ـ من أساليب الدعوة في الترغيب في العلم: تحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه:

من أساليب الدعوة في الترغيب في العلم أن يشجع العالم تلميذه على القول بما يعلمه ولو كان في المجلس من هو أسن لأن ذلك يعطيه الثقة في النفس ويزيده رغبة في التعلم كما فعل عمرﷺ مع ابن عباس ﷺما حيث قال له: (يا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلاتَحْقِرْ نَفْسَكَ). وفي هذا درس عظيم للمعلمين. ذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ من فوائد الحديث: (تحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه إذا عرف فيه الأهلية لما فيه من تنشيطه وبسط نفسه وترغيبه في العلم).(٢)

الرابع ـ من موضوعات الدعوة: قوة فهم ابن عباس ﷺما :

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث قوة فهم ابن عباس ﷺما حيث أجاب على سؤال عمر ﷺ في حين جهل الجواب من حضر المجلس ممن هم أكبر منه سنا؛ وهذا الفهم منه ليس بمستغرب وقد دعا له الرسول ﷺ بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل. قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (وهذا عبد الله بن عباس ﷺما حبر الأمة؛ وترجمان القرآن. مقدار ما سمعه من النبي ﷺ لا بلغ نحو العشرين حديثا الذي يقول فيه (سمعت ورأيت) وسمع الكثير من الصحابة، وبورك له في فهمه والاستنباط منه، حتى ملأ الدنيا علما وفقها،... فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمعوا ما سمع، وحفظوا القرآن كما حفظه، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص ، فأنبتت من كل زوج كريم) (٣). قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفي

---

١) الإفصاح ١٦٥/١ .

٢) فتح الباري ١٥١/٨.

٣) الفتاوى ٩٤/٤.

الحديث قوة فهم ابن عباس رضي الله عنهما. (١)

فينبغي للداعية إلى الله أن يجعل من شخصية ابن عباس رضي الله عنهما موضوعا يتحدث عنه وينفع به المسلمين لما تحويه سيرته من حرص على العلم ونبوغ في كثير من مسائل الدين .

الخامس - من واجبات المسلم: التأدب في مجالس العلم وعرضه إن تفرد به:

إن من واجبات المتعلم أن يتأدب في مجلس العلم ويحترم من هو أسن منه و يقدم من هو أعلم منه لكن إذا تفرد بعلم مسألة مطروحة فلا ينبغي له أن يحقر نفسه بل يتحدث بما لديه وهذا من الواجب أيضا لينفع غيره بعلمه، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما: (**قُلْ وَلاتَحْقِرْ نَفْسَكَ**). قال الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله -: (وفيه من الفقه أنه إذا كان الرجل ذا لب وفقه فإنه لا ينبغي له أن يحقر نفسه أن يقول فيما قد عجز عنه الشيوخ).(٢) فإن العلم ليس حصراً على الكبار دون غيرهم بل هو منح إلهية، ومواهب رحمانية، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء(٣)، فإذا كان عند الإنسان علم فينبغي أن يعرضه إذا لم يعرضه من هو أسن منه مع بقاء احترامه له، لأن في سكوته تفويت مصلحة عامة، ولو أراد أن يذكره لواحد من كبار المجلس ليتحدث به يكون قد جمع بين التقدير وتقديم العلم.

السادس - من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال لتقريب المعنى :

من أساليب الدعوة في تقريب المعنى إلى ذهن المدعو ضرب المثل بحيث يشبه الأمر الذي يتحدث عنه بأمر مألوف في واقع المدعو فيحصل له الربط ومن ثم يفهم المقصود؛ وهذا الأسلوب ينفع كثيرا وخاصة مع العامة لأنهم في الغالب يقصر فهمهم على ممارساتهم اليومية وفي هذا الحديث ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية: (**ضُرِبَتْ مَثَلاً لِعَمَلٍ**) حيث شبه الخالق جل وعلا إحباط السيئات للحسنات بحال شيخ كبير له ذرية ضعفاء، بحيث يخشى عليهم الضيعة وعلى نفسه. وله بستان هو مادة عيشه وعيش ذريته. فيه النخيل والأعناب ومن كل الثمرات. فأرجى وأفقر ما هو له وأسر ماكان به إذا أصابه نار شديدة فأحرقته (٤). **قال الحافظ ابن كثير-**

---

١) فتح الباري ١٥١/٨.

٢) الإفصاح ١٦٥/١.

٣) انظر عمدة القاري/العيني ١٥/٢.

٤) انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /للإمام محمد بن قيم الجوزية ٢٦٦،٢٦٥/١ ــ ط١ ــ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م - دار الكتب العلمية - بيروت.

رحمه الله ـ: (وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذاً بالله من ذلك فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال فلم يحصل منه شيء وخانه أحوج ما كان إليه).[1] **قال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ :** (وضرب المثل بما ذكر لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه. وأبرزه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء قاله البيضاوي).[2]

---

١) تفسير القرآن العظيم١/٣١٩.

٢) إرشاد الساري٧/٤٥،وانظر: تفسير ابن كثير١/٣١٩، وتيسير الكريم الرحمن/السعدي ١/٣٢٩، وصفوة المفاهيم والآثار/الشيخ عبدالرحمن الدوسري٣/٤٩١.

٥٣- باب ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [١]

٧٩-(٤٥٤٤). حدثنا قُبيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنا سُفْيانُ عَنْ عاصِمٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما [٢] قالَ:آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ آيَةُ الرِّبا. [٣]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بدرسين دعويين هما:

الأول - من موضوعات الدعوة: نزول القرآن منجما.

الثاني - اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم ومتابعتهم لنزوله .

أما الحديث عنهما بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: نزول القرآن منجما:

في هذا الحديث دليل على أن القرآن نزل منجما حيث ذكر ابن عباس رضي الله عنهما آخر آية نزلت مما يدل أن هناك أوائل وأن القرآن لم ينزل جملة واحدة .[٤]

الثاني - اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم ومتابعتهم لنزوله :

مما يستفاد من هذا الحديث اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بعلوم القرآن وآخر مانزل منه يدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الحديث : (آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ آيَةُ الرِّبا) وماورد في غيره من الأحاديث في أول مانزل وآخر مانزل.[٥]

لذا ينبغي على المسلم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم في تعلم علوم القرآن وتعليمها لما لهذا العلم من أهمية في معرفة الأحكام وأسباب النزول وحكمة الخالق ﷻ في تنويع النزول تبعا لتنوع الأحداث والأسباب.

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٨١).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً، و انظر الاختلاف في آخر مانزل في المحرر الوجيز/ابن عطية ٤٩٨/٢، وفتح الباري/ابن حجر ١٥٣/٨، وعمدة القاري/العيني١٣٣/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني١٠٠/٧.

٤) انظر الفائدة (٤) من الحديث (٥٣) ص ٣١٠.

٥) انظر الفائدة (٢) من الحديث (٣٧) ص٢٣٢.

٥٤- باب ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١]

٨٠-(٤٥٤٥). حدثنا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا مِسْكِينٌ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ عَنْ مَرْوَانَ الأَصْفَرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَهْوَ ابْنُ عُمَرَ [٢] أَنَّها قَدْ نُسِخَتْ ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآيَةَ. [٣]

وفي رواية:(...قَالَ:أَحْسِبُهُ ابْنَ عُمَرَ ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قَالَ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا). [٤]

شرح غريب الحديث:

<< **تُبْدُوا** >>: بدا الشيء يبدو بَدْواً وبُدُوّاً و بَداءً ظهر. وأبديته أنا: أظهرته. [٥]

<< **نَسَخَتْها** >>: النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه[٦]. ونسخ الآية بالآية إزالة الحكم الوارد فيها بحكم آخر ورد في الآية الأخرى [٧]. وهو هنا من نوع إزالة الحكم مع بقاء التلاوة.[٨]

<< **الآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا** >>: وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.[٩]

---

١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٨٤).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١) ص٨٥.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب التفسير/ باب ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ ١٩٥/٥ رقم(٤٥٤٦).

٤) الطرف رقم (٤٥٤٦).

٥) لسان العرب/ابن منظور ٦٥/١٤ مادة بدا.

٦) المصدر السابق ٦١/٣ مادة نسخ.

٧) انظر فتح الباري/ابن حجر ١٥٤/٨، وعمدة القاري/العيني ١٣٣/١٨.

٨) ذكر الإمام القرطبي ـ رحمه الله أن للنسخ ثلاثة أضرب:نسخ التلاوة ، ونسخ الحكم مع بقاء التلاوة ، ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم. المفهم ٨٥/٥

٩) إرشاد الساري/القسطلاني ٤٨/٧.

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: ثبوت النسخ في القرآن الكريم.

الثاني - من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بعباده.

الثالث - حرص السلف على تحري الدقة في نقل العلم والأمانة في ذلك .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: ثبوت النسخ في القرآن الكريم:

مما يستفاد من هذا الحديث ثبوت النسخ لبعض الآيات في القرآن الكريم حيث أخبر ابن عمر رضي الله عنهما أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قد نزلت الآية التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فنسختها رحمة من الله وتخفيفا.[1] قال القاضي عياض - رحمه الله - ردا على من نفي النسخ للآية: (لاوجه لإبعاد النسخ في هذه القضية، وراويها قد روى فيها النسخ، ونص عليه لفظا ومعنى بأمر النبي ﷺ لهم بالإيمان والسمع والطاعة لما أعلمهم الله من مؤاخذته لهم، فلما فعلوا ذلك وألقى الله الإيمان في قلوبهم وذلت بالاستسلام لذلك ألسنتهم رفع الله الحرج عنهم، ونسخ هذه الكلفة بالآية الأخرى، كما قال. وطريق علم النسخ إنما هو بالخبر عنه أو بالتاريخ، وهما مجتمعان في هذه الآية). [2]

الثاني - من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بعباده :

لما أنزل الله ﷻ قوله ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أشفق الصحابة رضي الله عنهم منها وجثوا على ركبهم خوفا وفزعا من محاسبة الله لهم على ما تحدث به نفوسهم فأنزل تعالى قوله﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ رحمة بهم ولطفا منه سبحانه بعباده بعدم محاسبتهم على ما لا يملكون من حديث النفس وخواطرها [3]. قال العلامة القسطلاني - رحمه الله - : ((نسختها

---

١) انظر: المحرر الوجيز/ابن عطية ٥٣١/٢، وتفسير ابن كثير ٣٣٨/١، وفتح الباري/ابن حجر ١٥٥/٨، وعمدة القاري/العيني ١٣٣/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ٤٩/٧.

٢) إكمال المعلم ٤٢٠/١.

٣) جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما أنزلت على رسول الله ﷺ ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ...﴾ الآية، قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ. قال: فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله إكلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول

الآيَةُ الَّتِي بَعْدَها) لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي لا يكلف الله تعالى أحداً فوق طاقته لطفا منه تعالى بخلقه ورأفة بهم وإحسانا إليهم فأزالت ما كان أشفق منه الصحابة في قوله ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي هو وإن حاسب وسأل لكنه لا يعذب إلا على ما يملك الشخص دفعه فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان). (١)

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى ألا يغفلوا الحديث عن عظيم رحمته بعباده ورفقه بهم تذكيرا لهم واستجلابا لشكر الخالق سبحانه على هذه النعم .

الثالث - حرص السلف على تحري الدقة في نقل العلم والأمانة في ذلك:

في هذا الحديث يظهر لنا حرص سلفنا الصالح على الدقة في نقل الحديث عن الراوي والأمانة في ذلك حيث ذكر مروان بن الأصفر في الرواية الأولى أن الراوي هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفي الرواية الثانية قال: (أَحْسِبُهُ ابْنَ عُمَرَ) حيث لم يجزم به فقد يكون شك أو نسي ثم لما تذكر ذكر التصريح بالاسم. قال العلامة العيني - رحمه الله - : (وقوله في الرواية الأخرى "أَحْسِبُهُ " يحتمل أن يكون قبل جزمه بأنه ابن عمر فلما تحقق أنه ابن عمر ذكره بالجزم). (٢)

فينبغي على جميع المسلمين أن يقتدوا بالسلف الصالح من هذه الأمة في نقل العلم لأن التساهل في مثل هذا الأمر يؤدي إلى الوقوع في التحريف واندراس العلم وفساد عظيم.

الله ﷺ : ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)) . قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم. أنزل الله ﷻ في إثرها ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ الآية. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله ﷻ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية ﴾ كتاب الإيمان /باب بيان أن ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق ص٦٧ رقم (١٢٥).

١) إرشاد الساري٧/٤٨، وانظر: المحرر الوجيز/ابن عطية ٢/٥٣٠، وتيسير الكريم الرحمن/السعدي١/٣٥١، والتاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول ﷺ /الشيخ منصور علي ناصف ٤/٧٢ - ط٣ -١٣٨٢هـ/١٩٦٢م - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢) عمدة القاري ١٨/١٣٤، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ٧/٤٨.

[سورة آل عمران]

١ - باب ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [١]

وقال مجاهد: الحلال، والحرام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ يُصدق بعضه بعضاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ وكقوله جل ذكره: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ ﴿زَيْغٌ﴾ شك ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ المشتبهات ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ يعلمون. ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾.

٨١-(٤٥٤٧). حدثنا عَبْدُ الله بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنا يَزِيدُ بْنُ إِبْراهِيمَ التُّسْتَرِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عائِشَةَ ﷺ [٢] قَالَتْ تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هذِهِ الآيَةَ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [٣] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ)). [٤]

شرح غريب الحديث:

<< مُحْكَمَاتٌ >>: قيل المحكم من القرآن ماوضح معناه والمتشابه نقيضه. [٥]

---

١) سورة آل عمران جزء من الآية (٧).

٢) سبقت ترجمتها في الحديث رقم (١٠) ص٨٥.

٣) سورة آل عمران الآية (٧).

٤) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب العلم/باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ص١١٦١ رقم (٢٦٦٥).

٥) فتح الباري/ابن حجر ١٥٨/٨، وانظر الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٩/٤.

<< وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ >>: قال أبو البقاء: أصل المتشابه أن يكون بين اثنين فإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة كان كل منها مشابهاً للآخر فصح وصفها بأنها متشابهة وليس المراد أن الآية وحدها متشابهه في نفسها.(١) وقال الخطابي: المتشابه على ضربين: أحدهما ما إذا رُد إلى المحكم واعتبر به عُرف معناه . والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتنون. (٢)

<< زَيْغٌ >>: أي ميل عن الاستقامة و هم أهل البدع.(٣)

<< ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ >>: أي طلباً أن يفتنوا الناس عن دينهم.(٤)

<< تَأْوِيلِهِ >>: قال أبو إسحاق في الآية: معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، قال: وهذا التأويل هو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ أي لا يعلم متى يكون أمر البعث وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءامَنَّا بِهِ﴾ أي آمنا بالبعث، والله أعلم.(٥)

<< الرَّاسِخُونَ >>: رسخ الشيء يرسخ رسوخاً: يثبت في موضعه، والراسخ في العلم: الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً، والراسخون في العلم: المُدارسون.(٦)

<< أُولُوا الأَلْبَابِ >>: اللب: العقل وجمعه ألباب.(٧)

<< أُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ >>: المراد: التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن. وأول ماظهر ذلك من اليهود، وأول ماظهر في الإسلام من الخوارج. قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الخوارج قيل أول بدعة وقعت في الإسلام بدعة الخوارج.(٨)

---

١) فتح الباري/ابن حجر ١٥٧/٨.

٢) المصدر السابق ١٥٩/٨.

٣) فتح المبدي/الشرقاوي ١٧٢/٣.

٤) عمدة القاري/العيني١٣٨/١٨ ،وفتح المبدي/الشرقاوي ١٧٢/٣.

٥) لسان العرب/ابن منظور ٣٣/١١ مادة أول.

٦) المصدر السابق ١٨/٣ مادة رسخ.

٧) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٢٢٣/٤.

٨) انظر: فتح الباري/ابن حجر ١٥٩/٨ ،وعمدة القاري/العيني ١٣٩/١٨. قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (قال من حكى ذلك عنهم : إنهم لايطعنون في النقل لتواتر ذلك ، وإنما يثبتونه على هذا الأصل ، ولهذا قال النبي ﷺ في صفتهم: ((إنهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم)) يتأولونه برأيهم من غير استدلال على معانيه بالسنة ، وهم لايفهمونه بقلوبهم ، إنما يتلونه بألسنتهم ، والتحقيق أنهم أصناف مختلفة ؛ فهذا رأي طائفة منهم ، وطائفة قد يكذبون النقلة – ـ وطائفة لم يسمعوا ذلك ولم يطلبوا علمه ، وطائفة يزعمون أن ماليس له ذكر في القرآن بصريحه ليس حجة على الخلق:إما لكونه منسوخاً،

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: وجود آيات متشابهات في القرآن وموقف المسلم منها .

الثاني - من سمات أهل الأهواء: تحريف المتشابه من القرآن تبعا لأهوائهم.

الثالث - من موضوعات الدعوة: أن الاعتماد في العقائد والشرائع على المحكم من آيات الله.

الرابع - من واجبات الداعية: تحذير المسلمين مما قد يؤدي بهم إلى الضلال.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: وجود آيات متشابهات في القرآن وموقف المسلم منها:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث بيان وجود آيات متشابهات من القرآن الكريم لا يعلم تأويلها إلا الله ﷻ ، وقد اختلف العلماء في تعيينها، قال بعضهم أنها حروف التهجي المفتتح بها بعض السور كحم وطس وشبهها، ومنهم من قال: ماتساوى لفظه واختلف معناه وغمض إدراك اختلاف معانيه، مثل قوله ﷻ :﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾[١]، وقوله﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [٢]، فحقيقة اختلاف الإضلالين يعسر دركه من ناحية اللفظ، وإنما يدرك بالعقول افتراق هذه المعاني وما يصح منها وما لا يصح، ويلحق بهذا أي الوعيد والغفران للمعاصي أو تعذيبه، فقد وقع في القرآن في ذلك ظواهر تتعارض وتفتقر إلى نظر طويل؛ ولذلك ما ينخرط في هذا المسلك مما يقع في القرآن من هذا المعنى، وقيل غير ذلك ممايكثر ناسخه. [٣] ونظرا لهذا الاختلاف في التعيين فإنه ينبغي على المسلم أن لا يخوض في تأويل ما أشكل معناه من الآيات كما يفعل أهل الأهواء والضلال لما يؤدي إليه ذلك من الفتن والاختلاف، وتأويلها بغير ما أراد الله منها، فيأثم بذلك. وقد قال رسول الله ﷺ: ((**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا**)).[٤] قال الإمام الشاطبي -

---

أو مخصوصاً بالرسول ، أو غير ذلك) الصارم المسلول ص١٨٥.

١) سورة الجاثية جزء من الآية (٢٣).

٢) سورة طه جزء من الآية رقم (٧٩).

٣) إكمال المعلم/القاضي عياض ٨/١٦٠.

٤) صحيح الإمام مسلم :كتاب العلم /باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ص١١٦١ رقم (٢٦٦٧).

رحمه الله ـ: (السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المقتدين بهم لم يعرضوا لهذه الأشياء ولا تكلموا فيها بما يقتضي تعيين تأويل من غير دليل وهم الأسوة والقدوة).(١)

الثاني ـ من سمات أهل الأهواء: تحريف المتشابه من القرآن تبعا لأهوائهم:

في هذا الحديث بيان لصفة من صفات أهل الأهواء وهي تحريف ما تشابه من كتاب الله تبعاً لشهواتهم ورغباتهم، ومن ذلك ما احتج به النصارى على النبي ﷺ على التثليث لما وجدوا في القرآن: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ فذمهم الله حيث تركوا المحكم من القرآن: أن الإله واحد، وتمسكوا بالمتشابه الذي يحتمل الواحد الذي معه نظيره، يبتغون بذلك الفتنة وهي فتنة القلوب بتوهم آلهة متعددة (٢). قال الإمام ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ: (ومن سنن من قبلنا أنهم بدلوا بعض كتبهم كما أخبر الله ﷻ عنهم لقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ وقد أخبر ﷺ عن هذه الأمة بمثل هذا في قوله : ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾)(٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (كان ماذم الله به اليهود والنصارى قد يوجد في المنافقين المنتسبين للإسلام: الذين يظهرون الإيمان بجميع ماجاء به الرسول ﷺ، ويبطنون خلاف ذلك: كالملاحدة الباطنية فضلاً عمن يظهر الإلحاد منهم. ويوجد بعض ذلك في أهل البدع، ممن هو مقر بعموم رسالة النبي ﷺ باطناً وظاهراً، لكن اشتبه عليه بعض مااشتبه على هؤلاء، فاتبع المتشابه وترك المحكم، كالخوارج وغيرهم من أهل الأهواء). (٤)

لذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يخبر عنهم المسلمين ويبين صفتهم ووعيد الله لهم حتى لا يغتروا بهم ويتبعونه في أقوالهم، كما ينبغي أن يوضح أن المسلم يكون خلافهم فهو الذي يرد المتشابه إلى المحكم. قال العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ: الآيَةَ (﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فهنا وصفه بأن بعضه هكذا وبعضه هكذا. وأن الذين ارسخت قلوبهم وثبتت بالفقه والفهم عن الله، فثبتوا ثبات الجبال الراسخة، لا تزلزهم الشبهات

---

١) الموافقات في أصول الأحكام /الشاطبي ٦٠/٣.

٢) انظر الفتاوى/ابن تيمية ٢٣٤/٥.

٣) بهجة النفوس ٥٢/٤، وانظر : المحرر الوجيز/ابن عطية ٢٣،٢١/٣، والمفهم/القرطبي ٦٩٧/٦، وتفسير ابن كثير ٣٤٥/١، وتفسير أبي السعود ٨/٢، *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*/ لأبي العُلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٣٤١/٨ـ أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف ـ ط٣ ـ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ـ دار الفكر ـ بيروت، وفتح المبدي /الشرقاوي١٧٢/٣، وتيسير الكريم الرحمن /السعدي٣٥٧/١.

٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٩٤/١ .

ولاالشهوات، لأنهم يردون المتشابه منه إلى المحكم، ويقولون الآيـة ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي وما كان من عنده فلا تناقض فيه، فما اشتبه منه في موضع فسره الموضع الآخر المحكم. فحصل العلم وزال الإشكال).(١)

الثالث - من موضوعات الدعوة: أن الاعتماد في العقائد والتشريع على المحكم من آيات الله:

في تحذير النبي ﷺ من الذين يتبعون المتشابه من القرآن بقوله: ((فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ)) موضوع دعوي وهو أن الاعتماد في التشريع على المحكم لأنه لما حذر من اتباع المتشابه دل على أنه لا يعتمد عليه في عقيدة ولا تشريع.

قال الشيخ حمزة قاسم - حفظه الله - من فوائد الحديث: (أن الاعتماد في العقائد والتشريع على المحكم من آيات القرآن الكريم، لأنه ﷺ لما حذر من الاعتماد على المتشابه دل ذلك على أن المحكم هو الأصل الذي يعتمد عليه، ويحتج به في الأحكام اعتقادية كانت أو عملية).(٢)

الرابع - من واجبات الداعية: تحذير المسلمين مما قد يؤدي بهم إلى الضلال:

إن من واجبات الداعية إلى الله تعالى كما في جاء في هذا الحديث أن يحذر المسلمين من أن يعتمدوا على الآيات المتشابهة، ويستدلوا بها على العقائد والأحكام لأنها تحتمل معان مختلفة،ويحذرهم ممن يتبعون ما تشابه من القرآن الكريم ابتغاء الإفساد والتضليل وتفسيره تبعاً لأهوائهم التي من شأنها إبعاد المسلم عن الدين الحق والمنهج الإسلامي الصحيح كالخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع والأهواء. ولهذاجاء في الحديث قول النبي ﷺ : ((فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ)). قال القاضي عياض - رحمه الله - : (وتحذيره من الذين يتبعون ما تشابه منه؛ لِما نبه الله ﷻ عليه وهو قوله: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، ومعلوم أن هذا كثير ما يوقع في الفتن، ويوقع في فساد الاعتقاد،

---

١) القواعد الحسان لتفسير القرآن /السعدي ص٧٠ - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م - مكتبة المعارف - الرياض ، وانظر أصول مذهب الإمام أحمد /الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ص١٧٥ - ط٣ - ١٤١٠هـ/١٩٩٠م - مؤسسة الرسالة.

٢) منار القاري٣٩/٥، وانظر:المحرر الوجيز/ابن عطية ٢٠/٣، و تفسير أبي السعود٧/٢.

وهذا مما يجب أن يحذر)[١]. وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (المراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن).[٢]

١) إكمال المعلم ٨/ ١٦٠ ، وانظر منار القاري/ حمزة قاسم ٥/٣٨ .

٢) فتح الباري٨/١٥٩، شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٤٥٩، وتحفة الأحوذي/ المباركفوري ٨/٣٤٢، فتح المبدي /الشرقاوي٣/١٧٢، وانظر بهجة النفوس/ابن أبي جمرة ٤/٥٢.

بـاب﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ . . ﴾ الآية [١]

٨٢-(٤٥٦٣) - حدثنا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ - أُراهُ - قَـالَ : حَدَّثَنـا أَبُـو بَكْـرٍ عَنْ أَبِـي حَصِينٍ عَنْ أَبِي الضُّحى ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ[٢]: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قالَهـا: إِبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قالُوا : إِنَّ النَّـاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَقالُوا : حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[٣].[٤]

شرح غريب الحديث:

<< حَسْبُنَا الله >>:أي كافينا .[٥]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من موضوعات الدعوة: حرص السلف على الدقة والأمانة في النقل .

الثاني - من صفات الداعية: الثقة بالله تعالى .

الثالث - من موضوعات الدعوة: فضل التوكل على الله.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سورة آل عمران جزء من الآية (١٧٣).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) روى أبو السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غُلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ماانتهى إليه المسلمون - يقصد حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال - ...و مر بأبي سفيان ركب من عبدالقيس فقال لهم: إذا وافيتم محمداً فأخبروه أنا قد جمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال:حسبنا الله ونعم الوكيل . (انظر البداية والنهاية لابن كثير ٤/٥٦-٥٧).

٤) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري :كتاب التفسير / باب ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ ٥/٢٠٣ رقم (٤٥٦٤).

٥) لسان العرب/ابن منظور ١/٣١١ مادة(حسب)، وعمدة القاري/العيني١٨/١٥٣، وإرشاد الساري/القسطلاني ٧/٦٦،و تفسير أبي السعود ٢/١١٤، وفتح المبدي/الشرقاوي ٣/١٧٤ ، ومنار القاري/حمزة قاسم ٥/٤٢.

الأول - من موضوعات الدعوة: حرص السلف على الدقة والأمانة في النقل :

في هذا الحديث دليل على اهتمام سلفنا الصالح بالدقة والأمانة في نقل المعلومة ،فقد قال البخاري (أُراهُ قالَ) عندما شك في القائل ، والبخاري عرف بحرصه على سند الحديث ومتنه وصحة مصادره، ولهذا كان منه التنبيه لما شك في الأمر ولايطعن ذلك في صحة هذا الحديث . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (القائل أُراه هو البخاري وهو بضم الهمزة بمعنى أظنه وكأنه عرض له شك في اسم شيخه). [١]

الثاني - من صفات الداعية :الثقة بالله تعالى :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله تعالى الثقة بالله عزوجل اقتداءً بأنبيائه ،لأن العمل الدعوي صعب وشاق والداعية يواجه أحداثاً جساماً لايصبر عليها إلا من وثق بوعد الله له بالنصر ، وفي هذا الحديث لما ابتلي إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ لم يصبهما جزع بل أسلما أمرهما إلى الخالق ﷻ ووثقا بنصره وقالا : (حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الْوكِيلُ) فتحقق لهما النصر الموعود [٢]. وهكذا ينبغي للمسلم أن يزداد إيماناً بالله ويثق بنصره مهما طالت المدة واشتد الكرب فإن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا .[٣]

الثالث - من موضوعات الدعوة: فضل التوكل على الله:

في هذا الحديث دليل على فضل التوكل على الله تعالى فإن نبينا إبراهيم عليه السلام لما دعا قومه وكسر أصنامهم، وعاقبوه بإلقائه في النار اتجه إلى الله تعالى وفوض أمره إليه فقال : (حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الْوكِيلُ) فكان نتيجة توكله أن أنجاه الله وقال للنار : ﴿ يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [٤]. ومحمد ﷺ وصحابته حين خُوِّفوا من الأعداء لم يثنهم ذلك عن الاستمرار في طريقهم إلى الجهاد وقالوا : (حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الْوكِيلُ) ، قال تعالى : ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [٥]. قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ أي لما

---

١) فتح الباري ١٧٢/٨، وانظر:عمدة القاري/العيني١٥٣/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ٦٦/٧.

٢) انظر:إرشاد الساري/القسطلاني ٦٦/٧، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٧٣/٣.

٣) انظرشرح رياض الصالحين/ابن عثيمين ٥٠١/٢.

٤) سورة الأنبياء الآية رقم (٦٩).

٥) سورة آل عمران الآية رقم (١٧٤).

توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾.(١) ولهذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يوجه المسلمين إلى التوكل على الله ﷻ ، واللجوء إليه عند النوازل، مع اليقين التام بكفاية الله له، لأن هذا سبب النجاة.

١) تفسير القرآن العظيم ١/٤٣١.

١٦- باب ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾(١)

٨٣-(٤٥٦٧). حدثنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ (٢)أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَخَلَّفُوا عَنْهُ وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ . (٣)

شرح غريب الحديث:

<< **خِلَاف** >>: قعد خلاف أصحابه : لم يخرج معهم، وخلاف رسول الله في الآية، ويقرأ خلف رسول الله أي مخالفة رسول الله ﷺ .(٤)

<< **أَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا** >>: يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه .(٥)

---

١) سورة آل عمران جزء من الآية (١٨٨).

٢) هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخدري وخدرة وخدارة أخوان بطنان من الأنصار.كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين ، ومن العلماء الفضلاء العقلاء ، روى حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه:أنه لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من أبي سعيد الخدري.كان من أعيان الصحابة وفقهائهم، شهد الخندق وبيعة الرضوان وخرج مع الرسول ﷺ في غزوة بني المصطلق وهو ابن خمس عشرة ومات سنة أربع وسبعين للهجرة.

(انظر: حلية الأولياء /أبونعيم ٣٦٩/١، وأسد الغابة/ابن الأثير ٢١١/٥، والإصابة/ابن حجر ٨٥/٣، شذرات الذهب/ابن العماد٨١/١).

٣) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ص١٢١١ رقم (٢٧٧٧).

٤) لسان العرب/ابن منظور ٨٦/٩ مادة خلف.

٥) فتح الباري/ابن حجر ١٧٥/٨.

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من أصناف المدعوين: المنافقون .

الثاني - من صفات المنافقين : التخلف عن الجهاد وتلمس الأعذار.

الثالث - من موضوعات الدعوة : الوعيد الشديد لمن أحب أن يمدح بما ليس فيه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من أصناف المدعوين : المنافقون:

إن من أصناف المدعوين كما هو ظاهر في هذا الحديث: المنافقين ؛ حيث كان الرسولﷺ يعاملهم معاملة المسلمين تبعاً لظواهرهم ، ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله وكانوا يعتذرون عن الخروج (**اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا**)، بل ويحرضون غيرهم على هذا . وكانت الآيات في عهد النبي ﷺ تفضح أفعالهم ، منها قوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ .

الثاني - من صفات المنافقين : التخلف عن الجهاد وتلمس الأعذار:

حقيقة المنافقين أنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والكره للإسلام ؛ لهذا كان من صفاتهم أنهم يتلمسون الأعذار عندما يدعوهم رسول الله ﷺ إلى الجهاد والدفاع عن الإسلام ، (**أَنَّ رِجالاً مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهﷺ : كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَخَلَّفُوا عَنْهُ وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ**).[1] فلايخرجون معه، فإذا عاد أخذوا يعتذرون له بصنوف الأعذار ، وكان ﷺ يقبل منهم ، لأنه كان يعلم بنفاقهم مما علمه الله، فعقوبة الله على النفاق أشد من عقوبته على التخلف عن الجهاد ، فهؤلاء قد أخبر الله عنهم أنهم في الدرك الأسفل من النار، فلاينفعهم جهادهم مالم يُسْلِموا ظاهراً وباطناً. ومن أمثلة تخلفهم عن الجهاد؛ يوم أن تخلفوا عن غزوة تبوك رغم شدة الحاجة ، حتى سُمي ذلك الجيش جيش العسرة لعظم الضيق الذي كان فيه المسلمون ذلك الوقت. فأنزل الله فيهم : ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي

---

١) انظر:المحرر الوجيز / ابن عطية ٤٥٣/٣ ،وتفسير أبي السعود ١٢٦/٢ .

الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.[١]

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: الوعيد الشديد لمن أحب أن يمدح بما ليس فيه:

في هذا الحديث موضوع دعوي هام وهو الوعيد الشديد لمن يحب الثناء عليه ومدحه على أمر لم يفعله ، حيث إن المسلم يعمل العمل لوجه الله تعالى فلا ينظر إلى رأي الناس فيما يفعله فكيف في أمر لم يفعله ، فهذه صفة من صفات المنافقين و المرائين قال : ﴿وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾. قال الشيخ حمزة قاسم ـ حفظه الله ـ في فقه الحديث : (ثانياً: الوعيد الشديد لكل من يريد أن يمدحه الناس بماليس فيه ، وأنها صفة ذميمة من صفات المنافقين والمرائين في كل عصر ومصر).[٢]

١) سورة التوبة الآية رقم (٨١).

٢) منار القاري٥/٤٣، وانظر تفسير أبي السعود٢/١٢٦، وتفسير ابن كثير١/٤٣٧، وتيسير الكريم الرحمن /السعدي ١/٤٧١.

٨٤ -(٤٥٦٨)- حدثني إبراهِيمُ بْنُ مُوسى ، أَخْبَرَنا هِشامٌ أَنَّ ابنَ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَهُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْوانَ قالَ لِبَوَّابِهِ: اذْهَبْ يارافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كانَ كُلُّ امْرِيءٍ فَرِحَ بِما أُوتِيَ وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِما لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّباً لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ فَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[١]: وَمالَكُمْ وَلِهذِهِ؟ إِنَّما دَعا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِما أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيما سَأَلَهُمْ وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمانِهِمْ ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [٢] كَذلِكَ حَتَّى قَوْلِهِ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ . تابَعَهُ عَبْدُالرَّزَّاقِ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ. [٣]

..... - حَدَّثَنا ابْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنا الْحَجَّاجُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْوانَ بِهذا.

شرح غريب الحديث:

<< اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ >>: بفتح الفوقية مبنيا للفاعل أي طلبوا أن يحمدهم.[٤]

<< بِمَا أَتَوا >>: كذا للأكثر بالقصر بمعنى جاؤوا أي بالذي فعلوه وللحموي بماأوتوا بضم الهمزة بعدها واو أي أعطوا أي من العلم الذي كتموه كما قال تعالى: ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ والأول أولى لموافقته التلاوة المشهورة.[٥]

<< كِتْمانِهِمْ >>: بكسر الكاف أي للعلم وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق.[٦]

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٢) سورة آل عمران جزء من الآية (١٨٧).

٣) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ص٢١٢١ رقم (٢٧٧٨).

٤) فتح المبدي/الشرقاوي ١٧٦/٣.

٥) فتح الباري/ابن حجر ١٧٦/٨.

٦) فتح المبدي/ الشرقاوي ١٧٦/٣.

<< مِيثَاقَ >>: الميثاق العهد، مفعال من الوثاق، وهو في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسيروالدابة.[1]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة : إمارة مروان بن الحكم على المدينة .

الثاني - من واجبات المسلم : الحرص على مراجعة العلماء والاستفهام عما أشكل عليه.

الثالث - مكانة ابن عباس رضي الله عنهما وفضله .

الرابع - من أساليب الدعوة : الإنكار على من لم يفهم النص ولوكان أميراً.

الخامس - من أصناف المدعوين: اليهود.

السادس - ذم كتمان العلم والتوعد بالعذاب من الله على ذلك.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: إمارة مروان بن الحكم على المدينة:

من تاريخ الدعوة المستفاد من هذا الحديث تولي مروان بن الحكم إمارة المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . وقد ولاه على المدينة غير مرة ،يعزله ثم يعيده إليها [2]. وكانت أول من قبل معاوية ولايته سنة اثنتين وأربعين ثم عزله في ربيع الأول سنة تسع وأربعين، ثم استعمله مرة أخرى سنة أربع وخمسين ، ثم عزله سنة سبع وخمسين للهجرة [3]. **قال الحافظ ابن حجر** - رحمه الله -: (مروان هو ابن الحكم بن أبي العاص الذي ولي الخلافة وكان يومئذ أمير المدينة من قبل معاوية).[4]

---

١) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ١٥١/٥.

٢) انظر:البداية والنهاية /ابن كثير ٢٨٣/٨.

٣) انظر:الكامل في التاريخ/ابن الأثير ٣/ ٢١٠،٢٢٨،٢٤٦،٢٥٣.

٤) فتح الباري١٥٧/٨،و عمدة القاري/العيني ١٥٨/١٨و إرشاد الساري/القسطلاني٦٩/٧.

الثاني ـ من واجبات المسلم :الحرص على مراجعة العلماء والاستفهام عما أشكل عليه:

يجب على كل مسلم أن يتعلم العلم الشرعي حتى يقيم عباداته وأعماله على أساس صحيح، وإن أشكل عليه أمر من أمور الشرع أن يرجع إلى العلماء المتخصصين في هذا العلم حتى يأخذ العلم من أصوله، ويكون على بينة (١). قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.(٢) .قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في ترجمة مروان : (قالوا: ولما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة فاستشارهم فيها). (٣)

الثالث ـ مكانة ابن عباس رضي الله عنهما وفضله:

دل هذا الحديث على فضل ابن عباس رضي الله عنهما ومكانته العلمية حيث أرسل إليه مروان بن الحكم يسأله عن معنى آية أشكلت عليه وهي قوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ فقال: (**اذْهَبْ يارافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كانَ كُلُّ امْرِيءٍ فَرِحَ بِما أُوتِيَ وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِما لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّباً لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ**)، فاختياره لابن عباس رضي الله عنهما لعلمه بمكانته العلمية ونبوغه في تفسير القرآن ومعرفة معانيه، وقد كان الكثير ممن عاصره من الصحابة وغيرهم يرجعون له في كثير من المسائل التي تشكل عليهم، منها سؤال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه له وهو خليفة المسلمين آنذاك عن أشياء سأله عنها هرقل فلم يعرف لها إجابة فكان يقول: فمن لهذا؟ فقيل ابن عباس فأجابه عنها. وكذلك ابن عمر رضي الله عنهما لما سأله رجل عن ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (٤)، قال ابن عمر رضي الله عنهما : اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ـ يقصد ابن عباس ـ ثم تعال فأخبرني ما قال. فلما سأله وأخبر الرجل ابن عمر قال ابن عمر رضي الله عنهما : (قد كنت أقول مايعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علما). (٥)

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (٧) ص٧١، والفائدة (٣) من الحديث (٥٤) ص٣١٤.

٢) سورة النحل الآية (٤٣).

٣) البداية والنهاية ٢٨٣/٨.

٤) سورة الأنبياء جزء من الآية (٣٠).

٥) انظر القصتين في كتاب حلية الأولياء/أبو نعيم ٣٢٠/١.

الرابع ـ من أساليب الدعوة : الإنكار على من لم يفهم النص ولو كان أميراً:

من أساليب الدعوة كما هو ظاهر في هذا الحديث الإنكار على من لم يفهم النص الشرعي سواء كان في كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ ، وتفسيره بخلاف المقصود منه كما أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على مروان وكان أمير المدينة في ذلك الوقت عندما فسر الآية تفسيراً عاماً في حين أنها كانت قد نزلت في فئة من اليهود . قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ: (" **وَمَالَكُمْ وَلِهَذِهِ؟** " إنكار من ابن عباس رضي الله عنهما على السؤال بهذه المسألة على الوجه المذكور).[1]

الخامس ـ من أصناف المدعوين: اليهود:

في هذا الحديث صنف من الناس دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وناظرهم بما عندهم من الكتاب المنزل على نبيهم ؛ وهم اليهود ، وقد أظهر الله تعالى كذبهم على رسوله ﷺ فيما أنزل، كما أخبر ببعض صفاتهم وهي كتمان العلم لأغراض تعددت حسب نوعية المناظرة ، وتبعا لأهوائهم[2] ،كما وصفهم بمحبة المدح كما في هذه الآيات الواردة في الحديث : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

السادس ـ ذم كتمان العلم والتوعد بالعذاب من الله على ذلك:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث والتي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن ينبه عليها أمته هو كتمان العلم لأن كل من تعلم علماً ولو كان قليلاً أصبح مسؤولاً عن تبليغ ذلك العلم ومعرضاً للعقاب من الله تعالى يوم القيامة في حال كتمانه له . قال رسول الله ﷺ : ((**من سئل عن علم علمه ثم كتمه ؛ ألجم يوم القيامة بلجام من نار**)).[3] ، قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية : (﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هذا متصل بذكر اليهود ؛ فإنهم أُمروا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره، فكتموا نعته . فالآية توبيخ

---

١) عمدة القاري /العيني ١٥٨/١٨،وانظر: إرشاد الساري /القسطلاني ٦٩/٧،وفتح المبدي/الشرقاوي١٧٥/٣.

٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم /ابن تيمية ٧١/١ .

٣) سنن الترمذي :كتاب أبواب العلم /باب ماجاء في كتمان العلم ١٣٨/٤ رقم (٢٧٨٧)،وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ انظر صحيح سنن الترمذي ٥٨/٣ رقم (٢٦٥١) .

لهم ، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم . قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علمَ شيء من الكتاب . فمن علم شيئا فلْيُعَلِمَهُ ، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة . وقال محمد بن كعب: لايحل لعالم أن يسكت على علمه ، ولا لجاهل أن يسكت على جهله ؛ قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الآية . وقال ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال أبو هريرة :لولا ماأخذ الله على أهل الكتاب ماحدثتكم بشيء ؛ ثم تلا هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾)[1].وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الحديث : (...أن الله ذمهم بكتمان العلم الذي أمرهم أن لايكتموه وتوعدهم بالعذاب على ذلك).[2]

---

١) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٤/٤ .

٢) فتح الباري ١٧٦/٨، و المحرر الوجيز/ ابن عطية ٤٥٢/٣، وانظر:الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ١٨٤/٢،وتفسير أبي السعود١٢٥/٢-١٢٦ ، وفي ظلال القرآن/سيدقطب ٥٤٢/١.

٦- باب ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ الآيَةَ(١).

وذُكرعن ابن عباس: لاتعضلوهن: لاتقهروهن. حُوباً: إثما. تعُولوا: تميلوا. نحلة: النحلةُ المهر.

٨٥-(٤٥٧٩). حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ حَدَّثَنَا أسباطُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ، وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ السُّوائِيُّ وَلا أَظُنُّهُ ذَكَرَهُ إلاَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٢)﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ قَالَ: كَانُوا إِذا ماتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ إِنْ شاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَها وَإِنْ شاؤُوا زَوَّجُوها وَإِنْ شاؤُوا لَمْ يُزَوِّجُوها فَهُمْ أَحَقُّ بِها مِنْ أَهْلِها فَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ.(٣)

شرح غريب الحديث :

<< أَنْ تَرِثُوا >>: ورث فلان أباه يرثه وراثة ومِيراثاً ومَيراثاً. وأورثه الشيء:أعقبه إياه.(٤)

<< كَرْهًا >>: تكره الأمر:كَرِهَه . وأكرهْتُه :حملته على أمر هو له كاره.(٥)

<< وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ>>: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿لَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لاتقهروهن ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي.(٦)

---

١) سورة النساء جزء من الآية (١٩).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الإكراه /باب الإكراه كره وكره واحد ٧٣/٨ رقم (٦٩٤٨).

٤) لسان العرب/ابن منظور ١٩٩/٢ مادة ورث.

٥) المصدر السابق ٥٣٥/١٣ مادة كره.

٦) فتح الباري/ابن حجر ١٨٤/٨.

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - حرص السلف على صحة النقل والأمانة فيه .

الثاني - حرص ابن عباس ﷺ على بيان معاني الآيات وأسباب نزولها.

الثالث - من موضوعات الدعوة : تحريم عضل المرأة .

الرابع - من محاسن الدين الإسلامي : تكريمه للمرأة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - حرص السلف على صحة النقل والأمانة فيه:

إن في قول الشيباني - رحمه الله -: «**وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ السُّوائِيُّ وَلا أَظُنُّهُ ذَكَرَهُ إلاَّعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**» دليلاً على اهتمام السلف بصحة النقل والأمانة في ذلك ،فقد سمع الشيباني هذا الحديث عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ ، وسمعه من أبي الحسن السوائي ،فلم يجزم نقله عن ابن عباس بل قال : «**وَلا أَظُنُّهُ ذَكَرَهُ إلاَّعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**» ، لغلبة ظنه .قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (حاصله أن للشيباني فيه طريقين أحدهما موصولة وهي عكرمة عن ابن عباس والأخرى مشكوك في وصلها وهي أبو الحسن السوائي عن ابن عباس). [(١)]

الثاني - حرص ابن عباس ﷺ على بيان معاني الآيات وأسباب نزولها:

في هذا الحديث دليل على اهتمام ابن عباس ﷺ بنشر علوم القرآن ، من تفسير الآيات، وبيان أسباب نزولها . وقد كان يحرص على تعليم القرآن فيجتمع للناس في المواسم ،ويجعل له يوماً لتعليمه ، فيتوضأ ثم يرسل لهم وهم ببابه تختلف مطالبهم مابين علوم القرآن والحديث والشعر وغيرها : فكان يقول من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل. فيدخلون حتى يملأون البيت والحجرة ، فماسألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ماسألوه أو أكثر . ثم يأتي من بعدهم لينهلوا منه علماً [(٢)]. وعن أبي وائل قال : استخلف عليﷺ عبدالله بن عباس ﷺ على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة وفي رواية

---

١) فتح الباري/ابن حجر ٨/١٨٥وانظر: عمدة القاري/العيني ١٨/١٦٩.

٢) انظر حلية الأولياء/أبو نعيم١/٣٢٠، والبداية والنهاية/ابن كثير ٨/٣٣٢.

سورة النور ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا [١]. فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يقتدوا بابن عباس رضي الله عنهما في حرصه على التعليم ولا أجل من علوم الكتاب والسنة. قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [٢] وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣] فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله. فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به ، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا ،وتعليمه ،وتفهمه ، وتفهيمه). [٤]

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: تحريم عضل المرأة:

من الموضوعات الدعوية في هذا الحديث بيان تحريم الإسلام لعضل المرأة قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ فلايجوز أن تحبس المرأة كما كانت الجاهلية تفعل حتى تموت ليرثها، لما في ذلك من الإضرار بها وهضم حقوقها . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (قال المهلب: يستفاد منه أن كل من أمسك امرأته طمعاً أن تموت فيرثها لايحل له ذلك بنص القرآن). [٥]

الرابع ـ من محاسن الدين الإسلامي : تكريمه للمرأة:

في بيان ابن عباس رضي الله عنهما لحال المرأة في الجاهلية عند وفاة زوجها (**كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا وَإِنْ شَاؤُوا زَوَّجُوهَا وَإِنْ شَاؤُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ**) إشارة إلى محاسن الدين الإسلامي ومافيه من اهتمام بالحقوق لمختلف الأجناس، ومنهم المرأة حيث

---

١) مقدمة تفسير ابن كثير ص٤.

٢) سورة آل عمران الآية (١٨٧).

٣) سورة آل عمران الآية (٧٧).

٤) مقدمة تفسير ابن كثير ص٣.

٥) فتح الباري/ابن حجر ٢٨٥/١٢، و عمدة القاري/ العيني ١٠٤/٢٤، وانظر: المحرر الوجيز/ابن عطية ٥٤٠/٣، وعون المعبود/محمد العظيم آبادي ١١٣/٦، وإرشاد الساري/القسطلاني ٩٩/١٠.

كانت في الجاهلية إذا مات عنها زوجها حبسها ابنه، فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت ويرثها [١]، فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادات وجعل المرأة أحق بنفسها .

قال الشيخ محمد العظيم آبادي ـ رحمه الله ـ: (وهذه كانت شبهتهم أن حق الزوجية انتقل إليهم من مورثهم، فأبطل الله ذلك، وحكم بأن الزوجية لا تنتقل بالميراث إلى الوارث، بل إذا مات الزوج كانت المرأة أحق بنفسها، ولم يرث بضعها أحد وليس البضع كالمال فينتقل بالميراث). [٢]

١) انظر: فتح الباري/ابن حجر ١٨٥/٨.

٢) عون المعبود/محمد العظيم آبادي ١١٣/٦، وانظر: المحرر الوجيز/ابن عطية ٥٤٠/٣، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ٥/ ٩٣، وتفسير ابن كثير ٤٦٥/١ ، وإرشاد الساري/القسطلاني ٨٠/٧ ، وتفسير أبي السعود ١٥٧/٢.

باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ...﴾ (١)

٨٦-(٤٥٨٢) - حدثنا صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا يَحْيَ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ الله (٢)- قَالَ يَحْيَ : بَعْضُ الْحَدِيثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ (٣)(٤)- قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : ((اقْرَأْ عَلَيَّ)) قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ: ((فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)). فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، قَالَ : ((أَمْسِكْ)). فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. (٥)

وفي رواية: (قال : ((حَسْبُكَ الآنَ))). (٦)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - من صفات الداعية : التواضع .

الثاني - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الاستماع للقرآن والبكاء عنده.

---

١) سورة النساء جزء من الآية (٤١).

٢) هو ابن مسعود سبقت ترجمته ص٢٥١.

٣) هو عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق بن الحارث بن سلمة بن كعب بن وائل ، الإمام القدوة الحافظ أبو عبد الله المرادي ثم الجملي ثم الكوفي ، أحد الأئمة الأعلام ، حدث عن عبدالله بن أبي أوفي وأرسل عن ابن عباس وغيره ، وروى عن أبي وائل وسعيد بن المسيب ، وابن أبي ليلى وخلق كثير .حدث عن الأعمش. والثوري وخلق سواهم . قال علي بن المديني له نحو مئتي حديث ، وقال سعيد بن أبي الرازي سئل أحمد بن حنبل عنه فزكاه.(انظر تهذيب سير أعلام النبلاء الذهبي/إعداد الحمصي ١٨٤/١).

٤) قال الإمام الكرماني - رحمه الله -:قد ذكر البخاري كلام يحي للتقوية .الكواكب الدراري ٨٠/١٧.

٥) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب فضائل القرآن /باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره ١٣٧/٦ رقم (٥٠٤٩) ،وباب /قول المقري للقاري:حسبك ١٣٧/٦ رقم (٥٠٥٠) ، وباب/البكاء عند قراءة القرآن ١٣٩/٦ رقم (٥٠٥٥)، (٥٠٥٦).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتبع ص٣٢٤ رقم (٨٠٠).

٦) الطرف رقم (٥٠٥٠).

الثالث - رحمة النبي ﷺ بأمته .

الرابع - مشروعية قول المقري للقاري "حسبك" .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من صفات الداعية : التواضع :

في هذا الحديث صفة من الصفات التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتحلى بها ،وقد تمثلها نبينا محمد ﷺ وهي التواضع لأصحابه ،فإنه ﷺ طلب من عبدالله بن مسعود ﷺ أن يقرأ عليه من القرآن فقال : ((اقْرَأْ عَلَيَّ))، وهو الذي تلقاه من الوحي وهوأعلم به ، ولهذا تعجب ابن مسعود من طلبه وقال : (أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ) ، ولكنه خلقه الكريم الذي دعاه إلى ذلك. قال الإمام النووي - رحمه الله - : (وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم).[1] فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يتخلقوا بخلق رسول الله ﷺ،وأن يتواضعوا للناس فما تواضع أحد لله إلا رفعه ، وأعلى منزلته .

الثاني - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الاستماع للقرآن والبكاء عنده :

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث بيان فضل الاستماع لقراءة القرآن الكريم وطلب ذلك من قارىء ليكون ذلك أقرب للفهم وتدبر الآي لأن القارىء ينشغل بالقراءة وأحكامها بخلاف المستمع فإن ذهنه متركز في السماع والتدبر ، ولهذا قال النبي ﷺ لابن مسعود ﷺ : ((فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)).قال الإمام النووي - رحمه الله - : (وفي حديث ابن مسعود هذا فوائد منها : استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها ، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه). [2] وقال الشيخ المباركفوري - رحمه الله - : (قال الغزالي: يستحب البكاء مع القراءة وعندها وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف بتأمل مافيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ثم ينظر تقصيره في ذلك فإن لم يحضره حزن فليبك على فقد ذلك وأنه من

---

١) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٣٣٥/٦.

٢) المصدر السابق نفس الصفحة ، وانظر:الإفصاح/ابن هبيرة ٥٠/٢، والمفهم/القرطبي٤٢٧/٢، وفتح الباري/ابن حجر ٨٢/٩، وفتح المبدي/الشرقاوي١٧٨/٣، وشرح رياض الصالحين/ابن عثيمين ٤٠٠/٥.

أعظم المصائب). [١] قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.[٢]

لذا ينبغي للداعية إلى الله أن يلازم كتاب الله في جميع أوقاته ، وأن يستمع إليه ويتدبره،ويحث الناس على فهمه والعناية به لما فيه من عظيم الأجر والنفع في حاضرهم ومستقبلهم.

الثالث - رحمة النبي ﷺ بأمته :

إن ماحدث من رسول الله ﷺ عند قراءة عبدالله بن مسعود ﷺ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ وما كان من بكائه عندها دليلاً على ما اتصف به ﷺ من شدة رحمته بأمته وخوفه عليهم من عذاب الله تعالى ، حيث جعله الله تعالى شهيداً على أعمالهم ، ولن يخلو أن يكون منهم من ظلم نفسه بارتكاب المحرمات فيشهد عليه فيعذبه الله ، ولهذا بكى ، قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لايكون مستقيما فقد يفضي إلى تعذيبهم والله أعلم).[٣] فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتصف بهذه الصفة العظيمة والتي تجعله يحرص أشد الحرص على تحذير الأمة من العذاب واستغلال جميع الأوقات في دعوتهم إلى العمل الصالح والمداومة عليه خشية الخسران في اليوم الآخر.

الرابع - جواز قول المقري للقاري "حسبك ":

إن في قول النبي ﷺ لابن مسعود ﷺ : ((حَسْبُكَ الآنَ)) دليلاً على جواز قول المقري للقاري حسبك والتوقف عند الكافي من الآي، والمقاطع ؛لأن الكلام حيث قال له حسبك ،غير تام ، بل تمامه فيما بعده. أو للتنبيه على مافي الآية.[٤] قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ : (وفيه من الفقه أنه يجوز لمن يقرأ عنده القرآن أن يقول للقاريء "حَسْبُكَ").[٥]

---

١) تحفة الأحوذي ٨/٣٧٩.

٢) سورة المائدة جزء من الآية رقم (٨٣).

٣) فتح الباري ٩/٨٦،وانظر الإفصاح/ابن هبيرة ٢/٥٠.

٤) انظر المفهم /القرطبي ٢/٤٢٧.

٥) الإفصاح ٢/٥٠.

١١- باب :﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [١] ذوي الأمر.

٨٧-(٤٥٨٤). حدثنا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، أَخْبَرَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما [٢] ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾قالَ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الله بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ، إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ. [٣]

شرح غريب الحديث :

<< **سَرِيَّة** >>: هي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو ،وجمعها سرايا.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول ـ من موضوعات الدعوة : وجوب طاعة ولاة الأمر.

الثاني ـ اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما ببيان أسباب نزول الآيات.

الثالث ـ من تاريخ الدعوة: بعث عبد الله بن حذافة رضي الله عنه في سرية.

الرابع ـ من وسائل الدعوة : بعث السرايا.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ من موضوعات الدعوة : وجوب طاعة ولاة الأمر:

أمر الله ﷻ المسلمين بوجوب طاعة ولاة الأمر لما في ذلك من وحدة الأمة والحفـاظ علـى أمنها واستقرارها ، وإن جاروا، ولاندعو عليهم ، ولاننزع يداً من طاعتهم ، ونرى طـاعتهم مـن طاعة الله ﷻ فريضة ؛ على ألا تتجاوز هذه الطاعة حدود الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،

---

١) سورة النساء جزء من الآية (٥٩).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب الإمارة/باب وجوب طاعة الأمراء من غير معصية ص٨٢٤ رقم (١٨٣٤).

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٢/٣٦٣.

وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة. قال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ: (﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي ذوي الأمر وهم الخلفاء الراشدون ومن سلك طريقهم في رعاية العدل ويدرج فيهم القضاة وأمراء السرية أمر الله تعالى الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل تنبيهاً على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق).[1]

قال سهل بن عبد الله ـ رحمه الله ـ : (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء ؛فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد الله دنياهم وأخراهم).[2]

لذا ينبغي على جميع الدعاة أن يؤكدوا على هذه الطاعة ويبينوا أهميتها في استقرار البلاد وقوتها ضد أعدائها، ويوضحوا خطورة الخروج عليهم وما فيه إثارة الفتن والبلبلة في المجتمع وحدوث ما لا يحمد عقباه للمسلمين، فإن هناك من يتربص بهم ويبحث عن ثغرات يهدهد بها بنيانهم .

الثاني ـ اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما ببيان أسباب نزول الآيات:

دل هذا الحديث على اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما وعنايته ببيان أسباب نزول الآيات لما يوضحه ذلك من أحكام تتعلق بالشرع لا تتضح للمسلم إلا ببيان سبب نزولها ، وغالبا مايكون سبب النزول قصة؛ والقصة من وسائل توصيل المعلومة وتثبيتها في ذهن السامع. ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يحرص على بيان أسباب نزول الآيات لتعليم الناس أمور دينهم، وأحكام الشرع الكريم.[3]

الثالث ـ من تاريخ الدعوة: بعث عبد الله بن حذافة رضي الله عنه في سرية:

من تاريخ الدعوة كما دل عليه هذا الحديث بعث النبي ﷺ لعبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي رضي الله عنه في سرية إلى الحبشة .[4] وكان رسول الله ﷺ قد بعث علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في شهر ربيع الآخر سنة تسع للهجرة فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم البحر فهربوا منه ،فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم فأذن لهم فتعجل عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه فيهم فأمَّره على من تعجل .[5]

---

١) إرشاد الساري ٨٥/٧،وانظر: أحكام القرآن/ العربي ٤٥٢/١، والمفهم/القرطبي٣٥/٤، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي٢٥٩/٥، وشرح النووي على صحيح مسلم٤٦٥/١٢.

٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي٢٦٠/٥.

٣) انظر الفائدة (٢) من الحديث (٨٥) ص٤٢٨.

٤) انظر:زاد المعاد /ابن القيم ٣٦٨/٣، وفتح الباري/ابن حجر ٤٦/٨، وعمدة القاري/العيني ٣١٤/١٧.

٥) انظر الطبقات الكبرى /ابن سعد ١٦٣/٢.

الرابع ـ من وسائل الدعوة: بعث السرايا:

إن من الوسائل الدعوية التي استخدمها النبي ﷺ في دعوته للناس بعث السرايا إليهم لدعوتهم إلى دين الله أو التسليم مع دفع الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقد دل هذا الحديث على بعث النبي ﷺ عبدالله بن حذافة السهمي ﷺ في سرية إلى الحبشة ، لذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يقتدي بالنبي ﷺ في اتخاذ جميع الوسائل الكفيلة بنشر دعوة الإسلام منها: بعث اللجان الدعوية خاصة في المواسم كرمضان لتعليم أحكام الإسلام المتعلقة به وفضائل الأعمال في ذلك الشهر وغيرها من أمور تهم المسلم.[1]

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (١٦) ص١١٣.

باب ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [١]

٨٨-(٤٥٩١) - حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ . قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ ، قَالَ : قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلاَمَ.[٢]

شرح غريب الحديث:

<< **غُنَيْمَةَ** >>: بضم الغين المعجمة وفتح النون : تصغير غنم لأن الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور وعلى الإناث فإذا صغرتها ألحقتها الهاء فقلت غنيمة لأن أسماء الجموع التي لاواحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم.[٣]

<< **عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا** >>: أي تبتغون أخذ ماله ويسمى متاع الدنيا عرضا لأنه عارض زائل غيرثابت .[٤]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول ـ الاهتمام بتعليم الموالي.

الثاني ـ اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما ببيان أسباب نزول الآيات.

الثالث ـ من موضوعات الدعوة:بيان أن الحكم على الإنسان بالظاهر ، أما السرائر فهي إلى الله.

---

١) سورة النساء جزء من الآية (٩٤).

٢) لم يورد له الإمام البخاري أطرافاً .

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه :كتاب التفسير ص١٣٠٨ رقم (٣٠٢٥).

٣) عمدة القاري /العيني ١٨/١٨٤.

٤) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٥/٣٣٩، وانظر:المفهم/القرطبي٧/٣٣٧، وإرشاد الساري/القسطلاني٧/٩٠.

الرابع - من واجبات المسلم: التنزه عن الأعراض الدنيوية .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - الاهتمام بتعليم الموالي:

دل هذا الحديث على اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما بتعليم مواليه حيث علم مولاه عطاء بن أبي رباح سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ كما علمه الكثير من العلوم في الفقه والحديث حتى أصبح من الفقهاء المعتمدين في الفتوى بل أصبح فقيه أهل مكة بعد وفاة ابن عباس رضي الله عنهما . قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : لما مات العبادلة ـ عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عمرو بن العاص - صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي؛ فكان فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح ، وفقيه أهل اليمن طاوس ، وفقيه أهل اليمامة يحي بن أبي كثير ، وفقيه أهل الكوفة إبراهيم ، وفقيه أهل البصرة الحسن ، وفقيه أهل الشام مكحول، وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني ، إلا المدينة فإن الله خصها بقرشي ، فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع . [١]

الثاني - اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما ببيان أسباب نزول الآيات:

ذكر ابن عباس رضي الله عنهما القصة التي وقعت لصحابة رسول الله ﷺ وكانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ حيث قال: (**كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَقَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾) ، وقد كان ذلك من ابن عباس رضي الله عنهما لحرصه على نشر العلم من خلال ما يتضح من أسباب النزول من الأحكام، وأيضا تعليم القرآن الكريم وبيان معانيه فيتحقق لقارئه استيعاب لمراده، وتدبره وفهمه، ويكون بذلك قد أدى واجبه في فهم كتاب الله تعالى واستجاب لأمره سبحانه حيث قال:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [٢]. فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يقتدي بابن عباس رضي الله عنهما في حرصه على كتاب الله تلاوة وتفسيراً لما فيها من الخير العظيم للأمة الإسلامية عامة .

---

١) إعلام الموقعين/ابن القيم ١/ ٣٠ .

٢) سورة محمد الآية رقم (٢٤) .

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: بيان أن الحكم على الإنسان بالظاهر ، أما السرائر فهي إلى الله:

من الموضوعات الدعوية في هذا الحديث أن من أظهر الإسلام يحكم عليه بظاهره ويتعامل معه معاملة المسلمين، لأن البشر ليس لهم العلم إلا بما ظهر، أما سرائر الأمور فلا يعلمها إلا الله ولا يحكم فيها إلا هو سبحانه. ولهذا أنزل الله فيمن قتلوا من أظهر علامة من علامات الإسلام قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ . قال أبو بكر الرازي ـ رحمه الله ـ : (في هذه الآية حكم الله تعالى بصحة إسلام من أظهر الإسلام وأمرنا بإجرائه على أحكام المسلمين وإن كان في الغيب بخلافه).[1]

الرابع ـ من واجبات المسلم : التنزه عن الأعراض الدنيوية :

لقد وبخ الله تعالى الذين قتلوا الرجل رغبة فيما كان معه من غنم فقال تعالى: ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ ، وأخبرهم أن عنده مغانم كثيرة خير مما في هذه الدنيا الذي حملهم على أن يقتلوا من أظهر الإيمان، وتغافلوا عنه واتهموه بالمصانعة والتقية ابتغاء ما معه فما عند الله من الرزق الحلال خير من مال هذا[2]. لهذا كان من واجب المسلم والداعية بشكل خاص أن يتنزه عن عرض الدنيا الفاني، وينظر إليها نظرة المعرض، ويرغب فيما عند الله تعالى اقتداءً برسول الله ﷺ ، ورد عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه سمع رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة ؟ فأراه قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر. فقال: عن هؤلاء تسأل ؟.[3].

---

١) عمدة القاري /العيني ١٨/١٨٥،وانظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٥/٣٣٨، وفتح الباري/ابن حجر ٨/١٩٥.

٢) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٣٩.

٣) حلية الأولياء/أبو نعيم ١/٣٠٧.

١٩- باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ الآية[١].

٨٩-(٤٥٩٦). حدثنا عَبْدُالله بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِيءُ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ وَغَيْرُهُ قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمنِ أَبُوالأَسْوَدِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ ثُمَّ قَالَ:أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ[٢] أَنَّ نَاساً مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ فَأَنْزَلَ الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآيَةَ.
رَوَاهُ اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ. [٣]

شرح غريب الحديث:

<< قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ >>: قطع بضم أوله ، بعث:جيش والمعنى أنهم ألزموا بإخراج جيش لقتال أهل الشام.[٤]

<< فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ >>: اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، أي كتبت اسمي في جملة الغزاة .[٥]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، لخصها في الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: قتال أهل الشام.

---

١) سورة النساء جزء من الآية (٩٧).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الفتن/باب من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم ١١٩/٨ رقم(٧٠٨٥).

٤) فتح الباري/ابن حجر ١٩٨/٨، عمدة القاري /العيني ١٨٨/١٨، إرشاد الساري/القسطلاني ٩٤/٧.

٥) لسان العرب/ابن منظور ٦٩٨/١ مادة كتب، وعمدة القاري /العيني ١٩٥/٢٤.

الثاني - من موضوعات الدعوة: النهي عن مناصرة المشركين.

الثالث - من موضوعات الدعوة: تعليم الموالي .

الرابع - من واجبات الداعية : نهي المسلمين عما يوقعهم في الهلاك.

الخامس - من أساليب الدعوة : بيان سبب النهي وذكر الدليل على صحة الرأي.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من تاريخ الدعوة: قتال أهل الشام:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث أن المسلمين قد بعثوا جيشاً من المدينة لقتال أهل الشام، قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (أنهم ألزموا بإخراج جيش لقتال أهل الشام وكان ذلك في خلافة عبدالله بن الزبير ﷺ على مكة).[١]

الثاني - من موضوعات الدعوة: النهي عن مناصرة المشركين:

مما يستفاد من هذا الحديث أن من موضوعات الدعوة النهي عن مناصرة المشركين وتكثير سوادهم حتى ولو كان لهم بهم صلة قرابة لأن رابطة الإسلام أقوى من رابطة النسب والمسلم يقاتل لإعلاء كلمة الله تعالى دون أي غرض دنيوي؛ ولذلك أنكر عكرمة ﷺ على من خرج في جيش يقاتل المسلمين . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفيه تخطئة من يقيم بين أهل المعصية باختياره لالقصد صحيح من إنكار عليهم مثلاً أو رجاء إنقاذ مسلم من هلكة وأن القادر على التحول عنهم لا يعذر كما وقع للذين كانوا أسلموا ومنعهم المشركون من أهلهم من الهجرة ثم كانوا يخرجون مع المشركين لا لقصد قتال المسلمين بل لإيهام كثرتهم في عيون المسلمين فحصلت لهم المؤاخذة بذلك فرأى عكرمة ﷺ أن من خرج في جيش يقاتلون المسلمين يأثم وإن لم يقاتل ولا نوى ذلك). [٢]

الثالث - من موضوعات الدعوة: تعليم الموالي :

في هذا الحديث درس دعوي هام لجميع المسلمين وهو تعليم الموالي ومن هم تحت أيديهم من الخدم أمور دينهم وأحكام الشرع فهم يدخلون ضمن المسؤولية المذكورة في حديث رسول

---

١) فتح الباري ١٩٧/٨،وعمدة القاري /العيني ١٨٨/١٨.

٢) فتح الباري ٣٢/١٣، و تفسير ابن كثير ٥٤٢/١، وفتح المبدي/الشرقاوي١٧٩/٣، وانظر الإفصاح/ابن هبيرة ١٨٢/٣.

الله ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)).[١] فهذا ابن عباس حبر الأمة ﷺ قد تتلمذ على يده مولاه عكرمة [٢] فأصبح عكرمة ﷺ ممن يسأل عن أمور الدين .قال المؤرخ ابن العماد ـ رحمه الله ـ في ترجمة عكرمة : (وهب لابن عباس فاجتهد في تعليمه).[٣]

الرابع ـ من واجبات الداعية : نهي المسلمين عما يوقعهم في الهلاك:

إن من واجبات الداعية إلى الله تعالى تجاه المسلمين نهيهم عما يوقعهم في الهلاك ،وهذا من أساسيات عمل الداعية ، لأنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ومن المنكر إظهار عزة المشركين أمام المسلمين ولو لم ينو القتال معهم ولكنه أوقع الهيبة في نفوس المسلمين منهم وهذا أمر يأثم عليه المسلم .قال الإمام الكرماني ـ رحمه الله ـ : (وكان غرض عكرمة ﷺ من نهيه أبا الأسود ﷺ أن الله تعالى ذمهم بتكثير سوادهم مع أنهم كانوا لايريدون بقلوبهم موافقتهم فكذلك أنت لأنك تكثر سواد هذا الجيش).[٤]

الخامس ـ من أساليب الدعوة :بيان سبب النهي وذكر الدليل على صحة الرأي:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث بيان سبب النهي حيث نهاهم عكرمة ﷺ ثم أخبرهم عن سبب نهيهم عن ذلك الفعل وهو أن الله تعالى ذم من يفعله ووصفه بأنه ظالم لنفسه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآيَةَ ، وذكر عكرمة ﷺ أيضاً رأي ابن عباس ﷺ في هذه المسألة (قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ).

وهذا أسلوب ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتخذه في دعوته لأنه يؤكد على صحة ماجاء به ويعطي الثقة في نفس المستمع على صدقه فيما أخبر عنه .

---

١) صحيح الإمام البخاري:كتاب الجمعة/باب الجمعة في القرى والمدن ١/٢٤٢ رقم (٨٩٣).

٢) هو عكرمة ،العلامة ، الحافظ ،المفسر ، أبو عبد الله القرشي، مولاهم ، المدني ، البربري الأصل ، حدث عن ابن عباس ، وعائشة، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وعبدالله بن عمرو ، وعقبة بن عامر ، وعلي بن أبي طالب ، وعدة.كان عكرمة من أهل العلم . قال العجلي:مكي تابعي ثقة .وقال البخاري:ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة. وقال النسائي: ثقة مات بالمدينة سنة أربع ومئة للهجرة .(انظر تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/اعداد الحمصي١/١٧٢ ، وشذرات الذهب/ابن العماد ١/١٣٠)

٣) شذرات الذهب ١/١٣٠.

٤) الكواكب الدراري ١٧/٨٨، وعمدة القاري /العيني ١٨/١٨٨،وإرشاد الساري/القسطلاني ٧/٩٤، وانظر فتح الباري/ابن حجر ٨/١٩٨.

٢٢. باب قَوْلِهِ:﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ (١)

٩٠-(٤٥٩٩). حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ، أَخْبَرَنَا حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢): ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ قَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَانَ جَرِيحاً. (٣)

شرح غريب الحديث:

<< لا جُنَاحَ عليكُمْ إِنْ كانَ بِكمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى>>: أي لاإثم عليكم إن كان بكم أذى من مطر أي بسبب ما يبلكم من مطر أويضعفكم من جهة مرض.(٤)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بدرسين دعويين، هما:

الأول - اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما ببيان أسباب نزول الآيات .

الثاني - من خصائص الشريعة الإسلامية: التيسير ورفع الحرج.

أما الحديث عنهما بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما ببيان أسباب نزول الآيات :

دل هذا الحديث على اهتمام ابن عباس رضي الله عنهما ببيان أسباب نزول الآيات، لما في ذلك من نشر العلم وأحكام الدين الإسلامي، فذكر أن الآية التي في هذا الحديث نزلت في عبد الرحمن بن عوف لما جرح، وعجز عن حمل سلاحه فرخص الله ﷻ له ولأمثاله من المرضى بوضعه (﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَانَ جَرِيحاً).

وفي هذا نشر للعلم وبيان لمحاسن الدين الإسلامي، ومايترتب عليه في الغالب من القبول

---

١) سورة النساء جزء من الآية (١٠٢).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم(٣) ص٥٤.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) عمدة القاري /العيني ١٨/١٩٠، وإرشاد الساري/القسطلاني٧/٩٦.

له، والدخول فيه . [١]

الثاني - من خصائص الشريعة الإسلامية: التيسير ورفع الحرج:

مما يستفاد من هذا الحديث أن من خصائص الشريعة الإسلامية التيسير على المسلمين؛ ورفع الحرج عنهم، وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان وقدراته، لأن هذا الدين جاء عاماً لكل الناس وليس لفئة معينة، ولكل منهم ظروفه وأحواله ، والشارعﷺ لايريد بعباده عنتا ولا رهقا، ولهذا جعل الرخصة للعاجز عن حمل السلاح بسبب المرض أو شدة المطر أن يضع عنه السلاح مع أخذ الحذر والحيطة من الأعداء لئلا يغافلوهم فيهجموا عليهم، ويأخذوا سلاحهم، ويقاتلوهم به؛ كما حدث لرسول الله ﷺ عندما ذهب يرتاح تحت شجرة ، بعيدا عن أصحابه فغافله غورث بن الحارث، وأخذ سلاحه، وحاول قتله [٢]. قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ: (رخص لهم في وضع السلاح لثقلها عليهم بسبب ماذكر من المطر أو المرض ثم أمرهم بأخذ الحذر خشية أن يغفلوا فيهجم العدو عليهم).[٣]

---

١) انظر الفائدة (٢) من الحديث (٨٨) ص٤٣٨.

٢) انظر صحيح الإمام البخاري:كتاب المغازي /باب غزوة ذات الرقاع ٦٤/٥ رقم (٤١٣٥)،وصحيح الإمام مسلم:كتاب الفضائل/باب توكله على الله تعالى ،وعصمة الله تعالى له من الناس ص١٠١١ رقم (٢٢٨٣)

٣) فتح الباري١٩٩/٨، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي٣٧٣/٥، عمدة القاري /العيني ١٩٠/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني٩٦/٧. وانظر:أحكام القرآن/ابن العربي٤٩/١، وتفسير أبي السعود٢٢٧/٢.

٢٥ - باب ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ﴾ [1]

وقال ابن عباس: أسفل النار.نفقاً: سَرَباً.

٩١-(٤٦٠٢). حدثنا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنا أَبِي ، حَدَّثَنا الأَعْمَشُ، قالَ : حَدَّثَنِي إبْراهِيمُ عَنِ الأَسْوَدِ [2] قالَ: كُنَّا فِي حَلْقَةِ عَبْدِ الله، فَجاءَ حُذَيْفَةُ [3] حتَّى قامَ عَلَيْنا فَسَلَّمَ ثُمَّ قالَ: لَقَدْ أُنْزِلَ النفاقُ على قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ، قالَ الأَسْوَدُ سُبْحانَ الله إنَّ الله يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الله وَجَلَسَ حُذَيْفَةُ فِي ناحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَقامَ عَبْدُ الله فَتَفَرَّقَ أَصْحابُهُ فَرَماني بِالْحَصا فَأَتَيْتُهُ فَقالَ حُذَيْفَةُ: عَجِبْتُ مِنْ ضَحِكِهِ، وَقَدْ عَرَفَ ما قُلْتُ لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفاقُ عَلى قَوْمٍ كانُوا خَيْراً مِنْكُمْ ثُمَّ تابُوا فَتابَ الله عَلَيْهِمْ. [4]

شرح غريب الحديث:

<< **حَلْقَة** >>: الحلقة هي الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيره. والتحلق تفعل منها وهو أن يتعمدوا ذلك. وجمعه حِلَق بكسر الحاء وفتح اللام.[5]

<< **أُنْزِلَ النِّفاقُ عَلى قَوْمٍ كانُوا خَيْراً مِنْكُمْ** >>: أي ابتلوا به لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين لكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا وذهبت الخيرية منهم ، ومنهم من تاب فعادت له الخيرية .[6]

---

١) سورة النساء جزء من الآية (١٤٥).

٢) هو أبو عمر الأسود بن يزيد النخعي الكوفي الفقيه العابد .وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد ، ووالد عبد الرحمن بن الأسود ، وابن أخي علقمة بن قيس ، وخال إبراهيم النخعي .فهؤلاء أهل البيت من رؤوس العلم والعمل.وكان الأسود مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام . وحدث عن معاذ بن جبل ، وبلال ، وابن مسعود ،وعائشة ، وحذيفة .وهونظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن يضرب بعبادتهما المثل . توفي سنة خمس وسبعين للهجرة على الراجح.

(انظر:تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي/إعداد الحمصي ١٢٩/١ ،وشذرات الذهب/ابن العماد ٨٢/١)

٣) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٦٨) ص٣٦٥.

٤) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٥) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٤٢٦/١.

٦) فتح الباري /ابن حجر ٢٠٠/٨، وعمدة القاري/ العيني١٩٧/١٨ ،وإرشاد الساري/القسطلاني٩٨/٧.

<< الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ>>: الدرك بالتحريك، وقد يسكن واحد الأدراك، وهي منازل في النار . والدرك إلى أسفل والدرج إلى أعلى. (١)

<< فَرَمَانِي بِالْحَصَا >>: أي حذيفة ﷺ رمى الأسود يستدعيه إليه.(٢)

<< عَجِبْتُ مِنْ ضَحِكِهِ >>: أي من اقتصاره على ذلك وقد عرف ما قلت أي فهم مرادي وعرف أنه الحق.(٣)

<< ثُمَّ تَابُوا >>: أي رجعوا عن النفاق.(٤)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - أهمية تعليم الأبناء والأقارب .

الثاني - من ميادين الدعوة: المسجد.

الثالث - من آداب الداعية : إفشاء السلام .

الرابع - من واجبات الداعية: تحذير المسلمين من الوقوع في النفاق.

الخامس - بيان جزاء المنافقين وأنهم في الدرك الأسفل من النار.

السادس - من صفات الداعية: الجرأة في قول الحق .

السابع - خيرية صحابة رسول الله ﷺ على غيرهم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - أهمية تعليم الأبناء والأقارب :

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث أهمية تعليم الأبناء والأقارب العلم اقتداءً بالسلف الصالح الذين كان لهم دور عظيم في نشر العلم ، وتعليم الناس علوم الدين خاصة من حولهم من أبناء وأقارب ، وموالي ؛ فهذا عمر بن حفص يحدث عن أبيه حفص بن غياث النخعي

---

١) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ١١٤/٢، وانظر الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ٤٢٥/٥ ، وعمدة القاري/العيني ١٩٢/١٨.

٢) فتح الباري /ابن حجر ٢٠٠/٨، وعمدة القاري/العيني ١٩٣/١٨، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني٩٨/٧.

٣) المصادر السابقة نفس الصفحات.

٤) المصادر السابقة نفس الصفحات.

الكوفي،كما حدث إبراهيم النخعي عن خاله الأسود بن يزيد النخعي، مما يؤكد لنا أهمية العلم والعناية به بين الأبناء والأقارب وتحذيرهم من الوقوع فيما يوجب النار كأمثال ماجاء في هذا الحديث من النفاق وحال أهله بخلودهم في دركات جهنم. وقد قال تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.[١]

الثاني ـ من ميادين الدعوة: المسجد:

يعتبر المسجد أحد الميادين الهامة للدعوة إلى الله تعالى، حيث فيه تلقى الخطب والدروس، وتقام حلق العلم وتحفيظ كتاب الله ، وقد سار الصحابة ﷺ على نهج النبي ﷺ في الاهتمام بالمسجد، فكانوا يكونون حلقا لتعليم العلم كما ورد في هذا الحديث : (كُنَّا فِي حَلْقَةِ عَبْدِ اللهِ) فهذا القول يؤكد لنا أنهم كانوا يُكوِنون الحلقات العلمية . وقوله : (وَجَلَسَ حُذَيْفَةُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ) يشير إلى أن حلقة عبد الله ﷺ هذه كانت في المسجد. [٢]

الثالث ـ من آداب الداعية: إفشاء السلام :

إن مما ينبغي على المسلم بصفة عامة و الداعية إلى الله تعالى بصفة أن يكون متبعاً لأوامر النبي ﷺ متمسكاً بسنته ؛ومنها إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرف ومن لم يعرف ، لأن السلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة. وفي إفشائه تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض ، وإظهار شعارهم المميز لهم ممن غيرهم من أهل الملل مع مافيه من رياضة النفس ، ولزوم التواضع ،وإعظام حرمات المسلمين [٣]، وقد أكد رسول الله ﷺ على أهميته في أحاديث كثيرة منها: أنه لما سئل عن أي الإسلام خير قال: ((تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ، ومن لم تعرف)).[٤] وقال : ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))[٥]. وفي هذا الحديث لما دخل حذيفة ﷺ المسجد سلم على من فيه ، قال عبدالله بن مسعود ﷺ : (فَجَاءَ حُذَيْفَةُ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ) .فقد كان هذا أدب الصحابة ﷺ، ومثال على تمسكهم بأمر

---

١) سورة التحريم جزء من الآية (٦) .

٢) انظر الفائدة (٦) من الحديث (٥٧) ص٣٢٣.

٣) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٣٩٥/٢ .

٤) صحيح الإمام البخاري :كتاب الاستئذان /باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ١٦٦/٧ رقم (٦٢٣٦) .

٥) صحيح الإمام مسلم:كتاب الإيمان/باب بيان أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها ص٤٤ رقم (٥٤).

نبيهم ﷺ.

لـذا ينبغـي للداعيـة إلى الله تعـالى أن يتـأدب بـآداب الإســلام ، ويواظــب علــى ســنن المصطفىﷺ، ويتمثلها واقعاً ملموساً حتى يقتدى به فيها فيكون بذلك قد أعان على إقامة شـرائع الدين ، وأشاع هدي النبي ﷺ.(١)

الرابع - من واجبات الداعية: تحذير المسلمين من الوقوع في النفاق:

إن في قـول حذيفـة ﷺ (لَقَدْ أُنْـزِلَ النفـاقُ عَلـى قَـوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُـمْ) تحذيـراً منـه للمخاطبين وكانوا من طبقة التابعين أن يغتروا بإيمانهم ،فكما وقع النفاق لمن هم خير منهـم وهـم طبقة الصحابة ﷺ، فلاآمان أن يقع فيهم ،قال ابن أبي مليكة : (أدركت ثلاثـين مـن أصحـاب النبيﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه مامنهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل)(٢). قـال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (فكأن حذيفة ﷺ حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لايغـتروا فإن القلوب تتقلب فحذرهم من الخروج مـن الإيمـان لأن الأعمـال بالخاتمـة وبـين لهـم أنهـم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مكر الله فإن الطبقة الذين من قبلهـم وهـم الصحابةﷺ كانوا خيرا منهم ومع ذلك وجد بينهم من ارتد ونافق فالطبقة الـتي هـي مـن بعدهـم أمكن من الوقوع في مثل ذلك). (٣)

فينبغـي للدعـاة إلى الله تعالى أن يحرصـوا علـى تنبيـه الأمـة إلى هـذا الأمـر العظيـم ،وأن يصونوا أنفسهم منه بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ،والعمـل بمافيهمـا لأنهمـا أصـل الديـن ، ومنبع المنهج القويـم ،قـال عنهمـا رسـول الله ﷺ : ((تركـت فيكـم مـا إن تمسـكتم بـه لـن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي)).(٤)

الخامس - بيان جزاء المنافقين وأنهم في الدرك الأسفل من النار:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث بيان جزاء المنافقين، وأنهم في الدرك الأسفل من النار قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. وقد كان التشديد لهم في العذاب لأنهم كانوا يظهرون الإيمـان ويبطنـون الكفـر ، وفي هـذا اسـتهزاء بـالدين ، إضافـة إلى عدائهـم

---

١) انظر فتح الباري/ابن حجر ١٢/١٦ .

٢) صحيح الإمام البخاري:كتاب الإيمان/باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لايشعر ١/٢١ .

٣) فتح الباري ٨/٢٠٠، وعمدة القاري/العيني١٨/١٩٣ ، و إرشاد الساري/القسطلاني٧/٩٨.

٤) سبق تخريجه في ص ٧.

للإسلام وتحينهم الفرص للطعن فيه وفي محمد ﷺ،كما فعلوا في حادثة الإفك وغيرها . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (قال ابن عباس رضي الله عنهما الدرك الأسفل أسفل النار، قال العلماء عذاب المنافق أشد من عذاب الكافر لاستهزائه بالدين).(١)

السادس ـ من صفات الداعية: الجرأة في قول الحق :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله تعالى الجرأة في قول الحق لا تأخذهم في الله لومة لائم، كما كان صحابة رسول الله، ومنهم حذيفة رضي الله عنه حيث أخبر وهو صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين وعالم بأحوالهم أن النفاق قد وقع في بعض الصحابة، ولهذا لما سمع ابن مسعود رضي الله عنه هذا الكلام منه ضحك تعجبا من جرأته في بيان الحق ولو كان هذا الحق يتعلق بالصحابة أنفسهم وما هم من مكانة، غير أنه لم يصرح بأسمائهم فلم يكن هدفه التشهير كما أنه سر مؤتمن عليه، وإنما كان الهدف النصح والإرشاد. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ: (" فَتَبَسَّمَ عَبْدُاللهِ " أي ابن مسعود رضي الله عنه إنما كان تبسمه تعجباً بحذيفة رضي الله عنه وبما قام به من قول الحق وماحذر منه).(٢)

لهذا ينبغي للداعية أن يقتدي بصحابة رسول الله ﷺ، ويبذل في قول الحق كي يبرأ أمام الله تعالى بأداء ماوكل إليه ، ولو تعرض للأذى فلا غرابة لأن من الصحابة من قتل في قول الحق، أمثال عاصم بن ثابت وخبيب بن زيد رضي الله عنهما. (٣)

السابع ـ خيرية صحابة رسول الله ﷺ على غيرهم :

لا شك أن طبقة الصحابة رضي الله عنهم خير من طبقة التابعين ومن بعدهم، وكل من صحب النبيﷺ أفضل ممن لم يصحبه مطلقاً (٤)، وهم السابقون الأولون أصحاب الفضائل العظيمة، والمواقف الجليلة ، وقد مدحهم الله ﷻ وأثنى عليهم في كتابه ، قال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

---

١) فتح الباري ٨/٢٠٠.

٢) عمدة القاري ١٨/١٩٣ ،و إرشاد الساري/القسطلاني٧/٩٨.

٣) انظر قصتهما في كتب السير في قصة يوم الرجيع .

٤) انظر الفتاوى/ابن تيمية ٤/٥٢٧.

وَرِضْوَانًا﴾[١] كما أثنى عليهم نبيه محمد ﷺ ونهى عن التعرض لهم فقال : ((لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي ،فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)) [٢]، كما خصهم بالخيرية على غيرهم كما جاء في قوله ﷺ : ((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ...))[٣]، وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيء) [٤]. وفي قول حذيفة ﷺ في هذا الحديث تأكيد لخيرية صحابة رسول الله ﷺ على غيرهم، فقد قال حذيفة ﷺ : (لَقَدْ أُنْزِلَ النفاقُ على قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ). قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ: (وأما الخيرية فلأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين).[٥]

---

١) سورة الفتح جزء من الآية (٢٩) .

٢) صحيح الإمام مسلم: كتاب فضائل الصحابة ﷺ /باب تحريم سب الصحابة ﷺ ص١١١٣ رقم (٢٥٤٠).

٣) سبق تخريجه ص ١٣٦ من البحث .

٤) شرح العقيدة الطحاوي ص٤٢٣.

٥) عمدة القاري ١٩٣/١٨، وانظر: فتح الباري/ابن حجر ٢٠٠/٨، و إرشاد الساري/القسطلاني٩٨/٧.

باب ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [١]

٩٢-(٤٦١٣) - حدثنا عَلِيُّ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنا مالِكُ بْنُ سُعَيْر، حَدَّثَنا هِشامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عائِشَةَ ﷺ [٢] أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل لا والله ، وبلى والله .[٣]

شرح غريب الحديث:

<< **اللَّغْو** >>: لغو اليمين هو ماسبق إليه اللسان دون قصد كقول الرجل في حالة غضبه أو صلة كلام: لا والله تارة وبلى والله.[٤]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأبناء والأقارب.

الثاني - اهتمام أم المؤمنين عائشة ﷺ ببيان أسباب نزول الآيات.

الثالث - من موضوعات الدعوة: بيان أن اللغو في اليمين لايؤاخذ عليه .

الرابع - من موضوعات الدعوة: بيان أن الأعمال بالنيات .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سورة المائدة جزء من الآية (٨٩).

٢) سبقت ترجمتها في الحديث (١٠) ص٨٥.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الأيمان والنذور / باب ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ ٢٨٦/٧ رقم (٦٦٦٣).

٤) انظر:أحكام القرآن/ابن العربي٢/٦٣٦، والجامع لأحكام القرآن/القرطبي ٢٦٦/٦، وفتح الباري/ابن حجر ٤٧٦/١١،وعمدة القاري/العيني ٢٠٦/١٨، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٦٢/٩، وتفسير أبي السعود ٢٢٤/١، وتيسير الكريم الرحمن / السعدي٢/٣٣٦.

الأول - تعليم الأبناء والأقارب:

في هذا الحديث ظهرت أهمية تعليم الأبناء والأقارب معاني الآيات وفيما نزلت حيث علمت أم المؤمنين عائشة ﵂ ابن أختها عروة بن الزبير ﵁ فيما أنزل قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ ولأهمية ذلك علم عروة ﵁ هذا العلم لابنه هشام . لذا ينبغي للمسلم أن يهتم بتعليم أبنائه وأقاربه علوم الدين ومنها علوم كتاب الله من تفسير وأسباب نزول وغيرها.[١]

الثاني - اهتمام أم المؤمنين عائشة ﵂ ببيان أسباب نزول الآيات:

دل هذا الحديث على اهتمام أم المؤمنين عائشة ﵂ بنشر العلم ،ومنه بيان أسباب نزول الآيات ، حيث قالت (**أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل لا والله، وبلى والله**) . وقد كانت عالمة بعلوم شتى ؛ **قال أبو سلمة بن عبد الرحمن**: مارأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ ، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة . وبهذا العلم كانت تفتي وتجيب على أسئلة كبار الصحابة ، وتعلم أقاربها ومواليها [٢] . لذا ينبغي على المسلمات الاقتداء بها في ذلك والحرص على تعليم الناس أمور الدين ، وتفقيههم فيه، فهذه مسؤولية عامة ، وتتأكد في حق من حملت العلم ، ونالت منه نصيبا .

الثالث - من موضوعات الدعوة: بيان أن اللغو في اليمين لايؤاخذ عليه :

في هذا الحديث موضوع دعوي يتعلق بنوع من أنواع اليمين التي يتلفظ بها الإنسان وهي اللغو وهي كما قالت عائشة ﵂ : (**في قول الرجل لا والله ، وبلى والله**) وقد بين العلماء أن هذا النوع لايؤاخذ عليه لأنه مما يجري به اللسان دون نية عقده ،كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ **قال الإمام ابن العربي - رحمه الله -**: (...فإن الله رفع المؤاخذة عن اللغو مطلقاً فلا إثم فيه ولاكفارة).[٣]

---

١) انظر الفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص٢١٠.

٢) انظر الطبقات الكبرى/ابن سعد ٣٧٥/٢.

٣) فتح الباري /ابن حجر ٤٧٦/١١،وانظر :المحرر الوجيز /ابن عطية ٢٦٣/٢،وفتح القدير /الشوكاني ٧١/٢،وفيض الباري على صحيح البخاري/الشيخ محمد أنور الكشميري ١٧٨/٤ - دار المعرفة – بيروت، وفقه السنة /السيد سابق ١٨/٣،ط١– ١٣٩١هـ/١٩٧١- دار الكتاب العربي - بيروت.

الرابع - من موضوعات الدعوة: بيان أن الأعمال بالنيات :

في هذا الحديث دليل على أن الإنسان يحاسب على أقواله وأعماله بحسب نيته فيها لأن العلماء اشترطوا في اليمين التي تلزم صاحبها الكفارة عند الحنث فيها أن تكون عن نية معقودة وقصد أما ما يجري على اللسان من غير قصد عقده فهذا اللغو الذي ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: (لغو اليمين مالم تنعقد النية عليه مثل ماجرت به العادة من قول الرجل في أثناء المخاطبة لا والله وبلى والله من غير أن يعتقد لزومه). [1] قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [2] قال العلامة العيني - رحمه الله -: (بما كسبت قلوبكم أي عزمتم وقصدتم وتعمدتم لأن كسب القلب القصد والنية). [3]

---

١) عمدة القاري/العيني ٢٠٦/١٨، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ١٠٦/٧.

٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٥).

٣) عمدة القاري ٢٣/ ١٨٧.

٩٣-(٤٦١٤). حدثنا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَجاءٍ، حَدَّثَنا النَّضْرُ، عَنْ هِشامٍ قالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عائِشَةَ ﵂ أَنَّ أَباها كانَ لَا يَحْنَثُ فِي يَمِينٍ حَتَّى أَنْزَلَ الله كَفَّارَةَ الْيَمِينِ قالَ أَبُوبَكْرٍ[1]: لاأَرى يَمِيناً أُرى غَيْرَها خَيْراً مِنْها إلاَّ قَبِلْتُ رُخْصَةَ الله وَفَعَلْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ. [2]

وفي رواية:(... وكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي). [3]

شرح غريب الحديث:

<< لَا يَحْنَثُ >>: الحنث في اليمين نقضها، والنكث فيها. يقال: حنث في يمينه يحنث، وكأنه من الحِنْث: الإثم والمعصية.والمعنى أن الحالف إما يندم على ماحلف عليه أويحنث فتلزمه الكفارة.[4]

<< لاأَرى يَمِيناً أُرى غَيْرَها >>: تأتي بفتح الهمزة في الموضعين من الرؤية بمعنى الاعتقاد، وتأتي بفتح الأولى من الرؤية بمعنى الاعتقاد وضم الثانية بمعنى الظن.[5]

<< قَبِلْتُ رُخْصَةَ الله >>: أي كفارة اليمين.[6]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - تعليم الأبناء والأقارب.

الثاني - من أساليب الدعوة: التربية بالقدوة .

الثالث - من موضوعات الدعوة: استحباب الحنث في اليمين إذا كان غيرها أفضل منها ووجوب الكفارة في ذلك .

---

١) سبقت ترجمته في ص٢٣٦.

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الأيمان والنذور/باب (١) ٧/ ٢٧٥ رقم (٦٦٢١).

٣) الطرف رقم (٦٦٢١).

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر/ابن الأثير ٤٤٩/١.

٥) انظر فتح الباري/ابن حجر ٢٠٧/٨.

٦) المصدر السابق نفس الصفحة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - تعليم الأبناء والآقارب:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث اهتمام الصحابة بتعليم أبنائهم وأقاربهم العلم الشرعي ؛ حيث أخبرت عائشة رضي الله عنها ابن أختها عروة رضي الله عنه أن أباها لم يكن يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة الأيمان ، وهذا دليل على اهتمام أم المؤمنين رضي الله عنها بتعليم الأحكام الشرعية والبدء بها بقرابتها ، وقد اقتدى عروة رضي الله عنه بخالته في ذلك حين علّم حديثها لابنه هشام ، ليقوم هشام بدوره بتبليغه للناس. فينبغي على المسلمين الاقتداء بهؤلاء السلف وتعليم العلم الشرعي بدءً بالأقرب فالأقرب. (١)

الثاني - من أساليب الدعوة: التربية بالقدوة :

في هذا الحديث أسلوب دعوي هام وهو دعوة الأبناء عن طريق التربية بالقدوة ، فهذه عائشة رضي الله عنها تحكي عن والدها أبي بكر رضي الله عنه من خلال ما رأته وعايشته واقعاً فعلياً عدم تراجعه عن يمين عقدها إلى أن نزلت كفارة الأيمان (**عَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أَباها كانَ لا يَحْنَثُ فِي يَمِينٍ حَتَّى أَنْزَلَ الله كَفَّارَةَ الْيَمِينِ**). لذا ينبغي على جميع المسلمين أن يتمثلوا تعاليم الإسلام في تصرفاتهم وأقوالهم وأخلاقهم حتى ينشأ أبناؤهم نشأة إسلامية صحيحة، لأن الأبناء من صغرهم يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم ، وخاصة الوالدين ،فيعتقد أن كل مافعلوه فهو من الخير الذي أمرنا به، وما نهوه عنه هو مما نهى عنه الشرع الكريم.

الثالث - من موضوعات الدعوة: استحباب الحنث في اليمين إذا كان غيرها أفضل منها ووجوب الكفارة في ذلك :

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث والذي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يُعلِمه للمسلمين ؛أن من حلف على أمر ثم رأى غيره خيراً منه فالخير أن يكفر عن يمينه ويقدم الأفضل، بل قال بعض العلماء أنه يجب عليه الحنث وتجب الكفارة في ذلك. قال العلامة العيني - رحمه الله -: (وفيه أن من حلف على فعل أوترك وكان الحنث خيراً من التمادي عليه استحب له الحنث بل يجب نظراً لظاهر الأمر).(٢)

---

١) انظر الفائدة (١٣) من الحديث (٣٠) ص٢١٠.

٢) عمدة القاري ١٦٥/٢٣، وانظر المفهم/القرطبي٦٣٢/٤، وزاد المعاد /ابن القيم ٥٦٥/٣، وتيسير الكريم الرحمن/السعدي٣٣٧/٢، وشرح رياض الصالحين /ابن عثيمين ٤٩٢/٢، ومنار القاري/حمزة قاسم ٣١٤/٥

قال الشيخ حمزة قاسم في فوائد الحديث: (رابعاً: وجوب الكفارة على كل من حنث في يمينه كما يدل عليه قوله ﷺ : ((فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير))[١]).[٢] قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: (واليمين التي فيها الكفارة هي اليمين على شيء مستقبل، فإذا حلفت على شيء مستقبل فقلت: والله لاأفعل كذا فهنا نقول إن فعلته فعليك الكفارة ، وإن لم تفعله فلا كفارة عليك فهذه يمين منعقدة).[٣]

١) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأيمان والنذور/باب ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ...﴾ ٢٧٥/٧ رقم الحديث (٦٦٢٢).

٢) منار القاري ٣١٤/٥.

٣) شرح رياض الصالحين ٤٩٢/٢.

٩- باب قَوْلِهِ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (١)

٩٤-(٤٦١٥)- حدثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ (٢) قَالَ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا نِسَاءٌ فَقُلْنَا: أَلَا نَخْتَصِي؟ فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ فَرَخَّصَ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ . (٣)

شرح غريب الحديث:

<< **أَلا نَخْتَصِي** >>: خصي الفحل خصاءً، ممدود، سلَّ خُصْيَتيه، يكون في الناس والدواب والغنم.(٤)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول ـ من موضوعات الدعوة: تحريم الاختصاء لأن فيه ضرراً وقطعاً للنسل.

الثاني ـ من واجبات المسلم: سؤال أهل العلم عن الحكم الشرعي.

الثالث ـ من واجبات الداعية: نهي المسلمين عمايهلكهم .

الرابع ـ من خصائص الإسلام: التوازن والوسطية.

الخامس ـ من تاريخ الدعوة: أن زواج المتعة كان حلالاً.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

---

١) سورة المائدة جزء من الآية (٨٧).

٢) سبقت ترجمته ص٢٥١.

٣) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب النكاح/باب ترويج المعسر الذي معه القرآن والإسلام ١٤٤/٦ رقم(٥٠٧١) ، وباب ما يكره من التبتل والخصاء ١٤٥/٦ رقم (٥٠٧٥).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب النكاح/باب ماجاء في نكاح المتعة ص٥٨٧ رقم (١٤٠٤).

٤) لسان العرب / ابن منظور ٢٣٠/١٤ مادة خصا.

الأول - من موضوعات الدعوة: تحريم الاختصاء لأن فيه ضرراً وقطعاً للنسل:

نهى الله ﷻ عن تحريم ما أحله لعباده من طيبات الحياة الدنيا ومنها النكاح ، فحرم كل ما يحول دونه كالاختصاء ونحوه ، لأنه تعالى قد خلق هذه الغريزة في بني البشر وفي القضاء عليها قضاء على الجنس البشري وقطعاً للنسل، وعدم عمارة الأرض، وذرء عباد الله فيها ليبلوا كيف يعملون ، وليعبدوه جل اسمه . قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (قوله :" **فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ** " هذا النهي على التحريم. ولا خلاف في تحريم ذلك في بني آدم ؛ لما فيه من الضرر وقطع النسل، وإبطال معنى الرجولية. وهو في غير بني آدم ممنوع أيضاً في الحيوان إلا لمنفعة حاصلة في ذلك، كتطييب اللحم ، أو قطع ضرر ذلك الحيوان).[١]

الثاني - من واجبات المسلم: سؤال أهل العلم عن الحكم الشرعي:

في هذا الحديث دليل على أن من واجبات المسلم سؤال أهل العلم عن الحكم الشرعي الذي يجهله في قضية معينة، وفي هذا الحديث سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن إمكانية الاختصاء لما رأوه من طول مدة الغزو وبقائهم هذه الفترة الطويلة بدون النساء فأرادوا أن يقطعوا مادة الشهوة، فنهاهم عن ذلك لأنه خلاف المقصود من البعثة المحمدية.[٢]

لهذا ينبغي على المسلم إذا أشكل عليه أمر من الأمور أن يسأل أهل العلم ، حتى لايتسبب في إهلاك نفسه بترك السؤال، أوسؤال من ليس لديه علم.

الثالث - من واجبات الداعية : نهي المسلمين عمايهلكهم :

إن من واجبات الداعية بل هو أساس العمل الدعوي؛ نهي المسلمين عما يهلكها، فالداعية بدعوته للناس إلى دين الله واتباع الشرع الإسلامي القويم إنما ينقذهم من النار وهي أشد المهالك.

وفي هذا الحديث كان نهي النبي ﷺ لصحابته عن الاختصاء هو خشية عليهم من الهلاك سواء كان تأثراً بالقطع أو الفناء بانقطاع النسل .[٣] قال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ:

---

١) المفهم٤/٩٣، وانظر إكمال المعلم /القاضي عياض ٥٣٣/٤ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٩٥/٩، والإفصاح/ابن هبيرة ٤٥/١ ،والكواكب الدراري/ الكرماني ٦١/١٩، وفتح الباري/ابن حجر١٠٢/٩، وعمدة القاري/العيني٧١/٢٠، وإرشاد الساري/القسطلاني ١١/٨، وفتح المبدي/الشرقاوي١٨٠/٣.

٢) انظر فتح الباري/ابن حجر١٠٢/٩.

٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(فنهانا عن ذلك نهي تحريم لما فيه من تغيير خلق الله وقطع النسل وكفر النعمة لأن خلق الشخص رجلاً من النعم العظيمة وقد يفضي ذلك بفاعله إلى الهلاك) (١).فواجب الدعاة إلى الله تعالى أن يحرصوا كل الحرص على حماية الأمة من كل ماقد يكون سبباً في هلاكها .

الرابع ـ من خصائص الإسلام : التوازن والوسطية:

خلق الله ﷻ الإنسان وأحل له الطيبات من المآكل والمشارب والمناكح المشروعة ووضع له حدوداً وضوابط يسير عليها؛ لا يزيد عليها ولا ينقص، فأحل النكاح وفي المقابل حرم الزنا ونهى عن التبتل لما فيه من غلو وتجاوز للطاقة البشرية، وأحل المطاعم لكنه حرم منها أنواعاً فيها ضرر على الجسم كالميتة ولحم الخنزير ونحو ذلك مما هو في كتاب الله، ونهى عن الإسراف فيها كما نهى عن صوم الدهر والوصال للصائم لأن في الأكل تقوية للجسم على العبادات، وهكذا شريعة الإسلام لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير. قال الشيخ حمزة قاسم ـ حفظه الله ـ: (إن تهذيب النفس لايكون بالغلو والحرمان من الطيبات وإنما بإيقافها عند حد الاعتدال دون إفراط ولا تفريط لأنه تعالى لم يخلق هذا الإنسان ملكاً مجرداً عن النوازع البشرية وإنما خلقه مركباً من روح وجسد، ولا سلامة للعقل والروح وسائر القوى إلا بسلامة البدن، وصحة الجسم كما أنه لا عبادة ولا طاعة إلا في جسم سليم وعقل سليم، ولذلك حرم على الإنسان كل ما يضر بجسمه لأن من ضعف جسمه عجز عن الطاعات وسائر العبادات).(٢)

الخامس ـ من تاريخ الدعوة: أن زواج المتعة كان حلالاً:

دل قول عبدالله بن مسعود ﷺ :(فَرَخَّصَ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ) على ترخيص النبي ﷺ لهم بزواج المتعة في ذلك الوقت لشدة الحاجة إلى النساء حتى سألوه أن يختصوا ليقطعوا شهوتهم .ولكن هذا الحِل انتهى بعد زمن وحرمت المتعة تحريما مؤبدا. قال العلامة العيني ـ رحمه الله ـ:(قال المازري: ثبت أن نكاح المتعة كان جائزاً في أول ا لإسلام ثم ثبت بالأحاديث الصحيحة أنه نسخ وانعقد الإجماع على تحريمه ولم يخالف فيه إلا طائفة من المبتدعة وتعلقوا بالأحاديث المنسوخة فلا دلالة لهم فيها). (٣)

---

١) إرشاد الساري ٧/٧٠١، وفتح المبدي/الشرقاوي٣/١٨٠، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٩/١٩٥، وعمدة القاري/العيني ٢٠/٧١.

٢) منار القاري ٥/٥٠.

٣) عمدة القاري ١٨/٢٠٨.

١٠- باب قَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾(١)

وقال ابن عباس: الأزلام : القداح يقتسمون بها في الأمور ، والنصب: أنصاب يذبحون عليها. وقال غيره: الزلم القدح لا ريش له وهو واحد الأزلام، والاستقسام: أن يجيل القداح فإن نهته انتهى وإن أمرته فعل ما تأمره. يجيل: يدير وقد أعلموا القداح أعلاماً بضروب يستقسمون بها. وفعلت منه قسمت ، والقسوم المصدر.

٩٥-(٤٦١٦). حدثنا اسحاقُ بْنُ إبْراهِيمَ ، أَخْبَرَنا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ ، حَدَّثَنا عَبْدُ الْعَزِيزَ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبدِ الْعَزِيزِ قالَ: حَدَّثَنِي نافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ(٢) قالَ : نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَإِنَّ فِي الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ لَخَمْسَةَ أَشْرِبَةٍ ما فِيها شَرابُ الْعِنَبِ.(٣)

وفي رواية:(عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قالَ: لَقَدْ حُرِّمَتَ الْخَمْرُ وَما بِالْمَدِينَةِ مِنْها شَيْءٌ).(٤)

٩٦-(٤٦١٩). حدثنا اسحاقُ بْنُ إبْراهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، أَخْبَرَنا عِيسى وَابْنُ إدْرِيسَ عَنْ أَبِي حَيَّانَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ ﷺ(٥) عَلى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّها النَّاسُ إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، وَهْيَ مِنْ خَمْسَةٍ : مِنَ الْعِنَبِ ، وَالتَّمْرِ، وَالْعَسَلِ، وَالْحِنْطَةِ ، وَالشَّعِيرِ، وَالْخَمْرُ ما خامَرَ الْعَقْلَ.(٦)

---

١) سورة المائدة جزء من الآية (٩٠).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم(١١) ص٨٥.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الأشربة/باب الخمر من العنب وغيره ٣٠١/٦ رقم(٥٥٧٩).

٤) الطرف رقم (٥٥٧٩).

٥) سبقت ترجمته ص٢٣٦.

٦) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الأشربة/باب الخمر من العنب وغيره ٣٠١/٦ رقم(٥٥٨١)، وباب ماجاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب ٣٠٣/٦ رقم (٥٥٨٨) ورقم (٥٥٨٩).

وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب ماذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق العلماء ١٩٥/٨ رقم(٧٣٣٧).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب التفسير /باب في نزول تحريم الخمر ص١٣١٠ رقم (٣٠٣٢).

وفي رواية:(... وثَلاثٌ وَدِدْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يُفارِقْنا حَتَّى يَعْهَدَ إِلَيْنا عَهْداً : الْجَدُّ، والْكَلالَةُ، وَأَبْوابٌ مِنْ أَبْوابِ الرِّبا، قالَ قُلْتُ: يا أَباعَمْرٍو ، فَشَيْءٌ يُصنَعُ بِالسِّنْدِ مِنَ الرُّزِّ؟ قالَ: ذاكَ لَمْ يَكُنْ عَلى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ . أَوْقالَ عَلى عَهْدِ عُمَرَ. وَقالَ حَجَّاجٌ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِي حَيَّانَ مَكانَ الْعِنَبِ الزَّبِيبَ). [١]

شرح غريب الأحاديث:

<< خَمْسَةِ أَشْرِبَةٍ >>: يريد أن الخمر لايختص بماء العنب.[٢]

<< وَالْخَمْرُ ماخامَرَ الْعَقْلَ >>: أي ستره وغطاه وصار عليه كالخمار وهو بعمومه يتناول كل مأزال العقل سواء كان متخذاً من العنب والزبيب والحبوب بأنواعها.[٣]

<< لَمْ يُفارِقْنا حَتَّى يَعْهَدَ إِلَيْنا عَهْداً >>: أي أني وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا في واحدة من هذه المسائل كما عهد إلينا في الخمر من هذا القول الصريح فلم يبق في شيء منهن خلاف .[٤]

<< الْجَدُّ >>: أي هل يحجب الأخ أويحجب به أو يقاسمه .[٥]

<< السِّنْد >>: بكسر السين المهملة وسكون النون وبالدال المهملة وهي بلاد بالقرب من الهند.[٦]

الدراسة الدعوية للأحاديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - اهتمام الصحابة ﷺ بمن تحت أيديهم من الموالي.

الثاني - تحريم الخمر في الشريعة الإسلامية بجميع أنواعه .

---

١) الطرف رقم (٥٥٨٨).

٢) فتح الباري /ابن حجر ٢٠٨/٨.

٣) عمدة القاري/العيني ٢١١/١٨، وانظر:فتح الباري/ابن حجر ٤٠/١٠ ، وتحفة الأحوذي/المباركفوري ٦١٧/٥، وعون المعبود /للعظيم آبادي ١٠٤/١٠، وإرشاد الساري/القسطلاني ١٠٩/٧.

٤) الإفصاح / ابن هبيرة ١١١/١ .

٥) عون المعبود /شرح ابن القيم ١٠٥/١٠، وعمدة القاري/العيني ١٧٢/٢١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣١٧/٨ .

٦) عمدة القاري/العيني ١٧٢/٢١، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣١٧/٨ .

الثالث - من وسائل الدعوة : المنبر.

الرابع - من واجبات الداعية: نشر سنة النبي ﷺ وإعلانها.

الخامس - من أساليب الدعوة : التفصيل أكثر لو احتمل المعنى الحصر.

السادس - حرص السلف على توثيق المعلومة والأمانة في نقلها.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - اهتمام الصحابة ﷺ بمن تحت أيديهم من الموالي:

في هذا الحديث دليل على اهتمام الصحابة ﷺ بمن تحت أيديهم من الموالي ،وحرصهم على تعليمهم العلم الشرعي وأحكام الدين (١)؛ حيث علم عبد الله بن عمر ﷺ مولاه نافعاً عن نزول تحريم الخمر وما كان بالمدينة منها عند نزول التحريم، مما يؤكد لنا على أهمية تعليم الخدم والموالي أحكام الدين وأنهم يدخلون في دائرة المسؤولية عن أهل البيت.

لذا ينبغي لكل مسلم لديه خدم في بيته أن يعلمهم أمور الدين وأحكام الشرع ، وينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن ينبه إلى أهمية هذا الأمر في خطبه وأحاديثه للناس .

الثاني - تحريم الخمر في الشريعة الإسلامية بجميع أنواعه :

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث بيان تحريم الخمر في الشريعة الإسلامية بجميع أنواعه، فقد قال رسول الله ﷺ : ((كل شراب أسكر فهو حرام)) (٢) ، وفي هذا الحديث قال عمر ﷺ : (وَالْخَمْرُ ماخامَرَ الْعَقْلَ). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (قال القرطبي: الأحاديث الواردة عن أنس ﷺ وغيره على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين بأن الخمر لا يكون إلا من العنب وما كان من غيره لا يسمى خمراً ولا يتناوله اسم الخمر وهو قول مخالف للغة العرب وللسنة الصحيحة وللصحابة لأنهم لما نزل تحريم الخمر فهموا من الأمر باجتناب الخمر تحريم كل مسكر ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره بل سووا بينهما وحرموا كل ما يسكر نوعه ولم يتوقفوا ولا استفصلوا ولم يشكل عليهم شيء من ذلك بل بادروا إلى إتلاف ما كان من غير عصير العنب وهم أهل اللسان وبلغتهم نزل القرآن فلو كان عندهم فيه تردد لتوقفوا عن الإراقة حتى يستكشفوا ويستفصلوا ويتحققوا التحريم لما

---

١) انظر الفائدة (١) من الحديث (٨٨) ص ٤٣٨.

٢) صحيح الإمام البخاري:كتاب الأشربة /باب الخمر من العسل ، وهو البتع ٦/٣٠٢ رقم (٥٥٨٦).

كان تقرر عندهم من النهي عن إضاعة المال فلما لم يفعلوا ذلك وبادروا إلى الإتلاف علمنا أنهم فهموا التحريم نصا فصار القائل بالتفريق سالكاً غير سبيلهم ثم انضاف إلى ذلك خطبة عمر ﷺ بما يوافق ذلك وهو من جعل الله الحق على لسانه وقلبه، وسمعه الصحابة ﷺ وغيرهم فلم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك . وإذا ثبت أن كل ذلك يسمى خمرا لزم تحريم قليله وكثيره ، وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة في ذلك).(١)

لذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتخذ من هذا الموضوع الهام موضوعاً لدعوته ، وأن يذكر جميع أنواع المسكرات وأن التحريم يشملها بنصوص الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ، وأنه لافرق بين القليل والكثير فكله قد ورد فيه التحذير والوعيد من الله تعالى .

الثالث ـ من وسائل الدعوة: المنبر:

إن من وسائل الدعوة كما في هذا الحديث استعمال المنبر لتبليغ أحكام الإسلام حتى تشتهر بين السامعين، وتصل إلى عدد كبير من الناس، وكذلك استعمال كلمة " أما بعد " لجذب الأنظار، والتنبه على أهمية ما يقول. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم ذكر الأحكام على المنبر لتشتهر بين السامعين وذكر أما بعد فيها للتنبيه بالنداء والتنبيه على شرف الفعل وفضله وتمني الخير وتمني البيان للأحكام وعدم الاستثناء).(٢)

وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: (وإنما كان ذلك سنة اقتداءً بالنبي ﷺ ، ولأن ذلك أبلغ في إيصال الخطبة إلى الناس؛ لأنه إذا كان مرتفعا رآه الناس بأعينهم. ولا شك أن تأثر السامع إذا رآى المتكلم أكثر من تأثره وهو لا يراه، وهذا أمر مشاهد، ولهذا كان من هدي الصحابة ﷺ على ما ذكر أن النبي ﷺ إذا خطب استقبلوه بوجوههم ليكون ذلك أبلغ في حضور القلب والانتفاع بالخطبة). (٣)

فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يستخدموا جميع الوسائل المعينة على إيصال دعوتهم إلى الناس، ومنها المنبر.

---

١) فتح الباري ٤٢/١٠، وتحفة الأحوذي/المباركفوري ٦٢٠/٥، وانظر:المفهم/القرطبي٢٥٢/٥و ٣٤٠/٧، و الإفصاح/ابن هبيرة ١١١/١، ومنار القاري/حمزة قاسم ٥١/٥.

٢) فتح الباري ٤٤/١٠.

٣) الشرح الممتع ٧٩/٥.

الرابع - من واجبات الداعية: نشر سنة النبي ﷺ وإعلانها :

إن من أهم الواجبات على الداعية إلى الله تعالى أن ينشر سنة النبي ﷺ ويعلنها على المنابر حتى تصل إلى أسماع الناس ،فيمتثلها المسلمون قولاً وعملاً كما أراده النبي ﷺ،وقد كانت هذه سنة الصحابة ﷺ ومن تبعهم وسار على نهجهم . قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (قال ابن بطال عن المهلب في هذين الحديثين سنة متبعة بأن الخليفة يخطب على المنبر في الأمور المهمة لايخافتها لتصل الموعظة إلى أسماع الناس إذا أشرف عليهم).(١)

لهذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستشعر هذا الواجب وأن يقتفي آثار السلف الصالح في ذلك ، وأن يحرص أشد الحرص على بيان السنة النبوية الشريفة وتبليغها للناس في جميع المناسبات ، فهذا من أهم الواجبات ، بل هو من صميم عمل الداعية .

الخامس - من أساليب الدعوة : التفصيل أكثر لو احتمل المعنى الحصر :

في هذا الحديث أسلوب دعوي وهو التفصيل في الحديث إذا كان الكلام يحتمل الحصر ، فقد قال عمر ﷺ : (نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، وَهْيَ مِنْ خَمْسَةٍ: مِنَ الْعِنَبِ ، وَالتَّمْرِ، وَالْعَسَلِ، وَالْحِنْطَةِ ، وَالشَّعِيرِ) فإنه لما عدد الأنواع ، خشي أن يعتقد السامع أن التحريم فقط لهذه الأنواع فعقب الكلام بقوله : (وَالْخَمْرُ ماخامَرَ الْعَقْلَ) حتى يؤكد شمول الحكم لجميع الأنواع .قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (ويحمل حديث عمر ومن وافقه على إرادة استيعاب ذكر ماعهد حينئذ أنه يتخذ منه الخمر).(٢) لهذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى استعمال هذا الأسلوب والتأكيد عليه لأن كثيراً من الناس يأخذ بظاهر الكلام ولا يكلف نفسه السؤال عن تفاصيله، بل إن منهم من يسر لعدم وضوحه حتى يتخذه حجة في حال الإنكار عليه لو فعل هذا الأمر، فليحرص الداعية على شمولية الحديث لجميع جوانب المسألة .

---

١) فتح الباري١٣/٢٦٢.

٢) المصدر السابق١٠/٤٠.

السادس ـ حرص السلف على توثيق المعلومة والأمانة في النقل :

إن في قول أبي حيان التيمي ـ رحمه الله ـ: (**قَالَ: ذاكَ لَمْ يَكُنْ عَلى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ . أَوْقَالَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ**) دليلاً على اهتمام السلف بتوثيق المعلومة والأمانة في نقلها ؛حيث إنه لما شك في المعلومة بين ذلك الشك بقوله "**أَوْقَالَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ**" ولم يجزم بإحداهما. قال الإمام العيني ـ رحمه الله ـ: (" **أَوْقَالَ** " شك من الراوي). (١)

١) عمدة القاري ٢١/١٧٢.

١٢- بـاب قَوْلِهِ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[١]

٩٧-(٤٦٢٢). حدثنا الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ حَدَّثَنَا أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٢] قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً فَيَقُولُ الرَّجُلُ مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ أَيْنَ نَاقَتِي ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا.[٣]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - من أصناف المدعوين: المنافقون.

الثاني - من موضوعات الدعوة: بيان كفر من استهزأ بالله ورسوله .

الثالث - من موضوعات الدعوة: النهي عن كثرة السؤال لغير حاجة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من أصناف المدعوين: المنافقون :

في هذا الحديث ورد صنف من أصناف المدعوين وهم المنافقين وذكر بعض صفاتهم ومنها إيذاء النبي ﷺ بكثرة السؤال لغير حاجة والتعنت فيه رغبة في تعجيزه. ذكر الإمام القرطبي - رحمه الله -: (أن بعض من دخل في أصحابه، ولم يتحقق إيمانه همَّ أن يمتحن النبيﷺ بالأسئلة ويكثر عليه منها ليعجزه ، وهذا كان دأب المنافقون وغيرهم من المعادين له ولدين الإسلام).[٤]

---

١) سورة المائدة جزء من الآية (١٠١).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣) ص٥٤.

٣) انفرد به الإمام البخاري عن الإمام مسلم ولم يورد له أطرافاً.

٤) المفهم ١٦٥/٦،وانظر التاج/منصور ناصف ١٠٨/٤.

لهذا فينبغي للداعية إلى الله تعالى ألا يهمل هذا الصنف من الناس وأن يتعرف على صفاتهم حتى يستطيع التعامل معهم بما يناسبهم ، ويتحمل أذاهم اقتداء بالرسول ﷺ .

الثاني - من موضوعات الدعوة: بيان كفر من استهزأ بالله ورسوله :

إن في هذا الحديث بياناً لكفر من سأل رسول الله ﷺ على سبيل الاستهزاء ،وأنه من صفات المنافقين حيث كانوا يكثرون سؤال النبي ﷺ على وجه التعنت استهزاء ، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الحديث سبب نزول آية النهي عن السؤال من هذا الوجه ، قال : (**كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً ... فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْ الآيَةِ كُلِّهَا**)، وقد حكم الله ﷻ على من استهزأ به تعالى أو برسوله ﷺ أو بشيء من الدين بالكفر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١)، قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : (فنص تعالى على أن الاستهزاء بالله تعالى ، أو بآياته، أو برسول من رسله كفر ، فخرج عن الإيمان ولم يقل تعالى في ذلك أن في قلوبكم كفراً بل جعلهم كفاراً بنفس الاستهزاء)(٢). لذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يصدر هذا الموضوع موضوعات دعوته لعظم شأنه، وجهل الكثير من الناس به، وكثرة وقوعهم فيه من حيث لا يعلمون أن الحكم فيه كفر صاحبه؛ كمن يستهزيء بحجاب المسلمة، واللحية وغيرهما ، فإن التكفير هنا يشمل كل من استهزأ بشيء من دين الله أو وحيه ، أو حكمه، أو سنة رسول الله ﷺ، كمن يستهزيء باللحية والثوب، أو يستهزيء بحجاب المرأة المسلمة، أو بالآذان، أو بشيء من أمر الآخرة، أو غير ذلك من أمور الشريعة. وسواء كان قصده الحط من شأن الشريعة، أم كان قصده مجرد إضحاك الآخرين فقط. فالاستهزاء بالشرع كفر مطلقاً، وخصوصا إذا علم أن هذا من شرع الله تعالى، وأن الاستهزاء به كفر، وسواء كان ذلك الاستهزاء بالكلام، أو بالحركة: كالغمز والإشارة، ونحو ذلك، وسواء كان جاداً في استهزائه أم مازحاً . (٣)

---

١) سورة التوبة الآيتان (٦٥،٦٦).

٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/٢٠٤، وانظر المغني/ابن قدامة ١٠/٦٧.

٣) انظر الإتمام بشرح العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز /إعداد عبد العزيز بن فتحي بن السيد عيد ندا ص١٩٠-١٩١ - ط١ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م - دار الأرقم - الرياض.

الثالث ـ من موضوعات الدعوة: النهي عن كثرة السؤال لغير حاجة:

في هذا الحديث موضوع دعوي هام لجميع المسلمين وهو نهي الإسلام عن كثرة توجيه الأسئلة للعالم لغير حاجة ، والتعنت فيها لأن هذه من صفات المنافقين الذين لايهدفون إلى الوصول للحقيقة بل هدفهم الإساءة لدعاة الإسلام لما تكنه صدورهم من كراهية له ولمن يدعو إليه. قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (قال ابن عبد البر : السؤال اليوم لايخاف منه أن ينزل تحريم ولاتحليل من أجله ، فمن سأل مستفهماً راغباً في العلم ونفي الجهل عن نفسه ، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه ، فلا بأس به فشفاء العيِّ السؤال ؛ ومن سأل متعنتاً غير متفقه ولامتعلم فهو الذي لايحل قليل سؤاله ولاكثيره).[1] وقال الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ: (فدلت هذه الأحاديث على النهي عن السؤال عما لا يحتاج إليه مايسوء السائل جوابه مثل سؤال السائل ، هل هو في النار أو في الجنة وهل أبوه ماينسب إليه أو غيره ، وعلى النهي عن السؤال على وجه التعنت والعبث والاستهزاء كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم ، وقريب من ذلك سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت كما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب).[2]

---

١) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٣/٦، وانظر الإفصاح/ابن هبيرة ٢١٨/٣، وفتح الباري/ابن حجر ٢١٢/٨، وعمدة القاري/ العيني ٢١٢/١٨.

٢) جامع العلوم والحكم ص٨٥ .

(٦)سورة الأنعام

٢- باب قَوْلِهِ:﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ (١)

يلبسكم يخلطكم من الالتباس .يلبسوا:يخلطوا. شيعا:فرقا.

٩٨-(٤٦٢٨). حدثنا أَبُو النُّعْمانِ ، حَدَّثَنا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينارٍ، عَنْ جابِرٍ ﷺ (٢) قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ **قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)) قالَ:** ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ **قالَ:((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ))** ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ **قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((هذا أَهْوَنُ أَوْ هذا أَيْسَرُ))** (٣). (٤)

شرح غريب الحديث:

<< **يَلْبِسَكُمْ** >>: اللبس: الخلط. يقال: لبست الأمر ، بالفتح ، أَلْبِسهُ: إذا خلطت بعضه ببعض، أي يجعلكم فرقاً مختلفين.(٥)

١) سورة الأنعام جزء من الآية (٦٥).

٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٤) ص٥٥.

٣) (قال ابن بطال : أجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ في عدم استئصال أمته بالعذاب ولم يجبه في أن يلبسهم شيعاً أي فرقاً مختلفين وأن لايذيق بعضهم بأس بعض أي بالحرب والقتل بسبب ذلك وإن كان ذلك من عذاب الله لكن أخف من الاستئصال وفيه للمؤمنين كفارة) فتح الباري/ابن حجر ٢٥١/١٣ وعمدة القاري/العيني ٤٩/٢٥.

٤) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب قوله تعالى ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ ١٨٩/٨ رقم (٧٣١٣).

وكتاب التوحيد/باب قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ٢١٧/٨ رقم (٧٤٠٦).

٥) لسان العرب/ابن منظور ٢٠٤/٦ مادة (لبس) ، وانظر:عمدة القاري/العيني٤٩/٢٥، وإرشاد الساري/ القسطلاني٧ /١١٨، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٨٢/٣،وتيسير الكريم الرحمن/السعدي ٤١٥/٢.

<< **شِيَعاً** >>: واحدتها شيعة، قال ابن عباس ﭭ : شيعا: الأهواء المختلفة.[١]

<< **وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** >>: قال ابن عباس ﭭ وغير واحد : يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل [٢] ، وقال بعضهم: هو مافيه الناس الآن من الاختلاف والأهواء وسفك الدماء .[٣]

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول - عظيم قدرة الخالق ﷻ .

الثاني - من أساليب الدعوة : الترهيب.

الثالث - من صفات الداعية: الخوف من عذاب الله.

الرابع - من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الوجه لله تعالى على الصفة التي تليق به سبحانه .

الخامس - حرص السلف على الدقة والأمانة في النقل.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - عظيم قدرة الخالق ﷻ :

في هذا الحديث دليل على عظيم قدرته تعالى، ومن قدرته إرسال العذاب على الناس من كل جهة، ولايختص الأمر بأحد دون غيره بل هي شاملة للمسلمين والكفار،كل بحسب ذنبه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.[٤] ومن عظيم قدرته أن يرسله من أي جهة شاء، وتنويع العقوبة، فمنها ما يكون من فوقهم كالرجم والريح الشديدة ونحوها، ومنها مايكون من أسفلهم كالخسف والرجفة، قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (أي القادر على إنجائكم من الكرب، قادر على تعذيبكم. ومعنى ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ الرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح؛ كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح؛ عن مجاهد وابن جبير وغيرهما. ﴿أَوْ

---

١) فتح الباري/ابن حجر ٢١٩/٨، وانظر عمدة القاري/العيني ٤٩/٢٥.

٢) عمدة القاري/العيني ٢٢٥/١٨.

٣) إرشاد الساري/القسطلاني ١١٩/٧، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٨٢/٣.

٤) انظر تيسير الكريم الرحمن /السعدي ٤١٥/٢.

مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخسف والرجفة ؛كما فعل بقارون وأصحاب مدين)[١]. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [٢]، ومن أنكر قدرة الخالقﷻ أو شك فيها فقد كفر وخرج عن ملة الإسلام.

الثاني ـ من أساليب الدعوة: الترهيب:

إن في ذكر هذا الحديث وأمثاله ترهيباً للأمة وتحذير لها من عذاب الله ﷻ الذي قد يأتي عاجلاً في الدنيا بأي شكل يريده الخالق ﷻ. قال العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ : (فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب، ما يتلفكم ويمحقكم).[٣]

فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يكثروا من استعمال هذا الأسلوب لأن به تتحرك القلوب الغافلة وتقوى الهمم الخامدة ، وهو من أول الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ مع أمته حيث بعثه الله بشيراً ونذيراً. وفي قصة صعوده جبل الصفا في بداية الدعوة وقوله لقريش : ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))[٤] خير دليل على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة.

الثالث ـ من صفات الداعية: الخوف من عذاب الله:

إن من الصفات التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتلبس بها دائماً : الخوف من الله ﷻ والرهبة من عذابه ، لأن خوف المسلم حتى يبلغ مأمن خير له من الشعور بالأمان حتى يدركه العذاب وهو غافل، سأل رجل الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: ياأباسعيد ،كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال: والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف [٥]، وقد كان من السلف الصالح من غلبهم الخوف حتى انصدعت قلوبهم فماتوا [٦]. وفي هذا الحديث ظهر لنا شدة خوف النبي ﷺ من ربه حيث إنه لما نزل عليه قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾

---

١) الجامع لأحكام القرآن ٩/٧.
٢) سورة فاطر الآية رقم (٤٤).
٣) تيسير الكريم الرحمن ٤١٥/٢ .
٤) انظر القصة في البداية والنهاية/ابن كثير ٥١/٣ .
٥) الداء والدواء/ابن القيم ص٣٣.
٦) انظر المفهم/القرطبي ١٧١/٧.

كان يقول بين العذاب والآخر : ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)) حتى قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، فقال: ((هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ)) لأن الفتنة من عذاب الله ولكنها أخف من الانتقام والاستئصال. (١)، وكان ﷺ يقول لأصحابه : ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)). (٢) وقال ﷺ: ((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)) (٣). فكان صحابته ﷺ في غاية العمل مع غاية الخوف ، فهذا الصديق ﷺ يقول : وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وهذا عمر ﷺ قرأ سورة الطور حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه. وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء. وهذا عثمان ﷺ كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته. وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي ، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير. وأبوعبيدة ﷺ كان يقول: وددت أني كبش فذبحني أهلي ، وأكلوا لحمي وحسوا مرقي. وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ، ولا شربتم شرابا على شهوة ، ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم ، وتبكون على أنفسكم ، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل. هذا هو حال صحابة رسول الله ﷺ وحال كل من وعى الحقيقة ، وخشي ربه وأيقن بالعقوبة ، فأشفق منها.

الرابع - من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الوجه لله تعالى على الصفة التي تليق به سبحانه :

في هذا الحديث إثبات لصفة الوجه لله تعالى على الصفة التي تليق بجلاله ، لأن النبي ﷺ قال : ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)) ، فينبغي أن نؤمن بها دون تأويل أوتشبيه ، فإن ماسواه يطرأ عليه النقص ، والله ﷻ منزه عن كل نقص. فليست صفاته من جنس صفات المخلوقين بل هو سبحانه

---

١) انظر :فتح الباري/ابن حجر ٢٥١/١٣، وعمدة القاري/العيني ٤٩/٢٥، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٢٥/١٠.

٢) صحيح الإمام البخاري:كتاب الرقاق /باب قول النبي ﷺ : ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)) ٢٣٨/٧ رقم (٦٤٨٥).

٣) سنن الترمذي:كتاب صفة القيامة / باب (١٤) ٥١/٤ رقم (٢٥٦٧) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥٨٧/٢ رقم (٢٤٥٠).

كما قال في كتابه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (١)، وقوله ﷻ :﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾(٢)، وقوله : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٣). وسبيل الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ في هذا: الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها ، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولانقص منها ، ولاتجاوز لها ، ولاتشبيه بصفات المخلوقين ،بل أمروها كما جاءت. (٤)

الخامس ـ حرص السلف على الدقة والأمانة في النقل:

إن في قول الراوي ((أَوْ هذا أَيْسَرُ)) دليلاً على تحري السلف الدقة في النقل والأمانة فيه ، لأنه لما شك في الكلمة التي قالها النبي ﷺ ذكر " أو " لتدل على عدم تأكده منها.(٥) فينبغي على المسلم الاقتداء بسلفنا الصالح في حرصهم ودقتهم في النقل وخاصة فيما ينقل عن النبي ﷺ لأن الكذب عليه أشد من الكذب على غيره وفي كليهما إثم قال ﷺ : ((إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد)).(٦)

---

١) سورة الشورى جزءالآية رقم (١١).

٢) سورة الإخلاص آية (٤) .

٣) سورة مريم جزء من الآية رقم (٦٥).

٤) انظر الفتاوى/ابن تيمية ٤/٢.

٥) انظر :فتح الباري/ابن حجر ٨/٢٢٠، وعمدة القاري/العيني ٢٥/٤٩.

٦) صحيح الإمام البخاري:كتاب الجنائز /باب مايكره من النياحة على الميت ٢/١٠١ رقم (١٢٩١) .

٧- باب قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[١]

٩٩-(٤٦٣٤). حدثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ،عَنْ عَمْرٍو عَنْ أَبِي وائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ الله ﷺ[٢] قالَ: ((لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ الله وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ، مـا ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ الله وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ)). قُلْتُ[٣] سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ الله قالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَرَفَعَهُ قالَ: نَعَمْ.[٤]

شرح غريب الحديث:

<< أَغْيَرُ مِنَ الله >>: أفعل تفضيل من الغيرة بفتح الغين وهي الأنفة والحمية في حق المخلوق[٥]، وفي حق الخالق صفة من صفاته ﷻ نثبتها كما يليق بجلاله.[٦]

<< أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ >>: حب الله للمدح ليس من جنس ما يعقل من حب المدح ، وإنما الرب أحبَّ الطاعات ومن جملتها مدحه ليثيب على ذلك فينتفع المكلف لا لينتفع هو بالمدح.[٧]

---

١) سورة الأنعام جزء من الآية (١٥١).

٢) سبقت ترجمته ص٢٥١.

٣) القائل هو عمرو بن مرة يقول لأبي وائل هل سمعت هذا الحديث من عبد الله بن مسعود ﷺ (عمدة القاري/العيني١٨/٢٢٨).

٤) أطراف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب تفسير القرآن/باب ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ٢٣٣/٥ رقم (٤٦٣٧).

وكتاب النكاح/باب الغيرة ١٩١/٦ رقم (٥٢٢٠).

وكتاب التوحيد /باب ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وقوله جل ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ٢١٦/٨ رقم (٧٤٠٣).

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه:كتاب التوبة/باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ص١١٩٦ رقم (٢٧٦٠).

٥) إرشاد الساري/القسطلاني ١٢١/٧، فتح المبدي/الشرقاوي ١٨٢/٣، تحفة الأحوذي/ المباركفوري ٥٠٨/٩.

٦) انظر شرح رياض الصالحين/ابن عثيمين ٤٦٠/٢.

٧) عمدة القاري/العيني١٨/٢٢٨، وإرشاد الساري/القسطلاني١٢٢/٧، وفتح المبدي/الشرقاوي١٨٢/٣، تحفة الأحوذي/ المباركفوري ٥٠٩/٩ .

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

الأول - إثبات صفة الغيرة لله تعالى .

الثاني - تحريم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن.

الثالث - فضل الثناء على الله ﷻ.

الرابع - حب الله ﷻ لكل ما فيه منفعة لعباده وغناه عنهم

الخامس - من واجبات المسلم: التأكد من صحة الخبر ونسبته إلى الرسول ﷺ.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - إثبات صفة الغيرة لله تعالى :

في هذا الحديث إثبات لصفة الغيرة للخالق ﷻ ولكنها ليست كغيرتنا ، بل هي أعظم وأجل، فإذا حرم الله على عباده أشياء فإنه تعالى يغار أن يأتي الإنسان محارمه، ولأجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذاراً وإنذاراً، وهذا غاية المجد والإحسان ونهاية الكمال. قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث إثبات الغيرة لله تعالى ، وسبيل أهل السنة والجماعة فيه وفي غيره من أحاديث الصفات وآيات الصفات أنهم يثبتونها لله سبحانه على الوجه اللائق به يقولون: إن الله يغار لكن ليست كغيرة المخلوق، وإن الله يفرح ولكن ليس كفرح المخلوق ، وإن الله له من الصفات الكاملة ما يليق به، و لا تشبه صفات المخلوقين). [1]

الثاني - تحريم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن :

أحل الله ﷻ لعباده أشياء فيها الخير لهم في دينهم ودنياهم، وحرم أشياء فيها شر لهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [2]، وكل هذا في مصلحتهم لهذا يغار تعالى كون عبده يعصيه فيأتي ما حرم الله، وتكون غيرته أشد حسب الجرم الذي يقترفه الإنسان؛ فغيرته في الزنا أشد منها في غيره من المحارم، وقد جاء في الحديث عن النبيﷺ: ((يا أمة محمد ، ما من أحد أغير من الله من أن يرى عبده أو أمته

---

١) شرح رياض الصالحين ٢/٤٦٠.

٢) سورة الأعراف جزء من الآية (٣٣)..

يزني)).[١]، وهكذا بقية المحارم يكون بعضها أشد من بعض حسب الجرم والمضار التي تترتب عليه .[٢]

الثالث ـ فضل الثناء على الله ﷻ:

لما جمع الله ﷻ صفات الكمال كلها كان أحق بالمدح من كل أحد، ولا يبلغ أحد أن يمدحه كما ينبغي له ، بل هو كما مدح نفسه وأثنى على نفسه، ولكنه تعالى قد أرشد عباده إلى فضيلة ذكره والثناء عليه بما هو أهله، حيث ذكر ﷺ حبه للمدح، ومن مدحه تسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع ما ورد عن نبيه ﷺ من أذكار. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه ﷻ وتسبيحه وتهليله و تحميده وتكبيره وسائر الأذكار). [٣] لذا ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يحث المسلمين على ذكر الله ويبين لهم فضل ذلك، حيث أخبر الله ﷻ بحبه لذكره، ودعا إليه، وأخبر أنه يثيب عليه .

الرابع ـ حب الله ﷻ لكل ما فيه منفعة لعباده وغناه عنهم :

في هذا الحديث تجلت محبة الله ﷻ لعباده، وأمره لهم بكل ما فيه خير ونفع لهم، ومن ذلك مدحه والثناء عليه بما يستحق سبحانه، لأن مثل هذا العمل يثاب عليه الإنسان وينتفع به، وترغيب الله ﷻ فيه وحثه عليه ليس لكونه محتاجاً إليه فهو غني عن العالمين، إنما هو لمصلحتهم ولن يضره تركهم له. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (حقيقة هذا مصلحة للعباد لأنهم يثنون عليه ﷻ فيثيبهم فينتفعون وهو سبحانه غني عن العالمين لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك). [٤] وقال العلامة القسطلاني ـ رحمه الله ـ: (ومصلحة المدح عائدة على المادح لما يناله من الثواب والله غني عن العالمين). [٥]

---

١) صحيح الإمام البخاري: كتاب النكاح /باب الغيرة ١٩١/٦ رقم (٥٢٢١).

٢) انظر شرح رياض الصالحين /ابن عثيمين ٤٥٩/٢، ٤٦٠.

٣) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٨٤/١٧، وعمدة القاري/العيني ٢٠٦/٢٠ .

٤) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٨٤/١٧ .

٥) إرشاد الساري ١١٠/٨، وانظر: عمدة القاري/العيني ٢٠٦/٢٠، وفتح المبدي/الشرقاوي ١٨٣/٣، وتحفة الأحوذي/المباركفوري ٥٠٩/٩.

الخامس - من واجبات المسلم: التأكد من صحة الخبر ونسبته إلى الرسول ﷺ:

إن من الواجب على المسلم أن يتأكد من صحة ما يقال له خاصة إذا كان الأمر يتعلق بناحية شرعية كما جاء في هذا الحديث حيث سأل عمرو بن مرة أبا وائل عن الحديث هل سمعه من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ، ولم يكتف بذلك بل سأله إن كان رفعه للنبي ﷺ زيادة في التأكد من صحته وكونه مروي عن رسول الله ﷺ، يقول عمرو : (قُلْتُ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ الله قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَرَفَعَهُ قَالَ: نَعَمْ).

(٧) سورة الأعراف

٥- باب ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[١]

الْعُرْفُ: الْمَعْرُوفُ.

١٠٠-(٤٦٤٢) - حدثنا أَبُو الْيَمانِ، حَدَّثَنا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ[٢] قالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وكانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمِ عُمَرُ، وَكانَ الْقُرَّاءُ أَصْحابَ مَجالِسِ عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ قالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قالَ: هِيْ يا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللهِ ما تُعْطِينا الْجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ بَيْنَنا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ فَقالَ لَهُ الْحُرُّ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعالى قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإِنَّ هذا مِنَ الْجاهِلِينَ وَاللهِ ما جاوَزَها عُمَرُ حِينَ تَلاها عَلَيْهِ وَكانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتابِ اللهِ.[٣]

شرح غريب الحديث:

<< يُدْنِيهِمِ >>: أي يقربهم.[٤]

<< الْقُرَّاء >>: أي العلماء والعباد.[٥]

---

١) سورة الأعراف الآية (١٩٩).

٢) سبقت ترجمته في الحديث (٣) ص٥٤.

٣) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٧٩/٨ رقم (٧٢٨٦).

٤) عمدة القاري/العيني ٣١/٢٥، وإرشاد الساري/القسطلاني ١٣١/٧.

٥) فتح الباري/ابن حجر ٢١٨/١٣، وعمدة القاري/العيني ٣١/٢٥.

<< **كُهُولاً** >>: كُهول بضم الكاف: جمع كهل . والكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين. وقد اكتهل الرجل، وكاهل إذا بلغ الكهولة.(١)

<< **لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذا الأَمِيرِ** >>: أي وجاهة ومنزلة .(٢)

<< **هِيْ يا ابْنَ الْخَطَّابِ** >>: هي بكسر الهاء وسكون الياء كلمة تقال في الاستزادة ، وبمعنى التهديد.(٣)

<< **ما تُعْطِينَا الْجَزْلَ** >>: أجزلت له من العطاء أي أكثرت، وعطاء جزل وجزيل إذا كان كثيرا، وقد أجزل له العطاء إذا عظم، والجمع جزال (٤). و ما تعطينا الجزل: أي ما تعطينا العطاء الكثير.(٥)

<< **هَمَّ بِهِ** >>: أي قصد أن يبالغ في ضربه.(٦)

<< **ما جاوَزَها** >>: ما عمل بغير ما دلت عليه الآية بل عمل بمقتضاها.(٧)

<< **كانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتابِ الله** >>: أي يعمل بما فيه ولا يتجاوزه .(٨)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ،نلخصها في الآتي:

الأول - من صفات الحر بن قيس ﷺ: العلم وكثرة العبادة .

الثاني - من واجبات ولاة الأمر: الاقتداء بعمر ﷺ في تقريب العلماء والعباد .

الثالث - من موضوعات الدعوة: استحباب مجالسة القراء وأخذ العلم عنهم وإن كانوا أحداثاً.

الرابع - من صفات الداعية: المشاورة .

---

١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢١٣/٤ مادة (كهل).

٢) عمدة القاري /العيني ٣١/٢٥، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٠٧/١٠.

٣) انظر:فتح الباري/ابن حجر ٢١٨/١٣، وعمدة القاري /العيني ٣١/٢٥، وإرشاد الساري/القسطلاني ١٣١/٧.

٤) لسان العرب/ابن منظور ١٠٩/١١ مادة (جزل) .

٥) انظر:فتح الباري/ابن حجر ٢١٩/١٣، وعمدة القاري /العيني ٣١/٢٥، وإرشاد الساري/القسطلاني ١٣١/٧.

٦) عمدة القاري /العيني ٣١/٢٥، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٠٧/١٠، وانظر:فتح الباري/ابن حجر ٢١٩/١٣.

٧) فتح الباري/ابن حجر ٢١٩/١٣، وعمدة القاري /العيني ٣١/٢٥، وانظر: إرشاد الساري/القسطلاني ١٣١/٧.

٨) المصادر السابقة نفس الصفحات.

الخامس - من صفات الأعراب: الجفاء .

السادس - من صفات عمر ﷺ: الشدة في دين الله .

السابع - من موضوعات الدعوة: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق.

الثامن - من صفات عمر ﷺ : العمل بما في كتاب الله وعدم تجاوزه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول - من صفات الحر بن قيس ﷺ: العلم وكثرة العبادة :

ذكر ابن عباس ﷺا في هذا الحديث أن العلماء والعباد هم أصحاب مجلس عمر ﷺ ثم ذكر أن الحر بن قيس ﷺ من النفر الذين كان عمر يدنيهم فدل ذلك على أن الحر ممن يتصف بهذه الصفات، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: ("وَكَانَ الْقُرَّاءُ " أي العلماء العباد "أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ " فدل على أن الحر كان متصفاً بذلك). [1] فينبغي للداعية إلى الله أن يقتدي بصحابة رسول الله ﷺ في العلم والعبادة ، لأن هذه من مميزات المؤمن، وهي عدة الداعي إلى الله.

الثاني - من واجبات ولاة الأمر: الاقتداء بعمر ﷺ في تقريب العلماء والعباد :

ذكر ابن عباس ﷺا أن عمر ﷺ كان يدني العلماء والعباد ويقربهم من مجلسه وهم أصحاب مشورته ،لهذا ينبغي على ولاة الأمر تقريب أمثال هؤلاء وجعلهم بطانتهم وخاصتهم ،لما للبطانة الصالحة من تأثير على ولاة الأمر ، وبهم صلاح الأمة . يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: (...القراء من أصحاب رسول الله ﷺ هم جلساؤه سواء كانوا شيوخاً أو كهولاً أو شباباً يشاورهم ويدنيهم . وهكذا ينبغي لكل أمير أو خليفة أن يكون جلساؤه الصالحين ، لأنه إن قيض له جلساء غير صالحين هلك وأهلك الأمة . وإن يسر الله له جلساء صالحين نفع الله به الأمة فالواجب على ولي الأمر أن يختار من الجلساء أهل العلم والإيمان). [2]

---

١) فتح الباري/ابن حجر ٢١٨/١٣، وانظر:عمدة القاري/العيني ٣١/٢٥، وإرشاد الساري/القسطلاني ٣٠٧/١٠.

٢) شرح رياض الصالحين ٢١٥/١.

الثالث - من موضوعات الدعوة: بيان استحباب مجالسة القراء وأخذ العلم عنهم ولو كانوا أحداثاً:

إن من موضوعات الدعوة في هذا بيان استحباب مجالسة الأحداث من القراء ، والأخذ عنهم لأن العلم لايختص بالشيوخ دونهم ؛ بل قد يوجد عند الحدث علم شيء لايعلمه من هو أكبر منه كما في حديث النخلة [١]، حين عرف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جواب ما سأل عنه رسول الله ﷺ في حين لم يعرفه الكبار . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قرأ على أبي بن كعب رضي الله عنه : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٢]، وأن الله أمره بذلك ، ليسن التواضع في أخذ الإنسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية من أهلها وإن كانوا دونه في الدين والنسب والسن والفضيلة والمرتبة وغير ذلك[٣]. وفي هذا الحديث ذكر لنا اشتمال مجلس عمر رضي الله عنه على الصغار والكبار فقال (وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحابَ مَجالِسِ عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّاناً) مما يدل على اعتناء عمر رضي الله عنه بهم واشراكهم في الأمر مع الشيوخ وأنه كان يعتبر العلم لا السن [٤]. قال الوزير العالم ابن هبيرة ـ رحمه الله ـ : (في الحديث من الفقه استحباب مجالسة الإمام للقراء وإن كانوا أحداثاً). [٥]

الرابع - من صفات الداعية: المشاورة :

إن من الصفات التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتحلى بها مشاورته لأهل العلم والدين فيما يهمه من أمور المسلمين لأن الشورى من المبادئ التي حث الله عليها ووصف بها عباده ، قال تعالى :﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [٦]. وفي هذا الحديث ذكر ابن عباس رضي الله عنهما اتصاف عمر رضي الله عنه بهذه الصفة فقال : (وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحابَ مَجالِسِ عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ). لذا ينبغي للداعية أن يقتدي بصاحب رسول الله ﷺ في ذلك، ويستعين بأهل العلم، ويستشيرهم فيما

---

١) انظر حديث رقم (٧٢) من صحيح الإمام البخاري.

٢) سورة البينة الآية رقم (١)، والحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم /باب فضل أبي بن كعب رضي الله عنه ٢٧٦/٤ رقم (٣٨٠٩)، وفي صحيح مسلم نفس الكتاب والباب ص ١٠٨٤رقم (٢٤٦٥).

٣) انظر الجامع لأحكام القرآن /القرطبي ١٣٩/٢٠، وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم ٢٥٤/١٦، والآداب الشرعية /ابن مفلح ٢٥/٢، وفتح الباري/ابن حجر ٩٦/٧، وعمدة القاري/العيني ٢٧٢/١٦.

٤) انظر عمدة القاري/العيني ٨٠/٢٥.

٥) الإفصاح ١٦٤/١.

٦) سورة الشورى جزء من الآية رقم (٣٨).

يعترضه من أمور.

الخامس ـ من صفات الأعراب: الجفاء :

إن في قول عيينة بن حصن: (لَـكَ وَجْـهٌ عِنْـدَ هـذا الأَمِـيرِ "وقوله " هِـيْ يـا ابْنَ الْخَطَّابِ) صفة من الصفات التي يتصف بها الأعراب أمثال عيينة وهي الجفاء ، فإنه من جفائه قال " هِيْ " وأيضا لم يقل أمير المؤمنين ، بل قال تارة هذا الأمير وأخرى يا ابـن الخطـاب . وقـد عرفوا بذلك لهذا لم يؤاخذه عمر ﷺ عليها كما كان النبي ﷺ يتعـامل معهـم علـى هـذا الأسـاس لأنه أمر طبعي وليس مقصوداً ، كما حدث مع الذي جبذه ﷺ ببردته حتى أثـرت في عاتقـه[1]، والذين سألوه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه [2] . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ عنه : (وفيه من جفاء الأعراب شيء) [3] وقال : (قوله " لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذا الأَمِيرِ "هذا مـن جملة جفاء عيينة إذ كان من حقه أن ينعته بأمير المؤمنين ولكنه لا يعرف منازل الأكابر... وقولـه" يا ابْنَ الْخَطَّابِ " هذا أيضا من جفائه حيث خاطبه بهذه المخاطبة). [4]

السادس ـ من صفات عمر ﷺ: الشدة في دين الله :

عرف عن عمر بن الخطاب ﷺ شدته في دين الله تعالى [5] وقوته في قول الحق حتـى سمـاه النبيﷺ بالفاروق لزيادة عـز الإسـلام بـه ، وفصلـه بـين الحـق والبـاطل ، حتـى إن الصحابـة ﷺ أصبحوا أكثر أمان على أنفسهم منـذ أسلم ، وفي هـذا الحديـث ظهـرت هـذه الشـدة مـع هـذا الأعرابي الذي أساء له الأدب واتهمه بعدم العدل في العطاء والحكم وهو يومئذ إمام المسـلمين ،

١) عن أنس بن مالك ﷺ قال: (كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء مـن شـدة جذبتـه ثـم قـال : مـر لي مـن مـال الله الـذي عنـدك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء). متفق عليه ، رواه الإمام البخاري في صحيحه :كتاب فرض الخمس/باب ماكـان النـبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٧٢/٤ رقم (٣١٤٩) واللفظ له، والإمام مسلم في صحيحه :كتاب الزكاة /بـاب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ص٤٢٤ رقم (١٠٥٧).

٢) عن جبير بن مطعم أنه بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلاً من حنـين علقـت رسـول الله ﷺ الأعـراب يسـألونه حتـى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ فقال: ((أعطوني ردائي ، فلو كـان عـدد هـذه العضـاه نعمـاً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً)). رواه الإمام البخاري في صحيحه :كتاب فرض الخمـس/بـاب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٧١/٤ رقم (٣١٤٨).

٣) فتح الباري ٢١٨/١٣.

٤) المصدر السابق نفس الصفحة، وعمدة القاري/العيني ٣١/٢٥.

٥) إرشاد الساري/القسطلاني ٣٠٧/١٠. وانظر المفهم/القرطبي ٤٧٧/٥.

(حَتَّى هَمَّ بِهِ) لولا قراءة الحر بن قيس ﷺ لقوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

السابع ـ من موضوعات الدعوة : أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق:

في هذا الحديث بيان لأمر الله تعالى لنبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، قال الحر بن قيس ﷺ : (إِنَّ الله تَعالى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾) قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات. فقوله ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله:﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله:﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة...قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق في هذه الآية ، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية).[1]

الثامن ـ من صفات عمر ﷺ : العمل بما في كتاب الله وعدم تجاوزه :

في قول ابن عباس ﷺ عن عمر ﷺ : (وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ) دليل على تمسك عمر ﷺ بما أمر الله به في كتابه وما أنزله على نبيه ﷺ . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (ومعنى "ما جَاوَزَهَا " ما عمل بغير ما دلت عليه بل عمل بمقتضاها ولذلك قال: "وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ " أي يعمل بم فيه ولا يتجاوزه) [2]. وهكذا ينبغي للداعية إلى الله أن يقتدي بعمر ﷺ في ذلك فلا يتجاوز أوامر الله ولا يتعدى حدوده ،كما أن عليه أن يدعو الناس إلى ذلك.

---

١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٤٤ـ٣٤٥.

٢) فتح الباري ١٣/٢١٩، وعمدة القاري/العيني ٢٥/٣١وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ١٠/٣٠٧.

١٠١-(٤٦٤٣). حدثنا يَحْي ، حَدَّثَنا وكِيعٌ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ(١)، خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ قالَ: ما أَنْزَلَ الله إلاَّ فِي أَخْلاقِ النَّاسِ. (٢)

وفي رواية: (قالَ: أَمَرَ اللـه نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلاقِ النَّاسِ أَوْ كَما قالَ). (٣)

شرح غريب الحديث:

<< يَأْخُذَ الْعَفْوَ >>: أي يتلبس بالسهل بأن يتساهل ولا يطلب ما شق عليهم مأخوذ من العفو الذي هو ضد الجهل.(٤)

الدراسة الدعوية للحديث:

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية ، نلخصها في الآتي:

الأول ـ تعليم الأبناء والأقارب.

الثاني ـ من موضوعات الدعوة : الأمر بحسن الخلق والقيام بالأمر بالمعروف .

الثالث ـ من أساليب الدعوة : الرفق بالمدعوين .

الرابع ـ حرص عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على الدقة والأمانة في النقل .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

الأول ـ تعليم الأبناء والأقارب :

في هذا الحديث دليل على اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بتعليم أبنائهم وأقاربهم تفسير آيات كتاب الله وبيان المقصود منها، حيث أخبر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أخاه عروة رضي الله عنه بمقصوده تعالى من قوله ﷻ : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾)، ولحرص عروة رضي الله عنه على العلم

---

١) سبقت ترجمته في الحديث رقم (٣٨) ص٢٣٤.

٢) طرف الحديث في صحيح الإمام البخاري:كتاب تفسير القرآن/باب ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ٢٣٦/٥ رقم (٤٦٤٤).

٣) الطرف رقم (٤٦٤٤).

٤) فتح المبدي/الشرقاوي ١٨٣/٣.

حدث بها ابنه هشام لما تحتويه هذه الآية من أوامر عظيمة ينبغي للمسلم أن يلتزم بها وهي حسن معاشرة الآخرين والرفق في التعامل معهم ومداراتهم.

الثاني ـ من موضوعات الدعوة: الأمر بحسن الخلق والقيام بالأمر بالمعروف:

إن من الموضوعات الدعوية الهامة والتي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحض أمته عليها حسن العشرة فيما بينهم والتناصح ومداراة الجاهل منهم والتغاضي عن الأخطاء التي لاتؤثر على عقيدة المسلمين أو توقف العمل الدعوي، وقد علمها الله ﷻ لنبيه ﷺ وبلغها بدوره لأمته مما يؤكد على أهميتها. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (قال الطيبي ما ملخصه أمر الله نبيهﷺ في هذه الآية بمكارم الأخلاق فأمر أمته بنحو ما أمره الله به ومحصلها الأمر بحسن العشرة مع الناس وبذل الجهد في الإحسان إليهم والمداراة معهم والإغضاء عنهم).[١]

الثالث ـ من أساليب الدعوة: الرفق بالمدعوين :

إن في قوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أمراً منه سبحانه لنبيه ﷺ بالتعامل مع الناس بأسلوب الرفق وترك التشديد عليهم في تعامله معهم وفي أمرهم ونهيهم ، لأن الشدة قد تنفرهم منه وتحول بينهم وبين قبول الدعوة ، وهذا مخالف للغاية التي أرسل إليها . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (قال الراغب:... والمعنى خذ ما عفى لك من أفعال الناس وأخلاقهم وسهل من غير كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى ينفروا وهو كحديث يسروا ولا تعسروا).[٢]

ولهذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يتعاملوا بهذا الأسلوب الدعوي العظيم مع المدعوين مسلمهم وكافرهم، لأن التعامل به مع المسلمين واجب ديني تحتمه الأخوة الإسلامية، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [٣]، والتعامل به مع غير المسلمين مما يؤلف قلوبهم للدعوة، ويرغبهم فيها .

---

١) فتح الباري ٢١٩/١٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن/القرطبي٣٤٦/٧، و إرشاد الساري/القسطلاني ١٣٢/٧،وفتح المبدي/الشرقاوي١٨٣/٣، ومنارالقاري/حمزة قاسم٥٦/٥.

٢) المصدر السابق نفس الصفحة، وانظر إرشاد الساري/القسطلاني ١٣٢/٧.

٣) سورة التوبة جزء من الآية (١٢٨).

الرابع - حرص عبد الله بن الزبير ﷺ على الدقة والأمانة في النقل :

إن في قول الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير ﷺ (**أَوْ كَمَا قَالَ**) دليلاً على اهتمامه بالدقة في نقل قول الرسول ﷺ والأمانة في ذلك ؛ حيث إنه لما شك في صيغة القول ألحق به لفظ (**أَوْ كَمَا قَالَ**) ليخرج نفسه من الوقوع في الكذب على الرسول ﷺ.

لهذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى بأن يقتدوا بالصحابة ﷺ والسلف الصالح في حرصهم الشديد على صحة النقل عن رسول الله ﷺ وأمانتهم في ذلك ، وأنه يلزم الداعية إذا شك في صيغة الحديث أو نسي منه شيء أن يقول : " أو كما قال ﷺ " .